

الأعمال الكاملة للشيخ

حسن بن عبدالله آل الشيخ

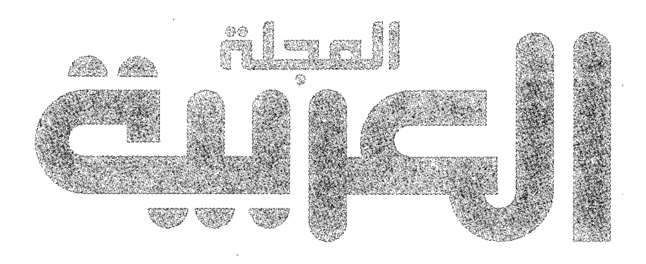
1435هـ - 2014م

Twitter: @sarmed74
Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

Telegram: https://t.me/Tihama_books
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

المجموعة الكاملة لأعمال
الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ





رئيس التحرير

د. عثمان بن محمود الصيني

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com-info@arabicmagazine.com



ⓒ المجلة العربية، 1435هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل الشيخ، حسن بن عبدالله
المجموعة الكاملة لأعمال حسن آل الشيخ. / حسن بن عبدالله آل الشيخ - الرياض، 1435هـ
780ص؛ 14×21سم- (إصدارات المجلة العربية، 125)
ردمك: 978-603-8138-36-6
1 - آل الشيخ ، حسن بن عبدالله بن حسن، ت 1407هـ 2 - الأدب العربي - مجموعات
أ. العنوان
ديوي 923,7531 1435/370

رقم الإيداع: 1435/370
ردمك: 978-603-8138-36-6

المحتويات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تلقيت رسالة رقيقة من أخي النبيل الدكتور عثمان بن محمود الصيني رئيس تحرير المجلة العربية يفيدني فيها برغبة المجلة طباعة (المجموعة الكاملة) لكتب الوالد، تكريماً ووفاءً منه ومن الزملاء العاملين بالمجلة لدوره في إنشاء المجلة والإشراف عليها في السنوات الثلاث عشرة الأولى من نشأتها حتى وفاته رحمه الله. وقد سعدت كثيراً بهذه الرسالة من الدكتور عثمان لأنها (أولاً) جسّدت في شخصه الكريم إحدى الصفات النبيلة التي كان يدعو إليها الوالد رحمه الله كثيراً في كتاباته حيث يقول في كتاب (خواطر جريئة):

«الوفاء في أكثر صوره أعلى من الحب... لأن الحب قد يكون انفعالاً، بينما يبقى الوفاء دائماً قريناً للأصالة الراسخة في واقع كل النبلاء..»

ويوضح ذلك في كتاب (خطوات على الطريق الطويل) بقوله:

«(الوفاء) أغلى صفة في علاقات الأحياء ببعضهم لأنها تعني سوية النفس، وصفاء الروح، والسلامة من الحقد والانحراف..»

وسعدت بها (ثانياً) لأنها حققت رغبة قديمة في نفسي بأن تتمكن الأجيال الناشئة من شبابنا –إن شاء الله– من قراءة ما كان يكتب رحمه الله، فقد كان شديد الثقة بهم، مؤمناً أشد الإيمان بقربهم من ربهم وبقدرتهم على تأدية دورهم المهم (والضروري) في بناء الوطن وحمايته من أعدائه والمتربصين به والسير به في طريق الرفعة والتقدم، فها هو يخاطبهم قائلاً:

«أقول لكل شاب في بلادي إنك مع الشرف على موعد، ومع النجاح على لقاء، إن كنت قادراً على أداء دورك الذي أراده الله تعالى لك، ورسالتك التي هيّأك لحملها..»

ويؤكد في مقال آخر:

«إن إيمان الشباب بحقيقة دينهم، واقتناعهم بفضائله ومزاياه، والتزامهم لتعاليمه في كل مراحل حياتهم هو الدعامة الأولى لبناء المستقبل.. قوياً مستقراً..»

وها هو يعلن حبه لهم وفخره بهم فيقول:

«(شبابنا) الثروة التي تعلو على الأثمان المادية، وتتجاوز المقادير المألوفة.. شبابنا المؤمن بالله الذي استطاع أن يمزق بعنف (الأسطورة) المقيتة التي طالما صكت أسماعنا حتى أوشكت أن تكون واقعاً مسلماً به.. والتي تقول إننا لن نستطيع أن ننطلق في فجاج العلم ومسالك الحضارة لأننا لا نملك مقومات ذلك ويجب أن نظل قانعين بالأماني والأحلام..»

فشكراً لأخي العزيز رئيس تحرير المجلة العربية ومنسوبيها على كريم مبادرتهم.

والمتأمل في كتاباته رحمه الله يجد أنه كان مهموماً بمشاكل أمته ومجتمعه، يدعو إلى الإصلاح ويحذر من مظاهر الفساد، مؤكداً باستمرار أن في الالتزام بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، الحل لكل مشاكلنا، حيث يقول:

«المسؤولية في الإسلام واجبة لازمة لا يستثنى منها أحد، تتعين على أقوام في صور أوضحتها شريعة الله، ولا يعفي ذلك غيرهم من أدائها والالتزام بها، فالمسلم -أينما كان- مسؤول عن معالجة وإنكار كل أمر يخرج عن تعاليم دينه وآدابه..»

ويعود ليحذر من أعداء الإسلام وكارهيه:

«هم يريدون منا أن نتخلى عن مبادئنا الأساسية فلا نحتكم إلى الإسلام ولا نطبق تعاليمه... ويريدون منا أن نتجاهل واجبنا حيال مجتمعنا الإسلامي الكريم فلا نحارب جريمة، ولا ندعو إلى فضيلة، ويريدون منا أن (نكون تباعاً) منفذين، لا كرامة لنا ولا رأي..»

وكان رحمه الله يرى دائماً أن السبيل إلى الإصلاح يكون في النصيحة المخلصة، وأننا يجب أن نعود أنفسنا كمجتمع على سماعها وتبادلها مع بعضنا البعض حيث يقول:

«يجب أن نكون (أمناء) في بذل النصيحة الواجبة بشروطها حتى لا يستمر الانحراف، وحتى تطغى روح الشعور بالواجب. (والنصح ثقيل) لكننا يجب أن نعتاد قبوله والالتزام بالصادق منه، لأننا إن لم نفعل ذلك نضل في الغفلة الزاحفة، نعتقد سلامة خطونا ولا نسمع الرأي الآخر..»

ونراه يوضح أننا يجب أن نلتزم الوسطية التي أمر بها الدين في تناصحنا وفي كل أمور حياتنا حتى لا نبتعد عن أهدافنا وننشغل في خلافها فيقول:

«(الوسطية) سمة هذه الأمة فمن حاد عنها التزاماً، أو تحللاً، فقد خالف ما أراده الله له، وهو العليم به وبقدراته، وما سيلقى في عمره الزاحف به. ويوم يتناسى الناس تفضيل ربهم لهم بهذه الوسطية الرائعة تتواجد كل المتناقضات والمشاكل والحزازات..»

وينبه رحمه الله إلى أهمية التزام الدعاة إلى الله بهذه الوسطية الرائعة وأثر ذلك في نشر الإصلاح وتقبل الآخرين لهم، حيث يقول:

«نريدهــم دعــاة (استصــلاح) لا أدوات بــتر... نريدهــم بأفعالهــم المخلصــة يزيلون في رفق كل الحواجز التي تفصــل بينهــم وبين الآخرين، نريدهم يدعون إلى الله والبســمة تعلــو وجوههم، والحنان يغمر حركاتهم والاستصلاح يسيطر على كل تصرفاتهم، نريدهم الحراص على (احتضان) الفاريــن واللاهين والغافلين، والتدرج بهم، ومعهم، حتى يصــلوا بهم في النهاية إلى شاطئ الأمان، نريدهم مبشرين لا منفرين، وميسرين لا معسرين، ومرشــدين لا معنفين، ويوم تتكاثر هذه النوعية في كل مجتمع مســلم، نجد أن العائدين إلى الله أضعاف اللاهين عن أوامره..»

ويؤكد أن أي داعية للإصــلاح يجب أن يبدأ بنفســه ومحيطه وأن يقرن أقواله بالأفعال:

«كل إصــلاح لا تؤيــده الأعمال الفرديــة بادئ الأمر (هــراء وباطل)، فلنبتدئ بأنفســنا ثم بأسرنا وبمحيطنا المحــدود، نحارب فيهم الانحراف والشذوذ والتخلف، ونبني بهم صرح الخلق والحياء والكرامة والفضيلة..»

ويوضح ذلك في مقال آخر بقوله:

«الأفكار والمبادئ مهما تكن قوية وواضحة... تمت وتتلاشَ إن لم تجد من يؤمــن بها ويطبقها... ويدافع عنها... مراحــل ثلاث: إيمانك بالفكرة ثم تطبيقها في واقعك، وبعدها دفاعك عنها لتعم وتنتشر..»

ثم يعود ليبين:

«الأقوال وحدها لا تبني حتى (كوخاً) يقي شــمس النهار، أو برد الليل يومــاً واحــداً... ولكــن (خطوة واحدة) نحــو ترجمة تلــك الأقوال إلى عمل هي (بداية الانتصــار)... انتصار الإنسان على نفسه، وعلى تردده،

وعلى خوفه... ولولا الإقدام على الأعمال لما قامت (دول) ولا سطرت (شعوب) انتصاراتها على جبين التاريخ..»

ولأن حلفاء الفساد بشتى أنواعه وصوره موجودون في المجتمع منذ القدم، فقد كان رحمه الله يدعو كل فرد إلى ضرورة كشفهم ومحاربتهم لأن في ذلك حماية لمجتمعهم من التفكك والانهيار، حيث يقول:

«ليس عجيباً أن يوجد (المفسدون) في كل مجتمع... ولكن العجيب... ألا نسعى إلى كشفهم وتعريتهم، ونزع الأقنعة عن وجوههم الكاحلة الباهتة... وهي رسالة المسلم المخلص لله، والعامل من أجل دينه ووطنه... فلا تتهاونوا في أدائها، فنحن (نبني) ويجب ألا يعبث في واقعنا (مفسد هادم)..»

ويقول في مقال آخر:

«يوم لا يجد أحدنا دافعاً من نفسه إلى إنكار الفساد والانحراف، والعمل على إيجاد الخير والفضيلة مكانهما؛ فإن ذلك يعني النذير له بسوء واقعه، وحيرة مستقبله.. إن لم يبادر إلى تجديد صلته بربه ودينه، وأشقى الناس من لم يعتبر بغيره وجعل العبرة للناس من نفسه..»

وقد كان حريصاً أيضاً على إيضاح الصور المختلفة للفساد وكيف نقاومها، فها هو يحذر من إحدى صوره المتمثلة بالرشوة:

«الرشوة مع كونها تشكل انتكاساً مخزياً في القيم والأخلاق، فهي تعبر بطريقة عملية عن فقدان العدالة والثقة، فالمجتمع الذي تتفشى فيه الخيانة والرشوة، يفتقد تلقائياً ما يقابلها من العدالة والثقة... والمؤمن الواثق من وعد الله ووعيده، يحجزه إيمانه عن التردي في أوحال الكسب الحرام،

(يفرضـه) على أصـحاب الحقوق ليسـعى في تخليتها لهـم.. أو (يقبله) ليهب مقدمه غير ما يستحق.»

ثم نراه في مقال آخر يوضح رأيه في كيفية مواجهتها ومحاربتها:

«انتشـار الرشـوة في مجتمع دليل على ضعف أفراده، وتخاذلهم وموت ضمائرهم... والعلاج دائماً لا يكمن في عقوبات الدولة وحدها بقدر ما يعتمد على وعي المواطن ويقظته ومبادرته لكشف الجريمة بعد حصرها... ولا ترحمـوا من تمتـد يده ليرتشـي... فهو مجرم، وملعـون، وظالم، وهو بصـنيعه يعـادي كل أفراد مجتمعه، فانبذوه وشـهروا به فقـد طرده الله من رحمته..»

ويعود ليبين ما يراه من صور أخرى للفساد في المجتمع فيقول:

«إشـاعة الكذب والخوف والفاحشة فسـاد لأنه ينتزع من المجتمع أمنه وهدوءه وعلاقة أفراده»

ثم يضيف:

«الحقد وتشويه جهود المخلصين فساد لأنه نزوع إلى التدمير والتحطيم والهـدم... ينطلـق دائماً مـن الفاشـلين، والتافهين، والحيـارى، وأعداء الثقة..»

وكان دائماً يحذر من النفاق بشتى أنواعه لإحساسه بتفشيه في المجتمع وخطورته عليه فها هو يخاطب القارئ بقوله:

«احـذر أن تسـتمع إلى المدح الزائف، فهو السـم الزعـاف، لأن الذي يمتدحـك بمـا ليس فيـك، يخدعـك ويسـتهين بفعلك، واجعـل لك من نفسـك فارقاً بين صاحب الحق والمتسلط عليه، وقاوم كل نزعات الخوف

والضعف في نفسك، وقف في شموخ الجبال، وصلابة القمم في وجه كل الإغراءات التي تحاول أن تنال من مبادئك وكرامتك..»

ولأن ظاهرة الإخلال بممتلكات الدولة إحدى الظواهر السلبية التي يجب محاربتها بشدة؛ فقد حرص رحمه الله على التحذير منها كثيراً، حيث يقول:

«النزعة التي تدفع بنا دائماً إلى الإقلال من الاهتمام بشأن ممتلكات الدولة ومصالحها يجب أن نحاربها بشدة وبقسوة وبلا رحمة... (فالدولة) هي أنت وأنا وابنك وابني وابنتي وابنتك... والفرد دائماً هو الأساس في كيان الدولة... ومتى سمحنا للفجوة أو الهوة أن تفرض واقعها بين الدولة وبين الأفراد التي تتكون منهم نكون قد عملنا على هدم الدولة وتخريب كيانها..»

ويقول في مقال آخر:

«(الدولة غنية) كلمة يقولها المواطن ليبرر إهماله وعبثه، ويقولها المسؤول ليبرر أخطاءه ويقولها الموظف ليضع حداً للتساؤلات عن تبذيره وجناياته... والضحية المغلوبة على أمرها في كل هذه المظاهر المؤلمة هي: (المصلحة)... مصلحتك.. ومصلحتي..»

وكما كان يحث على محاربة الفساد فقد بين رحمه الله في أكثر من مقال أن الدعامة القوية التي يجب أن يستند إليها في مقاومة كل نوازع الشر في النفوس هي الإيمان القوي بالله سبحانه وتعالى حيث يقول:

«الفرد المسلم حينما يمتزج الإيمان بقلبه، يصبح أقوى من كل ما عداه، ويجد أن روابط الإيمان أكثر أثراً في سلوكه من الرقابة والملاحقة..»

ثم يعود ليوضح:

«لأنه يعلم أن الله معه، وعليم بما يخفي ويظهر، وأنه إن استطاع خداع الناس أو إيهامهم فلن يستطيع ذلك مع خالقه الذي يعلم السر وأخفى..»

وحرص رحمه الله على تأكيد ضرورة وأهمية غرس الوطنية وحب الوطن في نفوس أبنائه، وأن ذلك هو المنطلق لعزته وتغلبه على مشاكله، حيث يقول:

«أعظم اكتشاف أن تكتشف شخصيتك، ودور وطنك لأنك عندما توفق لذلك تبدأ خطوات الممارسة الحقيقية لرسالتك، وتتصرف على ضوء وحيها... وتستطيع أن تحقق الكثير مما لم يستطع تحقيقه غيرك..»

ونراه يوضح:

«الوطنية في مفهومها الصحيح: أن تظل أميناً على مبادئ دينك، وفياً لها، مساهماً في بناء وطنك، وإعلاء شأنه، باذلاً الخير لكل مواطنيك بما تستطيعه من جهد وطاقة، محارباً ومقاوماً للرذيلة والانحراف، والالتواء..»

ثم نجده في مقال آخر يحذر من التقاعس عن أداء أبناء الوطن لواجبهم نحوه:

«بقدر كفاءتك تفرض نظرة الناس ومعاملتهم لك، وإذا لم تحاول أن تقدم ما يجب لوطنك عليك، وإذا تجمدت مواهبك وطاقاتك، وانطفأت شعلة الحياة في ضميرك، وتقاعست عن دورك كمسلم وكمواطن، فلا تعجب إذا خلفك العاملون وانطلقوا، ولا تغضب إذا أحاطت بك نظرات الاستنكار والسخرية..»

ولأنــه كان يعلـم تأثير الصــحافة في المجتمــع وأنها ضـرورة كإحدى الدعائم التي يجب الاســتفادة منها لتقويته، فقد دعا إلى توجيهها لما يعود على المجتمع بالخير، وحذر رحمه الله من إساءة استخدامها، حيث يقول:

«صحافة الإســلام إحدى الدعائم التي يعتمد عليها ويقوى بها أثره في النفوســ والقلوب، وهي ضرورة وتجاهلهــا أو فقدان توجيهها يؤديان في النهاية... إلى المعكوس من النتائج..»

ويحذر من دعاة الفرقة والاختلاف داخل المجتمع في مقال آخر:

«(وداعية) الخلف والفرقة -في معترك الأحداث- أقسى من الأحداث وأخطر من ســببها، لأنه يذيــب روح المقاومة في أمتــه، ويعين الأحداث عليها، والويل لها إن تشــاغلت بباطله عن واقعها، وهي في ســاعة شــدة، وفترة حرج..»

ويدعو إلى الكتابة الواجبة التي تبني ولا تهدم بقوله:

«الكتّــاب على أنــواع: أحدهم يكتــب ليقبض، وآخــر يكتب ليهدم، وثالث يكتب ليشــتهر، ورابع يكتــب ليملأ فراغه... وكلهــم أعباء على أمتهم وخســارة لمواطنيهم، ونماذج ســيئة في مجتمعهــم... أما من يكتب ليبني، ليصــحح خطأ، ليرشــد إلى صــواب، لينصر قضــية عادلة، ليشجع محســناً، ليقول كلمــة حق بطريق مشــروع، ليجمع كلمة، ليوحد صــفاً، ليدافــع عن دين أو خلق، فهم... (الرجال) والرواد، والعاملون... ونحن بحاجة قصوى إلى حجب أولئك وإبراز هؤلاء..»

ولكــي يتــم أداء دورنا المطلــوب نحو ديننا ووطننا فقــد كان رحمه الله يرى أن اختيار الأشــخاص المناسبين لتحمل المسؤولية جزء أساس لضمان

نجاحهم في القيام بما يعود بالنفع على المجتمع والوطن فيقول:

«المسـؤول ينقل دائماً واقعه إلى من حولـه، ويعكس تأثيره على محيطه، ويـوم يكون واقعه منحرفاً فإنه يشـكل باسـتمراره عنصر هـدم لأنه يعني فرض هذا الانحراف وتجسـيمه، وانتقال عـدواه... ولتلافي هذا الواقع المؤلم تعلمنا تجارب الإصـلاح أن اختيار المسؤول كثيراً ما يغني من ضياع الجهد في تقويمه، وإن أعدل جزاء للمنحرفين هو ردع الناس بعقوبتهم..»

ويوضح في مقال آخر:

«الشـعور بالمسـؤولية هـو السر الـذي يكمـن دائمـاً وراء الإنجازات الموفقة والبارعة، وبقدر شـعورك بمسؤوليتك تدفع بكل طاقاتك للإبداع والكفاءة، ولا تصـاب الأمم في كل مراحلها بأدهى من فقدان أبنائها لهذا الشعور وقناعتهم بالخمول والتواكل..»

وبالإضافة إلى تحذيره من الظواهر السلبية في المجتمع ودعوته لمحاربتها بشـدة، كان في المقابـل يبـين رحمـه الله في كتاباته الكثير مـن الجوانب الإيجابية في المجتمع المسـلم ويدعو إليهـا، فهاهو يحث على نبذ العداوة ونشر المحبة والتسامح بين أبناء المجتمع بقوله:

«وأنا ليس في حسـباني أن للعداوة مكاناً في المجتمع المسـلم المتكامل، لأن مجرد التفكير في عداء أي إنسان جريمة»

ثم يضيف:

«وحتى من يواجهك بالعداء فإن أروع انتصـار لك على باطله وظلمه أن تستبعد من واقعك فكرة مقابلة عدائه أو السعي في إذلاله..»

وكان يؤكـد دائماً أن كرامة الإنسـان -أي إنسـان- يجب أن تصـان وتحترم في كل الأوقات والظروف، حيث يقول:

«(والمناصب والأموال وكل الفرص المتاحة للأحياء) لا تبرر أبداً أن يعلو الإنسان بما يملك على غيره، أو يتجاهل الكرامة الواجبة لغيره مهما تضاءل رصيده المادي أو فقد وجاهة المنصب وفوائده..»

ختاماً.. أرجو أن يكون في هذه المقدمة إيضـاح لبعض فكره وأسـلوب كتابته رحمه الله، وأن تجد أخي القارئ وأختي القارئة في هذه (المجموعة الكاملة) ما يفيدكم في دينكم ودنياكم، وأن يحقق الله سبحانه وتعالى بها ما كان يرجوه في كتابتها من خير وثواب، والله الموفق.

عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ



دورنا في الكفاح

آراء صريحة في مجتمعنا

طبعت الطبعة الأولى
1383 هـ - 1963 م

الطبعة الثانية
1435 هـ - 2014 م



الإهداء

إلى المسلمين في كل بقاع الأرض!

وإلى المخلصين لدينهم وأوطانهم،

وإلى العاملين في دأب وصـمت – لتصـل بلادهم إلى المسـتوى اللائق بها..

إليهم جميعاً

أهدي كتابي الأول:

مع تحياتي،

المؤلف



المقدمة

أخي القارئ،

ستقول وأنت تقرأ هذه المقدمة، فيم يبحث هذا الكتاب وما الداعي لتأليفه؟ ومن حقك أن تسأل..

وأقولها لك واضحة صريحة: إنني ترددت طويلاً قبل أن يصل إليك كتابي هذا! وكان مبعث ترددي: هو الإشفاق عليك وعلى الكتاب.. الإشفاق عليك: أن تقرأه ثم لا يستطيع أن يبين لك عن نفسه، أو يفصح لك عن أهدافه، فتكون قد منحته من وقتك ما ينفعك في غيره.

وعلى الكتاب أن يلتقي بالشكل (وليداً) والحيرة (يافعاً)، وهو لا يعدو أن يكون (محاولة) صادقة للإسهام في بناء مجتمعنا، والنهوض بمستواه.

في (كلمات مخلصة) أردت بها وجه الله، وأداء بعض ديوني لأمتي ووطني - غير محترف ولا مفاخر.

ولئن وجدتها تبحث أكثر من موضوع، وتعالج غير مشكلة، فرابطها: إخلاصي لله، ثم لوطني وأمتي، وحسبي عزاء وغبطة: لقاء المودة وزمالة الكفاح وقد لقيتها من المواطنين الأفاضل منذ بدء لقائنا في صحفنا المحلية.. فلقد نشرت صحفنا أغلب مواد هذا الكتاب في فترات تتباعد وتقترب تبعاً للمناسبات والأحداث، ووجدت اليوم -من واجبي- أن أجدد ذلك اللقاء المحبب على نحو أكثر شمولاً واستقراراً.

ومن هنا بدأت الفكرة.. وبتأثير هذه المشاعر أخذت (محاولتي) هذه طريقها إليك.

ولن أستبق الزمـن فأحكم على نجاح هذه التجربـة وتوفيقها، لكني لا أستطيع بحال أن أتجاهل ثقة نفسي وتفاؤلها، ورائدي (اللقاءين) أحكام الصلة بـك، لنمض معاً في عزيمة وقـوة – عبر الطريـق الطويل.. لنحقق لبلادنا العزيزة خير ما نصبو إليه ونتمناه.

(وإن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله).

حسن بن عبد الله آل الشيخ

دورنا في الكفاح

جناية – أن نتخلف عن الميدان وننزوي عن المعركة.

وجناية – ألا نتفاعل مع الأحداث بمشاعرنا، وأفكارنا، وأعصابنا.

وجنايـة – أن نـدع المنظار القاتم يصـور لنا كفاح المخلصـين (تهوراً)، وعزائم الأبطال (مغامرة).

وجنايـة – أن نتجاهـل الجهـود المبذولـة، ونتعامى عن الواقـع الماثل، لنفترض وهماً، أو نتخيل باطلاً.

(والأحداث والشـدائد) تحسن دائماً إلى الأمم فتجمع صفوفها، وتوحد جهودهـا، وترتفـع بأفكارها وعلاقاتها بعيداً عـن الخلافات، والأحقاد، والنزعـات – وعامـل الحـرارة الرهيب – تسـتحيل به (المعادن) الصـلبة المتجمدة إلى سـوائل متحركة، قابلـة للتكييف! وما ذاك إلا لأنه أقوى من واقعها، وأقسى من مادتها.

والأحـداث تطغى دائماً على النزاع والخلف، فتحيل الضـعف (قوة)، والتسـاهل (حزمـاً) والتهـاون (حرصـاً)، وهي تقـترب بالمكافحين من آمالهم وأهدافهم، وكأني بالشاعر العربي يريد هذا المعنى حيث قال:

تأبـى الرمـاح إذا اجتمعـن تكسراً

وإذا افترقـن تكـسرت آحـادا

(وداعيـة) الخلـف والفرقة – في معترك الأحداث – أقسـى مـن الأحداث وأخطر من سـببها، لأنه يذيـب روح المقاومة في أمته، ويعين الأحداث عليها، والويل لها إن تشاغلت بباطله عن واقعها – وهي في ساعة شدة، وفترة حرج!

وكمـا أن الأحداث تصـنع المعجزات في توحيد الصـف والجهد، فهي تصنع أكثر منها في كشف الحقائق وإيضاح النفوس.. لمن يعتبر!

ولسـت أدري مم يتكون – هذا الكيان الكبير – إن لم يكن مني ومنك؟ ولسـت أدري – كذلـك – ما الذي يمكـن أن نؤديه لديننـا، وحكومتنا، وأمتنـا، إن لم نتـآخ، ونوحـد أهدافنا، ونـدرك دقة أحداثنـا ونتبين معالم مستقبلنا؟

ولقد تعرضـت بلادنا الحبيبة اليوم لمثل هذا الدور، وأثبت شعبها المسلم – كعادته – فهمه العميق لدوره، وحرصـه الأكيد على مستقبله، وتعلقه المخلص بقادته والوقائع الماثلة هي الدليل الواضح لما أقول.. والحمد لله.

الكفاح المشروع

في الحياة جنود مجهولون:

عملوا واجبهم في صمت، وكافحوا لأهدافهم في بسالة، وسمت نفوسهم الأبية على مغريات الانحراف، ومهاوي المذلة، فما ارتضت لهم بغير الكرامة رفيقاً.

وأخذوا طريقهم في صبر عجيب بين الصخور، وعلى الأشواك، تصطدم رغباتهم بواقعهم المحدود، وتتلاشى آمالهم، في دوامة الحقائق الرهيبة، تضطهدهم حياتهم - بلا رحمة، ويتنكر لهم واقعهم - بلا ضمير - حتى كأنهم حادوا عن الطريق، أو تنكبوا المسلك.

إن طلبوا من غيرهم إحساساً بواقعهم، منعهم ذلك (الغير) حتى من حقهم المشروع في العيش المباح، وأخذوا عليهم مسالك الطريق، وسلكوا للنيل من كفاحهم الشريف كل مسلك، تحقيراً، وتحاملاً، وأضراراً، وهم يمثلون في ذلك صراع الخير مع الشر، والفضيلة مع الرذيلة، والاستقامة مع الانحراف، وتتسع بهم - تبعاً لواقعهم - دوامة التجارب الدقيقة لتشكل وطأة العقل على العاطفة، والواقع على الأمل، وقد تنطوي بهم أعمارهم وهم لم ينعموا بلذة كفاحهم لكنهم نعموا - في نضالهم - براحة ضمائرهم، وغنموا فضيلة الاستجابة لتعاليم دينهم.

وسيلتقون (إن امتدت بهم حياتهم) بصباح باسم يحمدون فيه سراهم، وإن قصرت بهم، فلهم عند ربهم جزاء (المخلصين) الذين صانوا (حياتهم) عن المآتم (وأيديهم) عما ليس لهم، وأحسنوا في أداء أمانيهم، (واستقاموا على الطريقة) وامتثلوا أمر الله.

وسلام على المخلصين الشرفاء أينما كانوا، والعاقبة للمتقين.

لماذا ينحرفون؟

وضعت الدولة - في طريقها الإصلاحي الطويل - نظاماً لمحاربة الرشوة وأعلنت عزمها على تنفيذ مبدأ من أين لك هذا؟ وتساءل الناس عن كيفية إنفاذ هذين النظامين؟ ووجدنا من يقول باستحالة تطبيقهما! ولست هنا في معرض الإجابة عن تلك التساؤلات أو إيضاح موقف الدولة منها.. فهي جادة - بإذن الله - في إنفاذ ما أعلنت عنه كجزء من مسئوليتها الكبرى نحو صيانة المجتمع وحمايته... لكنني أتساءل أنا الآخر! ترى لماذا يقدم المرء على جريمة الرشوة أو الاختلاس وقد حاربتهما كل شرائع السماء وقوانين الأرض؟ وتذكرت وأنا أحاول معرفة الإجابة، أشياء كثيرة منها: صراخ الحاجة، وضعف الموارد، ومطالب الحياة.. وبدا لي في الجانب الآخر: جريمة الانحراف، وجناية الإخلال بتوازن المجتمع، والتحدي السافر لواجب المواطن الصالح، والانعكاس الخطير لدوره الواضح..

وبدا لي.. أن من يقدم على جريمة الرشوة، وعار الاختلاس، وجناية الكسب الحرام.. (ظالم لنفسه) قبل غيره.. لأنه انحرف بها عن مسلك الخير والعزة والكرامة، إلى طريق الشر والهوان، والمذلة.

ولأنه أخمد بجرائمه - صوت ضميره - وقضى على - نوازع الخير - في نفسه فانطلق في (أوحاله) بلا ضمير، وفي (مخازيه) بلا كرامة، وفي (مجتمعه) بلا شرف.

وسيظل - مهما تيسرت له سبل العيش، وامتد به حبل الحياة، (علماً) على الجريمة، (وشاهداً) على الخيانة، يغالب - ومضات اليقظة - في ضميره، ويكابد - سوانح الخير، في نفسه في واقع موئلم ومرير، لا ينجيه من قسوته كل مباهج الدنيا ولو واتته.. ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

الدعامتان والأوسمة

الإخلاص، والنزاهة (دعامتان) لابد منهما معاً.. ولا يغني أحدهما عن الآخر لأنهما (متكاملان)، وفقدانهما في أي مجتمع (بداية) نهايته، (ودليل) نحسه.

فالإخلاص: أن تجعل من نفسك رقيباً – عليها، وأن تسعى لخير مواطنيك وأمتك، تماماً كما تسعى لخير نفسك وأسرتك، وأن تندفع في أداء أمانتك بكل طاقاتك، عاملاً للخير – دائماً – وللأفضل – أبداً في صمت ودأب، وإنكار للذات، وأن تتمثل في كل خطواتك – قدرة الله – عليك، وعلمه – بما تخفي وتظهر، وأنه سائلك غداً عن أمانتك وصنيعك.

والنزاهة: يقابلها الاختلاس، والخيانة، والكسب الحرام، والأمم في أدوار بنائها ونهضتها، نحتاج إلى جهود أبنائها وعزائمهم.. وما لم يواكب تلك الجهود والعزائم (إخلاص صادق)، (وترفع) عن مزالق الخيانة.. فهي – معاول – هدم، وعوامل تخريب..

ولن تستقيم – بأمة – خطاها في طريق المستقبل الأفضل بغير جهود المخلصين من أبنائها.

ورصيدهم دائماً.. الشرف، والكفاح، والكسب المشروع، وهي (أوسمة) المجد يحملها المواطنون الصالحون..

معركة الماضي والمستقبل!

نحـن اليوم في معركة بناء.. أعلنها القادة، ووعاها الشـعب. فاندفع في عزيمة وقوة يحقق أمل قادته، ويثبت دعائم مجتمعه، وسـيحقق الأمل بإذن الله، لسبب بسيط وواضح..

هـو أن هذا الشـعب (المسـلم) المحافظ لم تتلوث صـحائفه يوماً بسـبة (جريمة) أو لوثة (خيانة).

ولأنه كان يدرك على الدوام دوره ومسئوليته.

ولأنه هو الذي أرسى حجر الأساس لهذا الواقع المشرق.

أرساه بالدماء، وبالعزائم، وبالتضحيات.. وهو لم يبذل دماءه، وعزائمه وتضحياته، (مكرهاً أو متهوراً).. لكنه يريد.. العزة والحرية والكرامة.

ويريـد لمجتمعـه أن يظل على الدوام، مسـلماً، متطـوراً، كريماً، ويريد لأوطانـه أن تبقى حاملة للواء العلم، والهـدى، والنور، وهي كما ترى – مفاخر – يهون لها كل صعب، ويسهل – لنيلها – كل شاق.

وسـيبقى – بـإذن الله – هذا البناء شـامخاً، والراية خفاقـة.. لأننا عرفنا طريقنـا.. ولأننا سـنظل نبنـي ونكافح في عزيمـة وثقة، ولـن نتخاذل أو نضـعف، والله ناصرنـا ما دمنـا على الحـق، والنصر للإسـلام، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

أحاديث في الوطنية

ما هي الوطنية؟

سؤال قد يبدو سهل الإجابة لكنه صعبها.

فالوطنية في مفهومها الصحيح: أن تظل أميناً على مبادئ دينك، وفياً لها، مساهماً في بناء وطنك وإعلاء شأنه، باذلاً الخير لكل مواطنيك بما تستطيعه من جهد وطاقة، محارباً ومقاوماً للرذيلة والانحراف، والالتواء، مبتدئاً في ذلك بنفسك وأسرتك، منكراً لذاتك، متناسياً لأهدافك الشخصية ومطامعك الفردية، (فالأنانية) معول هادم ومخرب، كثيراً ما يفقد الأمم نماذج من أبنائها ربما كان لهم - بدونها - أثر بارز في بنائها وحضارتها.

عاملاً بدأب وإخلاص لإشاعة الثقة، والفضيلة وبذل النصح الواعي لكل مسلم حاكماً أو محكوماً.. هذا هو المفهوم الصادق للوطنية.

وليس هو التشدق بها أو ادعاؤها مع تخلف العمل بمدلولها، فالوطنية الزائفة يتظاهر صاحبها بالغيرة والحرص ويلوم غيره ليسدل بتظاهره ولومه الحجب الكثيفة على ماضيه أو واقعه. وكثيراً ما يكون هذا النوع المزيف من الناس، ضعيف الذاكرة حتى للقريب من الأزمنة والحوادث - يغالط بتظاهره نفسه، ويخدع بادعائه ضميره، وكأنه ينسى أن الحوادث (لساناً) ناطقاً تسمعه آذان البناة المغمورين، وتعيه قلوبهم، وأن للحقائق (دوياً) طاحناً دونه كل ضجيج التافهين وأوهامهم، وأن خداعه لا يتجاوز نفسه الحقيرة، وتظاهره: لا يعدو واقعه المنحرف، وسجل الشرفاء يتوج قوائمه

المضــيئة دائماً بأسماء المخلصين لمعتقداتهم ومبادئهم، والمترفعين في كبرياء محمود عن ذل المساومة، وهوان الخيانة.

ومســكينة هي (الوطنية) كــم تعلق بها أعداؤها، وانتحلها لصوصــها، وتظاهر بها خصومها ليستروا ماضياً مشيناً، أو واقعاً مخزياً، أو ليعبروا عن لهفتهم على وضع تخلى عنهم بعد أن وصمهم بالخيانة والخزي.

ومــن الحقائق دائماً تبتدئ نقطة الصــفر، ومهما حــاول الناس حجب الحقيقة أو خداع الناس عنها فســتظل دائماً واضــحة ومضيئة لأنها.. هي الحقيقة.

كيف نبدأ؟

لم يفارقني إيماني العميق بالله، ولم يتخلَ عني اطمئناني إلى وعي شعبنا وإدراكه وعمق مفاهيمه لحظة واحدة.. وكنت كثيراً ما أتساءل؟ ترى إلى أي مدى يسيء الناس ظنهم بهذا الشعب المسلم المحافظ؟ وهل لأوهامهم التي يطلقونها عليه نصيب من الصحة والواقع؟ وأتريث في الإجابة لأتمكن من الإلمام بدوافعها، ولكن الحقيقة الواضحة تأبى دائماً إلا أن تفرض وجودها كالعملاق رغم كل الشبهات والأباطيل.

ألا ترى الشمس وهي تنطلق من مشرقها كل صباح؟ هل تحجب أنوارها فلول الليل المنهزمة؟ أم هل تواري إشراقتها الأستار والحجب؟ كذلك هي الحقيقة.. إذا وجدت فلا مكان للأباطيل، ولا مجال للأوهام. وقد تمر بالإنسان لحظات بائسة يخطئ إن حكم بها على الحياة وعلى الناس، لأنها تحكي ظروفها وملابساتها.. والأحكام دائماً تطلق على أحجار الأساس، على الجموع المؤمنة بحقها المدافعة عن كرامتها.. وأولئك على صلة متينة بمبادئنا وأخلاقنا.. وكلهم يريد الإصلاح ويسعى لتحقيقه.. ويدرك الجهود المبذولة في هذا السبيل.

والسؤال الآن بعد هذه الحقيقة كيف نبدأ؟ والجواب عنه أن نبتدئ دائماً من القاعدة.. من نقطة الصفر.. مني ومنك! فكل إصلاح لا تؤيده الأعمال الفردية بادئ الأمر (هراء وباطل) فلنبتدئ بأنفسنا ثم بأسرنا وبمحيطنا المحدود، نحارب فيهم الانحراف والشذوذ والتخلف، ونبني بهم صرح الخلق والحياء والكرامة والفضيلة في عزيمة مخلصة وسعي دائب.. وإن صدقنا في ذلك فسنجد أن وجه مجتمعنا سيتغير حتماً نحو المستوى الأفضل دون كبير عناء، لأن إصلاحه بدأ من قاعدته.

الواقع التافه!

لقد تساءلت وأنا أقرأ هذا البيت:

إن حزناً في ساعة الموت

أضعاف سرور في ساعة الميلاد

ترى لماذا يكون الحزن على الوفاة أضعاف السرور بالميلاد؟

وقلت، لعل مرد ذلك ما يتركه (الراحل) عادة من آثار وأعمال تسند إليه من بعده، وتجدد لهم ذكراه، وحتى لو لم يدع سوى (أبنائه) لكفى بوجودهم منار ذكرى، ومبعث حزن..

أما (الوافد) فالاهتمام به مع بداية حياته، وفي ساعة مولده.. وبين الميلاد والوفاة... تقع الحياة.. حياتي وحياتك.. (وسط) بين نهايتين، (فاصل) بين عدمين، ينخدع المرء بها فينسى واجباته وما عليه، ويتشاغل معها بالباطل عن الحق، والرذيلة عن الفضيلة، يصرفه الواقع عن المستقبل، والآمال عن الحقائق، تنطلق من حوله أصداء النبوءات، واقتباس الرسالات، فيصم عن خيرها أذنيه، ويغلق عن بشائرها عينيه، ويندفع مع هواه في مظاهرة مجنونة، مع غرائزه في انطلاقة ماكرة، يرى الحلال ما امتدت يده إليه، والإخلاص ما انتهى به إلى مطامعه ومكاسبه، فإذا امتلأت (اليدان) وتحققت المطامع - فالسلام على كل المبادئ والمثل-.

وصيحات المخلصين تعلو وترتفع، ثم يتكالب عليها وعلى مصادرها الباطل وأهله، فتتطامن ولا تخضع، وتصمت ولا تموت، ويشتد الصراع المرادف للحياة.. صراع الخير مع الشر، والحق مع الباطل، والشرف مع

الضـعة، في واقع صـادق لأطوار البشرية المتلاحقة، وتضـيق – أحياناً – بالمخلصـين حياتهم، ويشـتد بهم واقعهـم، ليبتلي الله صـبرهم، ويمتحن إيمانهم، وتنجلي عنهم متاعبهم وهم – كالجبال الشـامخة – وقد انحسرت عنها هوج العواصف... إنهم هناك في صدر الإسلام.. وهنا في كل زمان ومكان، أعلام حق... ومصـابيح هداية.. لا يضيرهم تنكر الناس لهم، أو قسوتهم عليهم، أو تجاهلهم لوجودهم، إنهم آمنوا بالله فاطمأنت قلوبهم، ورضـوا بما لهم فاستقرت ضمائرهم.. وتتعاقب المراحل الزمنية على المرء في سرعة عجيبة.. الضعف ثم القوة ثم الضعف والشيبة..

.. وبدون مقدمات، وفي لحظة قاسية مريرة يقول كل الناس:

رحـم الله فلانـاً فقد مات! ويتملـك الوجوم لفقده، والأسـى لرحيله، ولكنك لا تسـتطيع بحال إيقاف نهايته الرهيبـة.. وتنطوي هكذا، ويمثل هذه السهولة المريرة صفحة الحياة.. والأحياء.

لمن تصفو الحياة؟

لمن تصفو الحياة؟

كثيرون يتساءلون أنفسهم هذا السؤال، وكثيرون يعجزون عن الإجابة عنه.. لأنها تختلف باختلاف تحديدهم لمفهوم السعادة والراحة.. (الأمر) الذي أصبح الاتفاق على تحديده رابع – المستحيلات إن كانت لا تزال ثلاثة.

فقال (قوم) إن السعادة الصحة، وقال آخرون: إنها الإيمان، وقال غيرهم إنها في (الطمأنينة).. وهناك من يراها في (الغنى)، وأصحاب هذا الفهم نراهم يذهبون لحظات السعادة الحقة في دنياهم بحثاً وراء ما يسمونه وهماً (بالسعادة).

(خلاف كبير) قد تمضي أعمار وأجيال والناس لم يلتقوا على تحديد لمفهومه.. وقديماً قال أحد الشعراء فيما نعتبره محاولة فردية للإجابة عن هذا التساؤل:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل

عما مضى منها وما يتوقع

ولمن يغالط في الحقائق نفسه

ويسومها طلب المحال فتطمع

ولكن هل صحيح أن صفاء الحياة مقصور على الجهلة والغافلين والمخادعين؟

أنا أشك كثيراً في هذا القول وأحسب أن قائله كان واقعاً تحت تأثير ما

نسـميه – بخيبة الأمل – دفعه إلى إعلان رأيه الـذي يعتبر بطبيعة الحال – ملزماً لغيره.

وإذا كنا لم نصـل بعد إلى تحديد لمفهوم السـعادة.. فلنتسـاءل عن التأثير الواقع لفقدانها.. وكيف يعبر الناس عن شعورهم بها ولهفتهم عليها؟

قال أحد الشـعراء قديماً – إن (الشـكوى) هي التعبير الصادق عن عدم الرضا بالواقع والقناعة به.. ودفعه رأيه إلى ما لا ينتهي من الغرابة والدهشة لكثرة ما شـاهد من شكوى الناس وتذمرهم من واقعهم.. حتى لقد حمله ما رآه إلى تساؤله الذي لا يخلو من طرافة:

كل مـن لاقيـت يشـكو دهـره

ليـت شـعري هـذه الدنـا لمـن؟

وهذا في رأيي – هو الآخر – أحد ضـحايا التشـاؤم وخيبة الأمل، وإلا فقـد قرأنـا في أقوال الجانـب الآخر – الأكثر تفاؤلاً – مـا يمكن أن نعتبره أقرب إلى الحقيقة من سـابقه إذ قالوا من لوازم الحياة التي لا تنتهي مطالبها عند حد..

وبالقدر الذي تتمكن به من التعبير عن آمالك ومطامحك يكون نصـيبك مـن اهتمام الناس وتقديرهم.. وأمعنوا في تفاؤلهم فقالوا إن صراخ الوليد سـاعة وجوده وبعدها، إنما هو (إثبات) لوجـوده وجزء من مطالبته بحقه منها، وهذا التعبير فيه من الواقعية بقدر ما فيه من الطرافة.

وكتاب الله وسـنة نبينا عليه أفضـل الصـلاة والسـلام يحكيـان لنا كلا النهجـين في قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـانَ فِي كَبَدٍ)، وقوله سـبحانه: (كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَـانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْـتَغْنَى). وقول نبينا عليه السلام: (لو

أعطـي ابن آدم واديـين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يمـلأ فم ابن آدم إلا التراب).

(فالمتاعـب) واقعـة لأنها توجـد مع الإنسـان – تهادنه حينـاً لكنها لا تفارقه.. ولربما اعتبرها بعض (المكافحين) إحدى وسائل اللذة، (فالمكافح) قد يتطرق السـأم إلى قلبه، ونفسـه لو طال به الأمد فلم يلتق بما يضـاعف عزيمته، ويقوي إقدامه.. مـن العقبات والمتاعب، لأنها لمواهبه الدفاعية – كالشحذ – للمطواة يقوي من مضائها وفتكها، وكلما اجتاز (عقبة) زاده تغلبه (قوة) على كفاحه المترقب حتى يصـبح الجهاد والكفاح من مقوماته ومتطلباته لينتهي به المطاف إلى درجة الإقدام والتضـحية، تماماً كما يقول الشاعر:

إذا اعتـاد الفتـى خـوض المنايـا

فأيـسر مـا يمـر بـه الوحـول

لكني أرى أن السـعادة الحقـة في الإيمان المطلق بالله، والتسـليم بعظيم قدرته، وشـمول إحاطته وعلمه، وإن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمـة لو اجتمعت على نفع أو ضـر، لم تقدر على بذل الأول أو دفع الثاني إلا بأمر الله وتقديره.

لماذا يتحاسد الناس؟

نصيحة سمعها من والده فوعاها، واطمأنت نفسه إليها، وهي ألا يبدي متاعبه سوى لخالقه، فهو وحده العليم بها، القادر على إزالتها، وكانت له. فلسفة عجيبة في تبرير تلك النصيحة، إذ يقول: إن إعلان متاعبه قد يخفف من ثائرة نفسه حيناً، لكنه يضعف إصرارها، ويطامن من اعتدادها.

ومضى في حياته كذلك إلى أن لقيني يوماً وفي نفسه (ثورة)، وعلى صفحة وجهه بوادر غيظ، ولعلمي بنهجه في إخفاء متاعبه تجاهلت واقعه، وبدأت أفتعل مذاهب شتى في الحديث لأساهم بطريق غير مباشر في الترويح عنه.. لكني فوجئت به يسألني لماذا يتحاسد الناس؟ فأجبته وأنا أعلم أن سؤاله يستدعي الاهتمام والتأمل..

الحسد رائد قديم.. قابل به إبليس لعنه الله، أمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام، ثم بقي هذا الداء في ذرية آدم يتلقاه كل جيل عمن سبقهم يختفي أو يكاد.. حينما يتعاطف الناس وتسمو بهم روابطهم ونزعاتهم ويطغى حيث تتواجد روافده ومقوماته.. الأنانية، واللؤم، والجحود..

فالحاسد (أناني) لأنه يؤلمه أن يرى لغيره من الخير ما ليس له، حتى وإن عدمت فيه مقومات ذلك الخير ودواعيه.

(ولئيم) لأنه يسعى إلى فصم روابط الأخوة الكريمة التي أيدها الإسلام ودعا إلى تمكينها وإحكامها.

(وجاحد) لأنه لم يرض ما هو فيه من فضل وخير، وراح ينازع نفسه في حقد مرير يتمنى به زوال ما وهبه الله لأخيه.

ثم هناك ما يشبه الإجماع.. على أن العادل لا يكره أحداً، والحقد لا ينصر قضية، فإذا رأيت حاسداً يتمنى زوال نعمة الغير أو هلاكه، فتأكد أنه غير عادل، ومن ثم لا تشغل به نفسك لأنك لن تستطيع كسبه.. والحكيم العربي يقول:

(كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها)، وكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام مملوءان بالتحذير من الحسد ومحاربته.

وإذا كنت يا سائلي – محسوداً – فتلك (هبة) يجدر بك أن تحمد الله عليها وفلولا طيب ما أنت فيه ما اشرأب إليك طرف حاسد.

إن العرانين تلقاها محسدة

ولن ترى للئام الناس حسادا

وبعد، فليس من عيوب المجتمعات وجود هذا النوع من الناس، لكن أفرادها وهم يسعون لمستقبل أفضل، لن يتبينوا طريقهم حتى يحاربوا هذا الداء الماكر في كل مساربه ومسالكه.

ترى هل نفعل ذلك؟

الواقع والادعاء!

الواقــع دائماً يفضــح باطل الادعاءات؟ ونحن مــا دمنا في منأى عن حقل التجربة الصــادق – قد ندعي لأنفســنا كل مميزات الخــير والحب، والنزاهة والوطنيــة، وقد يكون لنا من قوة الاحتجاج، وســلامة القول، ما نســتطيع بهما فرض ما ندعيه على غيرنا، وقد يقتنع ذلك – الغير – أو يشــك.. لكنه على أية حال لا يســتطيع نفي أقوالنا أو إثباتها، هذا بالنســبة للعموم – لكن هناك عوامل اجتماعية أو اعتبارية تجعل ما ندعيه أحياناً في حكم اليقين لدى سامعينا.. وقد يكونون مكرهين على موافقتنا أو غير قادرين على المعارضة.. لكن – الشــاهد الصــادق – الذي يسلم من التأثيرات المنحرفة.. فلا يكذب ولا يداهن.. هو (الواقع) الذي يراه الناس ويســمعون حديثه.. وليس غريباً ألا تقــترن الأقوال بمــا يؤيدها.. بــل إن ذلك من طباع العاريــن عن المبادئ الحقة.. الذاهبين مع مصالحهم أينما ذهبت في إطار قاتم من الأنانية الفردية.. بل قل إنهم هم (المذبذبون) لا يستقر بهم هواهم وقد صورهم القرآن الكريم لنــا بمــا لا نحتاج معه إلى إيضــاح، ونعتهم بما يتلاءم مع مســلكهم.. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ).

(وجهان بارزان) لمشــكلة المشــاكل في أي مجتمع يسعى لاحتلال دوره ومكانته.. (ادعاء) يسحقه الواقع المغاير له..

(وتظاهــر) بأهداف ومبادئ.. من أناس هم أجــرأ الناس على تحطيمها والتنكر لها، وتلك إساءة بالغة في حق مجتمعهم.. وإهدار صارخ لكرامته.

عبر عنها شاعر عربي قديم بقوله:

إذا فعـل الفتـى مـا عنـه ينهـى

فمـن جهتـين لا جهـة أسـاء

وقد صـدق.. فهو يسـيء إلى الناس بخداعه لهم.. ثم هو يسـيء إليهم كذلك لأنه يهدم فيهم أمثولة الاقتداء وأسطورة الامتثال والعبرة.

ويسـيء مع ذلك - إلى نفسـه- لأنه يعودها الانحراف والمكر ويشجع فيها غريزة المخادعة والالتواء.

هذه خواطري - عن عمالقة الادعاء، وأقزام الحقيقة.

اختيار الدعاة

الدعـوة إلى الله سـبيل الأنبياء الكرام، بعثهـم الله إلى أممهم يدعونهـم إلى عبادة الله وحده..

واختتم الله أنبياءه – بنبينا صـلوات الله وسلامه عليه، وأرسله إلى الناس كافة.. يدعو الناس إلى إخلاص العبادة لله.

وتحمل الكثير في سـبيل نشر هذه الدعوة وصبر على الإيذاء والتعذيب، وقوبـل باسـتهزاء قومـه واسـتهجانهم واتهامهم لـه بالكهانة والسـحر والجنـون.. وكذبـوه وبارزوه بالسـخرية والعـداء، والتقـى بمؤامراتهم، ودسائسـهم وإجماعهم على قتله وحصـارهم لـه في داره، في الليلة التي أذن الله له فيها بالهجرة.

وبالإيذاء من الصبية والسـفهاء، حتى لقد شجوا وجهه الكريم وكسروا رباعيته، وأدموا عقبيه.. فماذا حدث؟

هل ضعفت له عزيمة.. أو لانت له قناة؟

كلا.. فقد كان ما يلقاه في سـبيل نشر دعوته وتبليغ رسـالته، خير حافز لـه على الصـبر والكفاح، فما انتقل لجوار ربه إلا وقـد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبقيت سـبيله – الدعوة إلى الله.. ميراثاً يتلقاه العلماء والدعاء، ليواصـلوا السـير في طريق الهداية والخير.. وهـم متى اختاروا هذا السبيل بحاجة إلى استصحاب مبدأين:

الإخلاص في تبليغ الدعوة، والصبر على تحمل الأذى والصعاب، (وإخلاص) الداعي لدعوته يستلزمه أخذ نفسه بما يدعو إليه، وإلا كان ممن عناهم الله تعالى بقوله: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) ولا بد له أن يراقب نفسه بفعله ليرى الناس منه آثار ما يدعو إليه، فيدفعهم ذلك إلى طاعته والاقتناع بتوجيهه.

ثم هناك أحد الأخطاء البارزة التي لا أدري لماذا بقيت على الأيام وكأنها استعصت على العلاج وامتنعت على الإصلاح.

وهو (قسوة بعض الدعاة إلى الله وشدتهم وافتقارهم إلى التوجيه والحكمة)، وإذا هم كانوا كذلك قد يستطيعون (تحت ظروف مواتية) إلزام الناس بما يدعونهم إليه، لكنهم لا يستطيعون أبداً إقناعهم.

(وبين الإلزام والإقناع ما بين المشرق والمغرب)..

وإذا اقتنعت بفكرتك، بذلت معك كل مقوماتي ومشاعري لنجاحها ونشرها في طواعية ورغبة، أما إذا فرضتها علي في قسوة وعنف، فقد أخضع لها لكني لا أعتقدها، وبالتالي فإني سأحاربها متى ملكت القدرة على ذلك.. ونحن فيما نطلب منهم لا نشتط ولا نحيف..

فنبي هذه الأمة – عليه أفضل الصلاة والسلام – وقد شهد له ربه بكمال الخلق وطيب الشمائل أمره بالرفق وخفض الجناح (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)، (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي). (وهي أضواء) تنير لنا طريق الدعوة إلى الله، (ومعالم) تكشف لنا ما ينبغي أن يتحلى به دعاة الحق والخير..

وكثيراً ما يؤدي جهل الداعي وعدم حكمته إلى عكس ما هو مطالب به ومرغوب إليه.. ولقد شهدنا أحداثاً كثيرة تهتف بنا في إصرار..

إذا أردنا باهر النتائج، فلابد لنا من اختيار الدعاة والمرشـدين وإلا فنحن نجني على دعوة الإسـلام بجهـل الدعاة إليها، ومن ثم فإننا سـنظل دائماً في حلقتنا المتفرقة.. نتشـكى من واقعنـا ونحن لم نحاول أن نأخذ الطريق إلى إصلاحه.

اليد الحقيرة

سأل سائل عن اليد الحقيرة التي تنحدر من العلياء الكريمة إلى هاوية المذلة، وقال: ليتني أعلم دوافع الانحراف فيمن يذهبون ذلك المذهب.. أو أقف على مشاعرهم وهم يستمرئون موردهم التافه؟! فأجابه محدثه.. ومن تعني؟ فقال أعني فئة خانت فدمرت (خيانتها) ضمائرها فلا تحس ولا تشعر، وذلت فمحت (الذلة) معاني الكرامة والإباء فيها، فلم تعد تأنف أو تنتصر، ومن هم إلا (المرتشون).. فهاجت بي الذكرى لأقول لهم بعد تفكير: دعوهم فقد عرفهم الناس بوصفين لازمين: الجناية والفشل. فالمرتشي (جان) على نفسه لتعريضه إياها للعنة المؤكدة على لسان سيد الخلق، صلوات الله وسلامه عليه: (وجان) على مجتمعه لأنه يجعل من نفسه الحقيرة (كلمة) ينفذ منها الجور والظلم، ليكونا في النهاية العلامة الظاهرة المميزة، وتدور به وبركبه الأيام لتطوي بين ثناياها (حقوقاً) ضاعت فلم ينتصر فيها صاحبها أو المدافع عنها، لا لضعفه أو عجمته، ولكن لأنه لم يستطع مقاومة تيار الانحراف الجارف، وقد دفن في سيره أشياء قد تكون منها (العدالة والحق)... ويحتار قوم بين مسايرة هذا الركب الممقوت، أو فقدان ما هو لهم، وتنتصر الكرامة لدى الأقلية، فتحتسب حقوقها في مرارة وأسى، وينتهبها الغزاة (الصغار) في تحد عجيب على كل حق وعدل وخير..

ثم حينما يجد الناس في أي مجتمع سيطرة هذه النزعة المدمرة، فهم ينتظرون لها من الأثر ما يسيء إلى نفوس وضمائر، ما كانت لترتضي هذا النهج لولا تلك السيطرة الماكرة.

فهم اثنان: (مرتش) ذلت نفسه، وانحرفت مسالك تنكيره، فضحى بدينه ووطنه ومجتمعه، وحقوق ضعفاء قومه. (ومقدم للرشوة) ساعد على طغيان هذا الانحراف.. واستفحال خطره.

(إن أي مجتمع لا يخلو من حثالة) قد تثني عزمه أو تحاول وقفاً لسيره المتحرك، لكنهم مهما كانوا، جديرون بالمحاصرة والتقريع.. وأخيراً:

ترى هل يخلو مجتمعنا من هؤلاء؟ أرجو ذلك.

واليد الحقيرة أيضاً!

اعتدت بحمد الله أن ألتقي بمشاعر الثقة، من إخوة كرام أعرف بعضهم ولا أعرف البعض الآخر، وقلت في مناسبة سابقة إن ثقتهم وتشجيعهم يحفزاني دائماً على تحيين الفرص للقاء بهم في كل طريق ينتهي بنا إلى رحاب الخير والحق.

ولقد لمست تجاوباً عميقاً حول - خواطري - التي أكتبها مؤخراً، وقابلتني نفس المشاعر النبيلة في شكل رسائل تحمل التأييد.. ومقابلات أخوية تترك في نفسي من الأثر ما أعجز عن تصويره.. وكان ما تلقيته مؤخراً وبعد نشر كلمتي (اليد الحقيرة) - رسالة مخلصة - كانت على صدقها غير خالية من الطرافة، يقول باعثها: (إنك بما تكتب لم تأت بجديد، ولم تكشف مجهولاً، فأنت تصور أدوارنا التي نعاني أهوالها ونكتوي بلظاها.. وبما تفعل إنما تمارس لوناً من ألوان المقاومة الصريحة في محاولة نتمنى لها ولك التوفيق، لكني شعرت وأنا أقرأ لك حديثك عن (الرشوة والمرتشين) ما يشبه المترفق منك بهم وهم أعداؤنا وأعداء كل مجتمع ناهض، ولم تشر إلى ما نستطيع به الإسهام في محاربة هذا الداء الماكر، وأنا أطمع في إجابة مقنعة وصريحة والسلام عليك)..

وقد شعرت وأنا أكرر قراءتها بالغبطة على هذا الإحساس العميق بمشاكلنا والرغبة الصادقة في التخلص منها.. وحمدت له صراحته ووضوحه، وأقول له ولغيره إن نقطة البداية في علاج كل مشكلة هو (الإحساس بها والرغبة في علاجها) وهما ما لمسته في هذه الرسالة، وما دمنا نشعر

بفداحة الجرم الذي يرتكبه (المرتشون) فنحن نسير في الاتجاه المعاكس لانحرافهم.. وهم يا أخي في (واقعهم الحقير) إنما يعيشون بيننا على حساب المثل والمبادئ والحقوق المشروعة تماماً كما تعيش (الطفيليات) الفتاكة في أمعاء المرضى، تلتهم قواهم وأقواتهم إن لم يبادروا إلى علاجها واستئصالها.

ونحن إذا كنا نريد مقاومتهم، فلن يتم لنا ذلك قبل تواكب الجهود، وتضافر الهمم على مقاطعتهم وحصرهم وعزلهم، حتى يراهم الناس على (حقيقتهم) وبعدها – وكجزء من السلبية المتوثبة– علينا أن نلزم أنفسنا والناس باحتقارهم والازدراء بهم ولهم.. لنشحذ هممنا لمواصلة الكفاح في الطريق الشاق الطويل – طريق الإصلاح الذي يمتلئ دائماً بالعراقيل والأشواك– ولن نجهد أنفسنا في اكتشافهم (مريبون) تفضحهم ملامحهم، وتكشفهم حقارتهم..

فلنبتدئ كفاحنا في حزم وقوة والبقاء دائماً للأصلح إن شاء الله.

الرشوة والمرتشون!

هذه هي المرة الثالثة التي أتحدث فيها عن الرشوة..

وما كان لي أن أفعل ذلك لولا مدى إحساسي العميق بخطرها على الدين والمجتمع.. فهي (شر) مشترك لا يقتصر أذاه على فاعله أو متلقيه، لكنه يتجاوزهما إلى غيرهما.. فينتهي بالناس إلى سيئ النتائج.

فهو (يسلمهم) جميعاً إلى حالة من القلق والشك.. يفرضها خوف المرء من حرمانه حقه الطبيعي، في حماية ممتلكاته الشخصية وحيازتها.. وذلك عندما تصبح بعض تلك الحقوق (لقمة سائغة) يلتهمها غير أصحابها، ويدفع كذلك بالمخلصين منهم – في دور الإيجابية الهادفة – إلى حالة من الأسى والتذمر، وهم يرون (انهيار) المقومات الأساسية للمجتمع المتكامل في حضيض المنافع الشخصية، والأطماع الغاشمة..

وقبل هذا وذاك، فالرشوة مع كونها تشكل انتكاساً مخزياً في القيم والأخلاق، فهي تعبر بطريقة عملية عن فقدان العدالة والثقة، فالمجتمع الذي تتفشى فيه الخيانة والرشوة، يفتقد تلقائياً ما يقابلها من العدالة والثقة..

والمؤمن الواثق من وعد الله ووعيده، يحجزه إيمانه عن التردي في أوحال الكسب الحرام (يفرضه) على أصحاب الحقوق ليسعى في تخليتها لهم.. أو (يقبله) ليهب مقدمه غير ما يستحق..

وقد يتساءل الناس ما دمنا قد عرفنا نظرة الإسلام إلى كل من يسعى في بذل الرشوة أو قبولها، ووصفه لهم (باللعنة) المقصية عن رحمة الله وبره..

فمـا بالنا نلتقي في دنيانا بجموعهم وهي تواصـل سـيرها المنحرف، وما طريق الخلاص منهم؟

ولهـم أقول.. إن إقامة المسـلم على مخالفة تعاليم دينه يعتـبر دليلاً قائماً على ضـعف إيمانه وجرأته على الحق، وفقدانه لرابطة الأخوة الصادقة في تعاونها على البر والخير، وليس بمغن عنه – في شـيء كسبه (الباطل) مهما بلغ، لأنه يجسم له وللناس انحرافه وخزيه..

وقد تأذن الله بمحق كل كسـب (باطل) يناله صاحبه من غير حله، ولربما كان مصدر عذابه العاجل وشقائه..

أما كيف الخلاص؟ فهو كما أسلفت في حديث سابق بمقاطعتهم وعزلهم واحتقارهم، وعلى المسـئولين وهم يسعون إلى إقرار الحق والنفع المشترك (حمايـة) مواطنيهم بإنـزال بالغ العقوبة ورادع الجزاء، بكل من ارتضـى لنفسه هذا المصير الشائن.

وعسـانا وقد يئسـنا من عودة الحياة إلى تلك الضمائر الحقيرة، نستطيع مقاومتهم بسلاح الرهبة، حتى ينجلي ليلهم عن صباح تسود فيه الكرامة، وينتصر فيه صـوت الضمائر الصـادقة، ولعله مما يبعث على الأمل أن نرى من المسـئولين مبادئ كفاحهم ضد هذا المرض الفتاك في حادثتين فرديتين نشرتهما صحفنا المحلية.

لكنا نرجو أن يسـتمر هذا الكفاح الواعي عاماً شـاملاً، نتخلص به من أنضار المنحرفين، ونسـتعيد بتأثيره، الطمأنينة إلى القلوب الخائفة الوجلة، وما ذلك على الله بعزيز.

رجال ونساء

أنت سيد أهلك، لك فيهم سلطة الآمر الناهي (وطاعتك) عليهم واجبة (وعصيانهم) لك خروج على المألوف، تملك توجيههم لنتائجه، بكل ما تستطيع من وسائل الإقناع والاستمالة.. وإذا لم يجدِ ذلك نفعاً، فلك زجرهم وتأديبهم.

هذا هو المنطق (الصحيح) الذي نفهمه جميعاً من تعاليم ديننا الحنيف وهي توضح (قوامة) الرجال على النساء، وتوصي الرجل بأهله خيراً.

وهي حقول وامتيازات جعلها الله للرجال على نسائهم ومحارمهم، ليؤدوا مقابلها لذويهم حقوقهم وليصونوا (حياءهم) عن الفجور (وعفتهم) عن الخيانة (وأخلاقهم) عن الانحراف، وإذا ضعف الرجال في حماية هذه التبعات، واستهانوا في صون هذه الأعراض.. فقد فقدوا حصانتهم وأضاعوا.. وجودهم:

وهم من الناحية الأخرى بحاجة إلى توجيه وتأديب وزجر..

والسؤال اليوم (من سيتولى ذلك؟!).

وجوابه: أنا وأنت، ونحن بما نفعل لا ندفع بأنفسنا في غير مجالها، لكننا نتمثل الناحية الإيجابية البناءة، التي ينتهجها أفراد المجتمع السليم في إحساسهم بضرورة التعاون النافع المثمر.. (والشكوى) من تبرج النسوة، وارتيادهن في وقاحة وجرأة - الأماكن المكتظة بالرجال، وتعمدهن إظهار مفاتنهن وزينتهن في غير (حياء ولا وازع)..

شكوى (ليست جديدة) لكنها تأخذ كل يوم صفة الثبوت والاستمرار..

لتحكـي لنا وللناس فقدان الغـيرة، وضـعف التوجيه وضـياع الخلق..
والمسئول الأول في ذلك (الرجال) العارون عن مقومات الرجولة الحقة..
ثم (المسـئولون) ولديهم سلطات يسـتطيعون بها فرض العفة والحياء على
من أضاعهما، والعقاب والشدة على من يستحقهما.

وبعد ذلك يأتـي دوري ودورك لنحقق مبدأ (التناهي) عما نرتكب من
منكر (والتعاون) على إقرار مبدأ الحياء والشرف في حياتنا..

ولنا حساب طويل مع الأولياء المحتاجين إلى الولاية والرقابة..

فلنمارس حقنا..

من الأمور المعروفة أن يلتزم الوافد بأنظمتها وتقاليدها! لكنني لا أرى ذلك واضحاً بالنسبة لبلادي! والدلائل بارزة وملموسة.. وأدناها هذا الاستهتار العجيب بقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا من (النسوة الوافدات) للعمل أو صحبة أزواجهن، ونحن نراهن في أكثر من موضع ووقت، وقد جعلن من أسواقنا وطرقاتنا ومسالكنا التي ترتادها طبقات المجتمع (مواسم) لعرض مفاتنهن (وميادين) فسيحة للإثارة والإغراء، في الملبس، والحديث، وطريقة السير، دون حياء أو خجل..

ونحن نفقد بفعلهم مع الأيام شبابنا، وأخلاقنا، وتقاليدنا، هذا الشباب الذي ألقينا إليه بمسئولية اليقظة الكبرى، وتلبية نداء الحق والخير، وحماية مجتمعنا من عوامل الفساد والتحلل، (وأخلاقنا)، ونحن نريد لها أن تظل راسخة الأساس، عميقة الجذور، تجتذبها شعوب شرقنا العربي، وتتمثلها كل الأوساط الكريمة المحافظة.

(وتقاليدنا) وهي تراثنا الغالي والرباط المقدس يصل حاضرنا بأمجادنا ويحمي سيرنا الحثيث من النكسة والتخلف، كل أولئك اليوم في معركة طاحنة شريرة.

والسؤال الآن.. هل ندع هذه المقومات في صراعها المرير مع الشيطان؟

كلا.. فأبناء الإسلام تغلي دماؤهم بالغيرة الصادقة، على تعاليمه وآدابه.. وتتقد عزائمهم بكل خلق كريم، وغيرة صادقة، وشرف مصون.. ولن يدعوا لهذا الفجور طريقاً ينفذ منه إلى كراماتنا ومثلنا.. والحديث يساق اليوم.. إلى (أولياء أمورهن) إن كانوا لا يزالون يستحقون شرف هذه التسمية، وليحجبوا (مجونهم) عن أوساطنا (وفجورهم) عن مجتمعاتنا، وإلا فليرحلوا بأوكارهم إلى حيث يجب أن يكونوا.. وعلينا مع ذلك وبعده، أن نمارس حقنا الطبيعي كشعب مسلم في حماية ديننا، وأخلاقنا، وكرامتنا، والله معنا.

الوافدون والمسؤولية

الحجيج ضيوف الله، يفدون إلى بيته العتيق، ملبين دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، (والمتاعب) في اعتبارهم مهما بلغت لا تزن شيئاً، (والمشاق) مهما علت، لا تستطيع أن تنال من تحملهم وصبرهم، لأنهم يسعون لأداء هذا الركن العظيم من أركان الإسلام الخمسة.

وهم على خير من ربهم متى ساروا (في كل ما يأتونه من عمل) على الطريق القويمة، التي سنّها لهم نبينا صلى الله عليه وسلم.

ولهم علينا حقوق..

تضاعف الدولة بموجبها كل عام جهودها لتهيئ لهم وسائل الراحة، وتمكنهم من أداء فريضتهم في يسر وطمأنينة.. وهي تبذل في سبيل هذا الهدف الطيب، ما لا ينكره أحد، من الإمكانات والمشاريع والتنظيم، وفي كل عام تعود الوفود لتحكي لمن وراءها ما شاهدت وسمعت، مما يستوجب الثناء البالغ لله على توفيقه وفضله.

وهناك مع هذا ما يدعو إلى التوجيه والعناية، فلقد حكى لي يوم أمس (قادم) من المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن مشاهداته لما يفعله بعض إخواننا (الوافدين)، من المظاهر المؤلمة المؤسفة بجوار القبر النبوي الكريم.. قال لي: إنهم يندفعون في حماس عجيب إلى سؤاله والتضرع إليه والتوسل به، في جرأة مدهشة على الحق الواضح الذي نادى به صاحب هذا القبر الكريم قبل أربعة عشر قرناً، يوم قال بعض أصحابه: (قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فأجابهم: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله)، وقوله عليه السلام: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

ثم ألم يكن من قوله عليه السلام فيما رواه الإمام مالك في الموطأ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)؟

والصحابة الكرام هل نقل لنا عنهم سؤالهم إياه بعد مماته كما نشاهد اليوم ونسمع؟

اللهم لا.. لكنها مظاهر الإيحاء ممن لم يرد الله هدايتهم إلى الحق، نقلوها إلى غيرهم دون أن يعمل بها فكره.. أو هي الرغبة الجاهلة في القربى إلى الله ورسوله على غير النحو الذي أمر به وهدى إليه.

ولقد تساءلت، أليسوا إخواننا؟ وإذا كانوا كذلك فهل نبقى في سلبيتنا نحوهم لا نحرك ساكناً؟

ولماذا نتخلى ونحن في خير بقاع الأرض؟ والتي عرفت البشرية منها تعاليم الإسلام الحقة عن حمل التبعة الكريمة، في الإرشاد والتوجيه؟

ألسنا نعلم وجوب نصيحة المسلم لأخيه المسلم؟

إذن، فلنحتسبها لله نصيحة واعية، لا تفرق بين مسئول أو غيره، لأننا مسلمون لا نتفاضل في ميادين – الإسلام سوى بالإيمان والتقوى..

وسوف نتحمل فيما يشبه العار جناية التخاذل المشين في كل مرة تمتلئ بها بقاعنا الطاهرة بجموع الحجيج، ثم تخلو منهم إن لم نتعاون في صدق وإخلاص على بيان حقيقة هذا الدين الكريم ومظاهر الاتباع الصادق لنبينا عليه الصلاة والسلام، لكل من يجهل ذلك ويخالفه. وحديثي هذا لكل مسلم عرف الحق فاتبعه واطمأنت نفسه إليه. (وعلماؤنا) وهم أقدر على الإيضاح والإبانة، عليهم جزء غير قليل من هذه التبعة المشرفة.

فهل نعمل ويعملون؟

أحاديث مع الوافدين

سأتحدث اليوم إلى وفود المسلمين من حجاج بيت الله المقدس، والحديث أبدأه بالتهنئة على أدائهم هذا الركن العظيم، والحمد لله أولاً وآخراً على الفضل والخير، فالجموع غفيرة، والتي قاربت على ربع مليون نسمة (عدا سكان هذه البلاد) تجمعت هنا في بطاح مكة الطاهرة وعلى روابي عرفات ومنى ومزدلفة، من كل حدب وصوب، من شرق المعمورة وغربها، وشمالها وجنوبها، جاءت تلبي داعي الله، وتبتغي عظيم فضله وجزيل مثوبته، فأكرمها الله بالعون والراحة واليسر.

وهم (إخوة) شاءت السياسة الدولية أم أبت.

(وإخوة) رضي المستعمرون أم كرهوا.

تجمعهم دائرة الإسلام المشرقة، وينتظمهم زحفه المقدس (مسلمون) يشهدون لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، ولولا رسوخ هذه الحقيقة، لما شهدت بطاحنا وروابينا في كل عام، لقاءهم الأخوي المسلم. ولقد تذكرت وأنا ألمح في غبطة، علائم البشر في وجوههم، وأرقب سباقهم الشريف في ميادين الخير والقربى.. (رابطة الإسلام) التي هي أقوى من كل وشيجة أو صلة، وتمثلت ضخامة الإمكانات الفطرية، لو لقيت من يأخذ بيدها ويحسن توجيهها.

وبدا لي في الجانب الآخر، التقسيم الهزيل، والفوارق المصطنعة التي تفصل اليوم بين أقطار المسلمين وتحاول أن تباعد بين أفكارهم وأهدافهم، وتيقنت: أن رابطة الإسلام أرسخ وأقوى لأنها لقاء في العقيدة الواحدة

وكفاح إلى المصير الواحد، لقاء المسلم بأخيه المسلم.. لا يضعفه بعد الشقة أو باطل إلا عداء.. لقاء: أكده القرآن الكريم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، والسنة النبوية: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ولا يحقره).

واليوم وقد بدأت جموع الوافدين تتطلع إلى العودة الظافرة، وقد لمست وشاهدت ما تبذله هذه البلاد حكومة وشعباً، من جهد وتضحية وحرص في سبيل هناء الوافدين وراحتهم.. فلنا عليهم مطلبان: (أولهما): أن يجعلوا من هذه الأيام المشرقة بالطاعة والتضحية، بداية مباركة لما يستقبلون من الحياة ليزينها منهم حرص على دينهم، واعتزاز بتعاليمه وهديه، ودعوة صادقة إليه، ودفاع كريم عن مبادئه وأهدافه. (والثاني) أن يكونوا شهداء صدق في نقل (واقعنا الكريم) لمن وراءهم حتى لا تطغى الأباطيل والأوهام على الحقيقة الواضحة، ولسنا بهذا نزعم لأنفسنا بلوغ ما نتمنى في سبيل وفود البيت الحرام – فأمامنا – على الطريق الطويل – جهود وأعمال سيطالعها ويلتقي بها الإخوة الوافدون فيما يقبل من أعوام بإذن الله.

ولكن من حق هذه الديار وأهلها، أن يعلم المسلمون حقيقة واقعهم، وكفاحهم (بالحقيقة المجردة) قوة ومضاء..

ومرحباً بوفود بيت الله في رحاب بيته المطهر عامنا هذا وكل عام..

لا بد من الحصار

لا أدري ما هو الحد الفاصل بين السلبية والإيجابية؟ إنه قد يشبه الحد الذي يفصل بين (الحرية الفردية) والفوضى الشاملة..

فأنت (حر) ما لم تسطُ على حرية غيرك ممن له مثل حقك في الحرية.. وما لم تطغ على تقاليد دينك ومجتمعك.

ولكن أي حد تنتهي إليه سلبية الفرد أمام أحداث مجتمعه ومشاكله؟

أنا أعتقد أن السلبية تنتهي عند الإحساس (بالخطر الشامل).

وديننا الحنيف قد حدد في بيان حكيم نقطة البدء في سيرنا مع أحداثنا، في قول سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه – (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

إيجابية بناءة موجهة يجب أن نسحق بهديها كل آثار السلبية والإحجام ونحن اليوم أمام – خطر داهم – هو السيل المنهمر من الكتب (الجنسية) الماجنة، فاضت بها متاجر الصحف في بلادنا المقدسة المسلمة، على مرأى منا ومسمع.. يلتهمها شبابنا وفتياتنا.. وقوداً محرماً، وطعماً دنيئاً، يميت فيهم كل شعور كريم، وكل نزعة فاضلة شريفة.

هي مشكلة تحدث عنها قبلي كثيرون لكنها –في نظري– لا اختصاص لها بقوم دون آخرين.. فهي تقتضي حصاراً عاماً – ومقاطعة شاملة – إن لم تكن من المسئولين فمن الأفراد – مني ومنك– لنحول دون تداولها وذيوعها.. ونحن بما نفعل نساهم في حماية جيلنا، وصيانة مقوماته ومثله.

أمـا (المسـؤولون) وهـم الحريصـون على خـير أمتهم وشـعبهم.. فإن اهتمامهم بحجر هذه - الدعارة الماجنة عن أفكار شـبابنا - عدة المستقبل - هو (الواجب) الذي يتحتم عليهم المبادرة إليه - والله يوفقهم.

وإلا.. فمـاذا يعنـي أن أقابل بالأمس القريب (شـاباً) يحمل بين يديه (سـفراً) تربو صـفحاته على الخمسـمائة، عنوانه.. (لا تطفئ الشـمس) ومؤلفه إحسـان عبـد القدوس، وقيمتـه أربعون ريـالاً دفعهـا في اختيار وطواعية؟

إن ذلك يعني شـيئاً واحداً، هو أن (الخطر) قد شـارف نهايته ونحن في سلبيتنا لم نعمل شيئاً من أجله.. فمتى نعمل؟

أهداف ولا أهداف!

الحيـاة بلا هدف تافهة لا قيمة لها، (والهدف) الذي لا يتخذ أصـحابه إليه طريقاً واضـحة - في حزم وقوة - سـيظل بعيـداً عنهم حتى تطويهم أعمارهم دونه..

هذه حقيقة لا تقبل الشك.. إلا إذا كنا نشك في ضوء الشمس، أو لمعان القمر.

ولكن كم في - الأحياء- من يعيش حياته - كالآلة- التي تأخذ مكانها في هيكل المحرك - مثلاً- تظل تعمل حتى يدركها التلف فتسـقط لتأخذ مكانهـا قطعـة أخرى.. أعني أن في كل مجتمع أو أمـة - (نوعاً) من البشر يعيشون حياتهم على (هامشها) لم يكلفوا أنفسهم بحث واقعهم، والتعرف على دورهم وواجبهم، يظنون (الحياة) طعاماً وكسـاء وحصراً للنفس في إطار من الكماليات البراقة - وهم في سـبيل هذا الهدف القصير، يبذلون في سـخاء عجيب كل جهودهـم وإمكاناتهم.. بل وأخلاقهم.. صـلتهم بمجتمعهم وآلامه ومشـاكله بين واهية ومبتورة.. تسـمع أقوالهم وآمالهم فتحكم بها عليهم، لكنك لن تذهب غير بعيد حتى تراهم - في أوضـاع - تغايـر ما قالوه وما تظاهروا بالدعوة إليه.. وقد يكون الغرض العادي التافـه، هو دافعهـم في هذا التحـول المعاكس.. يلقونـك في هدوء بكل مشـاعر الإخلاص والصدق، وتأنس بهم.. وتشـاهدهم أو تسمع عنهم لسبب أو لغيره.. فيما لا يمت للإخلاص والصدق بسبب قريب أو بعيد!

نحن إذاً في (أزمة).. أزمة مبادئ وصدق وثبات..

ونبينا – صلوات الله وسلامه عليه– سجل بجهاده الكريم أروع انتصار عرفه التاريخ، لأنه وقد تمثل هدفه الكبير أخلص في السعي له وطلب الحقيقة: (وقولته) المشهورة لعمه أبي طالب حينما أكثر عليه قريش في صرفه عما أعلنه ودعا إليه: (يا عمي والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه).

هي خير قدوة للجهاد الصادق، والصبر الكريم والإخلاص المتوقد.

وبعد: فما أتفه واقعنا إن لم نتمثل – هدفاً كبيراً – فيه (نصرة) دين الله وحمايته من أعدائه والكائدين له.

(وحب) – الخير – عاماً شاملاً نتجاوز به كل (حقد) ونسحق بهديه كل (ضغينة) ونوحد به بين الصفوف والقلوب.

(ورغبة) صادقة في الإصلاح والاستعداد لبذل النفس والمال في سبيل إقراره وتحقيقه.

هذه هي أهداف (المخلصين).

فهل تتفق مع أهدافنا ومبادئنا؟

أعداء الثقة

فئة من الناس لا ترضى بجهد، ولا تعترف بكفاح، تبصر الأشياء من خلف منظار أسود فترى ما حولها في سواد الليل وظلمة القبور، تعيش في هامش المجتمعات المتطورة كما تحيا (الجرثومة) الغريبة في جزء من الجسم سليم، تعبث بكيانه وتبني وجودها على أنقاضه، لا تعمل صالحاً ولا تدع المجال لجهود المصلحين!

إن رأت (خيراً) تعمدت تجاهله، واختلقت نقيضه لتطمس بصنيعها – معالمه المشرقة – ولتضيع على إبطاله بحقدها – لذة النصر به – وإن رأت – غيره.. مما تقتضيه طبيعة البشر بالغت في تجسيمه وتهويل أثره في خداع صادق للرأي العام وحقد جريء على كل مقومات المجتمع وقيمه، تريد بصنيعها نزع الثقة والطمأنينة ليحل الشك والقلق مكانهما. وكل مجتمع يفقد ثقته واستقراره يصبح بالتالي حقلاً رئيسياً للفوضى والرذيلة والتخلف.

وخطر تلك الفئة لا يكمن في وجودها بقدر ما يتوقف على مدى وعي أفراد المجتمع وإدراكهم للآثار السيئة الوبيلة، التي يلحقونها في مجرى حياة الأمة ومصيرها.

والخطأ – غير المقصود– في دنيا البشر واقع أساسي لا يمكنهم مهما سمت أفكارهم، وعلت مفاهيمهم أن يتغلبوا على أسبابه ودوافعه، وقد غفره الله لعباده لعلمه بخلوهم من العصمة وتجردهم عن الكمال (والعاملون والمخلصون) قد أكرم الله جهادهم، فأثابهم على الأخطاء

المخلصة أجراً وفضلاً، لئلا تنطفئ جذوة العمل وتخمد شعلة الكفاح وحسب المخلصين – غبطة– هذا الواقع المشرق الكريم ليقاوموا بهديه كل باطل، وينتصروا بفعاليته على كل حقد، والنظرة العادلة الفاحصة تقضي أن يجد العامل من مجتمعه من التشجيع والرضا ما يوقظ عزيمته ويجدد كفاحه، (وأبخل الناس) من عجزت نفسه عن كلمة خير وظاهرة تشجيع.

أما أولئك الحاقدون الفاشلون، فعليهم دائرة السوء، وسيجدون من المخلصين ما تضيق به نفوسهم المريضة عزماً وكفاحاً، وتضحية، في حرب سلمية لا تهدأ، ولن يلقوا من يأبه بهم أو ينخدع بباطلهم، وستظل قافلة (البناء) المخلصة النزيهة منطلقة هادفة إن شاء الله تدفعها في إصرار ودأب السواعد المؤمنة الفتية لتحقق لأبنائها الخير والنصر والمستقبل الأفضل، وسيبقى أعداؤها في أوحالهم وأحقادهم تجمعهم دائرتهم المعتمة، ويحتويهم واقعهم الهزيل، والنصر دائماً لحزب الله.

المتآمرون على الحقيقة

تمضي بالأحياء دنياهم بين مسيء ومحسن، وعامل وخامل، وحريص على المصلحة ومتهاون بها، ونزيه اليد وملوثها، وينخدع بعضهم بالمظاهر من البعض الآخر فيظن الإحسان في المسيء، والجد في الخامل، والحرص في المتهاون، والنزاهة في المنحرف، وقد تضطرب القيم والموازين في مجتمع ما فيعجز أفراده عن التوفيق بين مفاهيمهم وهذا الواقع الذي يحيط بهم، الذي يحترف فيه أفراد الفضيلة، وينتحل آخرون الإخلاص والتضحية وواقعهم عار عما ادعوه، بريء مما تظاهروا به، وتأتي وسائل التوجيه في أحد مظاهر انحرافها لتصنع – لغاية ما – من الأقزام عمالقة، من الضالين أعلام هدى.

بل قد تعمد تلك الأداة – بدافع مستتر، أو بتأثير موجه، إلى قلب الحقائق أمام الجماهير، فتنتقص العاملين وتشوه كفاحهم وتشكك في سلامة أهدافهم، وسعيهم لتحقيقها.. وتضفي في مقابل ذلك (ولمثل أهدافها) كل صفات الخير، والتضحية، والوطنية، على اللصوص، والأدعياء، وأصحاب السوابق، كأن لم يعد في اعتبارها وزن يذكر لمفاهيم الناس وعقولهم وكراماتهم.

ويظل القارئ والسامع (العالمان بحقيقة الأمر) في صراع بين علمهم وسمعهم! وكثيراً ما ينتهي ذلك الصراع بانتصار الحق والعدل، ولكن كيف بمن لا يعلم الحقيقة قبل أن تمتد إليها يد الحقد والتشويه؟ أنه سيتخيل تلك الصورة الكاذبة وسيظل يعتقدها حتى يلتقي بما يزيلها أو يخفف أثرها..

وقد تبقى لتصــور في جلاء جريمة الخداع، وظاهرة التزييف والغواية، من أداة أريــد لها أن تتنكب الطريق، وتشــذ عن المســلك ولكن.. مهما طال الزيف، واســتمر التضليل فالواقع الصادق يكشف دائماً عن نفسه والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الهاربون وراء الحدود!

إن اندفــاع أبنائنا إلى خارج البلاد ليختــاروا زوجاتهم من هناك! أليس أمراً مستحقاً للعلاج ولفت النظر؟

إنه في اعتقادي – إحدى مشــاكلنا العميقة – التي ينبغي دراســة أسبابها ووضــع الحلول لها، لاسـيما ونحن نشــهد في واقعنا الماثــل، العديد من النماذج الفاشــلة لمثــل هذا النوع من الارتباط مبعثهــا غالباً تباين العادات والتقاليد، واستحالة صبرهما في بوتقة الواقع الذي نحياه ونعيشه، وتظل الحيــاة الزوجيــة في – صراع لاهث – بــين ماض أحكمــت أثره عوامل البيئة، وواقع تفرضــه طبيعتنا وتقاليدنا وتتأرجــح تبعاً لذلك هناءة العيش واستقراره، وقد ينفجر الصراع في أوضاع متباينة تقضي في أكثر الأحوال علــى رابطــة كريمة كان الدوام بها أخلق وأجدر، وقد تتشــعب مســارب المشكلة بوفود طفل أو أكثر يلتقي – رغم براءته – بقسوة التشرد، وفاجعة الحنان المفتقد..

إنهــا وقائع، تحيا بيننا دائماً، ولا تزال رغم قســوتها تعيش داخل نطاقها الفردي المحدود ولا يزال ضــحاياها يتساطقون صرعى ما نسميه – بقصر النظر.

هذا هو الجانب البارز للمشكلة، ولها جانب آخر هو من سابقه كالنتيجة مــن المقدمة تتلوها ولا تتخلف عنها.. بصــورة في جلاء مكث الكثير من (مواطناتنــا) في دور آبائهن (عوانس) بدون زوج وســط دوامة رهيبة من المشاكل والمتاعب.

والأسـباب لهـذا الواقـع المؤلم كثـيرة، سـبقني بالحديث عنهـا العديد مـن الكتـاب وأهمها في نظري: تغالي بعضـنا في المهـور، والإسراف في مظاهر الزفاف، والاستسـلام في ذلك لعادات بالية نعلم جميعاً أضرارها ومسـاوئها، وجهـل بعض فتياتنا كنيتجـة لعدم العنايـة بتعليمهن ما يقيم خلقهن، ويجعلهن أكثر فهماً للواجب والمسـئولية، وعدم تنظيمنا لما أباح الإسلام فعله من رؤية الخاطب لزوجته ليكون على ثقة بحبه لها ورغبة في اختيارهـا، والعلاج - كما أعتقد- غير مجد إن لم يتحقق بجهود مشـتركة من الدولة وشعبها.

وأحسب - إن لم أكن واهماً- أن في مقدور وزارة الشؤون الاجتماعية أن تبحـث في عمق عـن الواجب لمواجهة هـذا الواقع المؤسـف والعمل على تلافي حدوثه في نهج تجريبي خبير وضـمن إطار بارز من تعاليم ديننا وتقاليدنا وكرامتنا.

ومن الشـعب: في شكل لجان يعقدها أفراده على مستويات مختلفة تنظر في أقرب الطرق وأسـلمها ومـا ينبغي أن تتخذ من حلـول.. ويختار لها رجال أمناء يتوافر لهم بين الناس الإجلال والثقة..

وكما يبرز - رواد الطريق- بين مجاهل الحيرة والتردد ستكون الانطلاقة الأولى في الطريـق الصـحيح (الشـجاع) لا يبـالي في تحقيق الخير لنفسـه ومواطنه بما يقال له وعنه..

وأرجو أن نجد بيننا قريباً مثل ذلك الرجل.

أرواح وأجسام

(بمناسبة حلول شهر الصوم المبارك)

هذا شــهر الخـير، أنزل الله فيــه القرآن (الدسـتور الخالد) هــدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأودع فيه من كنوز الإعجاز وبليغ العظات ما لا ينتهي عند حد، وأكرمه (بليلة القدر) الليلة الفاضلة التي هي خير من ألف شهر، يقضيها المسلم في العبادة.

ووعد الصائمين والقائمين فيه بخير الدنيا والآخرة..

نعيش اليوم أيامه المشرقة، ولياليه الكريمة.. وسـترحل عنا بنفس الطريقة - التــي حلت بهــا (الفائز) منها في جولتها العابرة: مــن أدرك أهميتها، واغتنم خيرها.

فهي - فرصة العمر- لمن كان محسناً حتى ينمي إحسانه ويضاعفه، ولمن كان غير ذلك حتى يعيد النظر في حياته وواقعه..

وأثر الصــوم في الحفاظ على الصــحة وحمايتها أوضحه الأطباء فقالوا: (إن الصيام أحد دعامات الصحة الوقائية)، ويوجد في الموسوعات الصحية تحت باب - العلاج بالغذاء- لما يقوم به من تطهير الجسم من زيادة السموم الضــارة أو الغذاء الزائد عن الحاجة. ويقــول الدكتور (روبرت بارتولو): (إن الصــوم من الوســائل الفعالة للتخلص من الميكروبات وبيناميكروب الزهري لما يتضــمنه من إتلاف الخلايا ثــم إعادة بنائها من جديد)، ويقول الدكتور عبد العزيز سليمان: (إن الصيام علاج لاضطرابات الأمعاء المزمنة والمصــابة بتخمر وزيادة الوزن الناشــئة من كثرة الغذاء، وزيادة الضــغط،

والبـول السـكري المصـحوب بزيادة الـوزن، والالتهاب الحـاد والمزمن للكلى، وبعض أمراض القلب).

ويقول الدكتور الظواهري: (إن للتغذية علاقة كبيرة بالأمراض الجلدية، وبالصـوم تزداد مقاومـة الجلد للأمراض الجلدية المعديـة والميكروبية كما يفيد في أمراض زيادة الحساسية).

وصـدق الله العظيم حيـث يقول: (وَأَنْ تَصُـومُوا خَـيْرٌ لَكُـمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

وبعد: فإن إيثار هذه الأمة الكريمة بصـيام شـهر رمضـان (نعمة) كبرى تستوجب الإحساس بها واغتنام خيرها وفضلها!

فهل نفعل؟

دعاء

نشرت في رمضان المبارك سنة 1382هـ

إلهي:

لا تجعلنا مغرورين: فنحجب نواظرنا عن أخطائنا، ونصم آذاننا عن النصائح، ونغلق تفكيرنا أمام تجارب الآخرين وجهودهم.

ولا تجعلنا مخدوعين، فنندفع في الباطل، ونبتعد عن الحق، ونثق بمن لا يستحق شرف الثقة.

ولا تجعلنا متكبرين، فنعطي أنفسنا ما ليس لها، ونتعالى بها عن أقرانها ونفترض لها الحق دائماً، والكمال أبداً.

ولا تجعلنا ظالمين، فنأنس إلى القسوة، ونغتصب ما ليس لنا، ونسلب غيرنا حقه المشروع في الكرامة والحرية.

ولا تجعلنا فاشلين، فنقضي حياتنا بلا غاية، وأيامنا بلا رسالة، وساعاتنا بلا كفاح.

ولا تجعلنا جبناء، فنضعف عن قولة الحق، ونتخاذل عن مقاومة الباطل ونتراجع حيث ينبغي لنا أن نتقدم.

ولا تجعلنا حاسدين فنتعذب لنعم الله على غيرنا، ونتعامى عن خيره علينا، ونقضي أيامنا بين شر واقع، وآخر مقبل.

وأخيراً يا إلهي: إننا في شهر الخير والبركة، فحقق فيك رجاءنا وأجب بفضلك دعاءنا.

القريب الظالم

ظل يبوح لي بدخيلة نفسه، ويبدي لي صفحة مشاكله، وكان حسن الظن بي فلم يحتجز عني سراً، أو يطوي عني مشكلة، وكنت رغم تأثري بواقعه أحرص دائماً على أن أظل في الوضع الذي ارتضاه لي، صادقاً في نصحه مخلصاً في توجيهه.

ولقيني يوماً ليحكي لي قصته مع (أقربائه) التي تجمعه بهم وشائج الرحم والدعم والقربى وأطال في وصف ما يلقاه من تجاهلهم لحقوقه، واستهانتهم بها، وكيف أنه سلك إلى صفائهم وودادهم كل طريق، لكنهم لا يدعون لحميد الخصال مجالاً ولا لطيب القول موضعاً، وتهدج صوته وهو يصور لي (في حرقة) خيبة أمله وانعكاس ظنونه.. وقال لي: إنه حاسب نفسه ليقف منها على ما تستحق به جفاءهم وقسوتهم فلم يجدها مستحقة لما تلقاه من جحود ونكران، فما نازعته نفسه يوماً لما يعكر صفو ودادهم، بل كان على النقيض من ذلك، سباقاً إلى ما يحقق ازدهار تلك الروابط الطبيعية العريقة. وقد عرف الناس منه ذلك مما جعل إحساسه بواقعه (بالغ) القسوة (شديد) النكاية، وكان متحمساً ويبدو كمن أوشك على فقد.. مقاومته وتحمله، فتأثرت لواقعه وقلت: دعهم فيما اختاروه لأنفسهم واهنأ بمهادنه ضميرك ومشاعر الرضا من أحاسيسك ونفسك، تناسَ واقعك الأليم وحاول توطين النفس على قبوله لئلا تفقد عزيمتها وبأسها، وواصل سيرك في طريقك الواضح المستقيم، وضاعف لهم ودك، وامنحهم وفاءك ونبلك غير منتظر جزاءهم أو تجاوبهم، تجاهل أخطاءهم، وتجاوز عن أحقادهم...

ولك النصر في النهاية.. إما (بيقظة) ضمائرهم أو احتجازهم في دائرة القطيعة والأنانية، حيث تشدهم بقيودها إلى مكانهم الطبيعي في المؤخرة.. وأنت مع ذلك لا بد لك من الصبر والعزيمة لأنك تتألم.. والألم شديد الوطأة إذا واكبته ظروف (تقوي) أثره، أو عوامل (تضاعف) من تأثيره.

وقبلنا قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

لكنك وأنت تقابل شرهم بخيرك، وأحقادهم بصفحك، إنما تحسن إلى نفسك بتعويدها فعل الخير وبذله، والبعد بها عن دوائر القطيعة والأحقاد، وتساهم في كشف باطلهم وإضعاف مقاومتهم، هذا (قولي) فيهم.. لكن موقف (الإسلام) منهم أعظم وأشد: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قام النبي صلى الله عليه وسلم فنادى: يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً غير أن لكم (رحماً) سأبلُّها ببلالها).

وقال عليه الصلاة والسلام: (خلق الله عز وجل الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت بلى يا رب، قال: فذلك لك). ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم.. (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ).

وأتى رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعون، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، ويجهلون علي وأحلم عنهم، قال: (لئن كان كما تقول كأنما تسفهم الملل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك).

وسمع عبد الرحمن بن عوف رسول الله يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: (أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم واشتققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته).

وقال عبد الله بن عمرو، عطف لنا النبي عليه السلام إصبعه فقال: (الرحم شجنة من الرحمن، من يصلها يصله ومن يقطعها يقطعه، لها لسان طلق ذلق يوم القيامة).

وقال عليه السلام: (إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم).

وقال أيضاً: (ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي).

وقال: (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها).

وقال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (احفظوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا بعد بالرحم إذا قربت وإن كانت بعيدة، ولا قرب بها إذا بعدت وإن كانت قريبة، وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها).

وبعـد: فهذا هو موقف الإسـلام من (أقربائك) ومن يسـير في اتجاههم المنحرف، وعسـى أن يهبك الله الصـبر والقوة لتواصـل جهادك العادل، وستنتصر بإذن الله ما دمت على الحق.

القدرة والظلم

كانا يتناقشان عن العلاقة بين القدرة و الظلم..

فقال أحدهما: إن (القدرة) تستتبع الظلم وتمهد له.. كما أن (العجز) يقف بجانب الحق فلا يتجاوزه.. فلا ترى – عاجزاً – يظلم غيره، لأنه ليس لديه من الوقت ما ينفقه في غير مدافعة ظلم الأقوياء له.. ولا يملك من الإمكانات ما تتقوى به في نفسه نزعة التعدي.

وقال الآخر، ليس الأمر كما ذكرت فليس بين الظلم والقدرة رابطة.. وإلا لانتفت صفة الظلم عن كل فقير أو عادم، لنجدها منحصرة على الأغنياء والمقتدرين، وهو ما لا ينطبق على المشاهدة والواقع.. وليس الظلم من الطبيعيات الكامنة في كل نفس كما يراه الشاعر في قوله:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذا عفة فلعله لا يظلم

لكن (القدرة والغنى) عاملان طارئان، (والظلم) عامل أساس، ونزوع جذري، ينبع من أعماق كل نفس مريضة منحرفة، يستوي في ذلك القادر المليء، والفقير العادم.

(ونزعة) الاغتصاب والتعدي نزعة ماكرة شريرة.. تدفع بصاحبها إلى ممارستها وإشباعها في نهم عجيب، لا يبصر الحق فيتبعه ولا يسمع نداء الأخوة فيستجيب إليه، والظالم حينما يعتدي على أخيه بانتزاع بعض حقه سواء كان هذا الحق مادياً أم معنوياً– مع علمه بعدم قدرته (وقتها) على الدفاع عن نفسه، إنما يعلن له وللناس انحراف سلوكه واعتلال نفسيته،

وفي طريقه لتحقيق هذه النزعة الهدامة تتجاوز نفسه مراحل ثلاث:

(إنكاره) لأخيه حقه الطبيعي في صيانة ما هو له وامتلاكه.

(واحتقاره) له باستغلال عجزه، وضعف مقاومته.

(وإهانته) إياه بانتزاع هذا الحق منه ليرفع به رصيده من الباطل..

وهي - نعوت وأوصاف - لا يلحق (المظلوم) منها ما يلتصق بالظالم رغم صدورها منه.. وقد يرى نفسه بعد ذلك (منتصراً) ويراه الناس كذلك لكنه يشبه انتصار القوي الغاشم المتربص على منافسة الأعزاء.

يفرضه ولا يكسبه.

والمظلوم - بعد ذلك بين قادر على دفع الظلم عنه أو عاجز..

والعجز لا يعني أبداً - فقدان الشرف أو التخلي عن الكرامة - فإن عجز - فسيعيضه الله.. ولن يسعد ظالمه بما غنمه..

ونبينا (صلوات الله وسلامه عليه) يحدد في بيان رائع وصادق، نوع العلاقة بين المسلم وأخيه في قوله (الظلم ظلمات يوم القيامة)، وقوله (المسلم أخ المسلم، لا يظلمه ولا يثلمه ولا يحقره) و(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) و(إن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً فلا تظالموا).

وكنت أسمع حوارهما.. ووجدت نفسي تتجه إلى الاقتناع بهذا القول الثاني وقبوله. ونقلت ما حفظته منهما لعل (ظالماً) تستيقظ في نفسه نوازع الخير، فكيف عن ظلمه.. أو (مظلوماً) يجد فيه بعض العزاء عن واقعه المرير حتى تتغلب صولة الحق على جولة الباطل..

آراء في القدرة والظلم!

رأيان متعارضان: يقول أحدهما.. لا ظلم إلا مع القدرة، تسانده وتدفع إليه، فإذا تخلفت القدرة فلا ظلم، والعاجز لا يظلم أبداً لافتقاره إلى دوافع الظلم، وانشغاله بمدافعته عن نفسه.

ويقول الآخر: إن الظلم منفصل عن القدرة غير مرتبط بها، قد ترادفه وقد تتخلى عنه.. لأنه نزوع كامن يستوي في الإحساس به القادر والعاجز (والظلم) ضعف، وإن بدا فيما يشبه الغلبة، (والمظلوم) قوي لأن الحق بجانبه.

(رأيان بينهما ما يشبه التعارض) تحدثت عنهما في العدد 688 من صحيفة الندوة، وأوضحت تأييدي للثاني منهما، وبعدها نشر الأخ الأستاذ عبد الله الحصين في يوميات الندوة بعددها 704 ما يشبه التعقيب على ما قلت.. وسررت لهذا التجاوب، ينتقل بموضوعنا من حيز الفردية إلى نطاق البحث والدراسة والنتائج ليست سوى وليدة التجارب، كما أن الحقائق يسبقها دائماً البحث والتأمل.

ومما قال في تعقيبه: (إنني أجد هنا أن تلازم القدرة على الفعل مع استمرار العدم من جهة أخرى وهو انتفاء القدرة شيء غير مفهوم).

ولقد عدت إلى ما نشرته، فلم أتبين وجه تطبيق هذا الجزء من التعقيب عليه، فأنا لم أقل بتلازم القدرة على الظلم مع استمرار عدم القدرة.. لكنني ذكرت رأيين (أولهما).. لا ظلم إلا مع القدرة، (والثاني) قد يوجد الظلم في القادر وغير القادر لأنه عامل أساسي دائم، والاتصاف بالقدرة أو

العجــز عوامل طارئة لا يترتب عليها ما يغير الحقيقة الثانية، واستحســنت آخــر القولين.. ولعل (الأســتاذ) قد فهم منه قــولي بإمكان اجتماعهما في الواقع، وهو ما لم أذهب إليه أو أقله.. ثم يقول (ربما يتبادر إلى الذهن سؤال هو.. هل كل قادر على الظلم قادر أيضــاً على العدل؟ هل هناك تلازم بين صورتي الفعل في طريقين متناقضين)؟

والإجابة عن تساؤله تختلف باختلاف الرأيين السالفين، فعلى (الأول) لا يكون ذلك.. لأنه يحكي تلازماً بين الظلم والقدرة عليه ولن يتخلفا (متى اجتمعــا) عن إبراز أثرهما، والظالم بمقتضــاه لا بــد وأن يكون قادراً، لكن القادر قد لا يتصــف بالظلم، وعلى (الثاني) نعم: لأن العدل قوة ووضوح، والظلم ضــعف وحيرة، ولئن كان (الظلم أساســياً) في النفوس الظالمة فهي قــد تتحول عنــه.. بعامل خارجــي كتأثرها بالتقويم والتهذيــب، أو بعامل نفســي.. كإدراكها جهالة ســيرها، وخطأ اتجاههــا (وكثيرون) غير أولئك تمضــي بهم دنياهم وهــم في غلوائهم تحت تأثير الأنانيــة الفردية، والنزوع المنحرف، ولهم (ضــحايا) يعلنون بجنايتهم عليهم للدنيا.. ظلم الإنســان لأخيه الإنسان.. الذي حرمه الله على نفسه وجعله بين عباده محرماً.. ولقد كان تعبير الأســتاذ الحصــين عن (نفي) صــفة العجز عن المظلوم – جميلاً – حيث قال (أما المظلوم فليس عاجزاً، لأن إحســاس المغلوب على أمره إحســاس يعربد بالحقد والكراهية لــذات الظلم، لكن عاملي القوة والزمن يحولان دون بلورة الإحساس إلى عمل يقف بالمظلمة عند حيز التفكير).

وعندي أن الموضوع بعد كل ما قيل فيه لا يزال صالحاً للبحث والدراسة وما قلته فيه لا أعطيه صفة الشمول والإحاطة، بقدر ما هو معبر عن وجهة

نظري الخاصــة في تصــوير هذا الانحراف، على أنه قد سبق لي أن تلقيت بعــد نشر كلمتي تلك (رســالة) شخصــية رقيقة من أخ كريم اســتطاع أن يســتأثر اهتمامي بها لما أودعها من عرض رائع وتصــوير صادق صحيح، جعلنــي أرى أن مــن حق القراء علينا معاً أن نشركهم الاســتماع إلى بعض فقراتها وقراءتها.. قال بعد مقدمة خاصة..

(هــل الظالم يــا أخي غير ذئب) غدر بالحق، حق الله في الإنســان، وغير (ضــبع) لا ينتهش إلا الأباديد المســكينة والأشلاء الضاوية، وغير (ثعلب) يبرق خاتلاً في ضــعيفٍ واهن (ويربوع) يثلم في الكيان مخارم ومداخل.. وأية قدرة للظالم؟ وظلمه عجز عن الضوء الصريخ وتجنب للمنهج الدمث، وخبط في عشواء عوراء، وما قدرة الظالم في ظلمه إلا كقدرة (الخفاش على الســعي ليلاً)، والجرذ على التواثب في جحره، (والظلم) إضمار للقوى، وخضد للقوة، قوة الظالم لا يلقى الناس إلا مدبرين ولا يعرفهم إلا غافلين، ولا يحربهم إلا آمنين، ولو اعتدنا الذباب ظالماً في إفســاده، والهوام باغية في تلفهــا لاعتدنــا (الظالم) ظالماً في ظلمه، وما زهــو الظالم بظلمه إلا زهو الجارح بأنيابه، والشــيطان برأســه، هي مواهب ترد وتصــدر وربما ضــل الناب طريقه فبقر بطن صاحبه، وربما انخلع الرأس عن الشيطان فأرمضه، (وقدرة) الظالم كقدرة العاجز، كلاهما إســفاف في الروح الإنســاني، أما الإســفاف الظالم.. فلعنات ودمدمة عذاب، وأما الإسفاف العاجز فنخب من هواء، وأديم من تراب.

والظــالم – يا أخي – بائن من رحمة الله، وأشــدد بمقت الله على عبد من عباده حين يجعله ظالماً.. وهو لاهث إن ظلم، ولاهث إن عجز عن الظلم،

والظلـم (يا أخي) ليس قـدرة، لأن (القدرة) أن نتحكم في القدرة فنجعل منهـا حلماً موطئاً للحق والجلال.. (والظالم) (لص أشر) لا يسرق ليعيش، وإنما يسـلب لتقر عيناه بالمسـلوب مثلما تقر عـين البخيل بالمال المحجور والمدخـر الموؤود. وما أشـبه الظالم (بريـح) تموج وتتصـاخب وتفور ثم يدركها مقدارها فإذا هي حسرى مولهة تلوذ بالجبال من مصيرها الرابض. والظالم كفور زنيم، كفور بضـلته عن الضمير ومن قبل عن خالق الضمير، زنيم.. لأنه دعا في حياة برأها الباري بالسوية والنصفة..

(والمظلـوم) بعد ليس عاجزاً، فله جناحان من رحمة الله، وله منتصر من غياث السـماء، ثم مـن أولياء الله عباده العدول، ومـا أحلى أن (نظلم) ما دام حقنا المسـلوب يرطب أفئدتنا وألسـنتنا بذكر الله ثم بعون أنصـاره.. وحسـب المظلوم أن التأمل يتسـع أمامه فإذا به على أمل متصل. وحسب (الظالم) أن تضيق عليه فلا يبقى إلا هو، والظلم والشيطان. والظلم يا أخي - تقوى للمظلوم، به يخشع القلب وتخر الجبهة لمن أبى الظلم على نفسه وحرمه. تبارك اسمه.

والظلـم للظـالم (تقتيل لوجوده الإنسـاني) إذ ينحسر عنـه الظل فيكون حـروراً يلعنه الناس، وأحجاراً غلاظاً يتقـي العابرون هجيرها فلا تجد من ترميه فترمي نفسها بنفسها، ثم يأكل الحرور ذاته، وتشج الأحجار أنيابها ثم تصير حطاماً كأنها (الأوثان) كفر بها كهنتها وسدنتها ولو سألت ظالماً عن نفسـه لعجز أن يقول إنه إنسان، ولاستحى أن يقول إنه جارحة من ذوات الظفـر والأنياب. وأحدثك يا أخي عن فن مـن فنون الظالمين (فن خريد) يبرع فيه دهاة الظلم، يلقاك الظالم متكسر الأعضاء، حنون الصوت، لاهث

الحركات فتنخدع له وتستغفر وصمته بالظلم، ثم يتدافع القول العادل من فمه فتخال أن ضميره قد وثب إليك، ثم تغادره وإحساسك بأنك ظلمته، ينهش الصدر ثم يخلو لنفسه فيحس عطفاً وزهواً أن أراك ظلمه عدلاً، وأن نقل نفسه إليك وطمس مرآتك فتراه فيها رياً وجنى وغدقاً، وتخلو لنفسك وتنجاب رويداً الآلاء الكواذب فتندم إن ظلمت نفسك وتحيفت حقك وخدعت عدلك. ومن فنون الظلم: أن الظالمين يمسكون بأيديهم (حبالاً) لا نكاد نبصر أطرافها.. حبالاً يلمع في عراها الآل والسراب والأمل والرجاء، ويندفع إليها المظلومون دفعة الفراش إلى النار المتهدجة، والفرائس إلى الأحبولة الخادعة، وما ترث الحبال، وما يعقل الفراش وما تتعظ الفراش). ومضت الرسالة هكذا حتى النهاية (صورة أدبية رائعة) عن الظلم والظالمين نشرتها وأنا لم أعرف بعد رأي صاحبها في نشرها ليجدها مع الناس مقروءة، بعد أن هممت بذكر اسمه معها فعدلت، لئلا أقرن – دون موافقته – بين النشر له وعنه. وللأخوين مني الشكر والتحية.

الإسلام الذي يمتحن اليوم في الجزائر!

(نشرت أثناء معركة الجزائر مع فرنسا)

سأتحدث اليوم عن الجزائر.. ولكن ما الذي أقوله عنها؟

وشعبها!

الشعب العربي المسلم.. يقدم كل يوم الضحايا والشهداء في بسالة وإقدام لم يعرف لهما تاريخ الكفاح نظيراً.

في أعوام سبعة: هي (عمر) في حياة الفرد مثلي ومثلك، وهي سنوات طوال في حياة الشعوب تستطيع خلالها أن تحقق من الأعمال ما تبرز به وتنهض. قضاها هذا الشعب المسلم في جهاد مرير مع عدو غاشم متسلط يفوقه عدداً وعدة.

إن كفاح الجزائر في نظري هو أكبر من الجهاد، وأقوى من الكفاح، وأبرز من التضحية إنه (أسطورة الفداء) حققها أولئك الأبطال في واقع أليم وشريف.. (أليم) لأنه يلتهم كل يوم جحافل الضحايا الآمنة من الرجال والكهول والنساء والأطفال دونما ذنب، إلا أن يقولوا ربنا الله، وإلا أن يطالبوا بحق تقرير مصيرهم.

(وشريف) لأنهم أوضحوا لكل ذي عينين أن عدم التكافؤ في القوى، والتناسب في العدد، وأن أشلاء الضحايا والأنهار التي تجري بدمائهم كل ذلك لن يقف حائلاً دون المطالبة بالحق الواضح، الذي تتمتع به كل الشعوب حتى لو لم يبق في سبيل تحقيقه من يحمل السلاح.. إنها (أسطورة) قد يضعف الحديث عنها من روعتها.

تصـــور في إيجاز (استهانة) المســتعمرين بمن عداهم من شعوب الأرض الصـغيرة (واسـتخفافهم) بحقوقهـم الطبيعيـة في العيشـ الحـر الكريم (ووحشـيتهم) في قتل الأبرياء والضعفاء والأطفال وتدمير القرى والمنازل والمزارع في سبيل إقرار ظلمهم وجورهم (منطق عجيب) بل هو العجب، أن يبرر الظالم لظلمه بالقتل والتعذيب والسجون المظلمة ويتشدق (بحقوق الإنسان) وكأنها حقهم في الظلم والقسوة والوحشية! يفرضونها على كل من يحاول أن يمارس في الحياة حقوقه الطبيعية التي خلقه الله بها وعليها..

ونحن: أعني شـعوب العروبة المسلمة، ماذا فعلنا من أجل إخواننا وهم يكتوون بنيران المدافع المحرقة، ويتعذبون بشـظايا القنابل المدمرة؟.. ماذا فعلنا؟ (الشـيوخ) أسلموا لله وجوههم على صـعيد أرضنا المسلمة، دون أن يرحم الغاصـبون ضـعفهم، أو يحترموا عجزهم، وللأطفـال الأبرياء والنساء الآمنات..

(والفرنسـيون) لم يتورعوا عــن قتلهم وتعذيبهم والتمثيـل بهم؟ قد قلنا عنهــم وعن كفاحهم – الكثير – لكنهم اليــوم بحاجة إلى أكثر من القول، وأبعد من التعبير، فحكومتنا – الرشـيدة – وشـعبنا الواعي، قد أبرزا لنا – غير مرة – مشــاعرهما نحو نضــال إخوانهم في الجزائر – (وملك البلاد) أدام الله له التوفيق قد افتتح في أكثر من مناسـبة، ميدان التبرع لهم بمكارم ســابقة.. لكن بقيــت مرحلة دقيقة وحاســمة.. دعا قبلــي إليها كثيرون، وأشارك اليوم في الدعوة إليها وهي وجوب (المقاطعة الاقتصادية لفرنسا) التي تشــن اليوم وكل يوم – حرباً – هي الإبادة والفناء في بلادنا المســلمة الكريمة ولن نضـعف عن أداء الواجب المتحتم.. ولو من أجل (الإســلام)

الـذي يمتحن اليوم في الجزائـر.. وإلا فالموقف المتضـامن الرائع لحكومتنا الرشـيدة يوم قطعهـا علاقاتها الدبلوماسـية مع هذه الدولـة وغيرها أثناء الاعتـداء على إخواننا في مصر (لم يغب عـن الذاكرة بعد) ومصر والجزائر إخواننا في الإسلام والعروبة.. ولن يفقد شعبنا المسلم من فرنسا ما يأسف عليه لكنه سيكسـب متعة شعوره بالمشـاركة والتضامن، سيحقق بأجمعه لونـاً من ألوان الإخاء المسـلم الكريم.. وسيسـاهم في اقـتراب يوم النصر المرتقـب بـإذن الله، يوم تشـرق على أرضـنا الجزائرية شـمس الحرية ولا سلطان فيها لغاشم أو مستعمر..

والخسارة بما نفعل – ليست أعظم من خسارتنا يوم أن أعلنت حكومتنا في موقفاً رائعاً منع تدفق بترولها – لدول العدوان على مصر – وهو عماد حياتها الاقتصـادية.. ويوم تجتمع كلمة العرب علـى إنفاذ هذه المقاطعة، سـيردون بها في قسوة على وحشية المسـتعمرين وظلمهم.. وإلا فسنفرد بهذا (الشرف) دونهم والله لا يضيع أجر عامل.

والحديـث عن تخاذل العرب والمسـلمين في نصرة – إخوانهم – يطول ويطـول.. وغيرهم يقيـم الدنيا ولا يقعدها حينما يهلـك (طيارون) دون العشـرة في الكونغو – وكأن (دماءهم) ليسـت من الهـوان بحيث تراق، (وأرواحهم) ليسـت من السـهولة بحيث تزهق.. أمـا مئات الألوف من المسـلمين في الجزائر، الذين تحصدهم فرنسا كل يوم في وحشية وحقارة، فلا شأن لهم بهم ولا مبرر للوقوف في وجه جلاديهم، لأن مطامعهم هي الحق والقوة، هي وسـيلتهم لفرض هذا الحق المزعوم.. (والله) للإسلام في الجزائر، وللضحايا، وللأطفال يعجل بنصرهم، ويسرع بأمنهم وفوزهم..

وهم بحمد الله في حالين من الخير:

(شــهادة) في سـبيل الله ولنصرة دينه، تعهد الله لها بالثواب والأجر (أو نصـر) مـؤزر على الأعداء، يواكبـه إعلاء لكلمة الله وسـلطانه في (بقاع) سـتظل تعلي هذه الكلمة وتصـون دعوة الحق كما يريـد الله لها أن تكون (مسـلمة عربية)، تدين بديـن الله وتحمي شرعـه (وأرواح) تلاقي خالقها صـارخة بـ(لا إله إلا الله) القوي القاهر ناصر الضـعفاء ومعين المظلومين، (وأبطـال) ينتشر بهم وعنهم دين الله الذي ارتضـاه لعبـاده.. ولن تكون الجزائر (فرنسية) كما يقولون، إلا إذا أزهقوا كل روح، ودمروا كل قرية، وأبادوا (كما يريدون) شـعلة الإسـلام بمحو مشاعلها.. ولن يتم لهم بإذن الله ما أرادوا (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

ولئـن جاز لي أن أتحـدث إلى (أبطالنا) وهم يعلنون بجهادهم أسـطورة الفداء في صـحراء الجزائر وعامرهـا، فلأقل لهم: إن الدنيا ترمق بإعجاب كفاحكـم المرير، ونحن معكم بمشـاعرنا وبآمالنا تفيضـ بهما كل نفس، وبالدعاء إلى الله من رحاب بيته المعظم، أن يمكن لكم، وينصر كفاحكم.

وعليكم - وجحافل أبنائكم تترى إلى ساحات الجهاد في بسالة الأقوياء، وشرف المكافحين - أن تقرروا في أذهانهم - من جديد - الحقيقة الخالدة للدفاع المشروع وهي - (إعلاء كلمة الله بالجهاد في سبيله) غير متأثرين بما يحاول البعض تصـوير كفاحكم به من أنه دفاع عن القومية والوطن دونما سواهما.. ويوم ترتفع بسواعدكم.. راية الإسلام.. خفاقة عالية ستتضامن كل الشعارات والمبادئ، لأنكم يومها في الذروة الشامخة من النصر والمنزلة السامقة، في التمكين للدين والوطن والقومية.

إن إعــلاء كلمــة الله في ربوعكم دافعكــم على البــذل، وحافزكم على التضحية..

(وشــهداؤكم) إلى خير، لأنهم في ســبيل الله، (والأحياء) منكم في خير لأنهم ينصرون دين الله ويحمون بقاءه. ولســنا – بحمد الله– في شك من رســوخ هذه الحقيقة في أذهانكم، لكننا نبغي بهــا تذكيراً وذكرى.. هما واجب المســلم على أخيه، وإيضاحاً وبياناً هما بعض ما لكم علينا يوم عز العون وقلت النصرة.

وأخــيراً لقد بدا واضــحاً كيف تعامل الشــعوب الفخــورة بقوتها كل (شــعب) يريد حماية بقائه وإقرار مبادئه المشروعة، وانكشــفت (عصــابة اللصوصــية) التي تتجاوز عن صــنيع أفرادها ليعاملوهــا بالمثل فيما تعتزم القيام به من سلب وتدمير.

وســتظل قوات (حلــف الأطلنطي) بقيادة فرنســا تصــب نيرانها على إخوتنــا في الجزائــر، وبــين أقطاب هــذا الحلف مــن يتظاهر لنــا بالمودة، ولقضــايانا بالتفهم.. في (ادعاء) يدمغه الواقع وتنسفه الحقائق الراسخة.. والله مع شــعب الجزائر المسلم يعينه وينصره ويشد أزر كفاحه، ولينصر الله دينــه في هذا الجزء من بلاد الإســلام وكل أجــزاء الوطن الكبير، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وماذا بعد النصر يا جزائر؟

(بعد إعلان استقلال الجزائر)

وأخيراً شاء الله أن ينتصر كفاح الجزائر.. وتشهد تلك الجبال الشامخة والروابي الفسيحة – أشلاء الضحايا وأنهار الدماء، أعلام النصر تخفق عالية في سماء العزة وعلى صعيد الشرف والإباء..

والفضل لله وحده.. جعل من إيمان هذا الشعب القليل عدداً وعدة (قوة مندفعة) قاومت فلول الطغيان، وجحافل الظلم والتسلط، في كفاح مرير أعاد إلى الأذهان صورة الفداء، وأمثولة التضحية، يقولها الناس – أحاديث وأقوالاً – ورواها شعب الجزائر (دماء) تدفقت غزيرة على الكهوف والشعاب (وأشلاء) تناثرت ممزقة، رضيت لها أرواحها الأبية أن تكون ضريبة للكفاح الواعي، وثمناً للنصر المرتقب.

وكانت الحرب الطاحنة (صليبية ماكرة) تستهدف الإبادة الشاملة لشعب رضي الله له الإسلام ديناً، ولم يرض له المستعمرون أن ينعم بعزة المسلمين أو يرفع لواء الحق والعدالة..

وهي حرب (ظالمة بحرمة) لأنها تقع بين قوي متسلط غاشم، وضعيف أعزل إلا من الايمان بالله والثقة بكريم وعده. واستمرت الحرب يلتقي فيها شعب صغير بدولة كبرى ومعها أسلحة مدمرة – هي (وثيقة التآمر) من كل أعضاء حلف الأطلنطي.. جمعت بينهم الرغبة الجامحة في العدوان والتسلط، والنقمة العارمة من الإسلام وعليه، ومضت الأعوام.. والجزائر المسلمة تقدم كل يوم مثالاً جديداً للصبر والكفاح.. والمسلمون – يتابعون

في ألم وحسرة صراعها الرهيب ومواكب شـهدائها تتلاحق في تضـحية لم يعرف لها تاريخ الكفاح مثيلاً، وتخشى أنصار الجزائر - أن تضعف عزيمة أبنائهـا أو تخـور قواهم، ولم لا؟ وهم الآباء والأبناء والإخوة.. للضـحايا البريئة التي أزهقها - سفاحون- ما عرفت الإنسانية طريقاً إلى قلوبهم.

والزمن لمثلهم - وهو في سيره اللاحب من أقوى عوامل اليأس والضعف، ولكن الله الذي عرف منهم إخلاصـهم، وانتصـارهم بعد ظلمهم زادهم قوة إلى قوتهم، حتى توجوا نضالهم الكريم بهذا النصر الساحق.

والفرحة اليوم لكل مسلم يتوجه معها إلى واهب الفضل، حمداً وشكراً ومملكتنـا وهي قاعدة الإسـلام الأولى، ومنطلق إشـعاعه، لن نتحدث عن مساندتها لشقيقتها الجزائر ووقوفها بجانبها، لأنها وهي الدولة المسلمة لم تقم بأكثر مما افترضه عليها إسلامها من التعاون، وواجب النصرة للمظلوم المغلوب على حقه، لكنها تعيش اليوم سعيدة بنصر الإسلام وعزة أبنائه.

أمـا زعماء الجزائر - الأبطال وقد نصرهم الله، وأدنى منهم آمالهم تحمد لهم كفاحهم وصبرهم.. عليهم اليوم ومع تبعات الاستقلال وبشائر النصر واجبان أساسيان:

أولهما: الاعتراف لله بجزيل الفضل ودوام الشكر له على النصر والفوز.

والثاني: أن يؤدوا حق الله عليهم في اختيار الطريق الواضـحة لشـعبهم المناضل، وهم يواجهون اليوم مسـئولية قيادته.. فلا يرضون له غير سبيل الحق طريقاً.. ويثبتوا له وبه شرف النسبة إلى الإسلام فلا يحتكمون سوى لتعاليمه، ولا يسيرون على غير هديه.

(فإسلامنا) اليوم يواجه كل عوامل الهدم والتدمير من أعدائه والمنحرفين من أبنائه، ولن يتحقق للشعوب ما تهدف إليه من منعة وعزة إلا إذا استقام قادتها على الحق، واطمأن أتباعهم إلى هديه ونوره، وعليهم أن يرسموا لشعبهم طريق المستقبل الواضح للجموع المسلمة.. بالإيمان بالله.. (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نقولها في عزة ويقين ترتفع بها حناجرنا، وتدوي بها أصواتنا لتصم آذان المنحرفين والمارقين.. ثم تأتي أعمالنا بعدها مؤيدة لأقوالنا.. في يقين وثقة نقيم بها صرح العقيدة الصحيحة المتميزة عن الدجل والضلالة قولاً وعملاً واعتقاداً.. في تلازم لا يقبل تخلفاً أو انفصاماً.

ويوم تنتظم صفوف المسلمين على مثل هذا الأساس الراسخ المكين ستمضي بهم قافلة النور والحق إلى خير ما يريدون في الحياة وبعد الحياة.. ويقيني أنهم فاعلون ذلك بإذن الله.

وما أخالهم قد سطروا بجهادهم صفحات الفخار والكرامة إلا حريصين على بقاء هذه الهبة الغالية، ودوام هذا النصر المبين.

وسيتحدث التاريخ وكل الأجيال المقبلة عن استجابتهم لنداء الحق والخير، وإرسائهم لدعائم العقيدة الخالصة.. وسينطلق بإذن الله نداء الإسلام عالياً من ربوعنا في الجزائر، وستسودها شريعته السمحة.. وستظل جزائرنا – قلعة منيعة تتحطم على جوانبها كل السهام المسمومة الماكرة، التي يوجهها أعداء المسلمين إليهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره. والعزة لله ولرسوله والمؤمنين.

كيف نستعيد فلسطين؟

مــاذا عســى أن أقول عــن فلســطين؟ وهــل أثبتت التجــارب جدوى الأقوال في اســتعادة الحقوق المسلوبة والكرامات المهدورة؟! وهل حكى لنــا التاريخ منذ أن بــدأ الناس يعنون بتدوينه ودراســته عن (حرية) وهبها الغاصــب للمغصوب، أو (حق) أســلمه معتد ظالم إلى أصحابه وذويه؟ إن شــيئاً من ذلك لم يحدث، والحريات والكرامــات إنما تنتزع انتزاعاً، وقبله وحتــى تحصــل الأمم على حقوقها المســلوبة.. قد تتهــاوى جموع لتأخذ مكانها ركاماً وأشلاء.. وتسيل البطاح بدماء الشهداء وقد بذلوا أرواحهم ودماءهم رخيصة في سبيل حماية معتقداتهم وأوطانهم. هذه حقيقة ثابتة لا تتغــير دائماً، ولئن كنا لا نزال نســمع كل يوم بأنبــاء اعتداء أو حِوادث اغتصــاب، فإنما يعني كل ذلــك مدى إدراك تلك الشــعوب المغلوبة على أمرهــا لهذه الحقيقــة أو قدرتها على إنفاذها.. ولأمر ما اســتهل الشــاعر العربي قصيدته لممدوحه المنتصر يقول:

الســيف أصــدق إنبــاء مــن الكتب
في حــده الحــد بــين الجــد واللعــب

وهذا حق:

فالسيف دائماً صادق القول قصــير اللهجة.. وفلسطيننا العزيزة ذهبت ضــحية أطماع وأحقاد، ولن أتعرض لملابسات الغزو الصهيوني وما تبعه مــن تشريد أصــحاب الأرضــ الشرعيين لأن ذلك قد يدفــع بالخروج عن فكرة هذا الحديث، لكنني ســأحاول في إيجاز استعراض النتائج التي تلت

ذلك الوعد المشـؤوم الذي قطعه على نفسه من لا يملك التصرف فيه، وإلا متـى كان (بلفور) مالكاً لهذا الجزء العزيـز من وطننا العربي حتى يدفع به لقمة سائغة لشراذم اليهود المشردين في الأرض؟!

بإحـدى صـور المآسـي التي مـا زال وطننـا العربي يعاني مـن ويلاتها (اسـتعماراً ظالمـاً) يجثم على الكواهـل لجني خير الوطن ويسـتذل أبناءه (وحواشي لذلك الاستعمار) تحمل ظلمه وهو يرتسم خطاه.

وما حدث في فلسـطين العزيزة ليس سـوى النهاية الطبيعية التي قدرها المسـتعمرون وعملوا من أجلها وقام العرب وقد صـدمتهم الحقيقة المرة، قاموا لاسترداد وطنهم السليب وتربص بهم الاستعمار ليحول دون ذلك، فقـاوم اندفاعهم بارزاً ومسـتتراً، قاومـه بإيجاد التفرقة بـين قادة العرب واسـتمالة بعضـهم ثم بالأسـلحة الفاسـدة التي مزقت أيـدي رماتها قبل أن تنطلق، ثم جاءت سـاعة الصـفر وكانت طائـرات العرب إذ ذاك تلقي قذائفهـا في قلب عاصـمة اليهود.. جاءت لتعلن فيهـا الهدنة الظالمة التي قبلهـا العرب ليضـعوا نهاية غير مشرقة لجهاد كان مـن المحتمل أن يأتيهم بأطيب الثمار. وقامت دولة العصابات وبسط المستعمرون عليها حمايتهم وانهالوا عليها يمدونها بعوامل البقاء وعناصر التمكين، وبدأت الأعوام تمر والشعب العربي الفلسـطيني يهيم على وجهه في القفار والمتاهات يصور للدنيا جناية المستعمر وتخاذل الحماة.

وما زلت عند وعدي في عدم التعرض لملابسـات ذلك الغزو الصهيوني الغـادر لكني لن أسـتطيع بحال أن أتجاهل الوضـع المـزري الحقير، الذي يعيشـه أولئـك اللاجئـون في أكواخهـم الباليـة في رعاية وكالـة الغوث

الخادعة، ولن أستطيع بحال أن أتجاهل عناصر الشر والمكر وهي تقوي تلك الدولة الدخيلة (بالسلاح وبالمال) لتفتك وتدمر وتبسط نفوذها في هذا الجزء الغالي من جسم الأمة العربية.

وقضية فلسطين لم تعد بحاجة إلى هتافات وأقوال.. وليست في اعتقادي ورقة رابحة يتداولها الزعماء لكسب شعوبهم، إنها أكبر من ذلك وأعظم، إنها بداية النذير لكل بلاد العروبة، ولم يعد سراً ما يطمع إليه قادة اليهود من بسط نفوذهم في كل بلاد العرب، وهذا ما كتبه الزعيم اليهودي (بن هيخت) في جريدة نيويورك تايمز في شهر أبريل 1948 يقول ما معناه:

(إنه لا سبيل إلى التفاهم مع العرب إلا بإعداد حملة يهودية تحتل المدينة وتفعل كذا وكذا بالضريح النبوي؟! وحينئذ يبادر إلينا العرب أذلاء خشعاً يرجون التفاهم معنا). هذه مشاعرهم وتلك أهدافهم، ومن الخير أن تصل إلى كل قلب وأن تطرق كل أذن حتى يعلم أبناء الإسلام حقيقة هذا الخطر الداهم الذي يتربص بهم ويترقبهم.

وهنا قد يقول قائل.. قد وصفت ولكنك لم تعالج، وأحرى بالوصف يعقبه علاج يقضي على الداء ويشحذ الهمم للمدافعة والمقاومة.

وهي مشكلة عويصة عاشت في عقول العرب وأعصابهم أكثر من ثلاثة عشر عاماً.. وهي التي تلت قيام ما يسمى بدولة إسرائيل وقد شغلت أذهان العقلاء والساسة، لكنها لا تزال كالجرح الغائر ينزف الدم ويبعث بالألم.. وأنا إذ أساهم بما أعتقد جدواه، لا أدعي ما ليس لي، لكني وأنا أتمثله خطراً داهماً وعدواً جاثماً.. لا يقتصر على أمة عربية دون أخرى، أرى أن كل مسلم في بلاد العروبة مسئول عن دوره وقسطه من هذا الواجب العام

الشامل، ثم.. ألسنا بما نحن عليه اليوم قد بعدنا كثيراً عن تعاليم ديننا الحنيف وأعرضنا عن ينابيعه الطاهرة الكريمة؟! وإلا لأي شيء تشير هذه الوقائع في كل بلاد العروبة المسلمة إذ تحتكم لغير شريعة الله وتتجاهل أخطر أعداء المسلم؟ وهي الخرافة والتضليل التي صرفت جموعاً غفيرة من أبناء العروبة إلى الوهم الكبير.. وهو طلب العون من العاجز عنه، المستحيل عليه، والانصراف عن واهب العون وجزيل العطاء.. نعم: جموع تشد رحالها إلى أجداث.. رميمة قد بليت وعفيت تطلبها ما هي محتاجة إليه، إنها كبرى المهازل، زينها الشيطان ليصرف أبناء الإسلام عن حقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد، إنهم يعصون خالقهم وينتقصون قدرته وعلمه.. وهذا كتاب الله فيه الوضوح الذي لا يدع طريقاً إلى الشك والريب إلا أغلقها (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ). (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

فالأمور كلها بمشيئته وتحت إرادته، وذلك يستلزم مناجاته وإخلاص الدعاء له وإنابة القلب إليه، وكلٌّ هالك مهما علا قدره، محتاج إلى دعاء غيره واستغفاره لأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وهي مشكلة لا أقول قائمة، ولكنها هادمة تهدم الأساس الذي ينبغي أن يقيمه المسلمون في قلوبهم ونفوسهم والذي يربطهم بخالقهم الواحد الأحد، المنزه عن المثيل والشبيه، ثم هذه المنكرات الظاهرة في بلاد الإسلام التي حاربها وأعلن بطلانها وفسادها.. كلها نتائج لمقدمات قد يكون منها ضعف الدعاة إلى دين الله، وفقدان إخلاصهم لهذا الدين وعدم أخذهم أنفسهم بهديه وتعاليمه، مما أدى إلى انعدام تأثيرهم.

وإن كنا نفكر في استعادة الوطن السليب، فلنفكر قبل ذلك في تقوية الصلة بالله تبارك وتعالى، تلك الصلة الكريمة التي ترتفع بالمسلم عن مهاوي الضلال ومتاهات الزيغ والانحراف، وتنمي فيه شعوره بكرامته وحقه الطبيعي في حياة عزيزة كريمة وبعدها فليكن واضحاً: أن جولة الإسلام مع أعدائه لابد واقعة، ومن الحق أن ننتظر من أعدائنا تفهماً لواقعه أو دفاعاً عن قضاياه والدلائل القائمة تحكي لنا انعكاس هذه المفاهيم والقيم، وليعلم كل مسلم أنه مطالب بحماية دين الله، وهل تقريب المسلم إلى ربه بعد توحيده له بأعظم من الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وأنا إذ أعلن هذه الحقيقة لا أقول جديداً، وإنما لأقربها إلى الأذهان، وهي مسئولية المسلم في أي بلاد الله كان عن نصرة دين الله وإعلاء كلمته، وهو إذاً يندفع ليحقق هذه الأهداف الكريمة يتيقن في إيمان عميق، إنه ينتهي إلى خير ما يتمناه.. نصر على الأعداء وإعزاز لدين الله وبلاء في سبيله أو شهادة كريمة يفد بها المسلم على رب كريم منعم متفضل أوضح له طريقه بقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ). وما الذي يبقى مع المسلم يضعف من عزيمته أو يشل أقدامه؟ وحبذا لو وجد الشاب في مدارسه ومعاهد

علمه في كل أقطار العروبة اهتماماً من المسئولين بإدخال مادة التدريب العملي ضمن مناهج دراستهم ولو وجد غيرهم مجالاً لإلمامهم ولو بمبادئ الدفاع العملي عن النفس والوطن.

وبعد: فلن يستعيد المسلمون فلسطين ولا غيرها إلا بالجهاد المقدس، تزحف به جموع مؤمنة تقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولا أحسب من سيحجم عن إجابة مثل هذا النداء المؤمن وصدق الله العظيم حيث يقول: (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ).

قضيتنا الكبرى!

(نشرت في العدد الأول لمجلة الأسبوع التجاري)

تساءلت وأنا أحرر هذه الكلمات للأخ الأستاذ عبد العزيز مؤمنة - تحقيقاً لرغبته - قائلاً لنفسي.. لقد عرفته منذ عهد التحصيل وعرفته بعد ذلك من خلال كتاباته وتعليقاته، التي كانت تتسم بسلامة الأسلوب، ووضوح الفكرة.. ولكن ما الشأن لي بصحيفة وقد أرادها (تجارية اقتصادية صناعية).. وأنا لست التاجر ولا الاقتصادي ولا الصانع ولا حتى قريب الشبه بهم؟

وبعد تردد لم يطل قلت أجعلها تحية عابرة لهذه الصحيفة الناشئة التي تصدر اليوم في بلادنا متحدثة عن نهضتها الاقتصادية والصناعية، وقد استطاعت بحمد الله أن تخطو في هذين المجالين بخطى ثابتة وجريئة سيكون لها بإذن الله الأثر الطيب في بناء مستقبلنا.

وفي حسباني أن الصراع اليوم بين (الأدب والمادة) يوشك أن يبلغ مداه.. فالوقائع المحسوسة والماثلة للعيان، توحي كلها بأن الأدب بشعره ونثره يكاد يختصر.. فالأديب وإن كان حتى الأمس القريب دائم الشكوى من حظه، كثير التذمر من واقعه فماذا عساه اليوم قائل والحقائق المادية الصاخبة تأخذ عليه مسالك الطريق، وتحتجز دونه بالمكانة المتزنة ولا أدري وهما فريقان متنازعان أيهما أكثر أهمية لحضارة الشعوب ونهضتها؟ ولست أؤيد تفضيلاً بينهما وإن كانت الغالبية (وهي المتأثرة بما ترى وتسمع) لا ترى في بحث التفاضل إلا ضرباً من السطحية العابرة وتستشهد بالوقائع

المماثلة المحسوسة.. وترى أن في مجرد المقارنة بين (مكتشف الذرة مثلاً) وأي عميد للأدب بنوعيه، ضرباً من الجهالة والعبث! ويحتدم النزاع، ويلقي كل فريق بأسلحته ودفاعه ويتطلب الناس في هذا النزاع (حكماً) (يقول الحق ويهدي الثائرة)! ويطول بحثهم والدقة ليست السبب الوحيد لهذه الحيرة بقدر ما تعكس مدى التفاوت في التأثير بين المادي والمعنوي!

ولعل خير القول هنا، أن عالمنا يحتاج إلى الأمرين معاً لا يغنيه أحدهما عن الآخر، إلا إذا افترضنا قدرة إنسان على العيش دون الغذاء والهواء.. فالتلازم واقع بينهما، وبهذا التلازم تمضي بالإنسان قافلة حياته!

لكنني أرى أن الزمن يسير في الاتجاه المعاكس للطريق الذي يقف فيه الأدب.. (المجاهل) الغامضة الجافة، التي كانت قبل حين قليلة الرواد، موحشة المسالك هي اليوم تمتلئ بالوافدين وتعج بالمغامرين تتقد عزائمهم وتغلي دماؤهم.

وطريق العيش بعد هذه الرحلة الطويلة سهل المسالك فسيح الأرجاء.. وأصبح الأمر حقيقة واقعة.. أحس بها الأدباء والشعراء فدافعوا وعلت أصواتهم، لكنها تتلاشى دائماً بين أزيز المحركات وفي الهواء الكثيف المشبع بدخان المصانع التي لا تهدأ.. وكانت قصة.. نعيشها اليوم وهي تكاد تنتهي، وسيتحدث بها من بعدنا كما نتحدث اليوم ونحن على المقاعد الوثيرة (لطائرة نفاثة) عن رحلات أجدادنا الطويلة على الجمال الصابرة!

ولست الشامت ولا اللائم، ولكنني الآسي على التعادل المفقود والنهاية المنتظرة!

وقد يتساءل إنسان وأين يقف (الإسلام) من هذه المعركة؟ وأقول له إنه بحمد الله في قلوب أبنائه العامرة بمبادئه، والمتأثرة بهديه ونوره.. إنه في المنزل، والمدرسة، والكوخ، والحقل، والمصنع.. إنه خرج من (مكة المكرمة) ولكنه تجاوزها إلى كل بقاع الأرض، فهو في القلب والعاطفة والضمير.. لا يعترف بالحدود والحواجز لأنه دين الفطرة ينقل الخير والسعادة لأتباعه في كل بقاع الأرض النائية..

قد يتخاذل عنه (حملته)، وتستأثر الدنيا بهم فيقف اندفاعه، ولكنه بحمد الله لا ينعدم، فهو باق إلى قيام الساعة، أخذ الله على أهله والعالمين بأهدافه (الميثاق) لبيانه، ونصرته والصبر على الأذى فيه، ويتفاوتون في القدرة على الاستجابة والحرص (في تصوير دقيق) لمدى الإحساس بالمسئولية والواجب.. ويسجل التاريخ للمصلحين (حياتهم المضيئة) تفيض بالخير والحكمة والبصيرة ويلقون ثوابهم العاجل إجلالاً، وتقديراً، واستجابة، وما ينتظرهم عند ربهم من الأجر وعظيم المثوبة، وهم في حياتهم تلك ينالهم الضيق، والنصب، والأذى، ولهم القدوة في ذلك برسل الله الرسل (سلام الله عليهم) ولا يزيدهم ذلك إلا قوة وعزيمة وصبر.. وهي الفتنة - التي وعد الله بها من آمن حيث يقول: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ).

أراني ذهبت عن التحية لهذه المجلة بالحديث عن رسالة الإسلام (لكنها قضيتنا جميعاً) سندافع عنها ونحميها بكل قوانا وجهودنا، بالنفس، والمال، واللسان، وهو في مثل ما نحن فيه (أضعف الإيمان)..

بقيت كلمة أهمس بها في أذن صـاحب هذه المجلة، وهي أن يفسح من مجالها لإيضاح النظرة العميقة التي شمل بها الإسلام (الاقتصاد) والمعاملة، حتـى يتبين شـبابنا وهم في مفترق الطرق كيف عالج الإسـلام المشـاكل الماليـة، وسـعى في تنظيمها، وكيف حقق العدالة الاجتماعية الواضـحة، وأبان في جلاء الربا وتأثيره الضـار، بالفرد والمجتمع وأحسـبه سيفعل إن شاء الله.

وسـيكتب له ولنا المختصـون الهادفون ذوو العلم والبصيرة ما ننتفع به ونطمئن إليه، والله يشد أزر هذه المجلة ويعين صاحبها.

هل نحتفل بالمولد؟

يشـجعني دائماً على الالتقاء بك أيها القارئ الكريم، هذا الفيض الغامر من ثقتك، وذلك الشعور الطيب الذي يحكم صلتي بك، فأنا قد ترددت طويـلاً قبل أن أبدأ الحديـث إليك، لأنني أحس دائماً بمسـئولية الكاتب، وتبعة الباحث.

ويؤلمني هذا التسـاهل وذاك الاسـتخفاف اللذان يسـيطران على بعض محـترفي الكتابـة اليوم، حتى لقـد يبدو للقـارئ أحياناً، بعد اسـتيعاب ما يفرضـه بعضهم عليه، أنهم لم يهدفوا لسوى إشـغال ذلك الجزء المعين من هذه الصحيفة أو تلك.

أما الإيمان بالفكرة، وسـلامتها وصـدق التعبير عنها، واستهداف الخير العـام ومعالجة أمراض المجتمـع، وتوجيه أفراده إلى الخـير - أما كل هذه (المعاني) فهي لم يستعرضها تفكير الكاتب أو تملك عليه اهتمامه.

رصيد الثقة:

ولا أدري ما الذي يتبقى للصـحافة في (رصيدها) من الثقة والمكانة يوم تبقى سـلماً للشـهرة الكاذبة، أو طريقاً للبروز المنحرف؟ أننا لم ندرك بعد فهم الأهداف التي يجب أن تتمثلها الصـحافة المسلمة، ولا المسئولية التي تجثم على كاهل كل من اسـتشرقت نفسه للقاء مع الصحافة، أو الانضمام تحت لوائها.

ولم يقل أحد إن كثرة الصـحف وتوالي صـدورها، واتساع نطاقها دليل قائم لا يخطئ على إدراك تلك الصحف لدورها، أو قيامها به، ما لم يواكب

تلك (الطفرة)، فهم روادها لواقعها وأهدافها، وسلوكهم السبل الواضحة إلى تلك الأهداف، وأنا وإن كنت أراني لست من أرباب الصحافة، لكني جنحت بعد تردد إلى تهيئة سبل لقائك، والحديث إليك كلما توافرت لي عوامل هذا اللقاء وأسبابه، ولقد قطعت العهد على نفسي ألا تنازعني إلى تسجيل (فكرة) قبل الإيمان بها وفهمها، ثم بعد مرورها بهذا الدور تغلي بها في دمائي جذوة الإخلاص لتأخذ طريقها إليك، ولا ينتهي بها المجال عند نشرها، لأنها وهي تنطق من أعماق نفسي تخضع لاهتمامي وإشفاقي.. (الاهتمام) بها حتى تصل إلى ذهن القارئ في قوة إحساسي.. (والإشفاق) عليها حتى لا يطغى على فكرتها ضعف التعبير عنها، ولن أستطيع بحال إبراز تأثري برسائل طيبة نبيلة، حملها (إخوة) كرام التعبير عن تأييدهم وشعورهم، فهي قد أيقظت الأمل الدائر في نفسي وضاعفت من عزمها.

لقاء في المولد:

واليوم ألتقي بك في مناسبة كريمة ظاهرة، هي ذكرى مولد خير خلق الله، محمد صلوات الله وسلامه عليه، وما كان لي أن أتحدث إليك في هذه الذكرى، وقد أوسعها بحثاً وإبانة فضيلة الشيخ عبد الله خياط، في حديثه المنشور بصحيفة (البلاد) في عدد الجمعة 1380/3/4هـ، فلقد أوفى كعادته المقام حقه في صدق ويقين، ولم أهدف إلى (إطرائه) فطالما ابتعد بنفسه عن قبول الثناء الصادق عليها، لكنها (تحيتي) إليه وقد اخترتها في ثوبها الذي قد لا يرضاه، لتكون حافزاً لغيره.. لكي يأخذ دوره في مثل إخلاصه وصدقه، وأسأل الله لنا وله استقامة على الحق، وثباتاً في نصرته.

ولقد لقيني قبل أيام أخ عربي من مصر، يحمل مؤهلاً عالياً في الهندسة، وتعارفنا لنتحدث، واستعرضنا حاجة المسلمين إلى التمسك بدينهم ونصرته، وتحرير عقولهم وأفهامهم من التقاليد الواهية التي لا تزيدهم عنه إلا بعداً، وطال بنا الحديث حتى استعرضنا ذكرى (المولد النبوي الشريف) فقال وقد اطمأنت نفسه إلي: إني وإخواني المصريين لا نرى في عاداتكم هنا ما نختلف معكم عليه، إلا في إنكاركم لإقامة الاحتفالات بهذه الذكرى الكريمة.

فقلت وأنا أحمد له صراحته ووضوحه: إنك لا تعبر بقولك عن (إخوتك) فليس معك منهم جموع كثيرة، جاهدت بصدق وإخلاص في نصرة الدين وإقراره، وفي القضاء على هذه المحادثات والبدع المنكرة، وما لانت لهم قناة، ولا ضعف لهم بيان، في إيضاح الحق والدعوة إليه، ولست محتاجاً إلى تدليس أو تمثيل، وهذا رأي شيخ الأزهر الذي جاء في حديث الشيخ عبد الله خياط سالف الذكر لا تنقصه فيه الصراحة، فقد أبان بطلان ما استحدثه الناس في هذه المناسبة الكريمة، ولسنا وحدنا في هذا الموقف الإنكاري لكل ما أوجده من لم نؤمر بإقناعهم، والاقتداء بهم، فيما يتعلق بتعبد أو قربة، ولا اختصاص لأحد فيها برأي أو بيان، فكل (مؤمن) منحه الله نعمة الفهم لدينه، والتعمق في استيعابه، وتصحيح انتسابه إليه يقف نفسه حرباً على كل بدعة طارئة دخيلة، لم يشرعها نبينا صلوات الله وصلامه عليه، ولم يفعلها خلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم.

ونحن وقد جمعتنا في أوطاننا الطاهرة (رابطة الدين والأخوة في الحق) نرى مما يشرفنا أن يعرف الناس عنا بعدنا عما يخالف تعاليم ديننا الكريم،

وإن كنا نشعر بحاجتنا الأكيدة إلى (إيجابية) مخلصة واعية تقف بأفكارنا وأفهامنا على طريق الحق الواضح وكان يستمع إلي في صمت عميق وأنا أقول له: ولماذا يقيم أولئك احتفالهم في ذكراهم؟ فقال لي: إنه تعبير عن محبته وتعلق القلوب به، فقلت له: ومتى كانت هذه المظاهر الشكلية الطارئة هي التعبير القائم الذي يوضح تعلق القلوب بالمحبة والاعزاز؟ إن علاقة المسلم بنبيه علاقة ثابتة دائمة، فهو يعيشها مع حياته، في فيض زاخر من تعاليمه الكريمة التي جاءت لتدفع بالبشرية في طريق الخير والفوز، وأي نوع من (العلاقة) ذاك الذي نحتاج معه إلى المظاهر الحسية الخادعة لتثبيتها وتقوية بقائها.

إن المسلم لا يجد طعم الإيمان حتى يكون – صلوات الله وسلامه عليه – أحب إليه من نفسه وماله وأهله والناس أجمعين، وليست هذه (العلاقة) مما تعارف الناس عليه في دنياهم، والتي يعمدون إلى المظاهر الحسية لتقويتها وإعلانها، إنها علاقة (إيمانك) بربك، وهل يبقى معك من الخير شيء إذا تخلى عنك (إيمانك)؟

إننا مما نبتدع في هذه الذكرى العطرة من أمور تخالف شرع رسول الله وهدي أصحابه إنما نجني على خلالها وقيمتها المعنوية في النفوس، وأليس من مظاهر انتفاء محبته، أن تأتي بما لم يأمرك به أو يدعوك إليه؟ إنك تفارق (إيمانك) يوم لا ينطلق لسانك كل يوم بذكر نبيك والصلاة والمشروعة عليه، وإلا فأي معنى لدعاء (التشهد) في صلواتك؟ إن لم يكن الثناء على الله تعالى، والصلات المخلصة على رسوله؟ وفيما وراء ذلك نجد داعي الله في كتابه العزيز، يدعوك إلى المزيد من صلاتك على نبي الهدى والرحمة: (يا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، وهل تتحقق محبته وتعظيمه في النفوس والقلوب بغير طاعته وامتثال أوامره؟ وما دمت تعتقد جدوى ما تعمل، فلا أقل من إيضاح ما تستند إليه في جوازه، إذ هي أمور (تعبدية) تعتمد على التوقيف وحده، فلا مجال فيها لرأي أو استحسان.. وإلا فما جدوى تحذيره صلوات الله وسلامه عليه لأمته (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)؟

وبقيت أنتظر منه الإجابة، فقال لي بعد أن أعمل فكره: (هي عادة مضت بالناس أو مضى بها الناس على اختلاف مراتبهم وأقدارهم منذ القدم) فقلت له: وهل يكفي هذا مؤيداً لبقائها، إننا (ملزمون في كل ما نقول ونفعل بما جاء في كتاب الله وعلى لسان نبيه (صلوات الله وسلامه عليه) الذي قال لأمته (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) وخلفاؤه الراشدون وصحبه الكرام، وقد أنعم الله عليهم بصحبة نبيهم ونصرته، هل نقل لنا عنهم مثل هذه المظاهر في ذكرى مولده أو إسرائه أو هجرته؟

وقد عرفت الدنيا تلك (المنزلة) التي يحتلها رسول الله من نفوسهم وقلوبهم، فهل نأتي في عصورنا السادرة التي ضعفت فيها قوة الدين، وقل تأثيره ووازعه لنستحدث في ذكراه العطرة ما لم يسبقنا إليه صحابته أئمة الهدى والخير، ومن نحن بجانبهم وقد شهد لهم نبينا بالفضل؟.. (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم)، وأين نضع قول الصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه-: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، و(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)؟

أم هي دعوى انقسام البدعة إلى حسنة وسيئة؟ تلك (القسمة) التي لا يقرها الإسلام، وينفي وجودها كمال الرسالة، ونجاح دعوة الحق.

وأظلنا صمت قال لي بعده: إنني رأيت (أناساً) أضع فيهم ثقتي ولهم تقديري يدعون إلى مثل هذه الاحتفالات، فهل فات عليهم ما تقوله أم علموه وكتموه؟

قلت له: إن من عوامل ضعف الإيمان في النفوس أن تندفع – في غير تعقل – لتردد قول كل قائل وفعله، وعد إلى من رأيته لثقتك أهلاً وطالبه بما يثبت مشروعية أو جواز ما يعمد الناس إليه في هذه المناسبة الكريمة؟ وسوف يعجز عن إجابتك، وأنت قبل ذلك وبعده المسئول وحدك عن كل ما تأتيه مخالفاً لتعاليم دينك، وأوامر نبيك.

إنها (قولة) صريحة جازمة، فالاحتفال التقليدي وقراءة (الأوراد) الملفقة في بعض ليالي شهرنا هذا من كل عام، عمل غير مشروع يحسن بنا التواصي على تركه وإعلان إنكاره. ولئن استحسنه من لم يتبين الحق فيه، أو من جهله – وهم قلة نادرة بحمد الله – فإنه في ميدان البحث العلمي الصحيح لا يستند إلى أساس يحميه، أو دليل يؤيده.. وأحسب أن مما يطالب به المؤمن أن يتحرى في كل ما يأتي مطابقة الحق، وصدق الامتثال، ولم أرد أيها القارئ الكريم أن أحجب عنك ما حدث، ونفسي ينمو رصيدها من الثقة والأمل في اجتماع القلوب، وائتلاف الكلمة تحت نور الحق، ووضوح السبيل وما ذلك على الله بعزيز.

جهودنا بين الواجب والاختراع!

كنت أطالع صحيفة الندوة الصادرة برقم 1112 يوم الخميس الموافق 82/4/7، واستوقفني على الصفحة الخامسة منها عنوان بارز هو (حول الاحتفال بذكرى الرسول)، وتضمن مقالين للأستاذ يحيى عثمان المكي والأستاذ محمد المصطفى الشنقيطي، الأولى أوضحت رأي الإسلام في إقامة الاحتفال بهذه الذكرى الكريمة بصفة صريحة جلية. والثانية (وأقولها آسفاً) جاءت لتحاول ولا أقول تقرر.. لتحاول إعطاء هذا المولود صفة القبول والشرعية، وكان مما قاله صاحبها: (إن الاحتفال بذكرى مولد سيد ولد آدم عليه السلام بدعة تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول مئات السنين كما قال قائلهم:

فمولده عيد كبير مبارك

يعظم في الآفاق في كل بلدة

ثم قال: (إن أمامنا من البدع بل من المحرمات ما هو أولى أن نشتغل بمنعه وإنكاره من منع وإنكار الاحتفال بذكرى مولد سيدنا محمد عليه السلام، وإن انفرادنا عن الأمة بعدم الاحتفال به أوقفنا في محرم مجمع على تحريمه، وهو بذل أعراضنا لأعدائنا بما يقولونه عنا حسداً وبغياً، فيذيعون عنا أننا نبغض الرسول عليه السلام... الخ) ثم قال: (لا يغسلنا من وصمة افترائهم علينا إلا تكذيبنا لهم بالفعل الظاهر لكل ما رمونا به حتى يشهد العالم كله على كذبهم علينا)..

ودهشت وعجبت وأنا أواصل القراءة، فموضوع شرعية الاحتفال بالموالد أو بدعيتها أمر قد انتهى ووضح الحق فيه ولم يعد بحاجة إلى رأي أو اجتهاد.. فأئمة الإسلام قد قالوا كلمتهم في ذلك صريحة واضحة.. قالوها وعرفها الناس واطمأنت إليها نفوس المؤمنين من أبناء هذه البلاد الكريمة، قادة ومواطنين عن عقيدة واقتناع، لأنهم عاهدوا الله على أن يكونوا أنصاراً لدينه وحماة لسنة نبيه عليه السلام، حرباً على كل بدعة أو شبهة، وعرف العالم بحمد الله عنهم ذلك.

ولئن كان الأستاذ يحيى عثمان المكي قد أوضح نظرة الإسلام في إقامة هذه الموالد، لكني رغبت التعليق بهذا الحديث العابر حاملاً للأستاذ المذكور على أطيب المحامل، سائلاً الله أن يثبتنا جميعاً على الحق، نعتقده ونقوله ونعمل بهديه، وأقول له ولكل مسلم:

إن الشريعة الإسلامية مبنية على أصلين: هما الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وهما شرط لكل عمل ديني ظاهر..

والأصل في العبادات المنع والحظر، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله.. كما أن الأصل في العادات الإباحة ورفع الحرج، فلا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله، ودل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ)، وقال عليه السلام: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

فكل واجب أوجبه الله ورسوله أو مستحب فهو عبادة يعبد الله بها وحده، فمن أوجب أو استحب شيئاً لم يدل عليه الكتاب والسنة، فقد ابتدع ديناً لم يأذن الله به، وهو مردود على صاحبه.

ولم ينتقــل نبينــا إلى جوار ربه إلا وقد أوضــح الدين وأبــان الطريق، دل أمته على الخير ورغبها فيه، وحذرها من الشر ونهاها عنه، قد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة.

من أحدث هذه البدعة؟

قيل إن أول من أحــدث بدعة الموالد بالقاهرة الخلفاء الفاطميون بالقرن الرابــع للهجرة، ابتدعوا ســنة موالد: المولد النبوي، ومولــد الإمام علي، ومولد السيدة فاطمة، ومولد الحسن والحسين، ومولد الخليفة الحاضر.

وبقيــت هــذه الموالــد علــى رســومها إلى أن أبطلها الأفضــل ابــن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله ســنة 524هـــ، بعد ما كاد الناس ينسونها - وأول من أحدث بدعة الاحتفال بميلاد النبي عليه السلام بمدينة (إربل) الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع، ثم فشت هذه الموالد وكثر قصــادها.. حتى صارت كلمة (مولد) في عصرنا الحاضر وفي أغلب البلاد العربية رمزاً على المجون والفوضى.

والتقرب إلى الله بإقامة هذه الموالد عبادة لا أصل لها من كتاب أو سنة - بل إن اتخاذ مقابر الصالحين مكاناً للتجمع وللاحتفال، معصية لله حتى لو بنيت على الرغبة في القربات المحضة. قال عليه السلام: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغني)، وفي رواية عن ســهيل بن أبي ســهيل قال: (رآني الحسن بن الحسن بن علي بــن أبي طالب عنــد القبر فناداني وهو ببيت فاطمة يتعشــى فقال: هلمّ إلى العشــاء، فقلت لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر، فقال سـلّمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لذا دخلت المسجد؟ ثم قال إن رسول الله

عليه السلام قال: (لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم).

ثم ما هذا الخبر المزعوم؟ في أمر لم يشرعه نبينا عليه السلام، ولم يفعله له صحابته الكرام والتابعون لهم بإحسان.

اختراع في الدين:

عقد الأستاذ محمد الغزالي فصلاً في كتابه (ليس من الإسلام) تحت عنوان: (اختراع في الدين) أنقل للقراء بعض فقراته، قال متسائلاً: (لماذا يأتي الإنسان بجديد من عنده يخلطه بالدين ليكون له ما للدين من قداسة؟ النقص رآه في التعاليم التي أنزلها الله؟

إذا كان ذلك هو الباعث على الابتداع فهو حمق كبير. وذلك أن الله تعالى قال في كتابه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) فمن زعم أن في تعاليم الإسلام قصوراً أو نقصاً يجعلها بحاجة إلى زيادة حتى تصلح لتهذيب النفوس واسعاد الجماعات فهو جهول كفور).

وأغلب الظن أن جمهور المبتدعين يستحدث ما يراه (غلواً) منه في الدين لا اتهاماً بالنقص.. والغلو في أمر ما مزلقة إلى الخروج منه.. وكم من مبالغة ضاعت فيها الحقيقة، وثبت بها الباطل.. غالى النصارى فأشركوا، وغالى غيرهم فحرم الحلال.

فنزل في الأولين قول الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ثم قال (والمبتدع في الدين يعطي نفسه منزلة ليست له.. فإن المشرع الفرد لعباده جميعاً هو الله عز

وجل، فكيف يجيء أحد - مهما كانت نيته ومنزلته- ليضم إلى أحكام الله أحكاماً من عند نفسه ويقول: هذا حسن ينبغي فعله ويقبح تركه في أمرٍ ما أنزله الله ولا استنه نبيه؟

إن هذه نزعة إلى الألوهية.. يعدو بها الإنسان قدره ويجاوز حده، ولذلك اعتبر الرضا بها والسير معها اختلاق أرباب مع الله، يحلون ما حرم ويحرمون ما أحل).

وقال: (والحق أحق بالاتباع، فمتى ظهر وجب على المسلم اتباعه ولا شك أن التزيد على الدين ميل مع الهوى وترك الاتباع الدقيق جور عن الطريق (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) والذين يختلقون هذه المحدثات يحملون وزر ضلالهم الخاص وتضليل الذين ينخدعون بهم ويستجيبون لهم).

ثم قال في استعراض واضح: (يوجد عند بعض الناس شغف بالابتكار والتجديد، وهذا أمر يقره الإسلام ويحتفي به، بيد أن ملكة الاختراع لها ميدان تستطيع الانطلاق فيه ولا حجر عليها.. لديها شؤون الدنيا وآفاق الحياة تعالجها وتفترض فيها وتبتدع.. وقد استغل الغربيون ملكاتهم في هذه الأنحاء فأجادوا وأفادوا، أما نحن فبدل أن نجمد على شؤون الدين ونخترع في شؤون الدنيا، قلبنا الآية فاخترعنا في شؤون الدين ما لا معنى له وجمدنا في شؤون الدنيا فطار الناس بين الأرض والسماء وما زلنا ندب على الثرى).

وماذا لو اتبعنا ما نزل الله، وابتدعنا فيما وكل إلى عقولنا وجهودنا؟ أليس ذلك أرعى لديننا وأجدى على حياتنا؟

ثـم قـال: (إن قبول الزيادة في الدين - بدعوى أنها حسـنة) كقبول الحذف من تعاليمه بدعوى أنها رديئة أو غير مسـايرة للتطور، وكلا الأمرين ضـلالة، وفي الحديث: (إن الله فرض فرائض فلا تضـيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها). وقال مالك بن أنس: (من استحسن بدعة فقد زعم أن محمداً عليه السلام خان الرسـالة)، ثم قال (إن التجديد والابتكار مقرران في ميدان العادات، أما ميدان العبادات فإن الاتباع المحض هو الأصـل، والاختراع الذي هو جرثومة الابتداع جور وضلال)، ثم قال: (إن الموقف من تشاريع العبادات غير الموقف من تشـاريع المعاملات (فالأولى) تكفل الشارع بحقيقتها وصورتها، وزمانها ومكانها، وكمّها وكيفها، وأطلق وقيّد وأجمل وفصّل عن حكمة عليا لا مجال للاجتهـاد فيها، وليس علينا إلا تلقيها بالقبـول المجرد، ويجب أن تكون هذه العبادات من عصر صـاحب الرسـالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، نسقاً واحـداً لا خلاف بين الأولين والآخرين في الأخـذ به، والتقيد التام في بداياته ونهاياته، أما التشاريع الأخرى فمحورها الذي تدور عليه هو المصلحة العامة).

وبعد، فلعل ما مضـى يلقي ضـوءاً على هذا الموضـوع الحيـوي الهام. وفي النهاية أوجه حديثي للأسـتاذ الشـنقيطي ذاكراً له أن من المفاخر لبلادنا وأمتنا العظيمـة أن تظـل محافظة على السـنة، نابذة للبدع والأهـواء، لا كما ذكر من وجوب تخليها عن هذه المفخرة العظيمة، لافتاً نظره إلى وجوب الحرص حالياً علـى حماية العقول والأذهان من تيار الإلحاد الجارف بدلاً من تحسـين البدع الواهية التي تركها خلفاء كذبوا في انتسابهم وأساؤوا إلى دينهم.. راجياً لي وله وللمسلمين الخير والهداية والتوفيق.

الإسلام لا يبيح لنا الاحتفال بهذه الأيام

قال الأستاذ صالح جمال في يوميات الندوة بعددها الصادر يوم السبت 10 رجب 79، إنه شاهد في رحلته الأخيرة بمصر (مولد السيدة زينب) ورأى صنوفاً من الملاهي والاحتشادات أتى على وصفها في يومياته، ثم تساءل عما إذا كان هناك ما يمنع من اتخاذ يوم الهجرة أو الإسراء والمعراج – مثلاً– موسماً يتوقف الناس فيه عن أعمالهم ويخرجون إلى الفسح البريئة والنزهات الطاهرة.. الخ.. ما أورده في اليوميات المذكورة، وطلب من رجال العلم كلمتهم في الموضوع. وأنا وإن كنت لست ممن يعنيهم في تساؤله لكني وجدتها فرصة سانحة مباركة أن أتحدث في هذا الموضوع الهام، وأقول: إن تخصيص أي يوم من الأيام المذكورة سواء كان يوم الإسراء والمعراج (وهو اليوم الذي لم يرد دليل على تاريخه) أو يوم الهجرة أو أي يوم آخر، إن تخصيصه بأي نوع من أنواع الاختصاص لا يسوغ شرعاً بل لقد نهى العلماء المحققون عن تخصيص تلك الأيام أو لياليها بصلاة أو قراءة، فإذا كانت العبادة وهي تقرب إلى الله غير مشروعة في تلك الأيام بعينها فما بالك – باللهو– غير المنتج، ولقد كان سلف هذه الأمة وعلماؤها أحرص الناس على صيانة الدين وحمايته. ولقد كانوا يتركون بعض ما يحل لهم خشية وقوعهم فيما هو محرم عليهم، وكانوا شديدي الحرص على سد الذرائع وحماية الدين والمعتقد.

وهل نحن إلا في زمن غلب فيه تقديم هوى النفوس واندفاعها؟ ولقد قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (إنه لا يعرف عن أحد من المسلمين

أنه جعل لليلة الإسراء فضلية على غيرها ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة - كانت - وإن كان الإسراء من أعظم فضائله (صلى الله عليه وسلم)، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية، بل (غار حراء) الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة، لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خصّ اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ولا خصّ المكان الذي ابتدئ فيه الوحي ولا الزمان بشيء، ومن خصّ الأزمنة والأمكنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله.

وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة يتبادرون مكاناً يصغون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا، فمن أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض. ثم قال: والصواب أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام، وكذا ليلة القدر وليلة الجمعة أ.ه كلامه.

وتكفينا أعيادنا المشروعة (مناسبات) نتبادل فيها التهنئة والهدايا، أما هذه الأيام التي أشار إليها فهي خليقة منا بالعناية والتكريم ولكن بشكل معنوي يخالف المظاهر الشكلية التي تتنافى مع ما لصاحبها من جلال وتكريم.. إنك شاهدت ما أحدثه الناس في مثل هذه المواسم هناك من أمور أهونها

اختلاط الرجال بالنساء والمخازي التي يستغلها الشذاذ والخارجون عن تعليمات الدين، في تنفيذ الدنيء من أغراضهم ومقاصدهم، فهل الإسلام بحاجة إلى هذا؟

إننا بحمد الله في (بلد) شع منها النور المحمدي وأخذ الناس عنها تعاليم الإسلام الصافية. ومن الديون اللازمة على كل مسلم أن يسعى بكل جهوده وإمكاناته في بقاء هذا المنبع نقياً صافياً، يرسل على الكون إشعاعات النور والمعرفة، ومعترف به أن من عوامل نهوض الأمم توحيد صفوفهم وحفظ جهودهم وطاقاتهم وتوجيهها إلى ما يحقق أهدافها في حياة عزيزة كريمة، وليس شيء أضيع لجهود أمة من الأمم، وأدعى إلى تبديد تلك الجهود وعرقلة سيرها في طريقها الصحيح من انشغالها بمثل تلك المهازل التي ينصرف الناس إليها بعقولهم وأذهانهم وأجسامهم، والتي يستغلها (أعداء الإسلام) للطعن في كيانه والحط من مكانته في النفوس، والتي خلفها الغزاة الطامعون لأغراض متنوعة منها السياسي والمعنوي، وإلا فصاحب الذكرى (صلوات الله عليه وسلامه) أجلّ في النفوس وأعظم قدراً من أن نتخذ من ذكراه الطاهرة مجالاً للمرح واللهو.. بل هي (مهماز) قوي لكل مسلم تصرخ به أن - قف - وحاسب نفسك اللاهية السادرة حاسبها على ما فرطت وارتكبت من معصية وإثم، ثم افحصها وتعرف على مقدار متابعتها لصاحب الذكرى (صلى الله عليه وسلم) فيما قاله وفعله، وحاسبها على الغفلة والتقصير وعد بها إلى الطريق السوي، وهو ما كان عليه الرسول الكريم وأصحابه.

أما الاحتفال بها بأي صورة من الصور فشيء لم يشرعه الله ولا رسوله ولم يصنعه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم. ونحن نهينا أشد النهي عن

الابتداع في أقوالنا وأفعالنا، وليست البدعة إلا: (فعل لم يكن فابتدع) ولقد سمع سعد بن مالك رجلاً يقول: (لبيك ذا المعارج فقال: ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي قصة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (حين دخل المسجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد حلقاً وفي كل حلقة رجل يقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول لهم: هللوا مائة فيهللون مائة، فيقول لهم سبحوا مائة فيسبحون مائة، يعدون ذلك بحصى معهم، فرفع ذلك إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقام إليهم، وأنكر ذلك عليهم وقال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم. هؤلاء أصحابه متوافرون وهذه ثيابه لم تسبل، وآنيته لم تنكسر. والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد صلى الله عليه وسلم، أو مفتحو باب ضلالة؟ قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم مريد للخير لم يصبه). ونحن هنا نطالب بنداء معاكس - نطالب بحملة- نصرخ بها في آذان كل علماء المسلمين ليقوموا بدورهم في توضيح الإسلام الخالص الذي يلغي الوساطة بين الخالق والمخلوق ويربط المسلم مباشرة بخالقه العلي الأعلى الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد. ولينبهوا المسلمين إلى أن إحياءهم لهذه المواسم ليس من الدين في شيء، وأنه ابتداع غير مشروع وأن واجبهم هو الاتباع والانقياد لا الإحداث والابتداع.

وإن صمت من يعنيهم الأمر لا يكون مجيزاً لهذه المنكرات التي تحدث، لأن الحق فيها بحمد الله واضح بيّن، وهي (مواسم) نتمنى على الله أن يرى المسلمون فيها (الحق) حتى يقتصروا على ما كان عليه خيار هذه الأمة ولا

يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها - ونحن في أزمان نخشى منها الخطر العظيم على أدياننا ومعتقداتنا، ولم يستحوذ الشيطان على ضمائر الناس ونفوسهم إلا بعد أن زين لهم ما أراده من عمل وهون عليهم أثره. وإني أيها الأخ أبتعد بك عن تحسين (مسلك) لا يعلم إلا الله مدى خطره ووباله، على أنني أعلم أنك لم تقصد إلا تحقيق الجانب المباح الذي لا يتعارض مع الدين وأنك حسن النية والقصد، ولكن ما أردته يتحقق لي ولك وللناس جميعاً في (الأعياد) المشروعة سواء ما كان يتكرر كل أسبوع أو كل عام.

وفي غيرها وبالنسبة للأفراد يستطيع كل إنسان الترويح عن نفسه متى أراد بالطرق المباحة في أي يوم من أيام السنة، ثم أليس من أسباب ضعف المسلمين اليوم وتفوق أعدائهم عليهم إخلادهم إلى الراحة والدعة وعدم قدرتهم على مواصلة العمل والنضال؟ ولقد مضت أعوام طوال كان شرقنا العربي خلالها يغط في نوم عميق، ويجدر بنا وقد بدأ يستفيق من نومته، أن نعمل ونتواصى بالعمل على غرس العقيدة الإسلامية والتي هي أثمن ما نمتلك في نفوسنا والدعوة إليها والاهتمام بما يعود علينا جميعاً بالقوة والمتعة في ديننا ودنيانا حتى يأتي اليوم الذي نمتلك فيه زمان الصناعة بكل أنواعها، ونستثمر خيرات أوطاننا ونحقق القوة والعزة لمجتمعنا ومحيطنا - والاكتفاء الذاتي لكل متطلبات الحياة وإلا فنحن نضم رصيداً آخر من الخمول وعدم الإنتاج.

ولقد قرأت في إحدى المجلات أن دولة العصابات الإسرائيلية في أحد أعيادها القومية قامت بتجنيد الأهالي عموماً حتى كبار السن والأطفال، لحفر

الخنادق وإقامة المتاريس وهي تعتقد أن ما عملته خير ما شغلت به يوم عيدها!

فهل يسوغ لنا - وأعداء الإسلام كذلك - أن نطالب بأعياد موسمية غير مشروعة لندع فيها أعمالنا ونفتت جهودنا ونبدد طاقاتنا ونقيم الحفلات ونتبادل الهدايا ولماذا؟ أتكريماً لصاحب الذكرى صلوات الله وسلامه عليه - في إسرائه وهجرته؟.. إن كان كذلك فقد جانبنا الصواب في تكريمه والحفاوة به وفتحنا باباً خطراً على العقائد والأديان والأجدر بنا فيها أن نحيي سنته ونتواصى على التمسك بها، وهذا خير وأجدى - لأمة - تغالب شرور المجتمع وويلاته في زمن ضعفت فيه السنة وقل أتباعها - وأنا ويشاركني غيري أعرف (أنك وأخاك) من المعروفين بحمد الله باتجاهاتكما الدينية الإسلامية، وطالما قرأنا لكما في مواطن الغيرة على الإسلام والمحارم ما جعلنا نتفاءل ونسر، لذا فقد كان منتظراً أن نرى كنتائج لما تقوم به من رحلات أن تبدأ جهاداً مقدساً على صفحات جريدتكم لبيان الحق والخير وللتشنيع بما يجري في تلك الموائد والمواسم من (جهالة وميل عن الحق) وأحسبكم فاعلين إن شاء الله.

إننا يا أخي لا نعفي (الأزهر) ورجاله من المسئولية وإن كنت لا أطعن في كفاءاتهم وعلمهم ولكن هذه الجموع الغفيرة التي تتدافع في مواسم متكررة خلال العام الواحد للقبور والقباب وما تصرف عن جهالة إلى (الأموات) المحتاجين إلى الدعاء والاستغفار ممن يزورهم، ما تصرف هذه الجموع لهؤلاء من أنواع العبادة، التي لا تصرف إلا لله وحده، ماذا عمل العلماء لها؟.. إنها مهازل ومآسٍ تهيب بعلماء الإسلام أن يخرجوا من السلبية إلى الإيجاب ومن الإنكار الفردي الذي لا يحقق هدفه المرجو إلى بذل الجهود

وخوض الميدان بسلاح العلم والمعرفة والهداية، وهم على خير من الله وقد وعدهم مع إخلاصهم بالنصر والتمكين والغلبة.. أقول (هذه الجموع) أليس ممكناً لو تضافرت الجهود أن تحظى بمن يرفع عن ناظرها غشاء الجهل ويأخذ بأيديها إلى شاطئ النور والنجاة؟ إن اتحاد علماء المسلمين وقيامهم بدورهم الواجب في تصحيح العقائد وتحرير العقول والأفهام من الأوهام والأباطيل، هو السبيل إلى دعوة الماضي الباسم للإسلام وأهله، وعسى أن يكون ذلك اليوم قريباً، لأنني أعتقد بل وأجزم أن (المجاملة) إن جازت فيما عدا الأديان، فهي على حسابها (الخطر والضياع) لأن الدعوة إلى الله تستلزم التواصي والصبر، وعسانا نسمع وقد رأينا المستوى الذي وصل إليه المسلمون، عسانا نسمع الصوت المجلجل ينطق بالحق الواضح فيما يرتكبه الجاهلون، وهذا كتاب الله تعالى بين أيدينا يقول: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، فقد حكم بالكفر على من صرف لغير الله ما هو من اختصاصه جلّ وعلا من أنواع العبادة حتى ولو كان ذلك الغير (نبياً أو ملكاً)، وسؤال الميت وطلب المدد والغوث منه والنذر عند قبره أياً كان ذلك الميت، هو الشرك الذي نهى الله عنه وحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته، منه.. (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ).

والله المسئول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وينير لهم طريق الهداية بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

بدعة الزيارة الرجبية

إن انتشــار الوعي الديني بين الطبقات ووضوح الحق وبيانه، قد عملا بحمد الله على دفع المسلمين إلى الحرص على التمسك بشريعتهم والتحري في مطابقة ما يأتونه ويقومون به من قول أو عمل (لما كان عليه الرســول الكريم) صلوات الله وســلامه عليه، وصحبه رضوان الله عليهم، مما كان له أثره الكبير في تطوير العقــول والمفاهيــم. وأنــا إذ أقول هــذا لا أنفي وجود بعضــ المآخذ في حياتنا وواقعنا، والتي لا تصــدر إلا عن أفراد قلائل أتمنى وكل مخلص أن يطالعنا اليوم الذي يتبين لهم فيه بطلانها، ثم لا تجد من يشــجعها أو يبدي نحوها اهتمامه، حتى تتلاشى وتضمحل.. ومن هذه المآخذ ما نشاهده في كل عام تقريباً، وفي شــهر (رجب) بالذات من قيام البعض بالسفر إلى (المدينة المنورة) على أشكال مختلفة وبطرق مخصوصة، في زيارة تدعي لديهم (بالزيارة الرجبية).

وهي لا تســتند إلى أصــل صــحيح من الشريعة المطهرة، ولا أحسبها إلا من البــدع التي خلفتها عصــور الاســتعمار المظلمة.. والتي منيــت بها معتقدات المســلمين وشرائعهم، والتي يجب على كل مسلم أن يسعى جاهداً إلى تخليص مجتمعنــا منهــا وأن يحاول حصرها وتضــييق الخناق حولها، لأنــه لم يعد هناك بحمــد الله ما يبرر وجودها، وهو إذ يعمل ذلــك فإنما يؤدي واجباً دينياً يحتمه عليه دينه.

ولــن أتحدث الآن عــن بدعة (الزيــارة الرجبية) فقط، فأقول مســتمداً عون الله وتوفيقــه: هل جاء بالأمر بها والحث عليها دليل قطعي من كتاب أو ســنة؟ أو هــل عمل بها أحد الخلفاء الراشــدين؟. كلا.. وإنما هي كما أســلفت (بدعة

مســتحدثة) لا سند لها من كتاب أو سنة. أضف إلى ذلك أنه ليس هناك ما يميز شهر (رجب) عن بقية الشهور. وقد قال الحافظ في كتابه (تبين العجب بما ورد في فضل رجب) أنه لم يرد في شهر رجب ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة.

قال: وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ.

وقال الإمام ابن القيم.. (لم يصـم النبي صـلى الله عليه وسـلم الثلاثة الأشهر سرداً كما يفعله بعض الناس ولا صـام رجباً قط ولا اسـتحب صيامه، بل روي عنه النهي عن صيامه) رواه ابن ماجة. وقال في الباعث لأبي شامة ما ملخصه: (إن أبابكر الصديق أنكر على أهله صيامه، وأن عمر كان يضرب بالدرة صوامه ويقول: إنما هو شـهر كانت تعظمه الجاهلية). ولو وجدت بدعة هذه (الزيارة الرجبية) في عهدهم رضـي الله عنهم لأنكروها كما أنكروا صـيامه لحرصهم علـى بقاء هذا الدين سـليماً نقيـاً من كل شـائبة. أما إذا كان هـؤلاء يعظمونه لزعمهم أن (ليلة الإسراء) برسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كانت في السابع والعشرين منه، فمع أن الإسراء لم يقم دليل صحيح على وقوعه في ليلة معينة من شهر معين، فإن الاحتفال بهذه الليلة أو إحياءها بصلاة أو ذكر (بدعة مذمومة).

قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة في إحياء ليلة سـبع وعشرين من شـهر رجب وأمثالهـا (فهذا غير مشروع باتفاق أئمة الإسـلام كما نصـ على ذلك العلماء المعتـبرون ولا ينشـئ مثل هـذا إلا جاهل مبتدع) هذا مع أنـه لا يخفى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من النهي العام عن شد الرحال، الذي لم يستثنِ منه إلا المسـاجد الثلاثة، لما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تشـد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد

الأقصى)، حيث لا نزاع في جواز السفر إلى مسجده وشد الرحال إليه، ولكن لا يجوز شد الرحال لزيارة (قبره صلى الله عليه وسلم) للنهي العام في الحديث الذي سبق ذكره، وهذا لا ينافي مشروعية السلام عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه بعد الصلاة في مسجده وزيارته لمن كان بالمدينة، مع وجوب الفرق بين الزيارة الشرعية التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين الزيارة البدعية التي لم يشرعها بل نهى عنها، مثل اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، والصلاة إلى القبر واتخاذه وثناً وسؤال الميت قضاء الحاجات وغيرها مما هو من اختصاص الله وحده.. وهذه المساجد الثلاثة شرع السفر إليها لعبادة الله تعالى فيها بالصلاة والقراءة ونحوهما.

السفر إلى القبور:

والسفر إلى القبور إنما يقصد به من يقصده (للعبادة) والعبادة: إنما تكون بواجب أو مستحب، فإذا علم أن السفر إلى القبور منهي عنه لما ورد، كان فاعله على وجه التعبد (مبتدعاً ومخالفاً) والقائم بهذه الزيارة الرجبية حتى وإن كان قصده بشد الرحال زيارة (المسجد النبوي) فإن تخصيصه شهر (رجب) واتخاذها فيه عادة (بدعة لا أصل لها). وقد جاء عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه قوله: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، (ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).. والسلامة لا تتحقق إلا في التقيد بما جاء عن الله تعالى وعلى لسان نبيه صلوات الله وسلامه عليه، إذ مدار التوحيد على عبادة الله وحده لا شريك له وألا يعبد إلا بما شرع. والشريعة جاءت كاملة لا تتحمل الزيادة ولا النقصان لأن الله تعالى يقول فيها:

(الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْـلاَمَ دِينًا) وفي حديث العرباض بن سـارية: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب فقلنا يا رسـول الله كأنها موعظة مودع فأوصـنا، قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضـوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور وإن كل بدعة ضلالة). وقال ابن الماجشـون سـمعت مالكاً يقول: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمد صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله تعالى يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً).

قبول البدعة اتباع للهوى:

والميـل إلى قبول البدعة والعمل بها ليـس إلا اتباعاً (للهوى) لأن العقل إذا لم يكـن متبعاً للشرع لم يبق لـه إلا الهوى، وقد قال تعالى: (يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِـلَّكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِـلُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَا نَسُـوا يَوْمَ الْحِسَابِ) فالحكم محصور في طريقين لا ثالث فهما: الحق والهوى، قال تعالى: (وَلَا تُطِعْ مَـنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَـهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) و(وَمَنْ أَضَـلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَـوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِـنَ اللَّهِ). ولا يعدو المبتدع أن يكـون متبعاً لهواه دون هدى الله، وقـد عبرت الآية الكريمة عنه، بالمبالغة في الضـلال وهدى الله: هو القرآن الكريم. والسـنة النبوية (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أي لا يهديه أحد إلا الله.

ومن الحكم الجليلة في بعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم قطع الحجة من البشر على ربهم إذ بمجيئهم لم يبق لأحد (حجة) يتعلق بها. (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)، (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

والصراط المستقيم: هو سبيل الله الذي دعا إليه (والسبل)، هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع. ويدل له حديث عبد الله بن مسعود قال: (خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً) ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: (وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ هذه الآية.. (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). وقال مجاهد: (لا تتبعوا السبل أي البدع والشهوات). وأخرج ابن وهب عن مجاهد في قول الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ).. ويقول ما قدموا من خير وآثارهم التي أورثوا الناس بعدهم من الضلالة). وخرج ابن وضاح عن ابن عباس رضي الله عنه (ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن). وعن الفضيل ابن عياض (اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين).

وبعد فأداء لواجب النصيحة المأمور بها وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) قمت بكتابة هذا البحث، راجياً من الله تبارك وتعالى الثبات على الحق والهداية إليه، والله الموفق.

زيادة ماء زمزم (خرافة) لا تصدقوها

لعلك سمعت من يقول إن ماء بئر (زمزم) يعلو ويزداد ليلة النصف من شعبان، ولعلك وجدت من يدافع عن هذا الزعم ويحاول تقريره، إن لم تكن كذلك فأنا وجدت ذاك القائل، وهو -بحمد الله يمثل الأقلية من العامة التي لم تحظ بقسم وافر من المعرفة والدراية.. وكان حسن الظن بي، فجاء عارضاً قوله (ولا أقول رمحه) يطلب مني إجابته عما يعتقده من زيادة بئر زمزم ليلة النصف من شعبان، وكان حديثاً طويلاً قد لا يهم القارئ الاطلاع على كامله لكني قلت له: هات برهانك. فقال لي: سمعته ممن أثق به، فقلت له إن كان قائل ذلك يحتل مكان (الثقة) منك فقد كذبك وأوهمك، فالماء ببئر (زمزم) لا تطرأ عليه زيادة وقد خدعك من نقل لك زيادتها تلك الليلة أو غيرها - إنك تجني على نفسك حينما تجعل منها (بوقاً) ينقل الأوهام والمزاعم، وكان الأحرى بك أن تمتنع عن التصديق حتى تجد ما يحملك على الاقتناع.

فقال لي وكيف أقتنع؟ قلت له: طالب مصدر الإشاعة بما يثبت صحتها، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتل مكان (الذروة) في الإقناع والتأييد بعد كتاب الله تعالى، فهل لديه منها ما يؤيد زعمه؟ أو من قول صحابة رسول الله رضوان الله عليهم وقد قضوا جزءاً من حياتهم المباركة في رحاب بيت الله المطهر، وأعلم منا بفضائل بئر زمزم وما يلابسها من تطورات؟ ثم زيادتها هل كانت منذ القدم وفي عهود الإسلام الأولى ولم يتحدثوا لنا عنها، وهم قد أوضحوا لمن بعدهم كل مدلهم، وأناروا لهم كل مظلم؟ أم هي طارئة جاءت في العصور التالية؟ وسوف يعجز ولا يجيب لا لشيء إلا لأنه لا يجد ما يؤكد أو

حتى يشير إلى هذه الظاهرة المزعومة؟ هذا مع أن الواقع الملموس يكذبها وينفيها ويعلــن بطلانها – وبدا لي أنه اقتنع.. وكانت مناسـبة طيبة أتحدث فيها لمن يظن صحة هذه الظاهرة.. إنها (خرافة) عارية عن الدليل، ومغايرة للواقع والمشاهدة – فالماء ببئر زمزم ثابت لا يزيد كما يصورون، وتخصيصهم تلك الزيادة في ليلة معينة (وهم آخر باطل) لا أساس له.

ونحن بحمد الله في عصر يتسم بسعة المدارك وتنوع المفاهيم والوعي الديني، بدا واضـح الأثر في الطبقات المختلفة، وبدأنا نشـعر – من الكثير برغبة صادقة في البحث عن الحقيقة المجردة عن الوهم والتضليل ليقفوا بها على شاطئ اليقين والمعرفـة. وتحررت العقول من قيودها، والنفوس مـن أوهامها، ورأينا من كان بالأمس يعتقد صـحة كل ما يلقى إليـه دون أعمال عقله وفكره، ودون المطالبة بمـا يؤيـده ويثبته.. رأينـاه اليوم وقد بدأ ينتصر لضـميره وكرامته وعقله سـاعياً للكشـف عن الحقيقة قبل أن يحجبها ظلام الوهم والخداع، وهل هذا إلا بداية موفقة لانتصـار الحق على الباطـل، واليقين على الشـك، والحقيقة على الوهم والخيـال! قد يقول البعض إنني أمعنت في التفـاؤل! ولكنها بحمد الله (ظاهرة ملموسـة) محمودة نتمنى علـى الله أن يكتب لها (التأييـد) والبقاء لنراها حقيقة ماثلة غالبة.. وقد يكون – ممكناً– أن يتجاوز كل (إنسـان) عن خديعته في ماله وما تحت يده.. ولكنه لو فعل ذلك – وأنت تمارس تلك الخديعة على حسـاب عقله وتفكيره يكون قد انحدر بنفسه إلى مستوى التبعية الفاشلة الحقيرة.. راغباً بنفســه عن المســتوى الكريم الذي رفعه الإسـلام إليه وأنار له طريق السير فيه – وغير محسن لنفســه بما ارتضاه لها من مستوى (لا يشرفها) وهل العقل الإنساني – إلا موهبـة جليلـة – أنعم الله بها على عباده وأمرهم باسـتغلالها والانتفاع

بمزاياها ليكون هذا طريقاً للوصــول إلى الحــق وإلى الإيمان بالخالق الواحد المنزه عــن الند والشريك، والتصــديق بما جاء عن النبي صــلوات الله وســلامه عليه.. (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْــلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْــرِ بِمَــا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّــمَاءِ مِنْ مَــاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّــحَابِ الْمُسَــخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ومن الخســارة الفادحــة أن تظل العقول مكبلة في قيودهــا وأغلالها – ولا تحقق الحكمة الكريمة من تمييز البشر بها في معرفة الله تعالى والوصول إلى الحق وطلبه والتعاون على نصرته وإقراره.

ولأعد إلى موضــوع (حديثي) وأقول إنه لا يوجد أصل صحيح يؤيد ما يقال عــن الزيادة التي تطرأ على مــاء زمزم تلك الليلة أو غيرها، وهو قول محدث يمثل الوهــم وتأثــيره على عقول الدهماء وأفكارهم، ولا نجد عاقلاً يقرر على نفســه رؤيتها – ولكنها خرافة توارثها الناس دون أن يحكموا فيها عقولهم وأفكارهم وتعالوا نتســاءل عن كيفية تلك الزيادة، لقد كان فيما قرأت عن ذلك: (أن عيناً تسمى عين سلوان) تتصل تلك الليلة ببئر زمزم، لذا يزيد ماؤها ويحلو ولا أجد ما أعلق به على هذا القول وهو يســتخف بعقول الناس وأفهامهم ويريد قائله – وقد جنى منه ما هدف إليه من كسب مادي ومعنوي – يريد من سامعه أن يهبط إلى مســتواه في الفهم ليصــدق ما يقول.. إن ما قيل عنها لم ينته بعد فلقد قرأت: أن الزيادة تفيض منها البئر ولكن لا يشاهد تلك الزيادة إلا العارفون).

وإن كل عاقل مطالب – اليوم – بتحكيم عقله وموهبته الفكرية في هذا الهراء من القول والذي أظنه لضــعفه لا يحتاج إلى تفنيد – إنها مهزلة مضحكة أسوق هــذا الحديث عنها، وأعتقد أن الغالبية يرتفع بها مســتواها من الفكر والإدراك

عن تصديقها ولكنه موجه لمن تقبلها عن جهل أو حسن ظن.. وإني وإن كنت في غنى عن الاستشهاد والتدليل على بطلان هذه المزاعم إلا أنني أورد هنا ما كتبه أبو الحسين بن جبير الأندلسي عن هذا الموضوع في رحلته حيث قال: (وبكر الناس إلى القبة وكان فيها من الازدحام ما لا يعهد مثله) ثم قال: (والناس يستزيدون ويبكون والنساء يساجلهم البكاء والصبيان يضجون بالتكبير) ثم قال: (ومن العجيب أن كان منهم من قال إنه بكر سحر يوم الجمعة المذكور فألقى الماء قد قارب التنور بنحو القامة، فيا عجباً لهذا الاختراع الكاذب نعوذ بالله من الفتنة. وكان من الاتفاق أن اعتنينا بهذا الأمر لغلبة الاستفاضة التي سمعناها في ذلك واستمرارها مع سوالف الأزمة عند العوام، فتوجه منا تلك الليلة من أدلى دلوه في البئر المباركة إلى أن ضرب في صفح الماء وانتهى الحبل إلى حافة التنور وعقد فيه عقداً يصح فيه عندنا القياس به في ذلك. فلما كان في صبيحتها وتنادى الناس بالزيادة – الزيادة الظاهرة – خلص أحدنا في ذلك الزحام على صعوبة ومعه من استصحب الدلو وأدلاه فوجد القياس على حاله لم ينقص ولم يزد. بل كان من العجب أن عاد القياس ليلة السبت فألقاه قد نقص يسيراً لكثرة ما امتاح الناس منه ذلك اليوم) ثم قال: (وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه تتبعنا هذا القياس استبراء لصحة الحال فوجدناه على ما كان عليه – نعوذ بالله من غلبات العوام واعتدائها وركوبها جوامح أهوائها) انتهى كلامه.

وفي ختام حديثي أرجو الله لنا جميعاً توفيقاً دائماً يعصمنا من الزلل والانحراف.

هذا الدين: واجبنا نحوه

إن الدين الإسلامي يمر اليوم بمرحلة حاسمة من تاريخه المجيد المشرق الصفحات، وليس ذلك لأنه لم يحقق رسالته السامية في انتشال الخليقة من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن مهاوي الزيغ والضلال إلى مرتفعات الهداية والتمكين، فلقد حققها كاملة واضحة، ولا أظنني بحاجة إلى التدليل فلقد سطعت أنوار الدعوة الإسلامية الكريمة من هذا البلد الأمين، مبعث سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه وحمل خلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم الأمانة الكريمة بعده كأحسن ما يكون التحمل، واستطاع هذا الدين أن يجعل من أتباعه والصادقين في اعتناقه قادة الخلق وهداة البشرية وقدموا للخلائق الزاحفة منذ قرنهم المبارك إلى قيام الساعة الأنموذج الرفيع للمجتمع الإسلامي الكامل، الذي تركز فيه النفوس، وتصفو فيه القلوب، والذي تسيطر على أفراده روح الألفة، ويغمرهم شعور المحبة والأخوة الخالصة الخالية من الأغراض والمطامع، والذي يقف فيه المسلمون صفاً واحداً منيعاً للحفاظ على دينهم، وعزهم وشرفهم، والذي سما بالنفس البشرية عن درك الأنانية والشحناء والتقاطع، إلى صعيد الإنسانية والتسامح والصلاة الرحيمة (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) والذي يأخذ بيد المظلوم حتى يرد إليه ظلامته، ويقمع الظالم حتى يرتدع عن ظلمه أو يلقى جزاءه، والذي أحكم الروابط والوشائج بين أفراد المسلمين، وجعل لبعضهم على الآخر حقوقاً وواجبات من شأنها إحكام الصلة بينهم وتمكين القناعة والطهارة

في نفوسـهم (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). وفي السـنة النبوية (من غشنا فليس منا). وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله، قال: إن شراركم الذي ينـزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده، أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال: الذين لا يقيلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً، قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره. قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال: من يبغض الناس ويبغضونه).

وكان الرعيل الأول رضوان الله عليهم المثال الصادق على مدى نجاح الإسلام في أداء دوره (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ). ثم توالت العصور التي كانت ترتفع فيها بين الحين والآخر أصوات الدعاة المخلصين وأئمة الهدى، وكانت الدعوة الإسلامية بين مد وجزر تبعاً لنشاط دعاتها أو تهاونهم. والشيء الذي لا يمكن تجاهله أن الإسلام قد حقق بتعاليمه سعادة البشرية وفلاحها، وما زالت تلك السعادة والفلاح في متناول أيدي أتباعه إذا حاولوا اقتفاء الطريق الذي سلكه سلف هذه الأمة. ولكن الذي حدث أن عزة المسلمين استحالت ذلة، وقوتهم ضعفاً، واجتماعهم فرقة، وأصبحوا القمة سائغة لعدوهم المتربص بهم والذي وجد فرصته السانحة في بسط نفوذه العاتي بعد أن كان يسعى بكل وسائله إلى صرف المسلمين عن الاستمساك بدينهم

الـذي يكفل لهم الغلبة والقوة والحماية، والسـهام التي يوجهها خصـوم الإسلام إليه بغية إخماد نوره، والقضاء على تعاليمه تنطلق من كل مكان، لأن ظهور الإسـلام وانتشـاره يعينان على القضـاء علـى مطامعهم وكبح جماح نفوسـهم المريضة، وبقي المسلمون – إلا قلة كثيراً ما يدرك محبوهم أن طريقتهـم تحتـاج إلى تطويـر وتنظيم – بين من ضـعف فيهم الشـعور بإخلاص لدعوتهـم والصـدق في نشرها والصـبر عليهـا، وبين جموع بهرتهم الأضـواء الكاذبة الخادعة – واسـتولى على نفوسـهم باطل الحياة وعاشـوا في دنياهم – كما أراد لهم أعداؤهم – في تطاحن مادي غريب، وإعراض عن كل القيم الروحية حتى وجد من ينتسـب إلى الإسـلام وهو يجهل أبسط أهدافه وحقائقه.

إن دين المسـلم هو كنزه الثمين الذي تجـب المحافظة على وجوده حتى ولو دفع ثمناً لذلك حياته التي تربطه بدنياه – هذه هي الحقيقة التي يجب ألا نتحـول عنهـا قيد أنملة – ولا أحسـب مشروعية الجهاد ترمي لسـوى المحافظـة على الدين وإعلاء كلمة الله ونشرها، والمسـلم حينما يستبسـل في الدفـاع عن دينـه وحمايته فإنما يحمي كيانه وبقـاءه وهو على خير في حياته وموته (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَـوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًـا). والإسـلام اليوم – كما أسـلفت – يجتاز مرحلـة حرجة، فلئن كان دائماً هدفاً لسـهام أعدائه يتخذون لهدمه كل طريق، ويسـلكون إلى إضـعافه كل سـبيل، فلقد سـمعنا من ينادي علانية بنفي الأديان والتحرر منها ويسعى لهدمها وتشويه تعاليمها.

وليست المبادئ الإلحادية التي يعوي بها أصحابها إلا النذير لكل مسلم بأن دوره العملي قد أقبل، وأنه أضحى مطالباً وملزماً بتجديد صلته بدينه وعلاقته به، والكشف عن مواطن قوته وحسنه لتمتلئ نفسه إيماناً ويقيناً، فلا يقوى الباطل على حقه، ولا يطغى الضلال على هداه، وليكون مستعداً للتضحية والبذل ليحقق معنى الإسلام والمستوى الذي يجب أن يصل إليه كل مسلم تحيط به عواصف هوجاء تبغي القضاء على أثمن ما يمتلك، وسبيل ذلك اتباع تعاليم الدين الحنيف والمحافظة عليها، والاقتداء بما جاء به نبينا صلوات الله وسلامه عليه قولاً وعملاً (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)، (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ)، (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ). إن كل مسلم يتعرض اليوم لابتلاء قاس في دينه ومعتقده، ولن يجتاز هذا البلاء المرير إلا من عصمه الله وكان على بصيرة من دينه وأوثق الصلة التي تربطه بخالقه.

(من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ولكن عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ).

أرأيت يا أخي لو اضطررت إلى قطع مفازة مخوفة فما الذين تفكر فيه قبل إقدامك على ما اضطررت إليه؟ إن المنطق الطبيعي يقول: إنك ستسعى جاهداً في تحصين نفسك بالرفيق والسلاح لتأمن الخوف، متيقناً عدم إمكان مجاوزتها بدون ذلك، وحسناً تفعل، وهو كشبيه موجز لحياتك يا أخي المسلم، المحفوفة بالمخاطر والمزالق من شهوات غالبة، ونفس أمارة

بالسوء، وفتن كقطع الليل المظلم وامتحان من الله لك في مالك ونفسك وولدك، وباطل يجادل عنه أصحابه، وحق غلب أصحابه على أمرهم، وأنت بين هذه التيارات لا تكاد تخلص من مأزق إلا لتقع في آخر تتلمس النجاة، وطريقها في الاعتصام بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وامتثال ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يدع خيراً إلا دل الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرها عنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)، وقال صلوات الله وسلامه عليه (لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي). إن واجبك يا أخي أن تسعى لتمكين عقيدتك من نفسك وقلبك غير مكتف بترديد مدلولها، إنك حينما تقف قانعاً من دينك بالانتساب إليه غير عابئ بالتزود من معينه الذي لا ينضب، وغير مكترث بمعرفة حقيقته، ومبادئه الثابتة حينما تفعل ذلك يكون مثلك كمثل المندفع إلى المعترك الدامي بسلاح يجهل استخدامه ومزاياه، إنه لن يجديه نفعاً وحتى قد يدفع به فضوله إلى إتلافه متى حاول استعماله ولسوف يكون آخر الشوط هدفاً لسهام أعدائه وخصومه.

أيها القارئ الكريم: إن رغبتي في الحديث إليك بإخلاص وصدق تدفعني إلى المزيد، وخشيتي من الإطالة تصرفني عما أردت، لكني لا أزال على أمل مشرق أنك ستتعاون معي على فهم رسالتنا الحقيقية والحرص على بلوغها بهمة وعزم، والله يوفقنا جميعاً، ويحمي بالإخلاص أقوالنا وأعمالنا.

(النعمة) بين البقاء والزوال

نحـــن أمة شرفنا الله بالإســـلام، وارتضـــاه لنا ديناً.. وأكمـــل علينا النعمة فهدانا لتوحيده وإخلاص العبادة له (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا) وأبدل خوفنا (أمناً) وارفاً يســـير فيه الراكب الأعزل من أقصى الجزيرة إلى أقصاها لا يخشـــى إلا الله، وأحـــال فرقتنا واختلاف نزعتنـــا وأهدافنا إلى (رابطة) متماسكة قوية البنيان عميقة الجذور. أساسها وحدة العقيدة واتحاد المبدأ..

وفضلنا على كل أقطار الإسلام وممالكه بامتثال هدى الله في تحكيم كتابه وسنة نبيه عليه السلام. نرتضي حكمهما ونطمئن إلى هديهما.. وأمم كثيرة غيرنا ضـــاقت بها وعليها ســـبل العيش ومسالك الحياة، فلسنا نراها إلا في ناضـــب المورد وضيق المجال، ونحن بحمد الله في واقع من اليسر والنعمة يغبطنا عليه الكثيرون.

حقائق ملموســـة لا تحتمل الشـــك.. (ومنن وأفضـــال) تتطلـــب منا بالغ الرعايـــة وكـــريم العرفـــان. (والنعمة) قد يســـتدرج الله بها عبـــاده ليبلوهم أيشـــكرون أم يكفرون. وقد يعم بها من ضـــل منهم ليـــزدادوا إثماً.. وإذا أنعم الله على عباده فهداهم لدينه القويم وتابع عليهم فضـــائله، فاســـتقبلوا وفـــد النعـــم بشـــكر المنعم والثنـــاء عليه بما هـــو أهله، كان ذلـــك من أقوى الأســـباب لاســـتمرار النعمة ودوامهـــا، لأن الله قد وعد الشـــاكرين لنعمه بزيادتهـــا وبقائها. ولها (حقوق) لن يســـتطيع المخلـــوق أداءها لعجزه عن حصرها وتعدادها.

ولها (عبودية) صورها الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: (وأما عبودية النعم فمعرفتها والاعتراف بها لله أولاً، ثم العياذ به أن يقع في قلبه نسبتها وإضافتها إلى سواه، وإن كان سبباً من الأسباب فهو مسببه ومقيمه، فالنعمة منه وحده بكل وجه واعتبار، ثم الثناء بها عليه ومحبته عليها، وشكره بأن يستعملها في طاعته، ومن لطائف التعبد بالنعم أن يستكثر قليلها عليه، ويستقل كثير شكره عليها، ويعلم أنها وصلت إليه من خالقه من غير ثمن بذله فيها، ولا استحقاق منه لها، وأنها في الحقيقة لله لا للعبد، فلا تزيده النعم إلا انكساراً وذلاً وتواضعاً ومحبة للمنعم المتفضل، وكلما جدد له نعمة أحدث لها عبودية ومحبة وخضوعاً وذلاً) ا.هـ.. كلامه..

ولها واجب: أن نرعاها فلا نقابلها بما ينهى الله عنه، ونصونها فلا نحاول استدامة بقائها بكفرانها وإهمال الثناء على الله بها.

ومن كفرانها: أن نقابل دورة الأعوام بها بما لا يرتضيه المنعم المتفضل. (والنعمة) لا تستقيم بغير شكر (والشكر) اعتراف، وحمد، وعمل، اعتراف بالنعمة، وحمد الله عليها، وعمل لبقائها ودوامها.

وكل نعمة لا تقابل بهذه الحقائق يعرضها أصحابها للزوال والتحول.. وبعد زوال النعمة يبدو أثرها واضحاً وذكراها أليمة.

رأي صريح في التدخين

لم أجد تعبيراً أدق ولا أصدق من التعبير الذي أطلقه الطبيب صبري القباني في سلسلة كتبه الطبية على (التدخين)؛ إذ عنون للحديث الذي يتناوله بقوله: (التدخين ذاك القاتل المهذب)، بعدها أخذ يشرح في أسلوب علمي بسيط تلك الأضرار التي يلحقها هذا القاتل بالجسم.. وسمعنا قبله، وسنسمع بعده وحتى يرث الله الأرض ومن عليها (أطباء) آخرين. يرفعون أصواتهم محذرين ومخوفين من هذا العدو القاتل. وعجب إجماعم وحتى متعاطيه منهم على ضرره وشدة فتكه رغم اختلاف أقوالهم غالباً في الحالة المرضية الواحدة.

ولست بمستطيع في هذا الحديث العابر استقصاء الأقوال التي جاءت على ألسنة أولئك ولا حتى بعضها. ولكن أحداً منهم لم يقل إنه لا يحمل ضرراً أو أذى، بل قالوا إنه إن لم يكن سبباً مباشراً للمرض فهو يضعف مقاومة الجسم له ويعين على استفحاله. وكان أول ما يطالب به الأطباء مرضاهم مهما كان نوع مرضهم الامتناع نهائياً عن التدخين، وسمع الناس خاتمة المطاف فيه بما أعلنته الدوائر الطبية الغربية من علاقته - بسرطان الرئة - وأيدوا قولهم بحقائق ملموسة، إذ قالوا إنه ثبت بما لا يقبل الشك أن نسبة الإصابة (بسرطان الرئة) تكثر بين المدخنين بينما هي لا تكاد توجد لدى غيرهم - وهذا الداء - كتب الله لنا جميعاً الوقاية منه - لا يزال رغم تقدم الكشف العلمي كاللغز المحير لم يستطع له الأطباء علاجاً أو مقاومة - وما حيرتهم إلا دليل مادي قائم بنطق يعجز الإنسان وضعف حيلته أمام قدرة الله وإحاطته.

وقالوا بعدها إن نسبة (المدخنين) قد انخفضت، لكن لتعود.. وهو واقع مرير يقاسي المصلحون من وطأته وقسوته ويدفع إلى الدهشة والحيرة.. وإلا فكيف تفسر هذا الإجماع على تعاطيه وهو يحمل كل هذه الأضرار؟

المدخن يمتاز بثلاث!

وقرأنا منذ شهور في (يوميات الندوة) مقالاً للطبيب حسني الطاهر تحدث فيه عن أضرار هذا التدخين على (القلب) وكيف أن شرايينه التي تحمل منه وإليه ينابيع الدم يجري بالحياة كيف أنها تتأثر وتنكمش من جراء تعاطيه مما يؤدي في النهاية إلى الوفاة.

وتحضرني بهذه المناسبة (فكاهة) تعبيرية صادقة مضمونها: أن المدخن يمتاز بثلاث، فهو لا يشيب رأسه، ولا ينهشه كلب، ولا يدخل اللص داره.

ولها تفسير قالوا عنه: أنه لا يشيب منه الرأس لأنه غالباً ما يقضي عليه الدخان قبل بلوغه سن الشيب، ولا ينهشه كلب لاستصحابه عكازه كنتيجة لعجزه وضعفه، ولا يدخل اللص داره لأنه يقضي ليله في نوبات لا تنتهي من السعال يتعذر معها اقتحام اللص داره! فهي كما ترى ميزات ضاحكة لكنها تحمل معنى العبرة والعظة. ولو رأينا شخصاً سليم العقل يتناول مادة ملتهبة محرقة ويدفع بها إلى جسمه، فبماذا نعبر عنه؟ أنا إن أحسنت به الظن لا أراه إلا (منتحراً) وهل ظلم الإنسان نفسه بأكثر من سعيه في إتلافها؟

إن الشرائع السماوية وتعاليم السنة الكريمة جاءت كلها لهداية البشرية وإسعادها، ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه لكمال رحمته بأمته ورأفته

بهم أبان لهم طرق الخير، وأوضح لهم سبل الحفاظ على الصحة، فندب إلى الصوم كوسيلة للصحة حيث يقول (صوموا تصحوا) وقال أيضاً: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) وأذن في التداوي وأباح الأخذ بالأسباب المشروعة، وقد أودع الله جل وعلا في الإنسان (عقله) ليميز به الخير من الشر والنافع من الضار.

ولو رأينا من يقبل على ما يجلب الأذى لنفسه، فإنا نحكم عليه بتعطيله موهبة الخالق التي أودعه إياها، وهي تحكيم عقله وفكره. (لعلك تقول): (يا قارئي) إنها عادة استحكمت وتأصلت فلا يستطيع الناس عنها هرباً ولا منها انفكاكاً.

وأقول لك: لعلها كذلك: ولكن من قال إن العادة غير قابلة لتغيير أو إزالة؟ هي ليست عادة تأصلت فعز الهرب منها لكنها (إرادة) ضعفت وعزيمة فقدت.

ومقال الدكتور حسني الذي سبقت الإشارة إليه يستحق مني عوداً، فهو صادق ومخلص، أكد أقواله فيه بحقائق واقعة ملموسة، حيث قال: إن هناك أطباء شهد لهم بالبراعة كانوا أسرى لهذه العادة الممقوتة، فأورثتهم أعراضاً مرضية منها ضيق أوعية الدم وشرايينه.

وقال: إننا افتقدنا أطباء قضى عليهم استسلامهم للتدخين، وأنه نصح زميلاً له بدأت أعراض المرض تبدو عليه، فانتصح وأقلع عن التدخين فبدأ يستعيد نشاطه، واختتمها بنصح قرائه والمدخنين منهم بسرعة الإقلاع حرصاً على حياتهم وصحتهم.

لا ضرر ولا ضرار

ولن أطيل في ذكر أضراره الصحية لأنها لشهرتها واقتناع العقلاء بها غنية عن الإعادة والإيضاح.

لكن لا بد لي من الإشارة إليه من الناحية الدينية، حيث قد قال بعض محققي العلماء بتحريمه، واستدلوا على أقوالهم بأدلة التزامية وأخرى لها صيغة العموم. وأوضحوا آراءهم وبسطوها في رسائل ألفت لهذا الغرض بوسع القارئ مطالعتها، لكنه وقد وضح ضرره واستبان أذاه مندرج تحت قوله صلوات الله وسلامه عليه: (لا ضرر ولا ضرار) وهناك ما يستحق الإبانة والتأمل: وهو ما ينفقه المدخن في شرائه بصفة يومية ومستمرة، فنحن نشاهد من اعتاده غير مستطيع السلو عنه بل قد يفتتح الشخص يومه وقبل أن يتناول إفطاره بسيجارة يشعلها، يدفع بهوائها إلى رئتيه قبل أن يصافحها نسيم الصباح، ثم لا تكاد تفنى على شفتيه حتى يدفع بيده باحثاً عن أخرى ليشعلها، وتظل (الرئتان) في صراع دائم مع المادة السامة: (النيكوتين) والتي تشكل جزءاً كبيراً من محتويات كل سيجارة. وينتهي هذا الصراع غالباً بهزيمتها واستسلامهما للمرض والألم.

إن ارتفاع مستوى المعيشة في بلادنا واعتدال دخل الفرد يجعل التوفيق بين الاستمتاع بلذائذ العيش المباحة وضرورات الحياة، وبين الحفاظ على المظهر والمكانة الاجتماعية أمراً (صعب المنال)، ولكن ما الذي يصنعه من تمكنت منه عادة التدخين فلا يملك إلا أن يمارسها ولو على حساب مأكله وقوت أولاده؟

إن واقع الحياة يرينا أن ما يصرفه الشخص في شراء (الدخان) يومياً يكاد يقرب من ثلث ما يدفعه في شؤونه الأخرى وقوته وقوت أبنائه وكسوتهم، ومن ثم تسوء حالته الاقتصادية ويلجأ إلى الاستدانة ولكن إلى متى؟ وهل هو مستطيع التخلي عن عادته؟ كلا فهي تلاحقه وتفرض وجودها عليه.

ولو خانه الحظ فعدم عمله بسبب أو غيره، بات مستلهفاً على إشباع رغبته من التدخين قبل تلهفه على قوته وأطفاله.. ولقد وجدت يوماً عاملاً فقيراً لا يكاد يكفيه أجره لقوته وقد انتحى جانباً ليشعل سيجارته، فقلت له بكم اشتريت هذا؟ فقال: إنه يدفع فيه كل يوم نصف ريال، فقلت له: وما فائدتك منه؟ فدهش وكأنه لم يكن يتوقع هذا السؤال وقال: إنها عادة لا يستطيع الخلاص منها.. ولما أوضحت له شيئاً من أضراره وحاجته إلى صرف تلك النقود اليومية فيما يعود عليه بالنفع والخير قال لي: صدقت ولكنني لا أستطيع تركه.. فتركته وأنا أتلهف على اليوم الذي أجدنا فيه قد تنبهنا لهذا الخطر الكامن واستبنا الرشد في أمره..

كم تدفعه.. كل يوم؟

بقيت يا من تمثل الطبقة المتوسطة فلي معك تساؤل وعتاب، فكم تدفعه كل يوم ثمناً لسجائرك وفي سبيل من تدفع ذلك الثمن؟ إنك تدفعه وغيرك لتساهموا من قريب أو بعيد في إقلال موجود بلادكم من العملة الصعبة بتصديرها على هيئة أثمان خيالية لشركات السجائر في أوروبا وأمريكا عن طريق باعتها ووكلائها. ووطنك اليوم يجتاز طوراً حاسماً يتمثل فيه حرص المسئولين على بناء كياننا الاقتصادي على أسس سليمة، ويستدعي

التضـامن الوثيق لبلوغ الغاية المنشودة. وما يدفعه الفرد متى اكتسب صفة العموم لاشك مؤثر في الكيان النقدي العام.

وتعالوا نبحث المشـكلة من وجه آخر: فكان للمملكة السـعودية نحو (ثمانية ملايين نسمة) وعدد الذين يمارسون (التدخين) يمثل (مليوناً) واحداً فقط على أقل تقدير! ولهذا المليون لا بد له من شراء سجائر يومية، ولا بد له من دفع نقود كثمن لتلك السجائر فكم يدفع الفرد؟ دعنا نقل إنه يدفع في المتوسـط (ريـالاً) كل يوم إذ المعروف أن هناك من يدفع ضعف هذا المبلغ، فالمنصرف اليومي بهذا الاعتبار (مليوناً) من الريـالات السـعودية كل يوم، وهو بالغ في الشـهر (ثلاثين مليوناً) وفي العام (ثلاثمائة وستون مليوناً من الريـالات) أرأيت معي كيف أننا ننفق كل عام هذا المبلغ الضـخم لحساب شركات اسـتعمارية ظالمة مقابل ضرر جسـماني محقق؟ أليست بلادك أيها القارئ الكريم بحاجـة إلى تلك المبالغ الطائلة لإنعاش الحركة التجارية؟.. والإبقاء على رصيدها من العملة الصعبة.

إن هـذا الرقم قد يصـل إلى الضـعف لما نشـاهد من شـدة الإقبال على التدخين وارتفاع أسعاره وتنوع أحجامه وأشكاله.

حمى الإعلانات المخادعة

ولا أظـن عاقـلاً تخدعه تلك الدعايـات التجارية الكاذبـة من (وكلاء) استهدفوا توزيع أكبر كمية يومية من هذه السجائر ليقاسموا صانعها ثمنها كعمولة تجارية مسـتحقة، وهم لا يخدعون سـوى قصـير النظر، سطحي التفكـير ولكـي يحققوا أهدافهـم قالوا في أحـد إعلاناتهم عـن نوع من

السجائر (إنها حماية لصدرك) وهل هناك ما هو أبلغ من هذا التضليل، وهم قبل غيرهم يعلمون مجانبتهم للحقيقة فيما أعلنوه؟ ولم يقف مخلص ليقول لهؤلاء الوكلاء: (كفى اندفاعاً في حمى الإعلانات الخادعة فإن مصلحة الشعب والوطن تخالف اتجاهكم ومنهجكم)، ما وجدنا من يقول ذلك. لكنا وجدنا من يطالبهم بنشر إعلاناتهم في صحف الوطن كمساهمة في تشجيع تلك الصحافة، وجميل أن تجد الصحافة من التجار وأرباب الأعمال النصر والتأييد، ولكن غير جميل أن نطالب بالمزيد من مخادعة الشعب وتضليله وابتزاز ثروته وتدمير صحته. وهل الوقوف في وجه تلك الحملة للمصلحة المتحققة إلا هدف من أهداف الصحافة الكريمة؟

إن نشر إعلاناتهم بما تحمل من مزايا وهمية وإقامة المسابقات المغرية لمن يضرب الرقم القياسي في استهلاك الدخان أمر لا يتلاءم مع مصلحة مواطنيهم.

أنت تدفع للمستعمر

ولو رأينا من يشعل عوداً من الثقاب في أوراق (مالية) الواحدة تلو الأخرى، فهل نفسر عمله بغير الحمق والسفه؟ وتلك الملايين التي يدفعها أبناء الشعب أثماناً لسجائرهم هي الأخرى تذهب في غير ما يجدي، وليتها كانت كذلك فقط لكنها تعود إلى أيدي المستعمرين الطغاة (وإسلامنا وعروبتنا معهم في صراع لا ينتهي).. ففلسطين العربية قد منحها أولئك المستعمرون (وطناً) قومياً لشراذم يهودية دخيلة وأهلها والحديث عنهم محزن وأليم.. (لاجئون) في أكواخ حقيرة عرضة للجوع والموت والضياع غير، بعيداً عن مراتع صباهم، ومواطن أحلامهم..

(والجزائر) العربية المكافحة لا تزال تقدم كل يوم بل كل ساعة، المئات من الشهداء الأبطال دفاعاً عن دينهم وعروبتهم وأوطانهم.

(وعمان) وكل أوطان العرب والمسلمين التي انتزع المستعمرون قيادتها من أيدي أبنائها.. تشهد ظلم المستعمرين وقسوتهم وتجردهم من أبسط مظاهر الإنسانية والكرامة.. فهل يستحق منا أولئك الظالمون المستعمرون رصيداً من النقد مقابل ما دفعوا به إلينا من مواد سامة وملتهبة جملوا أوعيتها، وأحسنوا الدعاية لها؟ اللهم لا.. وهل هذا سوى إضاعة المال التي حذر منها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه بقوله (أكره لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال).

هل تتدخل الدولة؟

ولقد قال (أناس) عزّ عليهم هذا الواقع الأليم: لماذا لا تتدخل الدولة فتمنع استيراده لتساهم بدورها الحاسم في علاج هذه المشكلة؟

قلنا ليتها تفعل! لكننا نريدها نهضة إصلاحية شاملة تعتمد أول ما تعتمد على الاقتناع الفردي المنبثق عن التفكير الصائب والدراسة الفاحصة، إننا لم نفقد الأمل في نهضة من هذا النوع. إن كل مدخن يرغب ترك عادته لا يحتاج إلا لتجربة حازمة لإراته وعزيمته، ومتى صحت العزيمة، وقويت الإرادة أصبح الإعراض عن التدخين أمراً سهلاً وميسوراً.

وبين يدي وأنا أحرر هذا الحديث العدد الماضي من مجلة (قريش) وبها خبر يقول: (بلغ عدد السجائر التي صنعت خلال شهر مارس الماضي في ألمانيا الغربية (ستة آلاف مليون سيجارة).

تصور معي مرة أخرى ستة آلاف مليون سيجارة في شهر واحد وفي ألمانيا وحدها، إنها مؤامرة محكمة الأطراف على صحتك ومالك وتفكيرك، فما الذي تنتظره بعد هذا لتخرج من عزلتك وصمتك؟

إني ناقشت كثيراً من المدخنين عن سبب إقبالهم على التدخين؟ وكانت إجابتهم تكاد تلتقي في معرفتهم بأضراره وفي رغبتهم الأكيدة في تركه - لكنهم لا يستطيعون ذلك، فتبين لي أن الرغبة لا تكفي ما لم تتأيد بإرادة حازمة وعزم أكيد.

فما دمت تعلم أن لا فائدة من تعاطيه، وما دمت تحس بحاجتك إلى ما تدفعه ثمناً له، وما دمت تخشى ضرره على صحتك فما الذي تنتظر لتقضي على تلك العادة المذمومة؟

إنك لو صدقت العزم، وحافظت على موقفك وجدت أن ما اعتادته نفسك ولم ترده، يفارقك إلى الأبد ليترك في نفسك الشعور بقيمة عزمك وثمرة تصميمك، (ووطنك) يحتاج إلى عقلك وساعدك ودمك. وهل يأتي (التدخين) لك إلا ما يضعف تلك المواهب ويحطمها؟

إنني أتوجه إلى (العقلاء) ومن تنتظر منهم بلادهم أعمالاً وأفكاراً تدفع بها نحو التقدم والتطور. إنني أنصح هؤلاء بالتخلي منذ اليوم عن سلبيتهم وإعلانها حرباً سليمة مصلحة.. حرباً تحملنا على امتثال التعاليم الكريمة التي نادى بها نبينا صلوات الله وسلامه عليه في دفع الضرر، وحفظ الثروة، وحماية دخل الفرد.

تجربة ناجعة!

وسيقرأ هذا الحديث كثيرون ممن ألقوا التدخين ويهزون رؤوسهم ليقولوا: إن مجال القول أوسع من مجال التطبيق.. وأنا أقول لهؤلاء: اسمعوا ما دار بيني وبين أخ عربي مثقف عرفت فيه انهماكه في التدخين وتحدثت معه مراراً في ذلك فقال: إنه اعتاده ويستحيل عليه تركه.. ثم مضت سنوات ثلاث لقيته بعدها وبادرني بقوله: لقد تركت التدخين واستحال حبي له كرهاً ومقتاً. فلم أستطع كتم إعجابي وأنا أستوضحه القول، فقال لي: (لقد صحوت من نومي مبكراً كعادتي ذات يوم وأخذت يدي طريقها بحكم العادة إلى وعاء السجائر الذي كان يلازمني كظلي، وبدأت أشعل السيجارة الأولى، وقبل أن أبدأ في اجتذاب محتوياتها قلت لنفسي وأنا ألومها: وإلى متى سأظل أسير هذه العادة الممقوتة؟ ولحساب من أدفع كل يوم بهذا الجزء من دخلي ثمناً لهذه السجائر الملتهبة؟ ثمناً لدخان سام محترق؟..

وارتاحت نفسي لهذا اللوم وقلت وأنا أنظر إلى الأرض في عصبية: لابد أن أضع حداً لهذه المهزلة ولذا فلن أدخن بعد اليوم.. واتبعت حديثي بحركة سريعة انتزعت بها وعاء السجائر الممتلئ ومزقته، وكأني أودعه كل ما تفيض به نفسي من مرارة وأسى، وبحركة عصبية تركت مكاني لأشعر نفسي بما طرأ عليها من انتقال وتغير، ومضى بي يومي ذاك واستقبلت يوماً بعده، وفي موعدي نازعتني نفسي إلى مألوف عادتها، لكن إرادتي وكرامتي استيقظتا لتضعا الحد الفاصل بين الأمس واليوم.. ومرت الأيام وأنا أرى كل صباح يمر يزيدني ثقة بنفسي واطمئناناً إلى ما تتمتع به من إرادة وعزم وتصميم.. وبدأت أحس بقيمتها لأنها مكنتني من احترام

وعـدي، وإبرام تصـميمي. وتخيلت وأنـا أعقد العزم علـى ترك عادتي وكأني أقـف في مجموعة من الناس لأعلنهم بوعد أقطعه على نفسـي لهم، وقد جاءوا ليطالبوني بما وعدتهم به، واحترام الوعد وشرف الكلمة سمتان من سـمات النفس الإنسـانية الكريمة.. وعجيب أمري مع نفسـي، فلقد رأيتهـا تحـاول أن تفرض مرور هذا الدور علـى كل مقبل على هذه العادة ومنقطع لها فاستحال ذلك الحب والإعجاب إلى مقت وكراهية).

فشددت على يده مهنئاً وتركته، ورأيت نفسي تتجه بالدعوة في إخلاص وصدق إلى هذه التجربة الشيقة وشعوري بالتفاؤل والأمل يطغى على واقعي وحقائقي.. نعم: أدعوك أيها القارئ الكريم إلى تجربة إرادتك وعزمك، وأنا أكاد أجزم بنجاح هذه التجربة لمن صدقت منه الرغبة، وصح منه العزم.

تذكر أيها المدخن

ولا أدعوك لشـاق أو عسـير لكني وأنا – أؤمن بجدوى المصـارحة في ميادين الإصـلاح، أقول لـك إذا كنت غير مسـتطيع القيام بهـذا الدور الإيجابي.

وإن استسـلامك لعادتك قد قضـى على مقاومتـك الغريزية.. إذا كان الحال كذلك واندفعت يدك إلى السيجارة لتشعلها فتذكر:

1- إنك تمهد لتمكن المرض من جسمك وإضعاف مقاومته.

2- إنك تسـعى في تنمية رصيد الشركات الاسـتعمارية بما تدفعه ثمناً لسجائرك.

3- إنك تساهم في إضعاف رصيد بلادك المالي بما يترتب على تصدير مئات الملايين من الريالات كل عام لهذا الغرض نفسه.

4- إنك تجعل من نفسك مثلاً سيئاً لأطفالك ومن هم في رعايتك وقد تدفعهم إلى تقليدك واقتفاء أثرك.

5- إنك تجني على صغارك وأولادك لأن ما تدفعه من إيرادك ثمناً لسجائرك من الممكن تحويله إلى ما يدخل عليهم البهجة ويكسبهم قوة وخلقاً.

6- إنك بهذه السيجارة وما يتبعها إنما تحكم طائعاً ومختاراً قيد العبودية وخناق الأسر حول عنقك لعادة ضارة.

والأمل كبير في انتصار العزم منك على عادتك، ويومها تجد لذة النصر تدفع بمواهبك الطيبة إلى آفاق الخير والنور.

وبعد فمن حقك أيها القارئ أن تعلم أنني لما ابتدأت تحرير هذا الحديث لم أعزم على مجاوزة صفحتين فقط، لأني أرى الإيجاز أنجح للقصد، لكني رأيت قلمي وشعوري بإخلاص فيما يكتبه، يدفع بي إلى الإطالة والإيضاح، فاستجبت لشعور الحماس المخلص. وكان هذا الحديث الذي أرجو أن يجد من القراء تجاوباً واستيعاباً. وإلى الإصلاح أهداف، وبشعور الإخلاص أتحدث، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

حديث في الصحافة

تحدثت في أحد أعداد جريدة الندوة عن الصحافة، ثم تحدثت في مجلة الجزيرة في عددها الأول عن الصحافة أيضاً، واليوم أتحدث عن الصحافة في (عكاظ) وحديثي لهذه الصحيفة (الناشئة) يصور سروري بها، وأملي في تقدمها بخطى ثابتة مدروسة نحو الهدف الكبير، ولتسهم في إيضاح دين الله، والدعوة الحقة، ورد المكائد والشبهات عنه، وتحري ما يرمي إلى تحقيق المصلحة العامة، ويدفع بعجلة التقدم والنهوض في شتى الميادين والمجالات، ورئيس تحريرها - والظن به حسن - سيحقق بإذن الله كل ذلك فيما يطالعنا من مستقبل هذه الصحيفة الناشئة، ولئت بدأت سيرها فإن لها وأمامها من المشاكل والتبعات ما تبقى معه مهمة إصدارها سهلة ميسورة، وهي كغيرها في هذا السبيل لأن الصحافة - وإن أطلقوا عليها (مهنة البحث عن المتاعب) في نظري (رسالة ومسئولية) ولو استمر أصحابها في احتفاظهم بمبادئها، وإخلاصهم لأهدافها، وأدركوا مسئوليتهم - عدلوا لها العام - عن كل ما يدفعون به إلى مطابعهم ليخرجوا به على الناس، ولو فعلوا ذلك لكان لهم نصيب لا يمكن تجاهله في الإسهام بنهضة أمتهم ورقيها. هذا عن الصحافة.. ولكن صحافتنا وهي تنتسب إلى بلد الله الأمين أول بيت وضع للناس، والذي أشرق منه نور الإسلام الوضاء فعم أقطار الأرض، يجب أن ترعى (شرف) هذه النسبة فتشتمل البناء الشامخ الذي جاهد رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه في إشادته وإحكامه، والذي رعاه صحابته الكرام رضوان الله عليهم، والذي عرفه الناس منبعثاً من أرضنا الطيبة، فتأخذ على

عاتقهـا حماية هذا التراث الخالد والصـدق في الدعوة إليه، وكم تتجنى لو حادت عن نهجها وتجاهلت واقعها وعملت لغير ما يحقق النفع والخير.

ولقـد عرف الناس (الصـحافة) بنوعيها: صـحافة الرسـالة، وصـحافة التجارة وعرفوا الهوة التي انحدرت إليها صـحافة التجارة، يوم استهدفت مداعبـة الغرائــز وإثارتها، وجعلت مــن أهدافها إيقاظ نـوازع الانحراف وتحسـين مسـالك الرذيلة، ويوم وجدهـا الناس تهاجـم في وقاحة عجيبة ديننا الإسـلامي القويم ودارت عجلة الزمن لتجد تلك الصحافة سوقاً نافقة يلتهمها الشباب لتميت فيهم شعورهم بالكرامة وإحساسهم بالغيرة والإباء، ولتبعد الشـقة بينهم وبين تعاليم دينهم السـمحة، وطال المدى، واتسـعت دائرة هذا الانحراف، ورأينا كيف جعل أصـحاب ذاك النوع من الصحف (صحفهم) ميداناً لقلب الحقائق وتشويهها، وسلاحاً يشهرونه في وجه من يخالفهم رأيهم، أو يناقشهم فكرتهم، ورأيناها تفيض بالثناء وتكيل السباب لمن لا يكون مستحقاً لثناء أو سباب.

وبقي قراؤها، في حيرة بين ما تطالبهم به صـحفهم وبين ما يشـاهدونه في واقـع حياتهـم، واسـتيقظوا لتصـدمهم الحقيقة المرة وهـي انحراف الصـحافة عن أهدافها.. وليت أثرها يقتصر على نفسـها أو أن كل قرائها مدرك لحقيقتها، أو كان كذلك لهان الخطب، لكنها وهي - غير واضـحة الأهداف للعموم - بقيت تضلل أفهام الناس وتنتزع من نفوسهم الشعور بالاطمئنـان والثقـة، فجنـت على الديـن بتشـكيكها في مبادئه وصرف الأذهان عنـه، والتخلي عن حمايته، وصـدق الدعوة إليه، وأسـاءت إلى عقول الناس وأفهامهم لتخليها عن رعاية الصـالح مـن الأهداف، ورآها

الناس – في بعض مظاهرها– تطلق في سـخاء عجيب ما لديها من ألقاب الاخلاص والوطنيـة والنزاهة لمن يعرف الناس عنهـم بعدهم عن التخلي بهذه الألقاب.. وضاعت القيم الإنسانية لدى القائمين عليها، وانعكست المفاهيـم في أذهانهـم فسـاهموا بالطريق المباشـر أو غيره في الإسـاءة إلى مجتمعهم ووطنهم في سبيل مصلحة مادية فردية، أو انتصار مؤقت تافه.

ولئن طـال بهؤلاء مجالهـم فالبقاء للأصـلح دائماً ولأصـحاب المبادئ الكريمـة النزيهة، والتي يسـلكون إلى تحقيقها طرقاً تماثل سـلامة مبادئهم ونزاهتها.

وإذا انحدرت المقاييس في أي مجتمع أو أمة فرأت أن معيار نجاح أفرادها ليس إلا في الاثراء وتجميد المال وإن كانوا قد سلكوا لأهدافهم طرقاً تفوح منها رائحة الخيانة والجريمة.

إذا كان الحال كذلك فإن إيمان المخلصـين وحرصهم على تمكين نوازع الخـير في النفوس، وتمتعهم بضـمائر حيـة خالية من التأنيـب أو التعقيد، ومواصلتهم السـير في الطريق الواضح، سوف يساهم بإذن الله عاجلاً أو آجلاً في انتصـار الحق علـى الباطل، وفي تغلب قـوى الخير والإخلاص، علـى كتائب الانحراف والشرور..(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَـقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) وإني أشفق وأفزع حينما أتأمل ذاك النوع من الصـحافة خشية أن أجد في بلادي مظهراً من مظاهره، وأرجو ألا يكون ذلك وما ينبغي أن يكون، لأن صحافتنا لا تزال وليدة وفي بداية طريقها الشـاق الطويل، وقسـطها الذي يتحتم عليها حمله للإسـهام في نهضة مجتمعنا ومعالجة أمراضه ومشاكله لا يزال ماثلاً كالطود.

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عيال على هذه البلاد المقدسة في الهداية والتوجيه، فواجب بلادنا أن تتخذ مكان الصدارة لتحاول أن تؤكد للناس من جديد مبادئ الخير والحق، وتحيي في نفوسهم ما اندثر من تعاليم دينهم، وتحاول حمل قرائها على التحلي بآداب الإسلام وفضائله، وجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) قولاً وعملاً، فما ينفع النطق بها ما لم يصاحبه عمل يحقق صدق تلك المزايا ويفصح عن أثرها.

وما دامت الصحافة تشترك في التوجيه فهي مطالبة بالحرص على إعطاء الأمثلة الناجحة الصادقة، وإلا فليتصور القارئ معي مدى الخسارة الفادحة يوم يجد شبابنا أنفسهم حيارى يتلمسون النماذج التي تنير لهم طريقهم فلا يجدونها.

نعم، نحن بحاجة إلى صحافة مؤمنة قوية مدركة لدورها لتسعى جاهدة في تحقيق الهدف الكبير وهو جمع كلمة الملايين من المسلمين على العقيدة الصحيحة ليتمكنوا من استعادة مجدهم وعزتهم، فالقلب العامر بالإيمان المتمثل لعظمة الخالق جل وعلا، واستحقاقه وحده لكل أنواع العبادة المستيقن لذلك، والعامل به لا يجد الإلحاد أو الشك سبيله إليه.

ولن يستطيع المسلمون محاربة المبادئ الهدامة المخربة إلا إذا فهموا دينهم فهماً صحيحاً، واعتقدوا هذا الفهم ونشروه وعملوا به، ويومها سيتبدل واقعهم وستعود لهم مكانتهم في قيادة العالم وتوجيهه، ولن يغلبوا ولن يهنوا..(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

وبعد، فهذا حديثي دفعني الإخلاص فيه إلى شيء من الإطالة وهو تحية صادقة لصحيفة عكاظ الغراء.

صحافة الإسلام وصحافة الضلال

أراد لي رئيس تحرير هذه الصحيفة الغراء مشكوراً أن أساهم في تحرير هذا العدد الممتاز، وهي سانحة أخرى تستحق مني شكره وأراني – وإن كان قد حدد نهج الحديث – في رسالته – بين مسالك شتى.. أكدها أنني ما دمت أكتب لصحيفة تستقبل عاماً جديداً، فلتكن (الصحافة) موضوعاً أتناوله وأرجو أن يجد – قارئه – من خلاله صورة واقعية نلمسها فنتخذ لها ما تتطلبه وأملاً باسماً نسعى له ونعمل من أجله. والإسلام دين الخير والسلام والنور، ورسالته إسعاد البشرية والنهوض بها من مهاوي المذلة والخنوع ومتاهات الحيرة والشك إلى مشارف العزة والحرية.. واليقين والوضوح.. وصحافة الإسلام إحدى الدعائم التي يعتمد عليها ويقوى بها أثره في النفوس والقلوب، وهي ضرورة وتجاهلها أو فقدان توجيهها يؤديان في النهاية.. إلى المعكوس من النتائج.

وإن داعي بروز هذا النوع من الصحافة يكاد يكون طبيعياً، ومن هذه البقاع التي أشرقت منها أضواء الهداية والرحمة.. لأن الرغبة الصادقة في نشر الإسلام الخالص وحمايته من هوى النفوس وباطل الأقاويل تتطلبه وتفتقر إليه.

وهو مستلزم – ككل مرافق التوجيه – إحساساً عميقاً بالمسئولية، وسوف لا يعدم الباحث المقومات الفاضلة التي تنطق بما في الإسلام من خير وفضل وشمول.. وتاريخه المشرق باق على الزمن يعطي البراهين القاطعة على ما يفيض به من مقومات الحياة الطيبة الكريمة التي حققها

لأتباعه الصادقين في الإيمان به، المخلصين في الدعوة إليه. وأبرز واجب على الصحافة الإسلامية توجيه الناس إلى فهم دينهم وإبراز المعاني الإنسانية الطيبة، والجوانب المشرقة منه وربط حاضر قرائها بماضيهم الكريم المشرق – فجر الإسلام – الذي أبدل الله به ضلال الجاهلية هداية ورشداً، وانحرافهم استقامة ودراية – حتى كانوا هداة البشرية وقادتهم.. ليأخذوا منه العبرة والعزيمة وليجددوا – بما يحفل به من تجارب – كفاحهم وقدرتهم، ومهما يكن من أمر فما لم تكن صحافة الإسلام – داعية له وحامية لحدوده، فهي لا تستحق شرف النسبة إليه. وكم هي تجني عليه الشرور ولو أفسحت – مجالها – لخارج على تعاليمه، أو غير مدرك لحقيقة لأنها تساهم – أرادت أم أبت – بما تفعله في تشجيع ذلك الخروج وتقرير ذاك الانحراف – وتلزم به أو تفرضه على (متيقن يقظ) تثني من عزمه، وتبطئ من سيره.. وعلى عامة لم يصلوا بعد إلى مستوى التمييز والتفريق، فيندفعوا – بقصد أو بدونه – إلى ما تلقوه ولا أظنني بحاجة إلى تدليل أو تمثيل، ثم عليها أن تهدف بما لديها من وسائل إلى معالجة أمراض المجتمع الفتاكة وتقوية مواطن الضعف يتلمس أسباب الناجح من العلاج.. والنقد الهادف الموجه البناء وسيلة من وسائل الإصلاح، ونجاح الصحافة في هذا المضمار يكاد يكون متيقناً لو تعاون رجالها مع المسئولين في بحث ما يكفل إصلاح الخلل وسد النقص.. نريد من صحافتنا أن تخرج على الدنيا بنداء التضامن وجمع كلمة المسلمين على الإخلاص الصحيح علماً وعملاً ويقيناً، وهي – في حاضرنا – خير أداة لتبليغ هذا النداء وتقريره في قلوب الناس وأذهانهم.. ونريدها ساعية في تقوية رابطة الإسلام التي توحد بين

أتباعه وتجمع أهدافهم ومسالكهم، والتي دعا إليها القرآن الكريم (إنما المؤمنون إخوة) والسنة النبوية (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ولا يحقره). (وبحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) وزعماء العروبة وقد فطنوا إلى مغبة التفرق والتخاذل بدأوا سعيهم لجمع الشمل وتوحيد الأهداف وسيصلون بإذن الله إلى ما يحقق عزتهم وقوتهم.

ولكن اجتماع (الشفاه) على كلمة الحق والقلوب على توحيد الله جل وعلا وتنزيهه عن الند والشريك (والعمل) بشريعته والاحتكام إليها.. هي (نقطة الانطلاق) في حاضر المسلمين ومستقبلهم.. ولسنا بحاجة إلى أكثر من ذلك ونحن في معترك الخطوب والأحداث، والله قد وعدهم بنصره وتأييده (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ومتى استقامت القلوب على الإخلاص فإن إيمانها يصنع لها النصر وهي تحمل سلاحها مجاهدة مكافحة. لأن الإسلام يدعو إلى القوة ويوصي بالعمل والنضال (ورسالته) وفتوحات الإسلام تنشرها وتقرر أهدافها تكفي وحدها (دليلاً عملياً لا يكتنفه غموض ولا إبهام).

والصحافة إذ تشرح هذه الأهداف الإسلامية فإنما تقوي الإيمان بها والاقتناع بما ترمي إليه حتى تمتزج تعاليم الإسلام بدماء أبنائه وتباشر عقولهم مبدلة ظلمتها نوراً وأوهامها حقائق، ثم لماذا لا تكون الصحافة منبراً للموجهين ومفكري الأمة ليوضحوا لأبناء الإسلام ضرورة التآخي على الحق وتوثيق الصلة بالله تبارك وتعالى، لاسيما وقد أدركوا من واقعهم حقائق لا ترضي ووقائع لا تسر.

فلهـم إخـوة في مخيمات حقيرة تقصـف بهم عاديات الشـتاء ولواهب الصيف بين عرى وجوع غير بعيد من مرابعهم وأوطانهم، قد أعان عليهم المستعمرون عصـابات الظلم والعدوان وأخرجتهم من ديارهم بعد مجازر وأهوال لتتركهـم.. وماذا أقول؟ إن كلمة (لاجئـين) لا تكفي.. لتتركهم عرضـة للموت والجوع والمرض. ولهم إخوة في الجزائر المكافحة مضـى عليهـم أعـوام وأسـلحة الفتك والدمـار تلتهم المئات منهـم والألوف لا يريدون إلا الحرية في ديارهم وأوطانهم.. ولهم إخوة في عمان اضـطرهم الغاشـم على الاحتصـان بالكهوف والمغـارات، وقذائفـه المحرقة تنهال عليهـم كوابل المطر تختـرم منهم الأبطال المكافحين ومـا أرادوا إلا حياة كريمـة في أوطانهـم، وغير هـؤلاء وأولئك جاهـدوا ليقرروا مبـدأ الحق والعـدل ولكـن هل بقـي للحق والعدل وجـود في عرف الـدول الظالمة المسـتعمرة؟ إن منطقهم عن قضية الجزائر وكفاحها أنها مشكلة داخلية.. وعن اللاجئين أن لهم ما تجود به العصابة الدخيلة بديل أوطانهم وديارهم، وعـن أبطال عمان أنهم ثائرون إرهابيون يجب القضـاء عليهم، أنه منطق (الظلـم المعكوس) الذي جندوا أنفسـهم وأجهزة دعايتهـم لإقراره، وما فـترت لهم عزيمة ولا لأن لهم (قول) وهـم على الباطل، فهل نتخاذل عن الحق الواضح فلا ننصره ونحمي بقاءه؟

إن العاقبة للمتقين والجهاد واجب مقدس لحماية الدين ولتكن كلمة الله هي العليا ولمن تمثل هذا الاتجاه الكريم فيما يلقى من الظلم والجور، واستيقنه كل الخـير (في حياته) ورايـات النصر تخفق على هامته – (وفي مماته) وقد قدم على رب منعم متفضـل وعـده بحياة كريمة فاضـلة، (وذكراه) بعده

تبقى خير حافز على ما اختاره لنفسه من مسلك الكرامة والقوة وقدوة يحتذيها من يخلفه.

والصحافة وقد اتخذت لنفسها أهدافاً وسلكت سبيلها إليها - يجب أن تظل حرباً على من يخالف تلك الأهداف كائناً من كان، وعندما تأخذ العاطفة دورها على حساب المبادئ نكون قد أتينا على شامخ البناء من أساسه، لأن (حدود الإسلام وتقاليده الكريمة) يجب أن تظل في منأى عن عبث العابثين ونزق المتطرفين، ومن ضاقت نفسه الصغيرة بباطل الأعداء وأراد نفث سمومها عن طريق الصحافة المسلمة، فإن ردعه الاكتراث به من أبرز واجبات الصحافة الإسلامية الكريمة (والكتاب) الحيارى - بلا هدف ولا غاية - من حق قراء الصحيفة عليها أن توقف ركبهم ليأخذ مكانهم أصحاب الأقلام الهادفة المخلصة المدركون لواقعهم وظروفهم.

وقصائد (النسيب) العابثة المكشوفة - وقد عرفناها كنتيجة للفراغ في حساب الزمن وفي حساب المادة.. يجب ألا تبقى) وخير ما تفعله الصحافة الناجحة (حجبها) ليظل الركب العامل المنتج سائراً في طريقه الشاق دون عائق أو مثبط، وفصل الخلاف فيما يشكل من أمور الدين يجب أن يكون لمن يطمئن الناس إلى قوله وفعله حتى لا يرتقي إليه من يقصر به واقعه ويدفع الناس إلى ما لا ينتهي من القلق والحيرة، بقيت صحافة (الضلال) والحديث عنها مؤلم وطويل يموج عالمنا العربي بها وقد اتخذت هدفها محاربة الدين الإسلامي وسلبه خصائصه وفضائله والهجوم السافر على رجاله وحملته، وعامدة إلى الأدب الإباحي الرخيص المنطوي على إيقاظ غرائز الجنس المحرمة لتحسين مسالك الشر والانحراف، تتواكب

في (سعار مجنون) ضمن إطار مدروس تلتهم كل مقومات المجتمع الإسلامي المتكامل، مختفية وراء الخادع البراق من اللون الذي يجتذب عادة (صغار العقول وبسطاء التفكير) وهي خطر داهم على الأديان لا أجد له تصويراً إلا بما جاء ي صحيفة عربية معروفة تحدث كاتبها عن (الله تبارك وتعالى) فقال: (إن الله فكرة.. أو شعور قاسم بالنفس) تعالى الله عما يقول الظالمون الجاحدون علواً كبيراً – قالتها تلك الصحيفة فما سمعنا أنها قد أرغمت على تنحية القائل أو دفعه إلى المحاكمة، وما أردت الحصر بل (التمثيل والتدليل) أقول إنها ومثيلاتها تطالع أبناء الإسلام فلا تجد من يتصدى لباطلها أو يمتعض لجنايتها وخطرها.

ونحن قد لا نملك في حاضرنا سوى التنويه عما تحمل بين طياتها من أخطار وما تنطوي عليه من سموم وأباطيل.

وبعد.. فهذا حديثي – وهو تحية مني لصحيفة (الندوة) في عامها الجديد الذي أرجو أن يكون عام خير وبركة، حقق الله الآمال وسدد الخطى.

الأستاذ مؤمنة.. والإيجابية.. ورسالة الشباب

شـباب الحياة بهاؤها ورونقها.. وشـباب العمر ربيعه ونضارته. (قوة) بين ضـعفين، (وقدرة) بين عجزيـن، حقيقة أبانها القـرآن الكريم.. (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) وأثبتها الواقع الذي لا يحتمل شكاً أو يقبل تغييراً.

يبدأ (الأحياء) دنياهم ضـعافاً عاجزين، ثم تتطور بهم خصائصهم فيما يشـبه التدرج لتصل بهم إلى مرحلة القدرة الجسـمية المتكاملة.. ثم تأخذ طريقهـا بهم - بعدها - في اتجاه معاكس لتسـلبهم مع الأيام كل مميزاتهم التي نالوها في سـير العمـر اللاهث، (مراحل ثلاث).. مـن الطفولة، إلى الشباب، فالكهولة تكفي للمتأمل - يقيناً وإدراكاً - بعظم قدرة الله وبديع صـنعه.. وإن أعجب فعجب لما يشـبه (الجفوة العاتبـة) بين جيلين.. هما لبعضـهما كالمقدمـة للنتيجة، تمهد لهـا وتنتهي إليها. ولئـن كانت أغلب الأحيان تتخذ شكل المرح الباسم بين الآباء والأبناء فهي لا تلبث أن تتجدد مع كل إثارة كما لو كانت متحفزة لوثوب.. وإلا فشيوخ اليوم هم شباب الأمس، وشبابه شيوخ الغد.

والشباب من الشيوخ هم الأبناء والأحفاد لهم منهم التشجيع والتوجيه والرعاية، وعليهم لهم الطاعة والوفاء والإكبار فيما يشـبه (الحلقة الدائرة) يتمم أحد أجزائها دورة الجزء الآخر، والمشـورة والنصح - من الشيوخ - تفرضهما تجارب وخبرات وربما دفعوا لها فادح الثمن.

والعزيمة والإقدام من الشباب يمليها طبيعة دورهم واستعدادهم، وشباب كل أمة - بعد الله - أملها المرتقب، لأنهم يمثلون لها الحاضر والمستقبل وبقدر ما تعلو بهم هممهم لتدفع بهم في مجالات النفع والخير، وتتطور بهم خبراتهم ليترجموها أعمالاً وحقائق في ميادين العمل والإنتاج، تبلغ الأمة مجدها وتنال مكانتها، (والعكس صحيح) متى ضعفت منهم العزائم، وخارت بهم الهمم، وقنعوا بالمظاهر والاعراض، وعاشوا حياتهم بلا غاية، وواقعهم بلا هدف.

(وشبابنا) وإن عرف الناس عنهم - بحمد الله - كل مقومات الرجولة، والإخلاص، بحاجة دائمة - كغيرهم - إلى التوجيه والتشجيع.

التوجيه.. للطريق السوي حتى لا ينحرف بهم سيرهم الزاحف، والتشجيع.. للعامل المخلص منهم يقوي عزيمته ويضاعف كفاحه.

وما زلت أذكر كلمات قالها (داعية مسلم) في أحد مواسم الحج السالفة وهو يتحدث عن دور هذه المملكة في حماية الإسلام والدعوة إليه.. قال: (إن بلادكم بكل حدودها مسجد) المسلمين يتجهون إليه بقلوبهم وأشخاصهم.. ومحبتكم فرضهم، وأعمالكم قدوتهم، (وشبابكم) وعليه المرحلة التنفيذية البارزة من هذا الدور الخطير - مطالب.. بحماية الدين، وإبلاغه، والدعوة إليه، وعليكم إعداده لهذه الرسالة.. رسالة المستقبل، وسينتصر الإسلام بكم بإذن الله كما انتصر في فجره من ربوعكم الطاهرة الطيبة).

أقول.. ما زلت أذكرها لأنني أعلم مدى العوامل الطبيعية التي تحتم على شبابنا أن يتخطى كل حواجز الوهم والخداع ليثبت في ميدان الكفاح العلمي وجوده.. قوي الحجة، نبيل الأهداف، مستقل الشخصية.

الدعامة الأولى

وأعلنها اليوم واضـحة قوية: إن إيمان الشباب بحقيقة دينهم، واقتناعهم بفضـائله ومزاياه، والتزامهم لتعاليمـه في كل مراحل حياتهم هو الدعامة الأولى لبناء المسـتقبل قوياً مستقراً، وهو (ضريبة) الانتساب الشريف لدين الله الـذي ارتضـاه لنا، يثبتهـا (أبطالنا) بسـواعدهم وأقلامهم، ويسـتقر بهديها سـيرهم، وتطمئن إلى قيادتها قلوبهم، لا تتجاوز منهم أحداً مهما تشـعبت بهم مناهج تحصـيلهم، لأنها نقطة البدء الحكيم الواعي في سيرة العقول، واللبنة الأساسـية في تكوين الشخصـيات تسايرهم منذ الطفولة إيماناً وسـلاماً وبركة، وتمضـي وإياهم في تلازم راسـخ حتـى تنتهي بهم مرحلة الحياة. (والطبيب، والمزارع، والصـانع وعالم الذرة) سـواء في هذا النوع من المعرفة، تحمي وجودهم وتقيم سيرهم.. وتتحكم في عواطفهم ونزعاتهم ليحققوا بصـورة عملية (عطف) الإسـلام على المعارف المادية وتمهيده السـبيل إليهـا، يعلمها (أبناؤه) فيبنون كيان أوطانهم على أسـس متينة ثابتة وبروح الإخلاص ودافع الوطنية والفداء.

وهـم (أتقيـاء) تمتلئ أعطافهـم بثروة عامـرة من الإيمان بالله، وتصـدر (أعمالهم) عن فهم عميق لدينهم ورسـالته السامية، (وأقوالهم) عن حب صـادق لمبادئه وأهدافه.. لتسـتحق معهم شـرف النسـبة لديننا ولنخرج بهذه النسـبة من حيز القول إلى العمل الصـادق الواضـح، وحتى لا نجعل مـن واقعنا المعاكسـ لمبادئ هذا الدين (حجة) يتجه بهـا أعداؤه للنيل من مكانته، وإضعاف تأثيره في النفوس والقلوب..

تهمة التخاذل

(أقول هذا) وأنا لا أعفي المنزل والمعلم، والمجتمع، (متفرقين ومجتمعين) مـن تبعة التخاذل عن إقرار تعاليم الإسـلام في النفوس البريئة النقية، ومن ضرورة القيام بواجبهم في سـبيل ذلـك، وكم يكون – جميلاً – أن يلتقي الإنسـان بآماله وأحلامه (حقيقة واقعة) تبعث الأمل في نفسه، وتعزز قوة كفاحـه، ولقد مررت بهذه التجربة وأنـا أقرأ (يوميات الندوة) في عددها الصادر برقم 741 في يوم الثلاثاء الموافق 7 محرم 1381هـ بقلم الأستاذ (عبد العزيز مؤمنة) والتي ضـمنها مشاهداته الأخيرة في العراق وكيف أن حب الاسـتطلاع دفعه إلى زيارة (مسـجد الكاظم في بغداد) تلك الزورة التي جعلت منه في نظري أحد أبطال (الإيجابية الحقة) بمعناها الصحيح.

قـال في يومياته: إنه دخـل الجامع وما كاد يخطو بضـع خطوات حتى أحس بيد قوية تقبض على كتفه الأيمن تسـأله هل استأذن؟ وتساءل.. ممن الاسـتئذان فقيل له من السـادة أحفاد الرسـول عليه السـلام.. فانتصرت نوازع الإيمان الصـادق في نفسـه واسـتنكر هذا الباطل الذي يسـاق إليه فرفض في جرأة وطلبوا منه (بعد فشـلهم في إقناعه) أن يردد معهم صـيغ الاسـتئذان فلم يستجب وطالبوه بذلك فيما يشبه التحدي فأجابهم: لا.. أنـا لا أردد هـذا الهراء وهو في نظري شـرك، لأن الإله موجود لا يموت، والشـفاعة والضراعة والخضـوع – يجـب أن تكون للخالـق عزّ وجلّ، وتساءل عندما شاهد رجالاً ونساء منكفئين على وجوههم يقبلون الأرض التـي أقيمت عليها تلـك القبور الثلاثة ويبكون، تسـاءل عن سر بكائهم؟ فقيـل له إنهم يغسـلون ذنوبهم بطلب المغفرة، فأجابهم بنفس الوضـوح

والصراحة: (وهل الميت يغفر للحي؟) فغضب منه محدثه بينما عاد هو إلى نفسه يستغفر ربه من هذا الباطل المضلل تتقبله وتقنع به نفوس خائرة ضعيفة، عميت عن الحق والنور.. ثم روى لنا في كلمات صريحة واضحة ما دار بينه وبين الشيخ (المعمم كث اللحية) والذي شاهده في هذا الجامع يحمل بين يديه صحناً من الفضة مليئاً بالدنانير.. والذي قيل له عنه إنه حارس العروة الوثقى يمنح من ينقده (ديناراً) حق الدخول من الباب الذي يقف أمامه إلى الجنة.. (هكذا) وقالوا له ادفع ديناراً وادخل.. فانتصر إيمانه ليبدد عنه هذا الظلام الحالك، فأعلنهم رفضه وهو يقول.. إن دخول الجنة لا يتم بالدنانير.. بل بالعمل الطيب والاستقامة وحب الله، وخرج من جامعهم تشيعه شتائم المضللين، لأنه أبان لهم في جرأة وحق تفاهة واقعهم ومدى جنانهم وتضليلهم في (موقف) كان يسعه فيه الصمت والإنكار بأضعف الإيمان، لكنه وقد شاهد ما تأباه نفس المؤمن وينكره عقله، عزّ عليه الصمت في مظهر صادق للإيجابية الإسلامية الهادفة.

ولقد سررت لهذه الروح يحملها (شباب متحمس) في غير وطنه، ينصر بها (حقاً مضاعاً) ويهدم بها باطلاً (مقاماً). وعادت الآمال الباسمة إلى نفسي من جديد وحمدت الله.. وتمنيت في لهفة أن أرى في صفوف شبابنا - مثل هذا النوع المتحمس المخلص ينطلق مكافحاً ومؤيداً للحق هنا وفي كل مكان يحاول الباطل أو الإلحاد أو الوهم أن يبسط في ضلاله ونفوذه.

رسالة تنتظر

ونفسي تحدثني أننا سنلتقي بإذن الله قريباً (بمن نريد) وسترى الأجيال المنحرفة ومن قادها إلى الانحراف والغواية (شباباً مؤمناً بالله) معتزاً بعقيدته التي أقامها على الوضوح والتعمق والفهم، يهب نفسه في كل ميدان مقوضاً لأوكار الجهل والخرافة، ليقيم مكانها صروحاً عميقة الجذور من الإيمان الصحيح بالله، وإخلاص العبادة له وحده.

وبعد فهذا الهدف قد استبان، والطريق إليه واضحة، ورسالة شبابنا تنتظر سعيهم لها والدنيا سترمق بإعجاب كفاحهم المرتقب والله يؤيدهم.

بين الشريعة والقانون

لقيني أخ كريم تفيض أحاديثه بالحماس والغيرة على الإسلام، وقال وهو لم يستطيع إخفاء تأثره وانفعاله. إنها (مأساة) حدا بي صدق إخائك إلى نقلها إليك.

فأنصت إليه، وكنت أحسبها مشكلة تخصه، فقال لي: إنها أنباء وردت من قطر عربي مسلم مجاور تقول إن محاكمه الشرعية قد ألغيت أو هي في الطريق إلى ذلك وإن (قانوناً) جرى وضعه لهذا القطر العربي الكريم ليكون (فيصلاً) في معاملات سكانه ومصدراً لتشريعهم.. وما كاد ينتهي من حديثه حتى أحسست بشعور مرير من الأسف والأسى، وتمثلت – وقتها – الرابطة القوية التي تشد المسلم إلى أخيه، والتي قوى الإسلام من فعاليتها وأحكم وشائجها.

وتذكرت قول الله تعالى وهو أصدق القائلين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) إذ لم يجعل عامل الاشتراك في الأخوة شيئاً آخر غير (الإيمان والإسلام) فيما (الإطار) الذي ينتظم الجموع المؤمنة المسلمة ويشد بعضها إلى بعض.. وهم في إيمانهم إخوة متحابون يسعى بذمتهم أدناهم، لا تستطيع العوامل الجغرافية أو الفوارق السياسية الحجز بينهم أو الوقوف دون التقاء قلوبهم وأهدافهم.

ومالي أذهب بعيداً وهذه (قبلة المسلمين) في بيته المطهر، أليست وجهة يستقبلها كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها في صلاته ودعائه؟ ألا يكفي هذا دليلاً مادياً قائماً على وحدة أهدافهم وتجانس مشاعرهم؟ إنهم

(إخوة) لا يتمايزون سوى بشيء واحد هو الإيمان بالله وصدق الالتجاء إليه. (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) وأكد نبينا تلك العلاقة التي تربط المسلم بأخيه (والمسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يثلمه ولا يحقره)، (من غشنا فليس منا)، (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) كل هذه المعاني السامية الكريمة تدفع بالمسلم ليساهم في علاج المشاكل التي يلقاها أخاه المسلم مهما بعدت دياره ونأت أوطانه!

موجات إلحادية ظالمة

ونحن اليوم وما سمعناه عن هذا البلد العربي المجاور نكاد لا ندري مبلغ استطاعتنا الإسهام في دفع هذا البلاء الذي يوشك أن يحيق بإخوة مسلمين جمع الإسلام بيننا وبينهم، ووحدت عوامل الجوار بين آمالنا ومخاوفنا؟ لكننا ونحن نسهم بهذا العتب الأخوي إنما نتمثل قبل أي شيء آخر علاقتنا الإسلامية الكريمة، والواجب الذي يهيب بكل مسلم بقدر ما يستطيع في سبيل صيانة مبادئ الإسلام وأهدافه.

إن ديننا الإسلامي اليوم تجتاحه موجة عارمة من – الإلحاد الكافر – بالله وآياته وصفاته.. وشبابنا يقف على مفترق الطرق بين مادية ملحدة فاجرة تكسو أمامهم سيئ الأقوال وباطل الأعمال بكساء الخداع الباطل، لتسلمهم لو لم يحذروا إلى الإنكار المطلق بكل ما يثبت وجود ربهم وكمال قدرته.

يقف بين تلك الإلحادية الفاجرة، وبين تقصير ملموس من قادة الدين والدعاة إليه في القيام بواجبهم بحكمة ورفق، وفي سياسة واعية توجه

وترشــد وتأخذ بيد المنحرف إلى جادة الصواب.. أقول إن شباب الإسلام اليوم يقف هذا الموقف الذي يتأكد معه أن دور السلبية والتواكل في ميدان العمل المثمر قد انتهى وزال، وأنه ما لم يتنبه المصلحون إلى واقعهم وحقيقة دورهم فإنها (فتنة) مظلمة تأتي على الأســود والأبيض - ويومها (باطن) الأرض خير للمسلم من (ظاهرها).

هل نجامل في الإصلاح؟

لعلي قد قســوت، لكنــه الواقع الــذي لا ينبغي تجاهلــه.. وهل الدعوة للإصلاح تحتمل المواربة أو المجاملة؟ كلا.. إنها يجب أن تنطلق قوية مدوية من كل لسان ما دامت تستند إلى إخلاص صادق غير زائف، وتهدف إلى الخــير العام بعيداً عن الأنانية الضــيقة، أو الأحقاد المدمرة، واقرأوا معي ما قاله (ابن القيم) رحمه الله في معرض حديثه عن الجهر بالحق وعدم المواربة فيه يقول: (فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين عائشــة لمعاوية رضــي الله عنهما (من أرضــى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً)، بهذه الوصية الجامعة ينبغي أن يأخذ كل مسلم نفسه حتى لا تبقى الثغرات مفتوحة في كيان مجتمعنا تضعف من قوته وقدرته على التماسك.

عتاب وأمل

وقد يتساءل البعض عن هذا البلد المجاور، وأنا إذ أعلنه فإنما لأحدد بإعلانه الطريق التي يمكن أن يتخذها المصلحون لأداء واجبهم الإسلامي حياله، هي (الكويت) القطر المســلم العربي المجاور الــذي يحكمه أمراء كرام يحدثنا التاريخ عن الأدوار الكريمة المشرقة التي قاموا بها وأســلافهم، وهذا يكفي

للإبقـاء على الأمل معقوداً علـى أولئك الكرام ليجـددوا حمايتهم للدين ونصرتهـم لمبادئه في هذا العصر الذي أنعـم الله عليهم معه بالكنوز المعدنية الطائلة (لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ). وعسـاهم يعلنوا كذب هذه الأقوال، بل عسـى أن (الثقة) التي تفيض بها قلوب المسـلمين في حكمتهم وإدراكهم تنتصر في (موقف) إسـلامي رائع يسـتبين به أولئك الحاكمون حقيقة هذا الخطر الداهم الذي يكاد يأخذ بخناق هذا البلد المسلم الكريم.

سبقهم غيرهم

وقد يقول قائل إنهم ليسوا الأوائل في هذا الميدان، فلقد سبقتهم للأسف حكومـات عربية واتخذ هـؤلاء في تلك المثل والقدوة.. وقد صـدق في تساؤله ولكن هب أن دولة أو أخرى عملت هذا أو مثله فهل يعتبر ما فعلته دافعاً لغيرها على السـير في منهاجها؟ إننا نشـعر أن إقدام (أي قطر) على مثل هذه الخطوة هو بمثابة (طعنة) نكراء للإسلام، وتنكر لتعاليمه السمحة الرشيدة التي قال عنها نبينا صلوات الله وسلامه عليه: (لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي) ومخالفة واضحة لقول الله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَـيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَـنُ تَأْوِيلًا) الذي أبان فيـه ترتب الايمان بالله على الاحتكام عند التنازع إلى كتابه وإلى سـنة نبيه صـلوات الله وسـلامه عليه التي أبانها وأفصـحها وقال عنها (لقد تركتكم على المحجة البيضـاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) وهل تحكيم القوانين الموضوعة والمقتبسة عن أمم الغرب – ومن لسنا بحاجة إلى إيضاح مواقفهم من الإسلام وأتباعه

- وتعطيل الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام والرجوع إليهما فيما يشكل ويطرأ، هل يخرج ذلك من فعله عن (الوعيد) الذي عبرت عنه الآية الكريمة في حق الحاكم بغير ما أنزل الله إذ تقول: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ومثيلاتها من الآيات الرادعة المحذرة؟

نعم ما زلنا نؤمل في موقف إسلامي رائع يعلن فيه المسئولون بهذا البلد المسلم العدول عن وضع هذه القوانين والإبقاء على التشريع الإسلامي كما خلفه لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم، الذي أمرنا باتباعه والاقتداء به.. (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).

وهذه (القوانين) التي لم تستطع توفير الأمن والاستقرار لأربابها وواضعيها، ولا صيانة أموالهم ومعتقداتهم.. أما كان (الأولى) بأمة الإسلام أن تعيدها إلى أهلها.. ولها في الشريعة التي وصلت إلى ذروة الكمال التي لم تصل ولن تصل إليها شريعة أو قانون، والتي تأمر بإقامة العدل ولو كان الحق في جانب الأعداء.. (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى).

ولئن وجدنا من يقول بالعدول عن هذا المصدر التشريعي المقدس إلى غيره من القوانين الموضوعة بحجة استيفاء الأخيرة واستيعابها! فقوله ليس سوى الدليل الواقعي الذي يفصح عن جهله وضيق أفقه.. وهل ظلم الناس شريعتهم بأكثر من اتهامهم لها بما في عقولهم من نقائص؟ إنها شريعة السماء بلغها إلينا نبي الهدى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى الذي له الخلق والأمر، وأبان لنا نبينا وصحبه الكرام النهج الذي يجب اتخاذه في تطبيقها.

أقوال صريحة

ويسرني أن أنقل هنا بعض ما أورده الدكتور (محمد يوسف موسى) في كتابه الإسلام وحاجة المسلمين إليه في صددنا فيقول: (وإذا كانت الرسالة الإسلامية ليس بعدها رسالة إلهية أخرى، وإذا كان رسولها هو خاتم النبيين، وإذا كان من النتائج المنطقية لذلك أن أرسل للناس كافة، نقول إذا كان الأمر هكذا وجب أن يكون ما فيها من تشريعات قد قامت على أسس تجعلها صالحة للناس عامة في كل مكان وزمان، والأمر كذلك حقاً فإن هذه الشريعة بما قامت عليه من أسس قوية ومرنة معاً صالحة حقاً لكل بلد وعصر) ثم يقول: (وهنا يظهر فارق واضح بين التشريع الإسلامي وبين القانون الوضعي لهذه الدولة أو تلك من دول الأرض جميعاً، أن كلاً منهما يسري في حق جميع المخاطبين بأحكامه، ولكن المخاطبين بأحكام القانون محدودين بحدود الإقليم أو بجنس الدولة التي يعتبر القانون قانوناً لها، على حين أن الأمر ليس كذلك في الشريعة الإسلامية، إذ المسلمون يخاطبون جميعاً بالتشريع الإسلامي مهما كانوا وفي أي بلد من بلاد الله، وهذا ما يخرجه عن نطاق الإقليمية وذلك لأن الإسلام يعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة بنص القرآن وإن تعددت أوطانهم) ثم يقول: بقدر ما يتاح لبشر سواء في ذلك ما يقتضي الثواب أو العقاب ومن ذلك، أن أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم شفع لديه في المرأة المخزومية التي سرقت (مدفوعاً من قريش) فقال له الرسول: (يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) أ.هـ.

ويقول الدكتور (حسن كيره) في كتاب محاضرات في المدخل للقانون: (إن القانون الوضعي يقتصر مبدئياً على مجرد تحقيق العدل (لا العدالة) لأن العدل يقتضي المساواة في الأحكام على أساس الوضع الغالب في الحياة من غير اعتداد بتفاوت الظروف أو اختلاف الجزئيات في الحالات المتماثلة على حين أن (العدالة) تقتضي المساواة المجسمة الواقعية في المعاملة للحالات المتماثلة إذا تماثلت في ظروفها وجزئياتها الواقعية. وهذا النوع من المساواة لا يستطيع واضع (القانون) تحقيقه لأنه لا يستطيع قبل وضعه للقواعد القانونية التنبؤ مقدماً بتلك الظروف أو الجزئيات الواقعية لكل من تلك الأوضاع والحالات المستقبلية، هذا بينما واضع التشريع الإسلامي في أسسه وقواعده العامة وكثير من أحكامه التفصيلية هو الله العليم بكل شيء والخبير بكل ما كان ويكون إلى آخر الدهر، فهو بلا ريب قادر على تحقيق العدل والعدالة معاً) انتهى كلامه.

واقرأوا معي هذا (الاعتراف الجريء) في قول الدكتور محمد يوسف إذ يقول: (أحست الأمة الإسلامية بشدة وطأة الاحتلال الأجنبي ومعرته وسواء في هذا الاحتلال العسكري والاحتلال الفكري، فهبت جميعاً تطلب الاستقلال في كل شيء، وطالبت بهذا بكل وسيلة، ونبغ من رجال القانون من رأي أنه قد آن للقانون الذي نحكم به أن يكون مصرياً! (وليتهم قالوا أن يكون إسلامياً) يتفق مع قوميتنا وعقليتنا وعملوا لهذا الاستقلال بالطرق التي رأوها صالحة وناجعة في رأيهم) ا.هـ.

أليس اعترافه هذا خير رد على أنصار القوانين وأعداء الشريعة؟ سأترك الإجابة للقارئ المنصف. ولنقرأ ما قاله الأستاذ حسن البنا يرحمه الله في

رسالته: (إلى أي شيء ندعو الناس؟): (.. وإن في الشريعة الإسلامية وفيما وضعه المشرعون المسلمون ما يسد الثغرة، ويفي بالحاجة، وينقع الغلة، ويؤدي إلى أفضل النتائج وأبرك الثمرات، وأن في حدود الله – لو نفذت – لزاجر يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام، ويكف العادي وإن تأصل في نفسه العدوان، ويربح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة، وإن التجربة تثبت ذلك وتؤيده وأصول التشريع الحديث تنادي به وتدعمه، والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه) أ.هـ.

وكذا ما قاله الدكتور محمد يوسف أيضاً (فالشريعة الإسلامية لم تأت لصالح الفرد وحده، بل لصالح المجتمع كله في أكبر حدوده، أما القوانين الوضيعة فلم تلاحظ في الغالب هذه النظرة الجماعية أو الاجتماعية، بل كانت تسودها الروح الفردية، ولنأخذ لذلك القانون المدني الفرنسي الذي صدر عام 1804م والذي كان وليد الثورة الفرنسية التي هدفت لتحرير الفرد مما كان ينوء به من قيود وأثقال) ثم يقول: (بقي من الثابت الذي لا ريب فيه أن نظرة الشريعة الإسلامية لحقوق الأفراد وتقييدها مما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر مصلحة الفرد نفسه صاحب الحق أوسع مدى وأبعد أثراً من نظرة القوانين الحديثة في هذه الناحية، إذ هي – (أي القوانين) تبيح التعامل (بالربا) مع ما فيه من صالح صاحب رأس المال وضرر المحتاج للقرض).

إن صدق هذه الأقوال وواقعيتها يدفعني إلى الاستزادة منها لولا خشية الإطالة على القارئ الكريم، لكنني طمعاً في إيجابيته أدعوه إلى مشاركتي في قراءة هذه الآراء القيمة لهذا الدكتور الملم إذ يقول: (وهذه التفرقة

الواضحة بين طابع الشريعة والقانون - (فالقانون) يعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية يملكها ويتصرف فيها حسبما يرى، ومن ثم فلا حرج عليه إن أساء استعمالها، (أما الشريعة الإلهية) فترى أن الفرد نفسه وكل ما يعتبر له عادة من حقوق ملك لله وحده ومنحة منه لعبيده، ولا يمنح من حقوق الأفراد إلا لغرض حكيم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معاً).. ويقول وهو يتحدث عن الغاية في التشريع الإسلامي ما نصه: (لكل نظام غاية يريدها واضعة منه وإلا كان وضعه (عبثاً) لا يليق من عاقل، والقانون الوضعي - نظام من النظم بلا ريب، فما هي الغاية التي يقصدها واضعه منه؟ إن الكلام في هذه الغاية سهل ميسور كل اليسر، أنها ليست إلا استقرار المجتمع الذي وضع له هذا القانون وذلك بتنظيمه وبيان حقوق وواجبات كل من أفراده في علاقاتهم، وهذه (الغاية) أيضاً نفعية محدودة وهي إقامة النظام في المجتمع على نحو من الأنحاء.. وهي (غاية) يحرص عليها واضع القانون كل الحرص حتى لو اقتضاه ذلك أن يجيد أحياناً عن مقتضى قواعد (الأخلاق والدين) فالقانون مثلاً يقر بملكية العقار لمن يضع يده عليه خمس عشرة سنة بنية تملكه حتى ولو كان - غاصباً - كما أنه يقضي بسقوط الحق بالتقادم، إذ يرى أن ذلك أدنى إلى قيام النظام في المجتمع مجاوزاً ما تقضي به قواعد الأخلاق والدين في هذا الخصوص). وتعالوا النقرأ أخيراً ما قاله في المقاومة بين الشريعة والقوانين راجين أن يكثر الله من أمثاله للمساهمة في نصرة دين الله ورد باطل خصومه قال: (هذا ويقول كثير من الناس عن عناد أو غير علم أن في القوانين الوضعية ما يكفي لضمان سلامة المجتمع وحراسته من البغي والعدوان، وإذاً فما ميزة التشريعات الإسلامية؟ وهؤلاء وما

أكثرهم في مصر وغير مصر ينسـون أو يتناسون حقيقة نفسية وواقعية تفرق بين التشريع الإلهي والتشريع الوضعي، وهي حقيقة كان لها أثرها الطيب فيما مضى من الزمان، وجدير أن يكون لها هذا الأثر في كل زمان لو رعيناها حق رعايتها. ذلك بأن القانون الوضعي لأي شعب أو أمة هو من صنع الإنسان الذي يصيب ويخطئ، ويعدل ويظلم، ولهذا لا تراه يحقق العدالة الحقة للناس جميعاً في كل عصر ومكان، ولا يمكنه أن يحققها على هذا النحو الشامل لسبب آخر وهو أن (واضعه) لا يعلم ما يصلح به العالم في كل زمان ومكان، ومن ثم لا تكتسب أحكامه وأوامره ما يجب من الاستقرار والطاعة بوازع داخلي من نفس الإنسان.

أما (التشريع الإلهي) فهو من عمل الله العليم الحكيم الذي لا يصدر عنه إلا ما يحقق مصلحة الإنسان في كل عصر، والذي لا يأمر إلا بالمعروف، ولا ينهى إلا عن المنكر، والعادل الذي لا يظلم، والحق الذي لا يخطئ، ولذلك يكون لأحكامه طابع الاستقرار والاحترام والقبول، ويعمل الآخذون بها عن اقتناع داخلي ورضا نفسي.

ومن ناحية أخرى: نرى القانون الوضعي لا يرتب على مخالفة ما يجيء به من أحكام إلا جزءاً في هذه الحياة الدنيا وحدها، لأن واضعه لا يملك من الحياة الأخرى شيئاً، ومن ثم لا جناح على من يستطيع الإفلات من هذا الجزاء، أما القانون السماوي فجزاؤه دنيوي وأخروي، والجزاء الأخروي أعظم دائماً من الجزاء (الدنيوي) أ.هـ.

وبعد فهذا آراء إسلامية واضحة جهر بها صاحبها متحدياً من ضاقت نفسه عن فهم دينه وتحكيمه. ولولا خشية الإطالة لاستعرضنا ما قاله غيره.

وهذه هي الحقائق

ولعل القارئ بعد هذا يستشرف لمعرفة بعض مواد هذا القانون الذي نحن بصدد الحديث عنه وإن كنت لا أريد مناقشتها، لكني أشير هنا إلى بعضها فالمادة الأولى منه تقول: (يعمل بقانون الجزاء المرافق ويلغي كل ما يتعارض مع أحكامه) وهل هذه سوى حصانة سافرة لهذه المواد ضد كل ما يعارضها حتى وإن كان كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. أنا لا أدعي هذا الفهم لكن أدع القارئ يتخلص منها فهمه.. والمادة (197) منه تقول: (لا تقام الدعوة الجزئية على الزاني رجلاً كان أو امرأة أو على شريكه في الزنا إلا بناء على طلب الزوج المجني عليه ولهذا الزوج أن يوقف سير الإجراءات في أية حالة كانت عليها، كما أن له أن يوقف تنفيذ الحكم النهائي برضائه استمراراً للحياة الزوجية.. الخ).

ترى ماذ أقول عنها؟ إنني أتركها لكل مسلم.. لضميره ولمعتقده.. وبعد فلم أرد هاتين المادتين مع وجود غيرهما مما هو جدير بالتعليق لأناقش أو أمحص ما جاء بهما، لكن لأدلل - مما لا يقبل الشك - على الهاوية التي تدفع القوانين المنحرفة بالمسلمين إليها.. ولهذا آخر لتكون (ذكرى) والذكرى تنفع المؤمنين الغيارى على دينهم وشريعتهم.

ابتهال ورجاء

بقيت كلمة أخيرة وهي التوجه إلى الله رب كل شـيء ومليكه أن يحمي هذا البلد المسلم وسائر أوطان المسلمين – قريبها والبعيد – من شر كل فتنة ظالمة دخيلة يراد بها نبذ التعاليم السـماوية أو الإقلال من جدواها وأثرها – أنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكلمة أخرى هي (الأمل) والثقة بإخواننا حكام هذا البلد المسلم العربي وهم جديرون بكل أمل وثقة (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا).

وكلمة ثالثة إلى كل مسـلم أن يجند نفسـه للدفاع عن دين الله والحرص على أن لا يؤتي الإسلام من قبله.

ولم أعمد إلى ما سـطرته إلا دفاعاً متواضـعاً عن الإسـلام هو (جهد المقل) وأعتقـد جازمـاً أن هنـاك من هو أقـدر مني وأقـوى على عرض مثل هذه الموضـوعات الهامة وإيفائها ما تسـتحقه.. وعسـى الأيـام المقبلة تبعث في النفس المشبعة بالقلق ما يعيد إليها هدوءها وسكينتها وما ذلك على الله بعزيز.

الشريعة... لا القانون

(تعقيب للأستاذ محمد حسين زيدان)

قرأت الكلمة القيمة.. التي كتبها فضيلة الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ نائب رئيس القضاة، عن الشريعة والقانون، بعنوان (بين الشريعة والقانون) ونشرت في عدد أمس من جريدة (البلاد) دعا فضيلته الكويت الثغر المسلم، إلى الحرص على شريعة الإسلام، فلا يتخذون قانوناً وضعياً، يصنعه البشر. يقتبسونه من قانون فرنسي، وفقه روماني، ويطلونه بتخريجات من الفقه المسلم.. فلا هو بالحق الصريح، ولا هو بالباطل القبيح، وذلك شر الباطل، لا يظهر بيننا، فيندس فيه زينغ، ويختفي في مواده شر.

ودعا فضيلته إلى أن تكون شريعة محمد (عليه الصلاة والسلام) هي القانون، والدستور، والنظام. لا يعمل بأي قانون غيره، لأنه قانون الشريعة السمحة. دعوة مؤمنة، صادرة من شاب رضع لبان الدعوة الصحيحة، في بيت هو صاحبها، ويسعى معه لتأييدها ونشرها إخوة له في الدين والنسب، وأبناء عمومة، كلهم داع، وكلهم إلى خير إن شاء الله.

ولكن هل ندعو أي بلد مسلم إلى ترك القانون الوضعي؟ دون أن نمد له يد العون. ونحن القادرون (بعون الله) على المعونة، ونحن المسئولون عنها، بحكم احتضاننا لدعوة السلف، ومنهاج الحق، حملا الشيخ أن يدعو دعوته تلك وليست هي قدرة المادة، فالكويت في وفرة من الغنى، لا يحتاج إلى مادة، لا منا ولا من غيرنا.

إنها المعونة في صورة إرشاد أولاً، وقد تم. وفي وضع (قانون) مستمد من الشريعة المحمدية السمحة، نضعه نحن، يضعه علماؤنا، ورثة الدعوة

السلفية والقانون عليها، وفقه الإسلام واسع ومعتني به.. وموجود في كل مكتبة، وفي موسوعات ضخمة. وهو - وبهذه الضخامة - لم يتكون دفعة واحـدة، بل جاءت أحكامـه متتابعة، وفي كل لحظة تبعتها لحظة، يصـدر فيها حكم. أصـبح أساساً من أسس التشريع المسلم. وفي كل يوم يتبعه يوم، وحسب الأحوال، يصدر حكم. بقي الأساس في نصوص الفقه الإسلامي.

كان هذا في حياة النبوية، حينما كان ينزل القرآن منجماً، وكان هذا في عصر الصـحابة، حينما تصدر الأحكام تبعاً للحوادث، فتدون في صدور الرجـال، حتى انتقلت إلى تابعيهـم.. فجمعت في الكتاب (تجنب رخص ابن عباس، وشدائد ابن عمر، وطيء لنا كتاباً).

كلمة المنصـور، تعلـم منها إمـام دار الهجـرة، كيف يكـون التأليف، فكان الموطأ. وتتابع التأليف للأمهات، من مصـادر الدين الإسـلامي، في الحديث، والفقه، واللغة والتفسير، والسير وما إلى ذلك.

فغصـت مكتبة الإسلام، في الجامع المسـلم، وفي البيت، وفي المدرسة، وفي كل جامعة، وفي دنيا الإنسـان، غصـت بالكتب الموسـوعة، يصلح واحد منها لأن يكون المصـدر لقانون شرعي إسلامي، ويصلح الاثنان ولا يختلف الأكثر، إذا ما حسنت النية، ونهد الفاهم العارف المخلص.

إن هـذه المراجع قد لا يتيسر فهمها للأكثرين، فمن التيسـير على الناس، وضـع كتاب في صورة مواد تجمع الفقه الإسـلامي، ويهدى إلى الكويت وغـيره، ولا يقتصر علـى مذهب واحد ولا يفسر الناسـ على رأس واحد، وليس هـم الأئمة الأربعة، الأئمة كثيرون، في التابعين وتابعيهم ومن إليهم ممن سار على نهج السلف. ونحن في هذا البلد المقدس من أقصاه إلى أقصاه،

ليس فينا نقص في الكتاب الكبير نرجع إليه، ونقتبس منه، ولسنا في عوز وفقر في العلماء الكبار، والكتاب النابهين، وصياغة النصوص اليقظين.

فمن المؤكد أنا قادرون على إخراج ما يسمونه (القانون) من نص الشريعة المحمدية، نضعه أمام الكويت وغير الكويت ليطبقوا أحكاماً في محاكمهم.

ولعلي لا أحسب متجاوزاً حدي حينما أقترح تشكيل هيئة من العلماء ومن إليهم، برأي الدولة وبرئاسة سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم، تعمل لهذا الغرض، وتتخذ لها مكاناً في الحرم في مكة حرصاً على البركة، ولتكون الهيبة، هي تهاب الله فتخلص في عملها ويهابها المسلمون، فيحسنون الظن بها ويقتدون.

وإن جاز لي هذا الاقتراح ويحملني إخلاصي عليه، فإني اقترح أيضاً أن تتفرع هذه اللجنة إلى لجان ثلاث: لجنة لجمع النصوص وتحقيقها، ولجنة لصياغة النصوص، ولجنة لإقرار النصوص.

فلجنة اختيار النصوص أقترح لها هذه الأسماء، لا أحصر ولا أحدد، ولا أميز أحداً عن أحد: أرشح المشايخ عبد العزيز بن باز، عبد الله بن عمر دهش، يحيى أمان، محمد الحركان، صالح بن عثيمين، سليمان الحمدان، علي الهندي، الشيخ الأمين الشنقيطي، الشيخ حمد الجاسر، الشيخ عبد الله خياط، علوي مالكي، ضياء الدين رجب، حسن مشاط، أبو تراب الظاهري.

ولجنة صياغة النصوص من المشايخ عمر بن حسن، عبدالملك بن إبراهيم، عبد العزيز بن عبد الله بن حسن، حسن بن عبد الله بن حسن، أحمد تركي يماني، محمد شطا، عبد الرحمن المرزوقي، إبراهيم الشورى، محمد عمر توفيق، أحمد عبد الغفور عطار، عبد القدوس الأنصاري،

أحمد جمال، حمزة شحاتة، محمد أمين كتبي، أبو بكر حمدي، هاشم سباك، حامد أزهر، علي حافظ وغيرهم ممن قد نسيت أو ممن لا أعرف.

ولجنة إقرار النصوص: عمر بن حسن، عبد الملك بن إبراهيم، عبد العزيز بن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن حسن، يوسف ياسين، خير الدين الزركلي، عبد الرحمن البنسام، عبد الله بن دهيش، وغيرهم من لم أسعد بمعرفتهم. تتعاون هذه اللجان ثم يكون المؤتمر العام للهيئة كاملة، وبرئاسة سماحة المفتي ليتقرر ما يرضاه الجميع من نص، أحكم صوغه وصح أصله، ليصدر الكتاب في صورة مواد، يقرب فقه الشريعة الإسلامية. وليأخذ به الذين ليس لديهم ذلك، وليسموه بعد.. القانون، أو النظام، أو جملة الأحكام.

إن هذا العمل هو الإرشاد والإبطال العملي لباطل نرجو ألا يبقى، وهو المعونة الصحيحة، يقدم بها النصح وتفي بالغرض المطلوب. وأدعو إن جاز لي ذلك أن يكون من الأسس في هذا العمل فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية واختياراته، والمحلي لابن حزم، فلعلنا نجد فيهما خيراً كثيراً.

وأخيراً فإن الكتاب الكريم هو المصدر الأول، والسنة الصادقة هي المصدر الثاني، وكتب الأمهات في كل مذهب هي المصدر الثالث، وفي كل منها نور الحق والمادة الدسمة، يخرج منها الكتاب العالمي في التشريع الإسلامي.

وقد تعمدت ألا أذكر اسم أحد من علماء الأمصار المسلمة، لأني على يقين بأن علماء الشريعة الإسلامية في كل بلد مسلم، حينما يسمعون أن جلالة الملك المعظم قد تبنى هذا المشروع ورعاه، سيقدمون ما لديهم متطوعين، وسيأتون سعياً معينين في إتمام هذا العمل العظيم. المسلمون إلى خير، لأن الإسلام بخير، والله الهادي إلى سواء السبيل.

شريعة الله وقوانين البشر

خلق الله الإنسـان وقد فطره على العقيدة الصـحيحة. وتسـتأثر به بعد ذلك (بيئته ومحيطـه) فيقويان فيه نوازع الفطرة أو ينحرفان به عن الطريق السـوي.. والعقل الإنسـاني مع ما له من قيمة أساسية في الشريعة لا يكفي وحده في هداية الإنسـان وتبصـيره ما لم يتوصـل باسـتخدامه إلى الإيمان المطلق بالله والاعتراف بعظيم قدرته وسعة شموله وإحاطته، وما شطحات الفلاسفة والحكماء إلا إحدى نتائج اعتمادهم المطلق على العقل وحده في معرفة الحقائق الغيبية الكامنة (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) ومهمة الرسـل والأنبياء (صلوات الله عليهم) توجيه الناس وإرجاعهم إلى ما فطرهم الله عليه من اتجاه سليم ليستجيب لهم من أراد الله لـه الهدايـة والفوز ومن النتائج الحتمية لانصـراف الناس عن دين الله.. اضطراب نظامهم الاجتماعي والخلقي.

ويكفي للتدليل على صـحة ذلك إمعان النظر في نوع الحياة الاجتماعية لـدى (المجتمع الفارسـي) مثلاً، والـذي كان يقوم على نظـام الطبقات، حيث يتحتم على الإنسـان ألا يطمع في تطـور مركزه الاجتماعي، الأمر الذي جعل البوم شاسعاً بين حياة كل طبقة والتي تليها.. والتي مهدت مع غيرها من العوامل المعروفة لانتشار الإسلام الذي ساهم في رفع علم الحرية الشخصـية، والسمو الإنساني.. وكذا (الديانة المسيحية) التي انحرف بها اتباعها عن منبعها الصافي لتنتهي إلى واقعها البعيد عن الحق والهدى.. وفي كلا المجتمعات التي لا تدين بالإسـلام الصحيح نلمس الفوضى في الحياة

الفردية، المتتبعة دائماً للظلم والقسوة.. والإسلام بتعاليمه الكريمة إنما يرفع من مستوى الفرد وكيان الأمة في كل مجالات العمل والإنتاج.. وهل نجد دليلاً أوضح من (الهاوية السحيقة) التي انحدرت فيها الملكات العقلية وعدم فيها الإدراك والتمييز عند الذين انصرفوا عن الإيمان بالله الواحد الأحد، وصدق تعلق القلب به إلى (الاعتقاد) في الأنداد والمخلوقات والأموات.. وسؤالهم لهم مع الله أو التوسط بهم في طلبه، وديننا قد أوضح في بساطة وجلاء، أن المؤمن ليس بمحتاج إلى (وسيط) يجعله بينه وبين ربه، لأنه مرتبط به وقادر على دعائه والضراعة إليه في كل أوقاته.. ودين الإسلام في هذا لم يأت بجديد بل هو في دعوته الإنسانية الكريمة جاء مكملاً لما نادت به الشرائع السماوية السالفة. قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فيه) وقال تعالى.. (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ).

مصادر الشريعة

للشريعة مصدران: كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه (أصلان) تصدر عنهما كل فروع الشريعة الإسلامية، ومنهلان يمتاح من معينهما كل منتسب إلى هذا الدين الواضح الكريم، وهي شاملة لكل معاني الخير والكرامة والإخاء والمساواة.. (والدين الإسلامي) يخالف ما سبقه من الأديان.. في أنه ليس عقيدة دينية فحسب، لكنه (دين وأخلاق ودولة) بكل ما تشتمل عليه هذه الألفاظ من معان، فهو يحكم الإنسان في كل

تصرفاته في علاقته بخالقه، وفي خاصة نفسه وفي علاقته بأسرته وعلاقته بمجتمعه. (فقد نادى بالإخاء بين أتباعه: في قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) وبالمساواة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، وبقوله صلى الله عليه وسلم: (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. كلكم لآدم وآدم من تراب)، وبالتسامح: في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) وبالاتحاد واجتماع الكلمة في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا).. وبالجملة فقد جاء داعياً إلى كل خير وسعادة وفضل، ولعل من الأسرار العجيبة التي دعت إلى شمول هذا الدين وسرعة انتشاره ما رأى الناس من بساطة أتباعه في كل مراحل حياتهم حين يصلون، وحين يصومون وفي إيمانهم (بإله واحد) لا شريك له ويقينهم ببعث الله لهم بعد موتهم يلجازي كلاً بعمله.. كلها (مظاهر سهلة وواضحة) ليس فيها باطل الأوثان ولا ضلال الفلاسفة.. هذا مع ما يوجد بجانب تلك البساطة من الفضائل العالية التي حببت الناس إلى اعتناق هذا الدين الجديد.. ويقول في هذا المستشرق الفرنسي (فوستاف لوبون): (لقد منح هذا الدين – يعني الإسلام – ما كانت تحتاج إليه الأمم من المثل الأعلى المشترك الذين اكتسبوا به من الحمية ما استعدوا للتضحية بأنفسهم في سبيله) إلى أن يقول (والمثل الأعلى الذي أبدعه محمد دين محض. والدولة التي أسسها العرب هي الدولة العظمى الوحيدة التي قامت باسم دين استقت منه جميع نظمها السياسية والاجتماعية) أ.هـ. كلامه.

خصائص الشريعة الإسلامية

الشريعة الإسلامية تحتوي على خصائص كثيرة قد يعجز البشر عن إدراكها والإحاطة بها، لأنها تنطوي على الحكمة البالغة المتفرعة عن علم الله المحيط بكل شيء، لكن قد توصل الباحثون إلى معرفة بعض ما اكتشفوه فيها من خصائص تقف عند مستوى أفهامهم ومداركهم منها:

1- أنه يرجع في أسسه العامة وأصوله إلى وحي الله تعالى.

2- التمهيد لأحكامه بوازع الدين والأخلاق.

3- جزاؤه دنيوي وأخروي.

4- نزعته جماعية شاملة.

5- قبوله للتطور حسب بيئات الزمان والمكان.

6- غايته تعظيم الحياتين العامة والخاصة، وإسعاد العالم كله.

(أما رجوعه في أساسه إلى وحي الله) فهو من الواقعية والبداهة بحيث لا يحتاج إلى إيضاح والوازع الديني.. والخلقي، هو وحده الشعور بانتظام علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد وعلاقة الفرد بأخيه، وهو في ذلك خير ضمان للصالح العام لأن الدين وما تضمن من شرائع هو رحمة من الله لعباده وليس فيه إلا ما يؤدي إلى إصلاح حالهم في حياتهم وبعد مماتهم، وهنا قد يقول قائل (مجهول) إن بعض العقوبات التي شرعها الإسلام لا تخلو من العنف والقسوة، وهو لم يصدر في قوله من فكر متعمق أو دراسة شاملة (فالعقوبات السماوية) ليست إلا رحمة بالناس وبالمجتمع. (الجرائم في عرف الشريعة هي محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تغرير.. وهي إما إتيان فعل منهي عنه أو ترك فعل مأمور

بـه. وقد شرع العقـاب في الجرائم لمنع الناس من اقترافهـا، لأن النهي عن الفعل أو الأمر بإتيانه لا يكفي وحده لحمل الناس على إتيان الفعل أو تركه (فالعقاب) أداة تزجر الناس عن الجرائم وتمنع الفساد في الأرض).

والغرض مـن تقريره حفظ مصـلحة الجماعة وصـيانة نظامها، ودوام بقائهـا. ولهذا جـاء في كتاب الله تعالى قوله (وَلَكُمْ فِي الْقِصَـاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَـابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) وقد أبانت هذه الآية الحكمة من القصـاص، وأنه يترتب عليه حفظ حياة الأفراد والجماعات لأن من علم أن عقابه – لو قتل غيره – نفس المصـير الذي عمله دفعه علمه إلى تجنب القتل فينجو هو مـن أراد القتل وهذه الآية على إيجازها بلغت ذروة الإفصـاح والإعجاز حيـث أبانت في إيجاز بليغ الحكمة الأساسـية في القصـاص، وهو حفظ النوع. وقد أوضح هذا المعنى قول الشاعر:

(بسفك الدما يا جارتي تحقن الدما)

وقول العرب في جاهليتهم: (القتل أنفى للقتل).

ولا يخفى تفرد الآية الكريمة بشمول المعنى مع الإيجاز البليغ..

أقسام العقوبات في الشريعة

والعقوبات تنقسـم في الشريعة إلى أقسـام ثلاثة: القصـاص، والحدود، والتعزيز، على تفصـيل أوضـحه الفقهاء وبسـطوا الحديث عنه، ومن هذه العقوبات عقوبة قاطع الطريق، وعقوبة القذف وحد الزنا والخمر والسرقة وغير ذلك مما جاء علاجاً حاسـماً لأمراض المجتمع الفتاكة. ولنتأمل فيما جاءت به الشريعة من إقامة حد القطع على السـارق مثلاً، هذا الذي أهمله

واضعوا القوانين وعدلوا عنه إلى الاكتفاء بسجنه، الذي هاجمت تنفيذه (كاتبة مصرية معروفة) في إحدى صحف دار الهلال بمصر قبل شهرين تقريباً وهي تجيب عن سؤال وجهه إليها أحد القراء عن إمكان إنفاذ حكم الإسلام في قطع يد السارق كعلاج لما يعانونه من انتشار للسرقة وتفنن من أصحابها في اتخاذ الطرق لممارستها، فكان مما أجابت به استنكارها لتساؤله، وقالت: لو نفذ ذلك لوجدنا بعد فترة وجيزة جيشنا من أرباب العاهات يموج بهم مجتمعنا أو كما قالت. وإجابتها تبرهن في وضوح وجلاء قصور إدراكها عن فهم مقاصد الإسلام في تقرير العقوبات والحدود، إذ الجريمة في حد ذاتها تعتبر - غالباً - اعتداء من الفرد في حق الجماعة، فمعاقبة هذا المعتدي بإقامة حد عقوبة عليه إنما هو في الواقع صيانة لمجتمعه الذي ينتمي إليه، ووسيلة ناجحة لإيقاف هذا الانحراف وقمعه..

والعقوبات المقررة في الإسلام يشترط لتطبيقها انعدام الشبهة والاضطرار والمبرر.. وتشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك واضح كل الوضوح في قوله: (ادرءوا الحدود بالشبهات) (ففي السرقة مثلاً) يقرر قطع يد السارق لكن بعد توافر شروط كثيرة يتبين بوجودها (مجتمعة) إقدامه على فعلته دون ما مبرر له هذا الاعتداء الصارخ المخل بنظام مجتمعه وبأمن أفراده على أموالهم وممتلكاتهم التي جعل الله الدفاع عنها من الواجبات المتعينة عليهم، ووعدهم بالشهادة لو فارقوا حياتهم مدافعين عن أموالهم في قوله صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد)، ويسقط حد القطع بوجود شرط أو أكثر على النحو الذي فصله الفقهاء، بل لقد أسقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه القطع عن (السارق)

في عام المجاعة.. ومن ذلك قضيته رضي الله عنه في غلمان حاطب ابن أبي بلتعة الذين سرقوا (ناقة) لرجل من مزينة فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له: إن غلمان حاطب سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر: يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع أيديهم، فلما ولى بهم ردهم عمر ثم قال: أما والله لولا إني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له، لقطعت أيديهم وايم الله إذ لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك. ثم قال يا مزني بكم أريدت منك ناقتك؟! قال بأربعمائة. قال عمر: اذهب فأعطه ثمانمائة. وذهب الإمام أحمد إلى ما ارتآه الفاروق عمر رضي الله عنه من سقوط القطع في المجاعة. وقال في ذلك الإمام بن القيم رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين.. (وهذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع، فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له إما بالثمن أو مجاناً على الخلاف في ذلك والصحيح بذلك ذلك مجاناً لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج وهي شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج وهي أقوى من كثير من الشبه التي يذكرها كثير من الفقهاء) إلى أن قال: (وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج المضطرون ولا يتميز المستغني منهم والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه (فدرئ) نعم: إذ أبان أن السارق لا حاجة له به، وهو مستغن عن السرقة قطع) أ.هـ. كلامه..

وفي إقامة الحد على الزناة نراه يقرر (رجمهما) لكن بعد تواجد شروط قد لا تتوافر غالباً.. كأن يكونا محصنين.. أو أن يشهد عليهما أربعة شهود بالرؤية القاطعة.. أو الاقرار المتكرر منهما أو أحدهما على نفسه بعد التعريض له بالرجوع عن اقراره.. ثم من القواعد المسلم بها: أن حرية الشخص تمتد ما لم ينتج عنها ضرر على نفسه أو غيره، وقد ثبت بالمشاهدة أضرار جريمة الزنا الصحية والخلقية مما قد يتعدى فاعليها إلى الأسرة والمجتمع في شكل جناية على الغرض) قد يدفع المجني عليهم إلى الإقدام على جريمة القتل كوسيلة الطمس هذا الخزي اللاحق..

لكننا نجد أكثر (القوانين الوضعية) تبيح الزنا ما دام قد وقع بتراضي الطرفين وهما يملكان إرادتهما الحرة.. تماماً كما تفعل في إباحة شرب الخمر ما لم يعربد شاربها في الطريق ويزعج أو يعتدي على غيره.. فهي لا تعاقب على السكر لذاته باعتباره رذيلة.. ولا تعاقب على شرب الخمر باعتباره مدمراً للصحة ومضيعاً للمال وللخلق بخلاف شريعة الله) فإنها تعاقب على مجرد شرب الخمر حتى ولو لم تسكر شاربها وتعاقب على الزنا ولو وقع بتواطؤ الطرفين ورضاهما لأنها تعني بالناحية الخلقية الشاملة، أي تتجه لحماية الأخلاق التي تستتبع حتماً صيانة الصحة والعرض والمال والأمن.

(والشريعة) إذ تعالج تلك المشاكل على هذا النحو فلأنها تقوم على أساس ثابت من الدين الذي بحث دائماً على محاسن الأخلاق، والتي هي إحدى دعائمه التي يعتمد عليها فهي باقية ما بقي هذا الدين، خالدة بخلوده، بينما نجد القوانين الوضعية تخضع دائماً للزيادة والنقص والتغيير والتبديل

لمجرد اختلاف النزعات والأهواء، ولمسايرة اتجاه الزعماء والحكومات، ثم يجب أن لا ننسى الجانب الروحي في خضوع المسلمين لأحكام شريعتهم وقبولهم لكل ما تجيء به وتدعو إليه، وما دامت كذلكم فهي تحل من نفوسهم المكانة اللائقة التي تفرض عليهم احترامها والتزام تعاليمها رغبة في عاجل الثواب وآجله، وخوفاً من عاجل العقوبة وآجلها.. وغلا فما الذي يدفع من ضعفت نفسه أمام شهوته الجنسية فمارس جريمة الزنا في غفلة وخلوة إلى مسارعته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، يسأله مختاراً إقامة حد الزاني على نفسه؟ أليس ذلك مظهراً رائعاً لانتصار الضمير ويقظته، ودليلاً على قوة اليقين بمراقبة الله المسلم في كل خطواته؟

(والفتاة) التي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أمر بعدم إضافة الماء إلى اللبن للمباع، وقد مضى عمر كعادته في جوف الليل يتفقد رعيته فيسمع قول الأم لابنتها (أضيف ماء إلى اللبن).. فترفض الفتاة قائلة: ألم تسمعي منادي أمير المؤمنين بمنع ذلك. فتجيبها أمها: وأين منا أمير المؤمنين الآن؟ فتجيبها الفتاة.. إذا لم يكن أمير المؤمنين يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا).

إن كل ذلك يعني الأثر الروحي الذي يربط المسلمين بشريعتهم، والذي يفتقده الناس تحت حكم القوانين الوضعية مهما سمت أقدار واضعيها.. لأنها لا تقرر العقاب إلا في حياة الفرد الدنيوية، أما بعد الموت فلا تتعرض له لبعد ذلك عن إحاطتها وإفهامها والشريعة جعلت جزاءها في الدارين معاً، بل وجعلت النصيب الأوفى من ذلك في الدار الآخرة حيث ما أعد الله للمؤمنين من فضله وكرمه، وما أعده لغيرهم من المصير السيئ المظلم.

ولو نفــذ الناس أحكام الشريعة الإســلامية كما جــاءت، بعد مراعاة ما تكتنف مرتكبيها من الظروف والملابســات لاستبدال الناس بعد خوفهم أمنــاً.. وبعد قلقهم هدوءاً وســكينة، ولعم الخير وســادت الرحمة.. ثم لا أدري كيــف تســتجيب لهم أنفســهم بقبول الاحتــكام - إلى غير أمر الله ونهيه.. وهو العليم بمصــالح عبــاده، العالم بما ينفعهم في الحال والمال (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَــى اللَّهُ وَرَسُــولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُــولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا). أليس من قضاء الله الاحتكام إلى كتابه وســنة نبيه صــلى الله عليه وســلم؟ في قوله تعالى (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ).. وقوله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

موقف الإسلام من الربا

الربا: في اللغة هو الزيادة والنمو، وربا فلان الرابية إذا علاها.

ومنه قوله تعالى: (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) أي تحركت بالنبات.

وهو شرعاً (الزيادة التي يؤديها المدين للدائن على رأس المال نظير مدة معلومة من الزمن أجله إليها مع الشرط والتحديد) وهو ربا النسيئة..

فهناك: زيادة على رأس المال، وتحديد لها باعتبار المدة، وكونها شرطاً في المعاملة شروط ثلاثة تنتهي بنا إلى ما حرمه الإسلام من الربا في النسيئة..

(وربا الفضل)× تناوله تحريم الإسلام أيضاً في أمره باتحاد الوزن والتقايض.

(وقد كان بنو المغيرة في مكة يأكلون الربا، فألغى النبي صلى الله عليه وسلم كل ما كان لهم على الناس، وكانت لهم على الناس أموال من الربا فكتب إلى عامله بمكة بقتالهم إن لم يكفوا عن المراباة وكان عمه العباس بن عبد المطلب من كبار المرابين في العرب فأعلن عند حجة الوداع (ألا إن ربا الجاهلية موضوع عنكم لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وأول رباً موضوع أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب)، وقد لَعنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم (آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده، وقال هم سواء))..

وقال ابن القيم رحمه الله (الربا نوعان.. جلي وخفي، فالجلي حرم لما فيه من الضرر العظيم والخفي حرم لأنه ذريعة إلى الجلي)، فتحريم الأول قصد والثاني وسيلة، والجلي.. هو (ربا النسيئة) وهو الذي كان يفعله أهل الجاهلية، والثاني (ربا الفضل) أ.هـ.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَـا فَمَـنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَـلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّـدَقَات وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم). وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ).

بيان صريح ووعيد شـامل في حق متعاطـي الربا بلغ في القوة بحيث يبقى المصـر على فعله – وتعاطيه محارباً لله ولرسـوله خارجـاً عن طاعتهما، ونبينا عليه السلام يقول: (يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، ومن لم يأكل الربا أصـابه غباره). وقال عليه الصلاة والسلام: (الربا تسعة وتسعون باباً، أدناها كإتيان الرجل أمه)، يعني: زنا الرجل بأمه. وروى ابن بكير قال: (جـاء رجـل إلى مالك بن أنس رضـي الله عنه فقال يا أبا عبـد الله إني رأيت رجلاً سـكراناً يتعاقر يريد أن يأخذ القمر فقلت: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابـن آدم أشر من الخمر، فقال ارجع حتى أنظر في مسـألتك فأتاه من الغد، فقال له ارجع حتى أنظر في مسـألتك، فأتاه من الغد فقال له: امرأتك طالق، إني تصفحت كتاب الله وسنة نبيه فلم أر شيئاً أشر من الربا لأن الله أذن فيه بالحرب).

والإسـلام في تحريمه للربا إنما يصون العلاقة الأخوية بين المسلمين ويحكم التعاون بينهـم، كما أنه يرمي من وراء تحريمه له إلى الحيلولة دون تكاثر رأس المال على حسـاب المحتاج والمعدم والمضطر، ويساهم في القضاء على طبقة المرابين الذين يمتصون أموال الناس وأقواتهم بدون عناء أو مشقة (وبين الربا والاسـتعمار أكثر من رابطة وعلاقة) إذاً الغزو الاقتصـادي في غالبية الدول

المستعمرة قديماً وحديثاً غالباً إنما يتقدم ليمهد للغزو العسكري المرادف له، بعد أن تفقد تلك الدول أموالها بما تدفعه من ربا محرم لقاء ما تقبله من قروض لتصبح بعد أن يضطرب ميزانها الاقتصادي عاجزة عن حماية نفسها والدفاع عن استقلالها، فتقع فريسة (الاستعمار والتحكم).. (فالإسلام) حينما حرم الربا فليحمي علاقة المسلم بأخيه، وليؤكد من إخائهما وتراحمهما بما حث عليه من أموال المعسر والتجاوز عنه وبما فرضه من الزكاة الواجبة والصدقات المندوبة.. والقوانين بإباحتها التعامل بالربا - تتجاهل سيئ النتائج التي تتردى فيها المجتمعات والأمم من انعدام التعاون واستغلال الفقير والكادح وحرمانهما من حقهما في عيش حر وكريم بمنأى عن اضطهادهما والتضييق عليهما، وفي جانب تحريم الإسلام للربا فهو يشجع على البذل والمساواة والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين. ويفرض الزكاة حقاً واجباً للفقراء على الأغنياء.. وشريعة الإسلام بعد ذلك وقبله خالية من الإحراج والتعقيد والإكراه.. تحل المحرمات عند الضرورة وتقدم المصلحة العامة على الخاصة وتجيز تفويت إحدى المصلحتين لبقاء الأخرى وحمايتها.. (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، (فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ).. (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ولئن عرف العقلاء والمفكرون من المسلمين وغيرهم مزية الإسلام وتفوقه على غيره من الأديان والشرائع للفرد وللمجتمع في توازن دقيق، فإنما هم يقرون حقيقة راسخة لا يغيرها قصور الأفهام عن إدراكها.. أو عمى الأنظار عن إبصارها، فالإسلام شريعة كاملة تساير التطور الصحيح ليس الجمود والقصور من خصائصها لكنهما قد يوجدان في أتباعها والمنتسبين إليها.

ولئـن أردنـا الاستشـهاد بأقوال بعض مفكـري الغرب، فإنما لنقـرر (حقاً) شـهد به أعداء الشريعة ليقوي من واقعيته ورسـوخه. قال سانتيلانا في بعض مؤلفاته: (إن في الفقه الإسـلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل ’ن فيه ما يكفي الإنسانية كلها).

وقال هو كنج الأمريكي أسـتاذ الفلسـفة بجامعة هاردفرد في كتابه (روح السياسـة العالمية): (واني أشـعر بأني على حق بأن في الشريعة الإسـلامية كل المبادئ اللازمة للنهوض).

وقال الدكتور اتريكو انسـابانو: (ان الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية، بل هي تعطي العالم أقوى الشرائع ثباتاً ورسوخاً).

وقال الأستاذ لامير الفرنسي (الكتب والمؤلفات في الشريعة الإسلامية كنز لا يفنى ومعين لا ينضـب، والشريعة الإسـلامية في العصور الوسطى لتاريخ المدنية الإسـلامية أمدت المدنية المسيحية الحاضرة بقسـط وافر من الأصول العامة).

وقال الأسـتاذ (سـبرل) عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوق سـنة 1927هـ. (إن البشرية لتفتخر بانتسـاب رجل كمحمد إليها، فإنه على أميتـه – اسـتطاع قبل بضـعة عشر قرنـاً أن يأتـي بتشريع سـنكون – نحن الأوروبيين – أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألف سنة).

إن هذه الآراء الصريحة التي نقلها إلينا الأسـتاذ محمد الغزالي في بعض كتبه من القوة والوضوح بحيث لا نحتاج إلى تعليق أو إبانة.

وقبـل أن أختتم حديثي أرى من المستحسـن أن أورد موجزاً للمقارنة بين الشريعـة الإسـلامية والتشريعات الوضـعية القديمة والحديثـة كما جاءت في

بحث طويل كتبه الدكتور محمد يوسف موسى، يقول فيه عن نواحي تفوق التشريع الإسلامي على غيره: (إنه ليس من اليسير حصر ميزانها أو إحصاؤها، لكن منها ما يراه الأستاذ الدكتور علي بدوي أحد الأعلام في القانون: (ان التشريع الإسلامي له استقلاله عن غيره من التشريعات القديمة ويفوق في كثير من النواحي غيره من التشريعات الحديثة. ومن ذلك نظام (الحسبة) وهي وظيفة اجتماعية قانونية إسلامية تقابل وظيفة النيابة العمومية اليوم. ونظام (العقاب بالتعزير). وهو ترك تحديد العقوبة نوعاً ومقداراً للقاضي ليحكم بما يراه من ظروف الجريمة وحالة المجرم ونفسيته، وهو نظام يمتاز به الفقه الإسلامي وينادي به كبار العلماء والجنائيين في العصر الحديث.

والدكتور شفيق شحاتة الأستاذ بكلية الحقوق يقول في بعض ما كتبه: (وإذا أردنا المقارنة من حيث قيمة النظم القانونية وجدنا التشريع الإسلامي قد سبق التشريع الروماني في تقدير بعض المبادئ العظيمة ومنها مبدأ انتقال الملكية لمجرد الارتقاق (أي بلا حاجة لإجراءات رسمية وأمور شكلية) ومبدأ سلطان الارادة (أي إرادة كل من المتعاقدين).

ثم يقول الدكتور محمد يوسف بعد ذلك: (ونكتفي في ناحية المقارنات ببيان أن التشريع الإسلامي تسوده النزعة الجماعية التي تهدف إلى صالح الفرد والمجتمع معاً، وهذه النزعة نجدها واضحة في تشريعات العبادات والمعاملات معاً، فكل التشريعات في هاتين الناحيتين تهدف إلى تهذيب الفرد وتحقيق ما فيه خيره وخير المجتمع بأسره) ثم بدأ يسوق الأمثلة من واقع العبادات والمعاملات بما يطول إيراده ويقول بعد ذلك (هناك مثال آخر بل مُثل أخرى نأخذها من تطبيقات القاعدة الإسلامية المعروفة (ولا ضرر ولا

ضرار في الإسـلام) هذه القاعدة التي عرفها التشريع الإسلامي منذ وجوده، والتي عرفتها التشريعات الحديثة بعد ذلك بقرون وقرون تحت عنوان (نظرته سوء استعمال الحقوق)).

ثم قال: (لكن التشريعات الوصـفية لم تلاحظ في أول أمرها بخاصـة هذه النظرة الجماعية أو الاجتماعية، بل كانت تسودها الروح الفردية العنيفة).

ثم يقول.. (إن القوانين الوصـفية تعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية له فهو يملكها ويتصرف فيها كما يرى، فلا حرج عليه ولا تثريب إن أساء استعمالها.. أما الشريعة الإسـلامية فترى أن الفرد نفسـه وكل ما يعتبر له عادة من حقوق ملـك لله وحده، والله لا يمنع ما يمنح لعبده مـن حقوق إلا لغرض حكيم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معاً، فلذلك نجد تقييد استعمال الحقوق في نواح مختلفة وكثيرة جداً، ومن ثم وجب أن يكون الإنسـان في عمله واسـتعماله لحقـوق متفقاً مع ما قصـده الله من التشريع، وإلا كان عمله باطلاً لمناقضـته الشريعة ومقاصدها).

وبعـد.. فلعلـك أيها القـارئ الكريم قـد تتبعت مراحل هـذا البحث في غـير سـآمة ولا ملل لا نتهى بـك ومعـك إلى النتيجة الحتمية البـارزة وهي تميز الشريعة الإسـلامية عن كل ما عداها وصـلاحيتها لـكل زمان ومكان، وشمولها لصـالح العباد ونظام معاملاتهم. ولئن تخاذل (أتباعها) عن إبراز ما تنطوي عليه من مرونة وتجاوب أمام ما يسـتجد من مشاكل واقعيات تبعاً لتطور العصـور والأزمنة فإن الذنب في ذلك ليس ذنب الشريعة والقصـور ليس إليها، وعسى أن نرى في مقبل أيامنا تحكيماً واقعياً لشريعة الله فيما بيننا من معاملات ومشاكل أصبحت من الوضوح بحيث لا تخفى على أحد.



كرامة الفرد في الإسلام

آراء صريحة في مجتمعنا

ألقيت بمناسبة حفل التخرج العاشر لجامعة منداناو الحكومية
مدينة مراوي - الفلبين

طبعت الطبعة الأولى
الثلاثاء 25 ربيع الثاني 1395هـ - الموافق 6 مايو 1975م

الطبعة الثانية
1435 هـ - 2014 م



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد، عبد الله ورسوله إلى الناس أجمعين.

يسعدني أن أنقل إليكم تحيات جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وحكومته وشعب المملكة العربية السعودية وتمنياتهم الطيبة لكم ودعاءهم لكم من جوار بيت الله الحرام ومسجد رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالتوفيق والسعادة لكم في الدارين.

يؤسفني عدم تمكني من الحضور في الموعد السابق الذي حدد لحفل التخرج، وذلك بسبب الفاجعة الأليمة التي حلت بنا بفقدنا لزعيمنا الراحل جلالة الملك فيصل تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته، لقد حمل الأمانة فأداها حقها كأحسن ما يكون الأداء، وسجل على صفحات التاريخ أعمالاً جليلة خالدة؛ سواء في داخل المملكة أو على النطاق العربي والإسلامي والدولي.

وكان – رحمه الله – يرعى بنفسه تطوير الخدمات للشعب السعودي حتى انتشرت المدارس والمستشفيات ومراكز الخدمة الاجتماعية والضمان الاجتماعي ومراكز الإرشاد والإعانات الزراعية إلى غير ذلك في جميع أنحاء المملكة، من قمم جبال عسير وبطون أوديتها على أقاصي صحراء الجزيرة، فارتفع عدد الجامعات بالمملكة في عهده – رحمه الله – من جامعتين إلى خمس جامعات، وستفتح السادسة أبوابها خلال أشهر قليلة بإذن الله، وتوّج

جلالته أعماله في المجال الصحي بإنشاء مستشفى الملك فيصل التخصصي وملحق به مركز للأبحاث الطبية، وقد هيأ لهذا المستشفى أرقى وأحدث الإمكانات الفنية في جميع المجالات وقمة القوى البشرية المتخصصة بحيث يضاهي أرقى مستشفى في العالم، إن لم يفقه في بعض الجوانب.

كما أن خدمة حجاج بيت الله الحرام وتحسين الخدمات التي تقدم لهم في المشاعر المقدسة كانت تلقى منه – رحمه الله – كل دعماً واهتماماً.

وفي المجال العربي كان – رحمه الله – القائد الذي جمع بحكمته كلمة العرب، وقدم جميع أنواع الدعم العسكري والمادي والمعنوي لدول المواجهة مع العدو الصهيوني.

وفي المجال الإسلامي قاد جلالته بكل عزم وحماس دعوة التضامن الإسلامي، من أجل جمع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ليتحابوا ويتعاونوا ويتحقق قول الله عزَّ وجلَّ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، وكان يحرص – رحمه الله – على تقديم كل عون ممكن لإخوانه المسلمين في أي مكان في العالم؛ من بناء للمساجد وإقامة دور العلم وترجمة معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى لغات مختلفة، ونشر الكتب وإعطاء المنح الدراسية وإيفاد الدعاة والمدرسين وتشجيع الجمعيات والهيئات النشطة في مجال العمل الإسلامي.

وفي المجال الدولي أسهم – رحمه الله – إسهاماً فعالاً في المحافظة على سلام العالم، وقد كان لسياسة جلالته المتزنة – رحمه الله – في موضوع البترول أثر كبير في المحافظة على رخاء العالم وتقدمه الاقتصادي.

رحـــم الله الفيصـــل رحمـــة واســـعة وأســـكنه جنـــات الخلد مـــع النبيين والصديقين والشهداء والصاحين وحسن أولئك رفيقاً.

إنه لمما يخفف مصـــابنا في فقدنا للفيصـــل الغالي أن الراية قد حملها من بعده أخوه خالد بن عبد العزيز – حفظه الله – الذي أكد في بيان حكومته إيمانها العميق بتطبيق سياســـة المملكة الداخلية والخارجية على النهج الذي رسمه وسار عليه جلالة المغفور له الملك فيصل – طيب الله ثراه –.

ففي المجال الداخلي ســـتظل الشريعة الإســـلامية الراية التي تستظل بها، والمنطلـــق الذي تســـير منه، والهـــدف الذي تســـعى إليه، تحتكـــم لمبادئها وتستضيء بنبراسها، وسوف تستمر حكومة جلالة الملك خالد المعظم في خطتها للتنمية والرفع من مستوى رفاهية الشعب السعودي في القطاعات التعليمية والصحية والصناعية والزراعية والاجتماعية.

أما المجال الخارجي فمن أهم ركائزه الدعوة للتضـــامن الإســـلامي لرفع شأن المسلمين في أقطارهم وتقوية أواصر التعاون بينهم.

وكذلك دعم وحدة الصـــف العربـــي وإقامة تعاون عربي حقيقي وفعال بين مختلف الشـــعوب العربية في جميع المجالات السياســـية والاقتصـــادية والاجتماعيـــة وغيرها. وعلاقة المملكـــة لا تقتصر على الدول الإســـلامية والعربية، بل تمدها إلى كل الشـــعوب والدول المؤمنـــة بالله، المؤمنة بمبادئ الحق والعدل.

يطيـــب لي قبـــل بداية حديثي عـــن كرامة الفرد في الإســـلام أن أوضـــح ثلاثة أمور:

1- إنني إذ أتحدث عن الإسلام وكرامة الفرد المسلم لا أصدر فيما أقول عن عاطفة محضة أملتها عليّ علاقتي بالإسلام وانتسابي له، ولا أريد أن أفترض جدلاً سبقي لما أعتزم إيضاحه أو عدم العلم به ممن يستمعه.

فلقد جاءت تعاليم هذا الدين واضحة صريحة، فما وجدت صعوبة في الالتقاء مع العقول المستقيمة الواضحة، بل لقد كانت - وربما انفردت بذلك- تتجه بواقعيتها إلى العقل الإنساني لتشده من سباته، أو لتدفع به في الطريق التي ينبغي له أن ينتهجها، ولتقول له فيما يشبه التأنيب الحاني: حقق بوجودك غايتك. ولئن كان من مقاصد المبادئ أو الأفكار التي لا سند لها من الواقع.. أن تسلب من تابعيها قدرتهم على التفكير أو الاقتناع، حتى يسيروا (قطيعاً) متدافعاً تتابع جحافله بتأثير المحاكاة، أو يبقى مفكروهم وقد غُلبوا على أمرهم (ضحايا) أزمة الصراع والقلق، وهم يعيشون مهزلة التناقض، وواقع العبودية الجاهلة، فالدين الإسلامي يلجأ، وبإصرار، إلى مخاطبة العقل وتمكينه من استخدام مواهبه وشحذ قواه حتى ينتهي المطاف -إن فعل- إلى موقف التبعية الواثقة الواعية التي تستشعر من ثقتها مكانتها، ومن وعيتها احترامها للغير واحترام الغير لها.. فهو لكي يحقق هذه الغاية نراه يبني في الفرد ثقته بنفسه، ويؤكد له أسباب قدرته على مواهبه، ويهيئ له وسائل الاستفادة منها والانتفاع بها، ليستوي في ذلك أتباعه أو غيرهم، فهو دين عام شامل لا يختص بقوم دون غيرهم لأنه رسالة السماء إلى الناس كافة؛ عربهم وعجمهم، غنيهم وفقيرهم، أبيضهم وأسودهم، تلتقي في جوهرها وأصولها بكل الأديان السماوية التي سبقتها، وتكمل رسالتها، وفي هذا يقول الله تعالى:

(وَمَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إلَيْهِ أنَّهُ لا إله إلاّ أنا فَاعْبُدُونِ)[1].

ويقول في آية أخرى:

(قُولُوا آمَنَّا باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إلَيْنَا وَمَا أنْزِلَ إلى إبْرَاهِيم وَإسْـمَاعِيلَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوب والأسْبَاطِ، وَمَا أوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[2].

فالأنبياء قوم اختصهم الله بتبليغ رسالاته وشرائعه، واصطفاهم من خلقه، لهم واجب الاحترام والإجلال والحب، صلوات الله وسلامه عليهم.

2- إن من الظواهر البارزة في كثير من الأحيان وفي عصرنا هذا - على نحو واضح- أن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام قد ابتعدوا عن تعاليمه، واستبدلوها بغيرها، وانطلقوا في واقع مؤسف ليتطلعوا - وهم القادة- إلى مبادئ غيرهم لينقلوها إلى واقعهم، رغم فشلها وإضرارها ومساوئها، وأوجدوا بذلك هوة شاسعة بين مبادئ الإسلام وأخلاقه وتشريعاته وبين واقع أكثر المنتسبين إليه.

ولست هنا بصدد التعرف على دواعي الانحراف ومسبباته فهي كثيرة ومتتابعة، وربما كان من المجدي إفرادها ببحث متكامل مستقل، لكني أرى أن من أهم أسباب حالة المسلمين المعاصرة استسلام قادتهم ومفكريهم (للوهم الكبير) الذي يقول بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للحكم وقيادة المجتمعات، وصاحب هذه الأكذوبة التي وجدت من يقول بها ويطمئن إليها رجلان:

أحدهما: (جاهل) بشريعة الله وما تنطوي عليه من مقومات ومُثل، والجهل بالشيء ربما دفع الجاهل إلى معاداته وإعلان الحرب عليه.

(1) الآية رقم 25 من سورة الأنبياء.

(2) الآية رقم 136 من سورة البقرة.

والآخـر: (حاقد) عليها لأنه يعلم قدرتها على الاسـتمرار والبقاء، لكنه يريد لها أن تظل في عزلتها معطلة مشـلولة.. ولتحقيق ما يهدف إليه فهو يعمل في اتجاهين متضـادين يتهمهما بالقصـور والجمود والعجز، ويروج لمـا يتعارض معها مـن المذاهب والمبادئ، وتظل (المجتمعات الإسـلامية) تبعـاً لهذا الصراع تعيش في دوامة القلق والاضـطراب، ونراها تتخبط في تشريعاتها وأنظمتها، فهي قد تقبل حيناً ما سبق لها مقاومته حيناً آخر، وقد تقاوم ما سـبق أن رحبت به وقبلته.. ولا أريد بهذا الاسـتعراض الخاطف إلا الوصـول إلى نتيجة مهمـة ولازمة هي: ما دام الواقـع المائل لكثير من المسـلمين وقادتهم غـير ملتقٍ مع تعاليم الإسـلام الصـحيحة، وما دامت شريعتنـا تواجه الكثير من الاتهامات والأكاذيـب وهي منهما براء.. فمن الظلـم للشريعة الإسـلامية أن نحكم عليها بذلك الواقـع، فنحملها تهمة الاسـتيعاب والشـمول لما تحفل به أكـثر المجتمعات الإسـلامية المعاصرة من تناقضـات وانحرافـات ما أنزل الله بها من سـلطان، فهي براء من كل مـا يتعارضـ معها ويتنافى مـع آدابها وسـماحتها ومقوماتهـا، وإن كثُر المتنكـرون لهـا أو الخارجون عليها، فالكثرة في منطق الإسـلام ما لم تكن علـى حق وبرهان فهي لا تضـعف حق القلة المؤمنـة، ولا تعتبر دليلاً على سـلامة نهج الأكثرية، فلقد قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السـلام: (إنَّ إبْرَاهِيمَ كَأنَ أمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً)[1].

ولم يكن معه أحد على الحق، فالحق وحده جعل من وحدته قوة تعدل في فاعليتها قوة الأمة المجتمعة.. أقول: لا ينبغي أن نتعرف على الحق بالرجال،

(1) الآية رقم 120 من سورة النحل.

بل ينبغي أن نعرف الرجال بالحق، ولست أجد ظلماً لأي عقيدة أكثر من الحكم عليها بواقع المنحرفين من أتباعها، فدين الله واضح المعالم نيّر المسالك، لا مكان فيه لالتواء أو غموض، فلقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام:

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1].

وخير لمن أراد أن يتعرف على شريعة الإسلام أن يعمد إلى واقعها الفعلي لا واقع أتباعها، وهي - بحمد الله - في هذا المجال في مركز الثقة، فمصادرها كتاب الله - المعجزة الخالدة التي تحدى بها فصحاء العرب وبلغاءهم ليأتوا بسورة من مثله أو بآية، وهو ينطلق بلسانهم الذي يعرفون وبلغتهم التي يتحدثون، فما استطاعوا إبطال ذلك التحدي الواضح الذي صورته لنا الآية الكريمة في قوله تعالى:

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[2].

(وسُنة) نبيه عليه السلام، وقد جاءت مبينة لكتاب الله ومفصلة لمجمله.

فما وافق ما احتوياه، وصدر عنه فهو من الإسلام، وما خالفهما فهو مردود وباطل، ولكي تظل كل تصرفات المسلم صادرة عن دينه وشريعته، أعلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شجب كل حادث في الدين مما ليس منه، فقال عليه صلوات الله وسلامه:

(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ).

---

(1) الآية رقم 108 من سورة يوسف.

(2) الآية رقم 88 من سورة الإسراء.

وفي حديث آخر:

(مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أمْرُنَا فَهوَ رَدٌّ).

3 – إنني أرجو أن يتيقن الإخوة الســامعون من عجزي عن اســتيعاب ما أريــد بحثه، فالحديث عن الإســلام كما نريد أن يعلمــه الناس وكما هو في واقعه المشرق (بعيداً عن الأباطيل والتهم الحاقدة)، مهمة شــاقة ودقيقة ربما احتاجت لتفرغ وانقطاع، ولا ســبيل إلى ذلك مع ما يتوجب عليّ مزاولته مــن واجبات، هذا من جهة ومــن الأخرى فالأمر يحتاج إلى مختصــين في الشريعة الإســلامية ليســتطيعوا بما علموا من فضــائلها أن يخرجوا ببيانهم على الناس للإســهام في إيجاد مفاهيم جديدة وصــالحة عن شريعتنا، تتلاءم مــع ما حباها الله وما أراده من خــير لأتباعها، وحريّ بمن يريد أن يتحدث عــن أمر أن يُلم بجوانبه وتفاصــيله حتى يســتطيع أن ينقل تلك التفاصــيل والجزئيات ليصــافح بها قلوب الناس وعقولهم، فربما كان خفاء الأمر على المرء ســبباً لبعده عنه ومجافاته.. وليســت أقوال المنصــفين من المفكرين من المســلمين وغيرهم عن الإسلام في الفترات الزمنية المتلاحقة إلا دلائل على تجردهم ونشدانهم الحقيقة بعيدة عن التهم والأهواء، لذا فأنا أعترف مسبقاً بضــعف محاولتي وأرجو أن يتيقن الســامعون، مشــكورين، أن ما سأورده هو انعكاس محدود لمشــاعري نحو ديننا الإســلامي العظيــم، أملتها الرغبة في الاســتجابة للدعوة الطيبــة التي تلقيتها من هذه الجامعــة الموقرة جامعة (مندناو) الحكومية، على لســان الأخ (موريا غ تامانو) للاشــتراك في هذا الحفل الكريم. ولســت أريد بمــا أوردت من معاذير أن أتنصــل من واجب مسؤوليتي كفرد في مجتمع مســلم في الالتزام بواجب الولاية التي اختصنا

الله بهـا كمؤمنين ليتحقق التنفيذ العملي لبناء المجتمع المسـلم المتكامل في قوله تعالى:

(والْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)[1].

وتلك الولاية في مفهومي يجب أن تظل الحافز اليقظ لاستنهاض الهمم إلى الإصلاح ومحاربة الضعف والعجز والرذيلة.

وسأكتفي في حديثي معكم بالإجمال والإشارة خشية الإطالة، وتفادياً لإزعاجكم، مقدراً تكريمكم لي بالاستماع والمشاركة، الأمر الذي يشكل – دون ريب – خير دافع لاستدامة الجهود للكشف عن أفضل الطرق لإصلاح واقعنا وتحديد المعالم لمستقبلنا.

• • •

يجدر بي هنا أن أشير في إيجاز إلى واقع العرب قبل بعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام – ولن أجد في تصوير ذلك أبرع مما قاله جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– حينما هاجر مع بعض صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى الحبشة فراراً من أذى قريش وظلمهم، فلقد قال للنجاشي وقد سأله عن حالهم وما طرأ عليهم فقال له جعفر: (كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف.. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه.. وقد دعانا إلى الله لتوحيده ولنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن

(1) الآية رقم 71 من سورة التوبة.

المحـارم والدمـاء، ونهانا عن الفواحشـ، وقول الـزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصـنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شـيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقنا وآمنا به، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونـا إلى عبادة الأوثان، وأن نسـتحل ما كنا نسـتحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادكم).

هذا هو الفارق بين مجتمع العرب قبل الإسلام وبين واقعهم بعده، خرج نور الإسـلام ببعثة محمد عليه الصلاة والسـلام من مكة المكرمة، وكانت أول آية أنزلت عليه في غار حراء وهو يتعبد الليالي ذوات العدد قوله تعالى:

(اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ ورَبُكَ الأَكْرَمُ، الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ، عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[1].

وهي أمر مـن الله إلى نبيه بالقراءة، ودعوة له ولأمتـه ليتعلموا ويعلموا، ثم توالت آيات القرآن تتنزل من الله على نبيه لتكوّن المجتمع المسلم الذي يريده الله ويرضـاه، ولتحقق وسطية هذه الأمة وتمييزها بأن تكون شاهدة على الناس.. كما قال تعالى:

(وَكَذَلِـكَ جَعَلْنَاكُـمْ أمّةً وَسَـطاً، لَتَكُونُوا شُـهَدَاءَ عَلَى النَاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداْ)[2].

والرسالة المحمدية تتميز بظواهر بارزة:

منها (عالميتها)، فهي ليسـت للعرب خاصـة، بل للعالمين جميعاً، لأنها خاتمـة رسـالات الله إلى الأرضـ، فوجـب أن تكون شريعة عالميـة للناس

(1) الآية رقم 5-1 من سورة العلق.

(2) الآية رقم 143 من سورة البقرة.

جميعاً، وأن يكون في طبيعتها ما يجعلها بحق صـالحة للإنسـانية في كل مكان وزمان، وأن يكون في شـخص رسولها وسجاياه وشمائله ما يجعله الرسـول المصطفى لعباد الله جميعاً، فيجد به كل إنسان مثله الأعلى الذي يحتذيـه ويقتدي به، وقـد كان كذلك فقد اصـطفاه الله وهو أعلم حيث يجعل رسالته فقال عنه:

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم)[1].

وقال تعالى:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُـولٌ مِنْ أَنْفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّـمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمُؤْمِنينَ رَؤُوفٌ رَحيم)[2].

وقال عن طبيعة رسالته:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[3]. (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كافَةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرا)[4].

وقال تعالى:

(تَبَارَكَ الّذِي نَزَّلَ الفُرقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)[5].

كما أمره بأن يخاطب كل الناس وليس العرب وحدهم في قوله:

(يـا أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي رَسُـولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، الّذي لَهُ مُلْكُ السَّـمَواتِ والأَرْضِ، لاَ إِلَه إلا هُو)[6].

(1) الآية رقم 4 من سورة القلم.
(2) الآية رقم 128 من سورة التوبة.
(3) الآية رقم 107 من سورة الأنبياء.
(4) الآية رقم 27 من سورة سبأ.
(5) الآية رقم 1 من سورة الفرقان.
(6) الآية رقم 158 من سورة الأعراف.

ولقد كان عليه الصلاة والسلام عالماً بالدور الذي هيأه الله له واختاره فقال عن نفسه:

(إنَّ مَثَلي ومثلَ الأنبياءِ مِنْ قبْلي كمثلِ رَجُلٍ بَنَآ بيتاً فحسّنهُ وجمّله، إلا موضعَ لبِنَةٍ من زاوية، فجعلَ الناسُ يلُفُّون به ويعجَبُونَ لهُ ويقولونَ: هَلاّ وضعْتَ هذهِ اللبنة.. فأنَا اللّبنةُ وأنا خاتمُ النبيّين).

ومن الظواهر البارزة في شريعتنا أنها جاءت مشتملة على (التيسير ورفع المشقة والحرج). قال تعالى:

(مَا يُريدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرَجٍ)[1].

وقال تعالى:

(يُريدُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْر)[2].

وقد تجلى ذلك في العبادات عند حدوث ما يفرض ذلك ويوجبه، كما في إباحة قصر الصلاة وجمعها حال السفر، والفطر للصائم إن كان مريضاً أو مسافراً، وإباحة التيمم عند عدم الماء أو تحقق الضرر باستعماله عند حلول الصلاة، وكذلك اقتصار الصيام الواجب على شهر واحد في العام، واقتصار الحج الواجب على مرة واحدة في العمر لما يعلم من ضعف البشر، وكذلك الزكاة فهي لا تفرض إلا على القادر الذي يمتلك نصابها، وبقدر لا يجحف بماله أو ينقصه كثيراً.. وفي المعاملات نلمح دون عناء ما تتميز به من تيسير وتبسيط.. وفي العقوبات نجد فيما دون الحدود كيف تترفق الشريعة الإسلامية بالمسلمين ما لم يصرّوا أو يجاهروا في قوله عليه السلام:

(1) الآية رقم 7 من سورة المائدة.

(2) الآية رقم 185 سورة المائدة.

(ادرأوا الحدودَ بالشُّبهاتِ ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلُّوا سبيلهُ، فإن الإمام لئن يخطئ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة).

وفي قوله عليه السلام:

(أقيلوا ذوي الهيئاتِ عثراتهم).

وفي ترغيبه على الالتزام بنقاء المجتمع، وتنمية الإحساس بالجريمة عند وقوعها والتوبة إلى الله منها، والعزم على عدم العودة إليها في قوله عليه السلام:

(كل أمّتي مُعافى، إلا المجاهرون وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه).

ولا تتجاهل الشريعة لحظات الضعف التي قد تلم بالمؤمن نتيجة إغفاء ضميره بسبب الجهالة أو تأثير البيئة، فهي إذ تحاربها وتنهى عن الاستسلام لتأثيرها وتحث على تدعيم بقاء حياة المسلم وتنمي شعوره برقابة الله له، وعلمه لما يخفى وما يظهر، تلزم الخاطئ بضرورة العودة إلى الله بطلب المغفرة والصفح، فهو قريب لمن دعاه يكره القنوط واليأس ويضع المؤمن في مقربة من رحمته ومغفرته فيقول تعالى:

(قُلْ يَا عِبَادي الذينَ أسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمةِ الله، إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً، إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ)[1].

ويقول في آية أخرى:

(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُوراً رَحيما)[2].

---

(1) الآية رقم 53 من سورة الزمر.

(2) الآية رقم 110 من سورة النساء.

وهنا ينفرد الإسلام بمظهر رائع للتوبة فهي لا تحتاج إلى وسيط ولا تضطر المرء إلى الذهاب إلى مكان معين في وقت محدد، لكنها تستدعي في نفسه يقظة ضميره، وإحساسه برقابة الله له، فيعود نادماً وطائعاً ومستغفراً.. مظهر بسيط كبساطة الإسلام ويسره.. ويذكر المسلم فيه ربه فيستشعر الندم، والخجل، وعتاب الضمير وفي هذا يقول تعالى:

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)[1].

ومن المظاهر لهذه الشريعة: (بساطتها) فهي تنتزع المسلم من أوحال الوثنية الظالمة التي تهبط بعقله وتفكيره إلى الإيمان بالله الواحد الأحد خالق هذا الكون ومدبره. وترتفع به من الضعف المشين إلى أعلى مراتب القوة والعزة، لأنها تربطه بمصدر القوة، وتلغي ما يفصل بينهما من وسائط وشفعاء، فالمسلم قريب من الله ليس بينه وبينه وسائط ولا حجاب، فهو القوي بربه، العزيز لصلته به، والحر لارتباطه بعدالته.

ولكي نتعرف على مكانة الإنسان لدى الله يجب أن نتيقن اعتباره له أكرم ما في الوجود، واختياره لخلافته في الأرض وتسخير ما فيها من جبال ووهاد، ورطب ويابس له، وإكرامه بالعقل الذي يتميز به طريق الخير من الشر وإرساله له رسلاً مبشرين ومنذرين، فمن أطاعهم دخل جنته ومن عصاهم استحق عذابه.

(1) الآية رقم 135 – 136 من آل عمران.

ولقد كان حديث الله للملائكة عند إرادته استخلاف آدم عليه السلام وبنيه في الأرض وإجابة الملائكة له دليلاً ثابتاً على إكرام الله للفرد في قوله تعالى عن الملائكة:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[1].

ولكن نستطيع أن نتعرف على مقدار ما يمنحه الدين الإسلامي لأتباعه من كرامة وحرية يحسن بنا أن نستعرض في إيجاز بعض النصوص الحديثة التي ضمنت حقوق الإنسان واعتبرت سبَّاقة إلى تقريرها والمناداة بها، ولعل من أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر عام 1948م، في دورتها الثالثة التي عقدت بقصر شايو.

فقد بدأ بمقدمة تؤكد الاعتراف بكرامة البشر وبحقوقه كأساس للحرية والمساواة والعدل.. وكان مما جاء في ذلك الإعلان:

- يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق.
- لكل إنسان حق التمتع بالحقوق والحريات كافة.
- لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.
- لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص.
- لا يُعرَّض أي إنسان للتعذيب أو العقوبات أو المعاملات القاسية الوحشية.
- كل الناس سواسية أمام القانون.

(1) الآية رقم 30 من سورة البقرة.

- لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً.
- لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير.

هذه نماذج من التشريعات الحديثة التي تدعي السبق والكمال وتحقيق المستوى المنشود لحفظ كرامة الفرد.

فأين يقف الإسلام من هذه المطالب؟

تساؤل ربما أدى إلى مزيد من الإيضاح، لكني ألتزم في الإجابة عنه بأمرين، أولهما: الإيجاز، ويكفي أن أعرض موقف الشريعة الإسلامية بصفة موجزة رعاية لوقتكم.

والثاني: إنني لن أتحدث إلا بالنصوص والشواهد الواقعية وهي في مجال الثبوت توازي لغة الأرقام في مفهومنا المعاصر.

ففي مجال المساواة.. قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[1].

وقال تعالى:

(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً)[2].

فالبشر في شريعة الله لا يتمايزون بلغة أو لون أو عنصر، لكنهم يتفاضلون بتقوى الله وتنفيذهم لواجبات دينهم واجتنابهم ما نهى عنه، وكل مخلوق مهما كان، شأنه شأن غيره في الحقوق والواجبات.

---

(1) الآية رقم 13 من سورة الحجرات.

(2) الآية رقم 37 من سورة سبأ.

ولقد شــدد النبــي عليه الســلام في تطبيق الأحكام الشرعيــة، ومنع من محاباة النسيب وظلم الضعيف، تؤكد ذلك قصة القرشية التي سرقت عقب فتح مكة، وســاء قريش أن يقطع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدها فدفعوا إليه أسامة بن زيد – رضي الله عنه – وهو القريب إلى نفسه ليشفع في المرأة، فقال له النبي:

(أتشْفَعُ في حد مِن حُدود الله؟).

ثم وقف خطيباً وقال:

(ما بال أقوام يشــفعون في حد من حدود الله، إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضــعيف أقاموا عليه الحد، وأيْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعتُ يدها).

وقال عليه السلام:

(كلكم لآدم وآدم من تراب.. ولا فضــل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

وســار الخلفاء الراشدون على نهجه، فعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – شــكا إليه أحد أقباط مصر ابن واليها عمرو بن العاص – رضــي الله عنه – بأنــه لطمه بعدما غلبه في ســباق، وقال له: أتســبق ابــن الأكرمين؟ فما كان من عمر إلا أن أمر بحضــور والي مصر وابنه إلى مكة في موسم الحج، وفي جمــع كبير من الناس أعطى الدرة للفتــى القبطي وأمره أن يقتص من (ابن الأكرمين)، ثم اتجه إلى عمرو بن العاص وقال قولته المشــهورة: (متى اســتعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).. وعمر أيضــاً هو الذي لم يفرق في كفالة الدولة لبنيها بين المسلم وغيره من أهل الذمة، فقد مرَّ بباب

قومٍ سـائلٌ يسأل: شـيخ كبير وضرير البصر، فسـأله عمر: ما ألجأك إلى ما أرىً؟ قال: الجزية والحالة والسـن، فأخذ عمـر بيده إلى منزله وأعطاه، ثم بعث إلى خازن بيت المال فقال له: (انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم).

والعدالة في الإسلام جمعها قوله تعالى:

(وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ)[1].

وقوله تعالى:

(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[2].

وقول عمر – رضي الله عنه – في كتابه إلى قاضيه أبي موسى الأشعري:

(آسِ بين الناس في وجهك ومجلسـك وقضـائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضـعيف من عدلك).. ولتحقيق معنى المسـاواة في الإسلام فقد شرعت العبادات، ففي الصلاة مثلاً يقف الفقير بجانب الغني صفاً واحداً يجمعهما الخضـوع لله، وينطقان معاً (الله أكبر) لتضفي على نفسيهما شعوراً متماثلاً بالمساواة والعجز أمام قدرة الله وإحاطته وعلمه.

وفي الحج إلى بيت الله الحرام تتجلى ظاهرة المساواة بين كل المسلمين في الملبس والهيئة والنداء، لا فرق بين لون ولون أو عنصر وعنصر، الكل أقوياء بالإسلام، وضـعفاء لله ولرحمته وبرّه، وفجاج عرفات والمشاعر المقدسة تدوي بـ(لبيك اللهم لبيك).

---

(1) الآية رقم 58 من سورة النساء.

(2) الآية رقم 9 من سورة المائدة.

وفي مجال الحرية الشخصية نرى أن الإسلام لا يرى قيمة للحياة بدون حرية.

وقـد اعتنى بالمرأة فرفع عنها ما كانت تنوء بـه من ظلم وإجحاف فقال الله عنها:

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[1].

وقال تعالى:

(أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى)[2].

وقال تعالى:

(لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)[3].

وجعل لها نصيبها في الميراث وقد كانت محرومة منه، وقد بينت حقوقها في القرآن على أعدل أسـاس يتقرر به إنصـاف صـاحب الحق، وإنصاف سائر الناس معه وهو أساس المساواة بين الحقوق والواجبات.

وشعار المسلم:

(لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه):

أي لا معبود بحق إلا الله، وفي سورة الفاتحة قوله تعالى:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[4].

تؤكد حرية المسلم واستغناءه عما عدا الله.

وفي مجـال الحرية الدينية تنتزع الشريعة الإسـلامية (الفرد) من سـلطان التقليـد والمحاكاة لكي يسـتخدم عقلـه وتفكيره في سـلوك الطريق التي

(1) الآية رقم 228 من سورة البقرة.
(2) الآية رقم 195 من سورة آل عمران.
(3) الآية رقم 32 من سورة النساء.
(4) الآية رقم 5 من سورة الفاتحة.

تتلاءم مع مصلحته وواقعه. قال الله تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ)[1].

وفي الحرية السياسية، نجد حرص الإسلام على تأكيد مبدأ الشورى في قوله تعالى:

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)[2].

وفي توجيهه لرئيس الدولة بأن يستشير أهل الرأي فيما يعرض له إذ يقول:

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ)[3].

وفي النقد وإبداء الرأي، نجد قادة الإسلام يقرون لأتباعه هذا الحق.. فأبو بكر – رضي الله عنه – يقول في خطبته الأولى (إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني.. الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله). والخليفة الثاني عمر بن الخطاب يقول للناس في مبدأ ولايته (ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم عليّ ألا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله، ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك، وألا أجمركم في ثغوركم، فإذا غبتم

(1) الآية رقم 170 من سورة البقرة.

(2) الآية رقم 38 من سورة الشورى.

(3) الآية رقم 159 من سورة آل عمران.

في البعـوث فأنا أبو العيال، فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسـكم بكفها عني، وأعينوني على نفسـي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضـاري النصـيحة فيما ولاّني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأسـتغفر الله لي ولكم).

ويقول رضي الله عنه لأحد ولاته وقد وجهه حاكماً على جزء من بلاد المسلمين: (ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ فأجابه الوالي: أقطع يده. فقال عمر: وإذا جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك. إن الله سبحانه استخلفنا على عباده، لنسـد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإذا أعطيناهم هذه النعمة من الله أقمنا عليهم حدود الله كفاء شكرها).

وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يكتب إلى واليه على مصر: (أشعر قلبـك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سـبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك وممن له هوى في رعيتك، فإنك إن تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصيمه دون عباده)، ثم يقول: (تفقد أمر الخراج بما يصـلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهـم عيال على الخراج وأهله، وليكـن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في اسـتجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخـراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يسـتقم أمره إلا قليلاً، فإن شـكا الناس ثقلاً أو علـة أو انقطاع شرب، أو غرقـاً اعتمر الأرض، أو عطشـاً أجحف بهـا، خففت عنهم بما ترجو أن يصـلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شـيء خففت به المؤونة عنهـم، فإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها).

يقول تعالى:

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)[1].

ويقول تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2].

وفي الحديث النبوي:

(لا يكن أحدكم إمَّعَة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنتُ، وإن أساءَ أسأتُ، ولكن وطِّنُوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم).

ويقول عليه السلام:

(من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

وفي حرية التملك يقول رسول الله:

(كُل المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه).

وفي حرية المسكن يقول تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا

(1) الآية رقم 104 من سورة آل عمران.

(2) الآية رقم 71 من سورة التوبة.

تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ)[1].

وحرية العمل قال الله عنها:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[2].

وفي حرية التعليم والحث عليه، يقول عليه السلام:

(طلب العلم فريضة على كل مسلم).

كما ورد عنه صلوات الله عليه أنه دخل مرة المسجد فوجد في ناحيته قوماً يذكرون الله، ووجد في أخرى حلقة علم، فقال:

(هذا خيرٌ وهذا خيرٌ، ولكني بُعثْتُ معلماً).

واختار حلقة العلم.

ويقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأحد ولاته: (افتح لهم بابك، وباشر أمورهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً). ويقول لعامله أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه –: (لقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون مثل البهيمة التي مرَّت بوادٍ خصب فلم يكن لها همّ إلا السّمن، وإنما حتفها في السِّمن، واعلم أن للعامل مرداً إلى الله، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته).

وفي المجال الاجتماعي نرى أن الإسلام وقد تكفل للمسلم أن يعيش حراً فقد كفل له كذلك أن يعيش في منأى عن الحاجة وفي ظل من التكافل

---

(1) الآية رقم 27 و28 من سورة النور.

(2) الآية رقم 15 من سورة الملك.

الاجتماعي. ومن أبرز مظاهر ذلك فريضة الزكاة، وتعداد وجوه صرفها.. كما تقول الآية الكريمة:

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[1].

وليست الزكاة وحدها، بل يجب على المسلم أن يواسي من يستحق من الفقراء والمعدمين بما يستطيع، فلقد قال تعالى:

(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم)[2].

وفي بيت المال حق ثابت لهؤلاء بما يكفيهم ذل الحاجة ويعينهم على حياتهم ما لم يستطيعوا الكسب والعمل.

أجدني أطلت عليكم باقتطاع أكثر من حقي في وقتكم، لكني رأيت مسارب الحديث لا تنتهي وشجونه لا تقف عند حد، وقبل الختام أود أن ألخص بعض ما سلف بكلمات.

فالفرد المسلم حينما يمتزج الإيمان بقلبه، يصبح أقوى من كل ما عداه، ويجد أن روابط الإيمان أكثر أثراً في سلوكه من الرقابة والملاحقة، فهو يخشى الله في خلوته كما يخشاه مع الناس، ويثق في ثوابه، ويعترف بجلائل نعمه فيندفع في مجال الطاعات متعبداً منيباً، يأمر بالمعروف، ويعين على الخير، وينهى عن المنكر، ويحارب الرذيلة والفوضى.. ويخشى عقاب ربه فيقف عند أوامره في صمود الجبال شامخ الأنف، قوي العزيمة، لا تستطيع المغريات أو الأباطيل أن تنال من عقيدته أو تحيد بمسلكه، لأنه يعلم أن الله معه، وعليم بما يخفي وما يظهر، وأنه إن استطاع خداع الناس أو إيهامهم فلن يستطيع

(1) الآية رقم 60 من سورة التوبة.

(2) الآية رقم 19 من سورة الذاريات..

ذلك مع خالقه الذي يعلم السر وأخفى.. وفي سلوكه إنما ينفذ ما يلتزم به عن قناعة واطمئنان ورضا، لأنه يتيقن أن أمره كله خير كما قال نبينا عليه السلام: (عجبتُ للمؤمنِ أمرهُ كلّهُ خيرٌ، إن أصابتْه سرَّاءُ فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاءُ فصبر كان خيراً له).

فالمسلم مقتنع أن دينه ليس طقوساً وترانيم لكنه عبادة وتشريع، ينظم للناس أمور الدين والدنيا، ويستطيع قيادة المجتمعات وتحقيق الخير لها إلى قيام الساعة.

وفي ختام حديثي يسعدني أن أعبر بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن أعضاء الوفد السعودي عن عظيم امتناننا على الاستقبال الحار والحفاوة البالغة التي قوبلنا بها منذ وصولنا إلى هذه الديار العزيزة، فلحكومة الفلبين وشعبها المضياف أجزل الشكر وأعظم التقدير.

وإننا لنتطلع إلى مزيد من تقوية وتمتين العلاقات الطيبة بين البلدين في جميع المجالات وعلى الأخص في مجالات التربية والعلم والثقافة، كما أرجو أن يستمر التعاون البناء بين الجامعات الفلبينية والجامعات السعودية وأن تربط بينهما أوثق العلاقات من تبادل زيارات الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والخبرات والبحوث العلمية إلى غير ذلك.

كما أشكر جامعة منداناو؛ مديراً وأعضاء هيئة تدريس وإدارة وطلاباً على دعوتهم الكريمة وإتاحة هذه الفرصة السعيدة لنا بالاشتراك في هذا الحفل الجليل.

وفقكم الله جميعاً وسدد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمةِ الله وبركاته،،،



خواطر جريئة

طبعت الطبعة الأولى
1402 هـ - 1982 م

الطبعة الثانية
1435 هـ - 2014 م



هذه الخواطر

هذه الخواطر تهمني كثيراً لأنها ليست كلاماً عابراً أسطره ليقال: (كتب كذا وكذا) لكنني أريد بها إسـهاماً عملياً متواضعاً في (موكب الإصلاح) الذي يستدعي كل قلم وصوت ودم..

ونكـون الجناة لو تركنا كل ما نسـتطيع بذله في سـبيل بلوغ المسـتوى الأفضل..

ولا أدعي لخواطري فوق ما تستحق، فهي محاولة ربما لا تكون متكاملة، لكنها (صادقة) في إحساسي بها، ورغبتي في إبلاغها، والصدق في الأمر يدفع إلى نجاحه.. أو إلى راحة الضمير بإعلانه والجهر به.

ولقـد تعمدت -عندما بدأت نشرها في جريدة البلاد- أن أذيلها بالجزء الأول من اسـمي، رغبة في التجديد من ناحية، وإثباتاً لضرورة اهتمامنا بما ينشر لا بمن ينشر.. وأحمد الله أنها لاقت نجاحاً ربما لم أكن أتوقعه.

وها أنا أنشرها باسـمي الكامل خشية من تفسير هذا النحو في اختصار الاسم بما لم أقصد.. والله ولي التوفيق.

حسن عبد الله آل الشيخ

خواطر جريئة

الأفكار والمبادئ مهما تكن قوية واضحة.. تمُتْ وتتلاشَ إن لم تجد من يؤمن بهـا ويطبقها.. ويدافع عنها.. مراحل ثلاث: إيمانك بالفكرة، ثم تطبيقها في واقعك، وبعدها دفاعك عنها لتعم وتنتشر.

فإذا لم تؤمن بالفكرة.. فأنت لن تطبقها أبداً، وحتى لو وجدت أن مجتمعك يفرضها عليك فإنك ستخادع الناس بمظاهرها ثم أنت أسرع الناس إلى تحطيمها والتنكـر لها. وإذا آمنت بها ولم تطبقها.. فأنت خائن لها؛ فالمبادئ السـليمة لا يجـد الناس في تطبيقها مـا يحرجهم أو يخجلهـم.. والتطبيق هو المظهر الصـادق للقناعة بها وقبولها، وإذا آمنت بالمبدأ ثم طبقته في واقعك فستكون حتماً في موقف الدفاع عما آمنت به وطبقته، وكل ما نشهد من تناقضات هو نتيجـة حتمية لتخلف ترابط تلك المراحل التي سـلف ذكرها.. واليوم ونحن نمارس دورنا الحقيقي في الدعوة إلى تضامن المسلمين ووحدتهم.. نحتاج إلى (مؤمنين) بالفكرة الإسلامية (ومطبقين) لها و(مدافعين) عنها.

فليراجع كل واحد منا نفسه.. هل يقتنع بما بدأنا السير لتحقيقه؟ وهل رافق ذلك الاقتناع تطبيق صـادق وواقعي لتعاليم الإسـلام وآدابه؟ إن كان.. وإلا فعليه أن يعيد النظر في واقعه.

• • •

تحتـاج الأمم في أدوارهـا الأولى إلى الكفـاءات والخـبرات للاسـتعانة بمهاراتها وتجاربها على تخطيط مشـاريعها، وضـع معالم نهضتها، وليس عليها في ذلك ما يعاب.

فالناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكل أمة بدأت محتاجة إلى ما سبقها.. في تلاحق عجيب يحكي قصة الإنسانية في دروبها الطويلة، وتاريخها عبر الأجيال والقرون.

إنما الواجب على أولئك أن يخلصوا أعمالهم، ويصدقوا مشورتهم، فهم أمناء فيما قدموا لأجله.

وعليهم الانصراف لواجباتهم، والعمل على الأمانة في نقل خبراتهم إلى المهيأ من أبنائنا، فالعلماء ليس البخل بما عملوا من صفاتهم، وربما كانوا أسرع إلى إفادة غيرهم من طالبي العلم.

لكن الأمر الذي لم أجد له تفسيراً هو أن يتجاوز وفد دوره ليقول أو يعمل ما ليس له ولا من واجبه.

وبقدر ما يعمد لممارسة ما هو أبعد من دوره، وأكثر من واقعه نلتقي بالعديد من الأزمات والمشكلات.. وطريق السلامة في ذلك أن يظل (ذلك الوافد) في دائرته لا يتجاوزها وأن نعمل دائبين على الاستفادة من جهده وخبرته، وأن نواجه مشكلاتنا بأنفسنا.

• • •

للتقدم تبعات وضرائب، تفعلها الأمم دائماً، ويتحملها أفرادها إذا أدركوا أهمية أدائها، وعندما يتخلى أولئك عن التزاماتهم، أو عندما يؤدونها بسلبية قاتمة يائسة يكونون قد حكموا على واقعهم بالتخلف، وحملوا أوطانهم نتائج ذلك الصنيع تشويها ولوقا، وربما سخرية وتقريعاً.

والمسئولية مهما تكن ليس الباعث على تحملها الالتزام أو التهديد، فهذا

النوع منها لا يترك أثره لأنه لم ينبعث من داخل النفس، ومن أعماق الذات..

وما نشاهد من متاعب وفجوات ربما كان مصدرها أننا ندعي القدرة على تحمل مسئولياتنا دون أن نواجهها أو نؤديها كما يجب وينبغي.

نحن نقول ولا نفعل.. نريد مسئوليات ثم نحاول أن نتهرب من مواجهتها وأدائها.. هذه هي المشكلة وأسبابها.. قد يكون من بينها عدم الثقة بأنفسها.. وفقدان تصورنا لمدى الالتزام المفروض الذي يواجه كل أمة تريد أن تعلو وتنهض.

ولأضرب لذلك مثلاً: هذه الوفود العديدة التي تنهال كل يوم على مملكتنا الحبيبة ترى وتشاهد ما سمعت عنه الكثير مما يفرح أو يسيء، ولتمارس نوعاً من الاستطلاع المحبب لما يدور داخل بلادنا بعد أن أكرمها الله باحتلال أسمى مكانة دولية وعربية حين أراد الله أن يضع مقاليد الأمور في اليد الأمينة الرشيدة التي ما فتئت تعمل وتكافح ليظل ما يواجه كل الناس منها مشرقاً وواضحاً وكريماً.

هذه الوفود الزائرة والمستقدمة ترى هل أدرك كل واحد منا – مسئولاً أو غير مسئول – أنه مطالب بأن يضع أمامها (لوحة مشرقة) لدينه ووطنه فيحسن لقاءها لتعود بذكريات حميدة مع واقعنا ومستقبلنا.

• • •

الفساد جريمة منكرة تحاربها كل الأديان والقوانين والمبادئ.

والشرك فساد لأنه تحول عن الطريق الواضح في إخلاص العباد لله.

والإلحاد فساد لأنه انحراف بالفطرة الصادقة السليمة المدركة لوجود خالق مدبر ملأ هذا الكون بالآيات والدلائل على وجوده وقدرته وشمول علمه.

والخروج على إجماع المسلمين فساد لأنه يحكي شذوذ الخارج وحقده وأنانيته.. فالجماعة تفرض الود، والتناصر، والإخاء، ويد الله مع الجماعة، ولا يأكل الذئب من الغنم إلا القاصية.

وإشاعة الكذب والخوف والفاحشة فساد لأنه ينتزع من المجتمع أمنه وهدوءه وعلاقة أفراده.

والبحث عن الأخطاء والهفوات وتضخيمها والتشهير بها فساد لأنه يعكس روحاً ظالمة شريرة لا ترى من الحياة صفاءها ووضوحها، وتريد أن تفسد على الناس ما يريدون من وضوح وصفاء.

والحقد وتشويه جهود المخلصين فساد لأنه نزوع إلى التدمير والتحطيم والهدم.. ينطلق دائماً من الفاشلين، والتافهين، والحيارى، وأعداء الثقة..

وليس عجيباً أن يوجد (المفسدون) في أي مجتمع.. ولكن العجيب.. ألا نسعى إلى كشفهم وتعريتهم، ونزع الأقنعة عن وجوههم الكاحلة الباهتة..

وهي رسالة المسلم المخلص لله، والعامل من أجل دينه ووطنه.. فلا تتهاونوا في أدائها، فنحن (نبني) ويجب ألا يعبث في واقعنا (مفسد هادم).

• • •

لم نعد في عزلتنا فلقد التقينا بالعالم كله.. وأوضحت بلادنا – والحمد لله– موضع الإعجاب والتقدير، والتقينا بالألوف في موسم الحج وغيره، وعادوا ليؤكدوا كذب ما سمعوا من ادعاء، وصدق ما رأوا من واقع..

حتى أولئك الوافدون من بقاع سخرت كل أبواقها للنيل من بلادنا وما أنعم الله به عليها، عادوا وهم في حيرة لمباينة ما قيل لهم لما شاهدوا ولقوا!!

والفضل في ذلك لله وحده.. ثم لهذا القائد الوفي الذي عرفه الناس،

حكيماً، عاقلاً، متزناً، يعمل في صمت وهدوء ليحقق - بفضل الله - ما عجز عنه المكابرون المدعون، ولن يضيِّع الله له صنيعه، وسيظل كل ما عمل وبذل عاملاً يشد إليه قلوب مواطنيه، ومبرراً لحبهم له وتعلقهم به.. وكان طبيعياً أن نأخذ مقاعدنا في المؤتمرات والمحافل الدولية وتم ذلك.. لكني بدافع حبيب لديني ومليكي ووطني أجد رغبة في الحديث إلى كل من يسعد بتمثيل بلادنا وبالتحدث باسمها فأقول: كن يقظاً لرسالتك ومسئوليتك فأنت في كل ما تفعل تعكس صورة لوطنك ودينك ومجتمعك، والصورة الصادقة هي: الطهر، والنقاء، والاستقامة.. وإذا بدا للناس منك غير ذلك - لا سمح الله - فأنت أشد الناس عداوة وكيداً.. لأنك ترمي بكل انحرافاتك وأوزارك ليطالعها الناس عنواناً لوطنك ودينك ومجتمعك..

وفي إيجاز: ينبغي أن يظل معلوماً وواضحاً لكل من يمثلنا ويتكلم باسمنا أنه مسئول عن كل ما يفعل ويقول، وأنه ربما أفسد (بجهله) ما يكافح العاملون لبنائه وتشييده.

• • •

بعد زوال النعمة يبدو أثرها واضحاً وذكراها أليمة.. والحرمان من الشيء بعد حيازته أشد ألماً للنفس من استمرار حرمانها قبله.

والغبطة بميلاد (كفاءة) لا تداني الحسرة بانحرافها أو نهايتها..

والفرحة ببروز بطل أو قائد لا يعدل الفجيعة بفقده أو فشله.

وهي قصتنا مع رجل اسمه (عبد الله القصيمي).. ماض مشرق وحاضر مؤسف ومستقبل مخوف.

كان داعية إلى الله يقرع الحجة بالحجة، ويجادل في سبيل الله كل أعداء دينه، واستطاع بمؤلفاته الأولى.. وأهمها (الصراع) و(الأحاديث النبوية وبيان مشكلاتها) و(البروق النجدية) وغيرها كثير.. استطاع أن يؤكد عملاً قدرة المسلم على البيان والدفاع والصبر.. وفجأة وفي غمرة آمالنا دفع بكتابه (هذه هي الأغلال) فكان مولد المأساة وبداية الهزيمة.. هزيمة الحق بيد أحد ناصريه، وهزيمة آمالنا في كفاءة تهاوت قبل أن تبلغ مداها.. ولم يقف الأمر بنا وبه عند هذا الحد فقد أعلن في كتبه التي دفع بها بعد ذلك حرباً ضارية ضد الأديان والأنبياء والفضائل ظاناً – لفرط حماقته وشكوكه – أن بإمكانه أن يخدع مؤمناً أو يشكك متيقناً.

مسكين هذا القصيمي فلقد كان بطلاً وتحول اليوم إلى مهزلة.

• • •

كل إنسان معرض لما يحب ويكره.. وصفاء الحياة لا وجود له في دنيا الأحياء.. والإخاء والصداقة (ضرورة) لتبادل المنافع وتحقيق التعاون المجدي، ولكن كيف تختار صديقك؟ لقد قال الكثيرون كل ما يمكن أن يقال مما لا يحتاج إلى المزيد، لكني أقول: إن عوامل الاختيار يجب أن يكون بينها: استقامة الصديق، ووضوح مسلكه، وإيجابيته الهادفة، وقدرته على القيام بواجب الإخاء والتزاماته.. وإلا فما أكثر ما تلتقي بالإخوة والأصدقاء! لكنهم أصدقاء جاهك، مالك، وإمكاناتك، ويخضع ودهم لك بمقدار مستوى هذه الاعتبارات الثلاثة، وآخر ما يخطر ببالهم أن يصادقوا (ذاتك) أو يقبلوا واقعك الدائم.. وهم في الحقيقة أعداؤك، وأعداء كل المقومات الكريمة الفاضلة، فاحذرهم أن يخدعوك!

• • •

قضاء الحاجات، ورفع المظالم، وإيصال الحقوق، وسيادة العدالة، ومحاربة الانحـراف أمور محبوبة ومطلوبة.. يتمنى كل مخلص أن يهيئ الله أسـبابها على يديه..

وهي للمسـئول أكثر استجابة وانقياداً.. ولكن ما الحيلة فيمن يريد منك -كمسـئول- أن تتناسـى عدالة الله، ويقظة ضميرك، وتعاليمك المرعية، لتحقق له رغبته ومطلبه؟

مـا الحيلة فيه.. وهـو يعلم أنه يطلب ما ليس له وما ليس لك عليه قدرة؟ ومـع ذلك فهـو يبالغ في تحقيقـه وإن قلت له: (لا أسـتطيع وسأصـنع ما يمكنني) ثار وزمجر وقال فيك كل ما قاله مستقيم عن منحرف.

وأنـت في كثير من الحالات إما أن تؤدي واجبك وأمانتك ويقابلك من جراء ذلك الأذى والكراهية والعتاب، أو تخون أمانتك وتتناسى واجبك، فتبوء بإثم الله وعقاب ضميرك.

ومـرة أخرى.. قبل أن تطلبوا أمراً ابحثوا إمكان إنفاذه، وإلا فلا تحمِّلوا المسئول فوق ما يطيق.

• • •

أجحـد الناس من يطالب بحقـه قبل أداء واجبـه وأعجزهم من يحجم عن تطوير مواهبه.. والكثير من مشـكلات المجتمعـات ترجع إلى هذين النوعـين من الناسـ: نوع يطالب قبـل أن يعمل.. أو قبل أن يحسـن أداء واجبه، ونوع آخر لا يسـعى إلى تحسين مهاراته ومعرفته.. فيقضي بواقعه ما له وما عليه من المحاسـن والمساوئ، لتقول رأيها فيه دون أدائها، ويمنع

بوجوده من انطلاق كفاءة أخرى أكثر اهتماماً وإدراكاً، ولكي نسـهم في واقعية لعلاج هذا الأمر.. يجب أن يلتزم كل مسـئول بأداء واجبه كاملاً، وأن يحاول دائماً وبإصرار تحسـين قدرته وكفاءته.. وإلا فعليه أن يتوارى تاركاً المجال لمن ينجز ذلك ويستطيعه.

• • •

كانت رسـالة صـادقة أعجبت بها لما أوضحت عنه من الرغبة في تحقيق ما نريد من مستوى فاضل ولما انطوت عليه من صدق، وهي فوق كل هذا مظهـر واقعي للتجـاوب المخلص.. تلقيتها من أخ كـريم كتب إليّ يقول: (لقـد تحدثت عن تطور المواهب واكتسـاب الخبرات وقلـت: (إن أعجز الناس من عجز عـن تطوير مواهبـه).. وأنا أريد تطويـر مواهبي فكيف أصنع؟..).

وأجبته برسـالة خاصـة لا أجد بأسـاً في نشر محتوياتها فربما أجابت عن أسئلة مقبلة قلت له: (أنت موظف بالدولة وطريقك إلى تنمية مواهبك أن تسلك طرقاً ثلاثة: أولها الفهم الكامل لطبيعة عملك ومتطلباته وواجبك حياله، وبذل كل ما يمكنك من جهد في سبيل فهمه وتحسين طريقة أدائه، غير مستصـعب تبعات المسئولية فهي لا تكبر إلا في واقع النفوس الصغيرة والتافهـة.. وثانيـاً أن تقرأ دائماً وربما كل يوم وتختـار لقراءاتك ما يوافق ميولك ويتلاءم مع واقعك، فربما أضـاع المرء ما يحتاج إليه من الوقت في استظهار ما لا يجد به نفعاً.

وثالثها أن تستشـير من تراه يعلم أكثر مما تعلم، وألا تأنف من اكتسـاب الخبرة من مصادرها وأن تصبر على ذلّ التعلم ناظراً إلى من حولك كإخوة

وأصـدقاء غير تارك للخلافات الشخصية طريقاً إلى أعمالك وواجباتك.. هـذا مـا تحتاج إليـه، والأمر ليس صـعباً كما تتصـوره، وبدايته أصـعب مراحله، فتوكل على الله.

• • •

مـع آمالنا التي تحققت، والأحـلام التي بدأت تتفاعل مـع الواقع، ومع بشـائر العودة الظافرة لأبنائنا وقد وفـدوا ومعهم إجازة الدكتوراه ليبدءوا كفاحهم العلمي في جامعتنـا الحبيبة (جامعة الرياض).. رغبت وقد امتلأ نفسـي بالآمال في واقعهم ومسـتقبلهم أن أحدثهـم في هذه الخاطرة عن الثقة التي تضـعها الأمة في جهودهم المقبلـة، فهم فرغوا من كفاح محدود الجبهة والمجال إلى كفاح واسع الآماد لا تحصره جهة أو يحتويه حيز، وهـم مطالبون أن يعملوا بعزيمة وجد لأنهم منطلق البداية في نهضـتنا العلمية أو الطليعة التي ستضع المعالم لمن يتلوها ويلحق بها.

وعليهـم أن يسـتعدوا لمـا يتحتم عليهـم بذله من جهد وتضـحية؛ فهم دائماً ككل الطلائع في الزحف يطلب إليها الصـبر والشجاعة والتحمل.. وليعلموا أن العلم إن لم يصاحبه خلق قويم لا قيمة له، فالأخلاق العالية هي القاعدة التي يجب أن يعتمد عليها العلم، وعليهم أن يدركوا أن مزية العلم في التواضع، وأن (الغرور) هو المحطم القوي لكل المواهب والمكاسب.

ولقد رأيت وسمعت من شمائلهم وخلقهم القويم ما جعلني أتوقع منهم ولهم كل خير ونفع..

فمرحباً بهم وأعانهم الله.

• • •

هل المبرر لانتقال الموظف من مرتبة إلى ما هو أعلى منها وجود الشاغر وإكمال المدة؟

كلا.. فالعامل المهم هو (الكفاءة) وتلك تؤكدها الوقائع، والحقائق، لكنها آخر ما يفكر فيه المطالب بالترقية أو الترفيع.. فهو يتناسى ما هو مطالب به من كفاءة وإنتاج وجهد، لينازعك الأمر لأنه أكمل قيده الزمني.. وتلك مشكلة الساعة: موظفون لا يربطهم بأعمالهم سوى ما يتقاضونه من مرتب في نهاية كل شهر.

أمنوا العقاب فأساءوا صنيعهم وفقدوا ضمائرهم فطالبوا بما لهم دون أن يؤدوا ما عليهم، وهم كثير ربما كان خيراً لهم أن يراجعوا واقعهم.. ويبدو مع رغبات الترقية (قوائم) توضح ما حققوا وأنجزوا فالمناصب للكفاءات لا للأشخاص.

الترقيات ليست إلا للعاملين.. وربما كانوا هم أخفض المطالبين صوتاً.

• • •

الاحتفاظ بالأصدقاء أصعب من العثور عليهم.

وبلوغ القمم أسهل من استدامة البقاء بها.

ودوام النصر أشد أثراً من بريقه ثم يختفي!!

ولكن هل نستطيع كل هذه الأمور؟

هل نقدر – مثلاً – أن نحتفظ بأصدقائنا رغم نكرانهم وتناقضهم وأنانيتهم؟

وهل نقوى على تجاهل الأحقاد والدسائس والإساءات؟

وهل نملك الصبر على الجحود والنكران ممن نقف بجانبهم ونشاركهم أحزانهم وآلامهم؟

هل نملك كل هذا؟

نعم ولا..

نعم: إذا احتسبنا كل ما نعمل لله فلا نتوقع جزاء لما نعمل، أو ثمناً لما نبذل، ولا.. إذا كان المسيء قاصداً، والناكر متحدياً، والحاقد منتقماً.

• • •

الحكمة القائلة: (قيمة كل امرئ ما يحسنه) صادقة كل الصدق، فبقدر كفاءتك وتضحيتك تفرض نظرة الناس ومعاملتهم لك، وإذا لم تحاول تقديم ما يجب لوطنك عليك، وإذا تجمدت مواهبك وطاقاتك، وانطفأت شعلة الحياة في ضميرك، وتقاعست عن دورك كمسلم وكمواطن، فلا تعجب إذا خلفك العاملون وانطلقوا، ولا تغضب إذا أحاطت بك نظرات الاستنكار والسخرية، ولا تتألم إذا وجدت نفسك في دوائر قاتمة من التفاهة والحيرة.. فالنتائج دائماً مرتبة على مقدماتها، ومواسم الحصاد لا تأتي إلا بعد جهود في الحقل والسقيا..

ونحن نشهد نماذج للهروب، والخداع:

الهروب من المسئولية والواجب والعجز عن تطوير الكفاءة والارتفاع بمستوى العمل والخداع للنفس بمحاولة إقناعها بالراحة والسكينة.. راحة الكسل وسكينة الفشل.

بلادنا وهي تعيش اليوم -بحمد الله- فترة انتقال مشرقة تحتاج إلى كل جهد وتضحية وعمل، والذي يتوارى أو يكسل أو يخادع هو أحد الأعداء، والأعباء أعداء الأمة، والأعباء على الوطن.

• • •

يـا لها من ليلـة غامر فيها البطل الظافر جلالة الملـك عبد العزيز –طيب الله ثراه– فاجتاز الصـحاري الموحشـة المظلمة وهي تتأجـج (ناراً) بفعل الحـروب التي لا تهدأ، و(ناراً) أخرى بفعل الشـمس المحرقة وهي تودع لهيبها وشـواظها الرمال الحمراء الممتدة عبر الصحراء في شرق الجزيرة إلى وسطها.. هو ومعه (السـتون الخالدون) وقد عرفت أسماءهم من المغفور له الشـيخ محمد بن عبد الله آل الشـيخ، وقد جلست إليه صباح يوم مشرق وهـو بداره بالطائف بحي السـلامة، وقلت له: (كم هم الذين غامروا مع الملك عبد العزيز ليلة فتح الرياض؟) فقال لي وهو يعتدل في جلسـته ويده اليمنى تروح وتغدو بمروحة اعتاد أن يسـتبقيها بجانبه قال لي: هم سـتون رجلاً فقلت له: هل أسـتطيع كتابة أسمائهم فوافقني وكتبت تلك الأسماء وأنا أنتقل بخواطري ومشاعري على تلك (الليلة) التاريخية الحاسمة التي كان النصر فيها حليف البطل عبد العزيز، بعد ما يشـبه الحلم من المغامرات والأخطـار، ولن أعيد ما حدث فلقـد تكفل التاريخ بسرد تلك البطولات الخارقـة التي كان يدعمها الإيمان بالله والثقة بنصره، لكنني وقد نعمت مع (الملايـين) من أبناء هذه الجزيرة الحبيبـة بالوحدة والأمن والرخاء، أجد أن من حق ذلـك (القائد المؤمن) على كل فرد من أبنـاء مملكتنا الهانئة وعلى أبنائنـا من بعدنا أن يرفعـوا أيديهم إلى الله أن يضـاعف له الثواب والأجر جزاء كفاحه وصدقه وإخلاصه، وأن يحفظ لنا جميعاً ما كونه وكافح من أجله من (كيان كبير) سامق الذري.. والشكر دائماً سبيل الزيادة والبقاء.

• • •

الستون الخالدون الذين اشتركوا في فتح الرياض بقيادة جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله -

1 – الأمير محمد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

2 – الأمير عبد الله بن جلوي آل سعود.

3 – الأمير فهد بن جلوي آل سعود.

4 – الأمير عبد العزيز بن جلوي آل سعود.

5 – الأمير عبد العزيز بن مساعد آل جلوي آل سعود.

6 – الأمير عبد العزيز بن عبد الله بن تركي آل سعود.

7 – الأمير ناصر بن فرحان آل سعود.

8 – الأمير سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود.

9 – الأمير فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود.

10 – الأمير عبد الله بن صنيتان آل سعود.

11 – مسلم بن مجفل السبيعي.

12 – حزام العجالين الدوسري.

13 – ثلاب العجالين الدوسري.

14 – عبد الله بن شنار الدوسري.

15 – إبراهيم النفيسي من أهل الرياض.

16 – منصور بن حمزة آل منصور من أهل الرياض.

17 – صالح بن سبعان.

18 – يوسف بن مشخص.

19 – سعيد بن بيشان الدوسري بالولاء.

20 – فهد المعشوق من أهل الرياض.

21 – عبداللطيف المعشوق من أهل الرياض.

22 – محمد المعشوق من أهل الرياض.

23 – فرحان آل سعود (مولاهم).

24 – مطلق بن عجيان (من أهل الرياض).

25 – عبد الله بن عسكر الملقب بالسيد – من أهل الدرعية.

26 – ماجد بن مرعيد السبيعي.

27 – عبد الله بن عثمان الهزاني من أهل الحريق الملقب (أبو عثمان).

28 – سعد بن عبيد من أهل صلبوخ.

29 – عبد الله بن جريس من آل جريس أهل العمارية.

30 – معضد بن خرصان الشامري.

31 – طلال بن عجرش من الجمالين من قبيلة سبيع.

32 – سعد بن نجيفان من أهل منفوحة.

33 – عبد الله بن خنيزان (من أهل الرياض).

34 – عبيد من صالح الملقب (عويل) من الرياض.

35 – حشاش العرجاني.

36 – عبد الله أبو دريب السبيعي.

37 – شائع بن شداد من آل محيميد السهول.

38 – محمد بن قماع من أهل الرياض.

39 – عبد الله الجطيلي من أهل عنيزة.

40 – إبراهيم بن محيذيف من أهل الرياض.

41 – منصور بن فريح.

42 – مسعود المبروك (من موالي آل سعود).

43 – سعد بن بخيت (من موالي آل سعود).

44 – ناصر بن شامان السبيعي المليحي (ساكن الدرعية).

45 – محمد بن الوبير الشامري.

46 – محمد بن هزاع من أهل الدرعية.

47 – زيد بن زيد بنعم محمد الذي كان يتولى إمارة الرياض أيام الملك عبدالعزيز.

48 – حترش العرجاني.

49 – سعد بن هديب.

50 – مطلق بن جفال.

51 – زائد البقشي السبيعي.

52 – مناور العنزي.

53 – نافع الحربي.

54 – عبد الله بن مرعيد السبيعي.

55 – فهد بن شعيل الدوسري.

56 – سطام أبا الخيل المعرقب المطيري.

57 – فيروز مملوك جلالة الملك عبد العزيز.

58 – سالم الأفيجح.

59 – عبيد أخو شعوا الدوسري.

60 – سلطان مملوك الملك عبد العزيز.

هذا المليك الغالي

والأب

والمجاهد

والقائد

فيصل بن عبد العزيز

ترى ما الذي يشد قلوب أبناء شعبه إليه؟

أهو الخوف أم التضليل.. أم الخداع كما يفعل أكثر الزعماء.

لكنه الحب، والثقة.

الحب من الأب لأبنائه، ومن القائد لجنوده.

والثقة منه بهم (وقوفاً) بجانبه، و(استجابة) لداعيه.

والثقة منهم به (قائداً) حكيماً و(زعيماً) مخلصاً.

وفي كل مرة يلتقي شعبنا الوفي بأبيه وقائده وإمامه، ويتحدث إليهم.. تتلاشى كل الفواصل والحواجز ليجده الناس - كل الناس - الأب والقائد والأمين دون مظاهر أو ادعاء أو تضليل.

ولقد قال لي زائر (غربي) شهد أحد مهرجاناتنا: (لا يصنع مثل هذا اللقاء الصادق إلا (الحب) وهو أكرم تاج على رأس القائد.. وأغلى هدية من الشعب إليه)[1].

• • •

(1) نشرت في جريدة البلاد منذ خمسة عشر عاماً (طبع الكتاب في عام 82م).

رحـــم الله الإمامين العظيمين (محمد بن ســعود ومحمـــد بن عبد الوهاب) فلقد كان عهدهما الذي أبرماه ســاعة لقائهما (التاريخي) في الدرعية بعد أن حل بها الإمام محمد بن عبد الوهاب يلتمس الطريق ليعلن ما اعتزمه من الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته، فاحتضنه الإمام (محمد بن سعود) وسعى بنفسه إلى حيث يقطـــن الإمام المجدد ليرحب به ويدعوه للإقامة معه.. كان ذلك العهد (الساعة الفاصلة) التي لم يستطع التاريخ رغم كل صفحاته وأضوائه أن يعطيها ما تستحق من العناية والقدرة، تلك التي تعاهد فيها (المحمدان) على نصرة ديـــن الله وإعلاء شرعه، ثم تحول وجه التاريخ من جديد ليحكي لكل الدنيا مولد (الدعوة) المخلصة التي شاء الله أن تجد من الأسرة السعودية العريقة المؤمنة التأييد والعون.. ثم اســتقبلت تلك (الدولة الوليدة) متاعب الاستقلال، ومشاكل الحركة الطبيعية لنشر الدعوة والدفاع عنها، فما وهن القائمون على أمرها ولا اســتكانوا لأنهم كانوا يحمون شرع الله ويذودون عن حياض التوحيد، وقد علموا عن يقين راسخ أن النصر قرين الاستشهاد وأن الابتلاء للمؤمن هو ســبيل الاطمئنان لمدى صدقه وقوة إيمانه، ومضت القافلـــة، وولي (المحمدان) وجه ربهما بعـــد أن خلفا لكل الأجيال المعاصرة والمقبلة الأمثلة الرائعة والمذهلة لالتحام العقيدة والفداء الصادق في سبيلها.

واليـــوم ونحن نشـــهد (الصراع) المحمـــوم من حولنا لطمس معـــالم العقيدة الصحيحة نجد أن من أهم وأقدس واجباتنا أن نترحم وندعو للإمامين العظيمين جـــزاء ما قدما من تضـــحيات وجهاد وكفاح ثم نصـــبر لكل مـــا يحيط بنا من أخطار مستمسكين بحبل الله المتين واثقين من نصره للمؤمنين الصادقين.

• • •

والحديث عن اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية ذو شجون فهو حدث عن الماضي المجيد، والحاضر الزاهر، والمستقبل الباسم بإذن الله (حديث أمة) كانت ممزقة متفرقة لا شأن لها ولا وزن، أراد الله لها أن تتحد وتلتقي وأن تلتقي على يد مؤسس عظيم حقق فيما يشبه الأسطورة وحدة العرب الكبرى التي ما فتئ الناس يتحدثون بها ويدعون إليها، وينسبون إلى غير أربابها مكاسبها.. سنوات عجاف عاشها أبناؤها وأجدادنا دفاعاً عن العقيدة.. والشرف والوطن.

فمضى منهم الكثير وبقي آخرون على العهد والوفاء.. في تلاحم رائع مثير ربما يذهب الحديث عنه الكثير من معالم روعته وسموه، وشاء الله أن ينتظم هذه الجزيرة المباركة إخاء الإسلام، ويوجد بين قلوب أبنائها إيمانهم بالله وإخلاصهم في الاعتزاز به والالتجاء إليه، فتحققت (وحدة كبرى) ما كان لها أن تتحقق لولا عناية الله ثم صدق العاملين لها والساعين لتحقيقها.. ولست أدري لماذا أستشعر الكثير من الأسى والألم كلما قرأت عن الأحداث البطولية التي يسرها الله لمؤسس هذه الجزيرة – طيب الله ثراه – وأتأمل مقدار ما بذل وأعوانه من جهود وتضحيات، لأنني أرى أننا قصرنا في الإيضاح عنه وإبراز جهوده وكأن ما حدث لا شيء أو لا يثير الاهتمام، بينما نشهد أكاليل الغار يضعها الكثيرون على هامات زعمائهم وليس لهم في مجرى الأحداث ما يذكر أو يثير.. ولعل أسباب ذلك غلبة عادتنا وميلنا في إغفال الحديث عن أفعالنا وماضينا لأننا نرى الواجب فيما نفعل لكنني أرى من الواجب المعين أيضاً أن نبتهل إلى الله أن يتغمد برضوانه ورحمته المؤسس لهذه الجزيرة وصانع وحدتها الملك عبد العزيز،

وأن نعمــل جميعاً لحماية هذا المكان الكبير، وإيصــاد المســالك في وجوه أعدائه وفي مقدمتهم أولئك (دعاة العنصرية الحاقدة) وأعداء الوحدة، فهم يريدون لهذا الشمل أن يتفرق ولهذا الكيان أن يتمزق، وما أحسب روحاً شريرة تبلغ في انحرافها ما بلغوا.. لكننا جميعاً شيوخاً وشباناً سنكون حرباً عليهــم، ولــن ندع لهم موئلاً أو مســلكاً، فهم المجرمــون أعداؤنا وأعداء حريتنا.. ومرحباً باليوم الوطني الكريم وبكل مظاهر اللقاء والإخاء.

• • •

هذه المملكة لها دورها الإســلامي ولها دورها العربي وكلاهما مصدر قيادة ورسالة.. ولكن هل وعينا كشعب أسرار هاتين القيادتين وعملنا على تهيئة أنفسنا لها؟

أم قد تركنا المجال للكذبة والأدعياء؟

سؤال ينتظر الإجابة!

• • •

كذبوا وخابوا..

فهم ينسبون اليوم إلينا الغدر والخيانة.. وتاريخنا منذ أقدم العصور يخلو من كل هذه الأوصاف..

نحن على حق.. وهــم على باطل.. ونحن في أمن.. وهم في خوف.. ونحن في سعة.. وهم في ضيق..

ونحن نبني.. وهم يهدمون..

وجهــان يختلف أحدهما عن الآخــر.. والحق يعلو دائمــاً وإن طال به المدى دون ادعاء أو ضجيج..

ولكن.. لماذا يناصبوننا العداء؟

وهل تخلصوا من أعدائهم حتى يواجهوا الأصدقاء؟

والجواب مر وقاس..

فهم يعادوننا لأننا أحرار وعلى حق.. وفي كرامة.. وهم أعداء الحرية والحق والكرامة.. وهم تبعاً لذلك حرب على الأصدقاء.. وسلاح الأخوة..

ولكن كيف نصنع في مثل هذا الواقع السيئ؟

ربما كانت الإجابة في امتثال الصبر والصدق.. وهما السلاح الماضي للقوة المؤمنة..

ماذا ينقمون علينا ومنا؟

هم يريدون منا أن نتخلى عن مبادئنا الأساسية فلا نحتكم إلى الإسلام ولا نطبق تعاليمه.. ويريدون منا أن نتجاهل واجبنا حيال مجتمعنا الإسلامي الكريم فلا نحارب جريمة، ولا ندعو إلى فضيلة ويريدون منا أن (نكون أتباعاً) منفذين، لا كرامة لنا ولا رأي.

ويريدون منا - بصراحة - أن نؤيد نهجهم، ونحمي واقعهم وإن كانوا بعيدين عن الحق ومجافين للواقع، ولما يئسوا من نيل كرامتنا والمس بمبادئنا.. وهالهم مباينة ما نحن فيه من خير واستقرار وهناء لما يعانون من واقع مؤسف من الضيق والشدة والعذاب، أجمعوا أمرهم لتشويه واقعنا، وتلفيق الأراجيف والأكاذيب عنه.

وفاتهم أننا - بحمد الله - في مركز الثقة من الله، لأننا لا نريد شراً بأحد، ولأننا أصحاب مبادئ واضحة لا نتحول عنها ولا نتبدل.

وإننا الأحفاد الأوفياء للرواد الكرام الذين جاهدوا في سبيل الله ونصروا دينه، وقدموا في سبيله كل ما يملكون، وسنظل – بإذن الله – الأمناء على رسالتهم وأهدافهم وفي القلوب منا يكمن الأسى الباكي لواقعنا المؤلم مع إخوة كنا ولا نزال ننتظر منهم بدل السباب وفاء، وبدل الحقد حباً، وحتى نلتقي بذلك منهم سنظل الأوفياء، والحماة الصادقين، والعاقبة للمتقين.

وفي هذه الظروف ما الذي يتوجب على المواطن؟ لا أظنني أحتاج إلى كثير من الوقت لكي أجيب عن هذا السؤال فنحن في واقعنا نعكس صورة واضحة لصراع الحق الواضح مع الباطل الظالم.

وثبات المبدأ الواضح أمام الشعارات المتغيرة وصمود الواقع في مواجهة الأباطيل..

هذا واقعنا وهو يمثل فيما نلاقي أسوأ صورة للظلم، والقسوة.. والتحدي..

الظلم: لأننا نسمع كل يوم وكل ساعة من الأقاويل والأكاذيب ما لا يستحق.

والقسوة: لأن واقعنا يتعرض لأعظم حملة تشويه، تعكس معالمه، تحجب عن الدنيا حقيقة واقعة.

والتحدي: لأن السهام يوجهها إخوة أشقاء ربما – لو عقلوا – كانوا معنا في خط الدفاع المقدم عن الإسلام وشرائعه وآدابه.

ويتعين علينا جميعاً.. أن نتيقظ لدورنا ومسئوليتنا، فالدعوة إلى الله ليست شعاراً يرفعه الزعماء لتخدير شعبهم أو تضليله.. لكنها رسالة السماء إلى الأرض، وهي بالنسبة لنا قضية كيان استقامت قواعده وأركانه على كلمة التقوى، وانطلقت روافده لتحقق رسالة الخير والسلام والعدالة،

ونحـن مطالبون بحماية كلمة الله مهما تكـن الظروف والحالات، عملاً وقولاً.. وبكل الوسائل والإمكانات..

وسينصرنا الله إن صدقنا، لأنه تعهد بنصرة المؤمنين وفوزهـم..

ما دور المواطن المسلم تجاه الأحداث التي يعيشها اليوم عالمنا العربي؟

كثيراً ما نسـأل أنفسنا مثل هذا السـؤال.. فالمواطن هنا مسلم والإجابة واضـحة قبل أي اعتبار، وقد شرفه الله بالانتساب إلى شريعتنا المقدسة التي أكملها الله لنا وارتضاها.. وموطننا قبلة المسلمين، وقد اختاره الله موضعاً لبيته، ومنطلقاً لرسالته، ومثوى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام.

ونحن نجتاز ظروفاً دقيقة مصدرها تلك الحروب المسعورة التي يواجهها الإسـلام من أعدائه، وبلادنا اليوم تواجه حملات ظالمة حاقدة لا ذنب لنا فيها إلا أننا نعتمد في كياننا على دعوة الإسـلام، ونطبق في واقعنا شريعته، ونحتكم في مشكلاتنا إلى هديه..

إننـا ننادي بشـجب أي تدخـل في الشـؤون الداخليـة لأي قطر عربي، ونعتقد أحقية كل شـعب في تقرير مصيره بنفسه، وإننا نقول بوجوب انتهاء هذا النزاع المؤسـف بين الدول العربية، ولينصرف الزعماء والمسـئولون إلى إصلاح واقع شعوبهم ورفع مستواها، ومواجهة العدو المشترك المتربص بها، هذا واقعنا.. وتلك سياستنا، لا لبس فيها ولا غموض، فماذا ينقمون منا؟

والجواب عن ذلك وعن دور المواطن في هذا الصراع سـأتحدث عنه في خواطر مقبلة بإذن الله.

• • •

صفحة مشرقة في تاريخ الإسلام
أن يقرن الإيمان دائماً بيقظة الضمير..

لأن الضمير الميت يعني انسلاخ صاحبه من دين الله، وهاكم الدليل في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ). ومن قول نبيه عليه السلام: (من سرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)، (والإحسان ركن واحد أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وتلك ميزة المسلم.. أن يظل دائماً على صلة بالله وعلى يقين برقابته وإحاطة علمه.

ويوم تنعدم تلك الصلة أو تضعف! ويتبلد ضمير المرء فلا يبالي هل عمل معروفاً أو مارس منكراً.. يومها يكون قد باعد بين واقعه الهزيل المظلم وبين الإيمان بالله.

• • •

المسئولية في الإسلام واجبة لازمة لا يُستثنى منها أحد، تتعين على أقوام في صور أوضحتها شريعة الله، ولا يعفي ذلك غيرهم من أدائها والالتزام بها، فالمسلم – أينما كان – مسئول عن معالجة وإنكار كل أمر يخرج عن تعاليم دينه وآدابه، ومسئول عن دعم وتأييد كل ما يأمر به الدين ويريده.. في نفسه وأسرته ومجتمعه وفي الناس أجمعين.. بما يملك من القدرة، وبما يستطيع من الأمر وإلا فما المعنى إذن لإيجاب الإنكار بالقلب لمن عجز

عن ذلك بيده أو بلسانه؟ وذلك أضعف الإيمان، وأدنى مراتب المسئولية، التزام المسلم باليقظة الكاملة لكفاح كل ما يتنافى مع دينه ومبادئه وهو الكفاح الباني الذي يفرض كرامة المؤمن ويبرز أثره.

ويوم لا يجد أحدنا دافعاً من نفسه إلى إنكار الفساد والانحراف، والعمل على إيجاد الخير والفضيلة مكانهما، فإن ذلك يعني النذير له بسوء واقعة، وحيرة مستقبلية إن لم يبادر إلى تجديد صلته بربه ودينه، وأشقى الناس من لم يعتبر بغيره وجعل العبرة للناس من نفسه.

• • •

ما المقومات التي تختفي وراء قدرة الإسلام على الانتشار؟

لقد تساءل الكثيرون مثل هذا السؤال، وكانت الإجابة تعكس دائماً نفسية المجيب وعاطفته، فالمسلم يرى أن العامل الرئيس في انتشار الإسلام: بساطته وسماحته وانسجامه مع الفطرة والطبيعة البشرية المستقيمة، واشتماله على الفضائل والمحاسن، وتساوي الناس في موازينه، وامتناع تفاضلهم وتمايزهم أمام ثواب الله وعقابه إلا بالتقوى.

وغير المسلم إذا كان منصفاً يعترف بهذه الميزات لكنه ربما لا يعزو الأثر إليها مجتمعه.. وغير المنصف يتجاهل كل هذه العوامل والمقومات والمفاخر ليلقي بأثقاله حول شبهة حاقدة أو زعم باطل..

وفي غمرة الأحداث نصطدم بالحقائق المؤلمة التي تحكي تنكر أكثرية المسلمين لواقعهم وأمجادهم، وانصرافهم عن دينهم وعدائهم لهم..

وتبعاً لمد الأحداث وجرها فقد تتوقف (قافلة الخير) في جزء من الأرض المسلمة لكنها لا تموت..

وفجأة ودون مقدمات تكتسح القافلة الأقزام والحشرات التي تضطرب حولها لينطلق الضوء لامعاً من جديد..

وفي (إندونيسيا) المسلمة نشاهد اليوم مظهراً واضحاً للانطلاقة المظفرة والبقية تأتي بإذن الله.

• • •

قرأت قبل سنوات ترجمة لكتاب (دفاع عن الإسلام) للمؤلفة الدكتورة (لوريا فيشيا فاغليري) الأستاذة بجامعة نابولي بإيطاليا، واعتزمت أن أسهم في التعريف بهذا الكتاب وإيلائه ما يستحق من اهتمام، وتوالت المشاغل لتنسيني كل شيء عن هذا الكتاب وموضوعه، وقبل أسبوع وبينما كنت أستعرض بعض الكتب المختارة لدي وقعت على ترجمة لهذا الكتاب مع مقدمة له بقلم الأستاذ ظفر الله خان السياسي الباكستاني الشهير، قال فيها: (إن كتاب دفاع عن الإسلام) كتاب وجيز ولكن ينطوي فيه حقل واسع من حقول الدراسة.. فضمن دائرة ضيقة وفقت الدكتور فاغليري إلى استعراض مظاهر الإسلام الرئيسة استعراضاً موجزاً بارعاً، ومن طريق تصوير الإسلام بمثل هذا التفهم الحسن لم تسد الدكتورة فاغليري يداً بيضاء إلى الغرب وحده ولكنها اكتسبت إعجاب العالم الإسلامي ومودته أيضاً.. إلخ.. ما قاله عن المؤلفة والكتاب.. (وأحسست) وأنا أعيش مع هذا الكتاب يومين كاملين أن (مؤلفته) قد برهنت به على كفاءتها العلمية، وقدرة استيعابها.

وقبل كل ذلك فقد كانت منصفة وبارعة في نقاشها للمفاهيم الإسلامية والتعليق عليها، وفيما يشبه اللقطات الخاطفة سنلتقي - بإذن الله - في خواطر مقبلة مع بعض آراء المؤلفة. في كتابها القيم، تنويهاً، وتذكيراً، وعبرة.

وعن (التهم) التي رددها أعداء الإسلام عنه ليحاولوا إضعاف تأثيره، أو صرف الأذهان عن فعاليته وقدرته -تحدثت- الكاتبة الإيطالية فقالت: وأزعج هذا التحول السياسي والديني العميق طائفة من الناس فراحوا يتساءلون ما الذي أدى إلى حدوثه؟

ولكن كثيراً منهم كانوا عمياً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً، هائمين طويلاً وعلى نحو يائس في متاهة التخمينات الخاطئة، إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كانت مسئولة عن رسالة (محمد) آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد - إن مثل هذه الرسالة كان يتعين عليها أن تكون (رسالة عالمية) لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز، وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق، لقد كان أولئك إما عمياً أو غير راغبين في أن يروا.. لقد راح أولئك يشيعون أن جوهر الإسلام كان (العدوان العنيف)، لقد زعموا أنه كان ديناً فرض بالسيف، وقد اتهموه باللا تسامح، بل لقد اتهموا محمداً نفسه بالكذب، وبالقسوة وبالشبق، لقد حاولوا أن يحطموا عمله الرائع في الإصلاح الديني والاجتماعي وحاولوا إظهار إخلاص صحابته وتابعيه وتفانيهم بمظهر المصلحة الشخصية، وصوروهم وكأنهم أناس لا تعمر نفوسهم غير الرغبة في الثروة والنجاح الدنيوي.. ثم قالت في معرض الدفاع الصادق عن نبي الإسلام قولها.. (وحاول أقوى أعداء الإسلام وقد أعماهم الحقد أن يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة، لقد نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته)، وفي خاتمة هذا الفصل قالت: (وحسبنا أن

نقـول: إن هناك أنواعاً من الصراع لا يمكن الفوز فيها ما لم يكن ثمة عامل أخلاقي بالغ القوة، وإيمان دائم بعدالة القضية، وقد كان الإسلام يملك هذا العامل.

كلكـم أيها القراء مدعوون إلى التعليق على ما سـتقرؤون فربما قلت عن هـذه المؤلفة وكتابها في (الخاطر السـابقة) أكثر مما يسـتحق.. أو ربما إنني لم أسـتطع إيفاءها حقها لكنني أرتضـي حكمكم وأثـق بتقديركم.. فلقد وجدت أن حديثها عن الإسلام يحمل مع الإنصاف روح الواقعية والعمق فما رغبت أن أسـتأثر بما قرأت وأردت أن يشـترك معي قراء هذه الخواطر وربمـا كان الكثـير منهم قد قرأ هـذا الكتاب قبلي ونـال إعجابهم.. وإن كنت لا أعتقد أن ما سـأقوله عنه يغني عن مطالعته لكنني أرجو أن يكون دافعـاً للبحـث عنـه.. وقراءته، ولنقرأ معـاً حديثها تحت عنـوان: (سرعة انتشـار الإسـلام) قالت: (نشأ الإسـلام مثل ينبوع من الماء الصافي النمير وسـط شـعب همجي يحيا في بلاد منعزلة جرداء بعيـدة عن ملتقى طرق الحضـارة والفكر الإنسـاني، وكان ذلك الينبوع غزيـراً إلى درجة جعلته يتحول وشيكاً إلى جدول ثم إلى نهر، ليفيض آخر الأمر فتتفرع منه آلاف القنوات تتدفق في البلاد، وفي تلك المواطن التي ذاق فيها القوم طعم تلك المياه العجيبة سـويت المنازعات، وجمع شمل الجماعات المتناحرة، وبدلاً من (الثأر) الذي كان القانون الأعلى، والذي كان يشـد العشائر المنحدرة من أصل واحد في رابطة متينة ظهرت عاطفة جديدة هي عاطفة (الأخوة) بين أناس تشد بعضهم إلى بعض مُثل عليا مشتركة من الأخلاق والدين. إن التاريخ لم يشـهد ظاهرة مثل هذه من قبل، ومن العسـير على المرء أن يقدر

السرعة التي حقق بها الإسلام فتوحه والتي تحول بها من دين يعتنقه بضعة نفر من المتحمسين إلى دين يؤمن به ملايين من الناس، ولا يزال العقل البشري يقف مذهولاً دون اكتشاف القوى السرية التي مكنت جماعة من المحاربين الجفاة من الانتصار على شعوب متفوقة عليها تفوقاً كبيراً في الحضارة، والثروة، والقدرة على شن الحرب وكيف استطاعوا أن يلهبوا نفوس أتباعهم بتلك الحماسة الفائقة لمثلهم العليا وأن يحتفظوا بحيوية نادرة لم تعرفها الأديان الأخرى حتى بعد انقضاء عشرة قرون على وفاة محمد، وأن يفرغوا في عقول أتباعهم إيماناً متقداً لا يحجم عن القيام بأيما تضحية مهما غلت؟

ثم قالت عن كتاب الله تعالى ما نصه: (إن معجزة الإسلام العظمى هي (القرآن) الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلال أنباء تتصف بيقين مطلق أنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته: إن كلاً من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب، أما أسلوبه فأصيل فريد، وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي الذي تحدر إلينا من العصور التي سبقته، والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عون عرضي أو إضافي من خلال سموه السليقي، إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة إنه يكرر قصص الأنبياء. وأوصاف بدء العالم ونهايته، وصفات الله وتفسيرها ولكنه يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معاً – وهما صفتان لا تجتمعان عادة – حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقاً كاملاً، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب

المعجز من عمل محمد؟ وهو العربي الأمي، وعلى الرغم من أن محمداً دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب من مثل كتابه، أو على الأقل بسورة وعلى الرغم من أن أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب فإن أحداً لم يتمكن أن يأتي بأي أثر يضاهي القرآن.. لقد قاتلوا النبي بالأسلحة لكنهم عجزوا عن مضاهاة السمو القرآني).

وتساءلت (الكاتبة الإيطالية) قائلة: (أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين، أية قوة داخلية من قوى الامتناع تنصهر به؟ من أي غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداؤه استجابة مزلزلة؟).. وأجابت عن هذه التساؤلات في الفصول المتبقية من كتابها فقالت تحت عنوان (بساطة العقيدة الإسلامية) ما نصه: (يوجه الإسلام إلى الفرد دعوة مزدوجة أن يؤمن بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولقد دعا الرسول العربي بصوت ملهم باتصال عميق بربه - دعا عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرفتين إلى أصفى عقيدة توحيدية، وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزاعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يشرك بالخالق آلهة أخرى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) يلجأ الرسول لكي يقود الناس إلى إيمان بإله واحد، إلى استوائهم بروايات عن أحداث - تنحرف عن سبيل الطبيعة السوي، ولم يكرههم على الالتزام السكينة وباصطناع التهديدات السماوية التي لا تؤدي إلا إلى تعطيل قدرة الإنسان على التفكير، بل قد دعاهم ببساطة ومن غير أن يكلفهم الابتعاد عن عالم الحقيقة إلى التفكير في الكون وسننه، وبفضل الإسلام هزمت الوثنية في مختلف أشكالها لقد حرر مفهوم الكون،

وشعائر الدين، وأعراف الحياة الاجتماعية من جميع الهولات أو المسوخ التي كانت تحط من قدرها، وحررت العقول الإنسانية من الهوى).

لقد أدرك الإنسان آخر الأمر مكانته الرفيعة، وأذل نفسه أمام خالقه رب العالمين، ولقد أطلقت إرادة الإنسان من القيود ولقد هوى الكهان وحفظة الألغاز المقدسة الزائفون وسماسرة الخلاص وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان. نقول: لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم، إن الإنسان أمسى خادم الله وحده، ولم تعد تشده إلى الآخرين من الناس غير التزامات الحر نحو الإنسان الحر، وأعلن الإسلام المساواة بين البشر، وجعل التفاضل بين المسلمين لا على أساس من التحدي أو أي عامل آخر غير شخصية المرء ولكن على أساس خوفه من الله وأعماله الصالحات، وصفاته الخلقية والفكرية ليس غير.

ولقد كان تعليلاً لانتشار الإسلام السريع رائعاً وجميلاً في قولها: (إن انتشار الإسلام السريع لم يتم لا عن طريق القوة، ولا بجهود المبشرين الموصولة، إن الذي أدى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدمه المسلمون إلى الشعوب المغلوبة – مع تخييرها بين قبوله ورفضه– كتاب الله، كلمة الحق. أعظم معجزة كان في ميسور محمد أن يقدمها إلى المترددين في هذه الأرض، وبالإضافة إلى القضيتين الأساسيتين اللتين أشرنا إليهما آنفاً –وحدانية الله ورسالة محمد– فإن جميع العقائد الأخرى التي يؤمن بها المسلمون والمقبولة لدى الجماعة الإسلامية بعد قرون من الدراسة والمناقشة ليس من طبيعتها بأية حال من الأحوال أن تعوق العلم الحديث أو تعارض الحقائق الفلسفية.. وبينما نجد جميع الأديان الأخرى تقدم

لأبنائها حملاً ثقيلاً من العقائد التي لا يستطيعون حملها وفهمها، نرى الإسلام ذا سهولة معجزة، وبساطة نقية كالبلور، وكان ذلك سبباً آخر أيضاً في انتشاره السريع بأن الفتوح الأولى بين أناس غرقوا في اضطراب روحي عميق بسبب الغموض الذي يكتنف بعض معتقداتهم الدينية، وهو السبب في انتشاره الموصول اليوم بين الشعوب غير المتحضرة في آسيا وأفريقيا، لأن الإسلام قادر على النفاذ إلى أعماق نفوسهم من غير ما لجوء إلى شروح مطولة، أو عظات معقدة).

وعن الصيام والحج والزكاة قالت: (والركن الثاني من أركان الإسلام والصوم الذي يقوم كما هو معروف عن الامتناع عن الأكل والشرب والاتصال الزوجي خلال ساعات النهار كلها – إنه عمل قوامه الانضباط والرحمة والشفقة، إنه يقتضي على المؤمن اجتناب جميع ملذات الجسد خلال مدة بعينها، إنه يعلمه لجم شهواته، فهو بتجويعه المؤمن وإفهامه مبلغ الألم الذي ينطوي عليه الجوع، يفجر في نفسه الشفقة على الفقير والمعدم، وهو في حملة على إدراك ما ينعم به من آلاء، يعلق اعترافه بفضل الله عليه، وهذا الصوم الإلزامي مفروض على الأشخاص الأصحاء الأقوياء وليس مفروضاً على الضعيف والمريض والمسافر، ذلك أن الله ليس قاسياً على مخلوقاته، ولا يقتضيهم أعمالاً تعبدية لا طاقة لهم بها، وكل مسلم ملزم بحكم القانون بأن يخصص جزءاً من ثروته لمصلحة الفقراء والمحتاجين والمسافرين والغرباء.. إلخ، وبأداء هذه الفريضة الدينية يختبر المؤمن حساً أعمق من الإنسانية، ويطهر روحه من الشح ويأخذ في مراودة الأمل بالفوز بالمكافأة الإلهية، وعلى كل مسلم إذا توافرت فيه بعض الشروط

أن يقـوم بالحج إلى مكة مرة واحدة في حياته على الأقل، ومن طبعة القوة العميقة المكنونة في هذه الشعيرة أن يعجز العقل البشري عن اعتناقها إلا في القليل النادر، ومع ذلك فإن ما يمكن استيعابه من تلك القوة في سهولة ويسر يتكشف عن حكمة بالغة، فليس في استطاعة أحد أن ينكر الفائدة التي يجنيها الإسلام من اجتماع المسلمين السنوي في مكان يسعون إليه من كافة أنحاء العالم مرة واحدة في حياة المسلم على الأقل تلغي الفروق كافة بين الفقير والغني إلغاءً تاماً، ذلك أن كل حاج يلبس خلال تلك الفريضة الثياب البسيطة نفسها ويخلف وراءه حلاه الشخصية، ويتخذ لنفسه شعاراً هو كلمة: الله أكبر).

وبكلمة أخرى: فإن الله لم يفرض على الإنسان مجموعة من القوانين يعجز عن احتمالها ولم يفرض عليه في أي من الشعائر قواعد جامدة قاسية.. لأنه يريد بالناس اليسر (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ).

وعن الشعائر الإسلامية العملية كان حديثها عن (الصلاة) تصويراً صادقاً عن مدلولها وتأثيرها حيث قالت: (فما أن يدعو المؤذن جماعة المؤمنين إلى أداء أول واجباتهم الدينية –الصلاة– حتى يتذكروا مهما كانوا منغمسين في شؤونهم الدنيوية (خالقهم)، إنهم يستهلون هذه الشعيرة بتمجيد الله، ويختمونها برفع تحياتهم إليه، إنهم يشعرون بالطمأنينة دائماً في حضرته، وهم إذ يذلون أنفسهم بالسجود إنما يعبرون عن خضوعهم المطلق للقوة الإلهية، إن لكل من الكلمات والأعمال في الصلاة الإسلامية معنى خاصاً، ولكنه ليس من العمق بحيث يعجز العقل الإنساني العادي عن استيعابه، إن التوجه نحو مكة ليذكر العالم الإسلامي دائماً بالموطن

المجيد الذي شهد ولادة هذا الدين التجددي، وقد اتحدوا كلهم في عبادة الإله الواحد وليس من شروط صلاة المسلم أن تؤدى في معبد، لأن أيما مكان في الأرض شرط أن يكون نظيفاً هو قريب إلى الله، وبالتالي ملائم للصلاة، وليس المسلم في حاجة إلى كهان ولا قرابين ولا طقوس لكي يسمو بقلبه نحو الله، والشرط الوحيد الذي ينبغي لتكون مقبولة - هو طهارة الجسد، التي تعني طهارة النفس، وطهارة الثياب والمكان، (ولصلاة الجمعة) المؤلفة من خطبة ومن صلاة مزاياها وأهميتها الخاصة أيضاً. إن هذه الصلاة بجمعها للمسلمين في شعيرة واحدة قوامها الإذعان والخضوع لله، تشعرهم أنهم جميعاً مخلوقاته، ومن هنا فهم جميعاً أخوة.

• • •

من كتاب (بلشفة الإسلام..) للدكتور صلاح الدين المنجد سأنقل نصوصاً أوردها عن مجلة سوفيتية أيضاً اسمها (العلم والدين).

قالت المجلة: (لقد أوصانا (لينين) بأن على الحزب الاشتراكي أن يجعل الكفاح ضد النظرية الدينية للحياة والممات؛ مسئولية مستمرة يجب على الطليعة الاشتراكية أن تقوم بها ويجب أن نستعيض عما وعد به أرباب الأديان من فردوس في العالم الآخر بالفردوس الذي تبنيه الاشتراكية العلمية، وبين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراع مستمر، ولقد أدركنا في الاتحاد السوفيتي منذ البدء خطورة بقاء (الميراث الديني) على حالة في المجتمعات السوفيتية، مسيحية أو إسلامية، وما زلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة، خصوصاً في المناطق الإسلامية، لذا قرر المؤتمر الثاني والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي زيادة اليقظة والحذر

وتجديد العزم على قهر البعث الديني في المناطق الإسلامية) وسأكتفي اليوم بهذا القدر الذي أوردته المجلة المذكورة وهو لا يضيف جديداً في إثبات عدائهم لكل الأديان لكنه في اعتقادي.. يضيف كل جديد في معرفة مدى انعكاس هذه المبادئ الهدامة في منطقتنا العربية، حيث نشهد واقع الصراع المر فيها بين بقايا الإسلام وبين باطل (القيادات) المنحرفة التي أضحت منفذة في طواعية مؤسفة لكل ما أراده الأعداء وطلبوه. وقالت المجلة أيضاً: (يجب أن يلاحظ الاشتراكيون أن للأديان شعارات قوية، شعارات الإسلام والأخوة والمحبة، وللجماعات الدينية قوة تعادل قوتنا على الأقل في العمل والدعوة إذا أتيح لها المجال، وللدين مقدرة عجيبة على التطور والصمود، وإلا لما بقيت كل هذه الأديان السماوية طول هذه القرون العديدة التي تطور فيها العقل والبيئة وشتى العلوم، يجب إذن ألا نستهين بمقدرة الدين ورجاله على التحدي لنا، إنهم قوم ذوو مقدرة ونشاط وقناعة وجدانية عميقة تعادل إن لم تفق أحياناً قناعة الاشتراكيين بعقيدتهم، وإننا ندرك كل الإدراك هذا الدور الخطير للدين وجماعته، فإذا هادناهم فيجب ألا نقصد وحدة الفكر معهم ولا وحدة العمل وإنما علينا أن نسعى لنسلبهم قواهم في المضي للتحدي ضدنا، ومهاجمة عقيدتنا، وحين نستخدم الميراث الديني ونظر الاهتمام الشديد به في مرحلة التحويل الاشتراكي فلنفعل ذلك وبين أعيننا وصية (انجلز) التي تقول: (حتى لو كان في الإنجيل والكتب الدينية الأخرى صفحة هنا وآية هناك تصلح لتأييد التفسير الاشتراكي للأشياء، فإن علينا دائماً أن نتذكر أن جوهر الدين كله معاد للاشتراكية).

هذا هـو القدر الذي أورده مـن حديث المجلة ليتبين كل امرئ موقفه وواجبه ورسالته.

ونستمر في استعراضنا لبعض محتويات الكتاب (بلشفة الإسلام) للدكتور صلاح الدين المنجد.. ولنمض مع المؤلف في استعراضه لما قالته المجلة السوفيتية (العلم والدين) فلقد أورد عنها ما يلي نصاً: (وليس للاشتراكية في الدول المتخلفة خاصة وفي المناطق الإسلامية بصفة استثنائية سبيل إلى الصمود بغير (العمل الثوري)، إن الثورة شعار أبدي للاشتراكية في تلك المناطق والثورة تعني تحطيم الماضي وميراثه بما فيه الميراث الديني والذين يصونونه، وليس من الضروري أن نهزأ من قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية وأن نقول إن المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح إلا للأطفال.. هذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيراً وإنما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقالب اشتراكي (ويجب أن نجند بعض رجال الدين وبعض النصوص الدينية إذا أمكن لمثل هذه الدعوة الاشتراكية، لذا فلابد أن تخضع المعاقل الدينية (الجامعات، المؤسسات، الجمعيات، المساجد، الكنائس) لسيادة الحزب الاشتراكي في الدولة الاشتراكية وتصبح جهازاً يصلح ضبطه واستعماله عند الحاجة، ولكن من الضروري أن يأتي وقت تقرر فيه القيادة الاشتراكية قراراً حازماً بأنه لا مبرر بعد للهدنة مع الميراث الديني وأصحابه، وإلا أدت هذه المهادنة إلى بعث ديني فيه خطر على التجربة الاشتراكية).

هذا بعض ما أورده المؤلف عن المجلة.. وفي هدوء أليم قلبت ناظري في العديد من البلاد الإسلامية فالتقيت بما يشبه التنفيذ الأمين لما أوصت به هذه المجلة وأرادت.

وقبل النهاية سأحدثكم عن بعض معلوماتي عن الكتاب: فقد نشرته دار الكتاب الجديد ببيروت ويقع في 110 صفحات. ويجمع بين عمق الفكرة وجمال الأسلوب. وهو – من وجهة نظري– أجود كتاب في موضوعه.

• • •

كان النبي عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة، خشية أن يملوا، وقال تعالى لنبيه وقد أدبه فأحسن تأديبه: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) وقال له: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وهي (معالم) ينبغي أن يعيها كل مسئول عن الدعوة إلى الله..

ليعلم أن اللين خير من الشدة، والرفق خير من العنف، وأن الدعوة إلى الله يجب أن تتسم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

• • •

في صيف عام مضى وخلال جولتي في أوروبا كنت وزملائي أعضاء الوفد التعليمي في زيارة لجامعة (أكسفورد) في بريطانيا بدعوة من عميدها وقضينا فيها أكثر من ثماني ساعات تجولنا خلالها في كل أقسام الجامعة ومرافقها، وقد أرادت الجامعة تقديرنا وإكرامنا فتركت مهمة تعريفنا بالجامعة وشرح أقسامها ونشاطاتها لشاب سعودي يتلقى العلم بها وهو الأمير (خالد) نجل جلالة الملك فيصل المعظم وكان بارعاً في شرحه

وموفقـاً في إعطائنا كل ما نريـده من معلومات.. وبعد تنـاول الغداء مع عميدها تحدثنا مع لفيف من أسـاتذتها عـن المملكة وعن خطوات التعليم فيها وكانوا يتابعون أحاديثنا في شوق وسألني أحدهم وكان بالقرب مني: كم نسـبة الأساتذة السعوديين إلى غيرهم في جامعة الرياض؟ وترددت في الإجابة وعدت إلى نفسـي أسألها بسرعة هل أنقل له الحقيقة؟ وأخيراً قلت له: هل تعلم عن عمر النهضـة التعليميـة في بلادنا؟ فنفى ذلك، فقلت له: نحـن نعيش واقعاً علمياً لم نسـتكمل إطاره إلا منـذ ثلاثة عشر عاماً فقط، وجامعاتنـا لا يتجاوز عمرها هذه الأعـوام إن لم يقل عنها.. ومع هذا فلنا في جامعات أمريكا وأوروبا (سـبعون) معيداً كلهم في الطريق إلى الجامعة بإذن الله بما حصلوا عليه من معرفة.

ولدينـا الآن منهم ثلاثة: وكيل الجامعة، وعميد كلية العلوم وعميد كلية الزراعة.

فعجب لقصر هذه المرحلة التي جاوزناها ومدى استعدادنا للمستقبل.. واليـوم وقد تكامل في جامعة الرياض (تسـعة) من أسـاتذتنا السـعوديين وأخذوا في ثقة يديرون دفة أعمالهم تذكرت حديثي مع الأسـتاذ بجامعة أكسفورد، وتمنيت أن أقول له: لقد بلغ الرقم تسعة والبقية تأتي بإذن الله.

• • •

أتحـدث اليوم وصـلاً لما سـبق من حديث عـن الزيارة لجامعـة (روما) فلقد شـاهدنا تجربـة رائعة في غرفة العمليـات وأخذنا طريقنـا إليها فيما يشـبه الهمس، وكانت واسـعة الأرجاء تمتلئ بالكثير من الأجهزة الدقيقة يتوسـطها (أسـتاذ الجراحة) وهو منحنٍ على جسـم مسـجى أمامه ويداه

تعملان في ثقة عجيبة، وحوله مساعدوه، يرقبون رغباته وحركات يديه.. والجسم الماثل أمامهم (لسيدة) نقلت قبل لحظات إلى المستشفى على أثر حادث تصادم استدعى إجراء ما نشاهد ومرت اللحظات بطيئة رهيبة.. وقيل لنا.. سنرى معكم هذا المنظر من مكان آخر.

وانتقلنا إلى جناح أفضى بنا إلى قاعة فسيحة امتلأت بالمئات من الناس وقد أخذوا مقاعدهم في وضع تصاعدي منسق.. وكنا نسير بحذر شديد فلقد كانت القاعة (مطفأة الأنوار) تبدو غارقة فيما يشبه الليل لولا بصيص من الضوء المنبعث من شاشة تليفزيونية في واجهتها يقف بجوارها (أستاذ) يشير لطلابه بسهم في يده إلى الخطوات التي تنقلها الشاشة.. وهمس في أذني أحد (الإخوة)، لينبهني إلى أننا نشهد في الشاشة التي أمامنا (الغرفة) التي خرجنا منها قبل قليل وإننا في فترة عملية دراسية لأطباء المستقبل. وحاولت أن أسمع ما يدل على امتلاء القاعة بالجلوس فلم أستطع فلقد كانوا مصغين بكل مشاعرهم إلى أستاذهم وشاشتهم.. وقبل أن نغادر قال الأستاذ للجموع الجاثمة أمامه (إننا نرحب بأصدقائنا معنا اليوم ونتمنى لهم إقامة هانئة).. وشكرناهم وانصرفنا.

• • •

والحديث اليوم أختتم به تفاصيل الجولة التي تمت في كلية الطب بجامعة روما.. فلقد قارب النهار أن ينتصف ونحن لم نفرغ بعد من جولتنا وكأنما أدرك المسئولون ذلك فاعتذروا، ولا شيء يستدعي اعتذارهم، لأننا على خير كبير مما رأينا.. لاسيما ونحن في رحلة الإعداد لكلية الطب في بلادنا.. وكانت نهاية الجولة زيارة عميد الجامعة في مكتبه وكان يعمل

في غرفة متواضعة لا تختلف كثيراً عن أي غرفة مماثلة إلا بعدد غير قليل من المجلدات العلمية تأخذ مكانها في أحد جوانبها، واستقبلنا بترحاب كبير وانطلق يتحدث عن استعداد جامعته للتعاون الكامل معنا، وتقديم ما نحتاج إليه من خدمات، وتدارسنا شؤون طلابنا لديهم وطفق يتحدث عنهم ممتدحاً ذكاءهم وحسن سلوكهم واحترامهم الكبير لأساتذتهم وزملائهم وسررت لما سمعت. وفجأة وبعد صمت قصير قال موجهاً حديثه إلى مندوب وزارة الخارجية الذي كان يرافقنا في هذه الجولة: (ليتكم تضاعفون عدد المنح المقدمة حالياً للطلاب السعوديين) وتدخلت في الحديث شاكراً له مشاعره، ومؤكداً له أن طلابنا في إيطاليا وغيرها على نفقة الدولة، وقد رصدت في ميزانيتها أكثر من ثلاثين مليوناً من الريالات السعودية للإنفاق منها على بعثاتنا في خارج المملكة وعلاجهم وملابسهم، وإننا على استعداد للسير قدماً في هذا السبيل لإيماننا بأن شباب البلاد هم رجال المستقبل).. ولمحت على قسمات وجهه دهشة واستغراباً.. وقال بعد وجوم.. إنكم تصنعون ما لم تعمله دولة أخرى فهنيئاً لشبابكم لأوفى بما تبذلون من أجله.

وقدم لي نسخة أصلية من المرسوم الصادر بإنشاء الجامعة – هدية معنوية؛ تعبيراً عن تقديره، وشكرته وانصرفت ولم أستطع أن أحتفظ لنفسي بما شاهدت وسمعت والهدية المقدمة منه تأخذ مكانها الآن في (جامعة الرياض) تعبيراً عن الاحتفاء بها وتقديرها.

• • •

لمــاذا ينصرف الشــباب هنا عن الاقــتران بزوجات مــن داخل بلادهم؟ ولماذا نشــهد مع الأيام المزيد من الزيجات الفاشــلة؟ ولماذا تمتلئ ســاحات المحاكم بالمرافعات والقضايا الزوجية؟ نعم لماذا؟

وكلنــا نعرف الإجابة؟ وكلنــا نتهيب بدء العلاج وقد قلنا في مجالســنا، وتحدثنا في نوادينا وسطرنا في صحفنا جوانب من المشكلة وسبل علاجها.

لكننا نقول ولا نفعل!! فكل إنسان يقول: لا داعي للإسراف في مظاهر الزفاف ومتطلباته ويقول: نبغي أن نتواصى على تخفيض المهور، ويقول: نبغي أن تســتأذن الفتاة فيمن تقدم لها وتحاط، ويوم تنعدم تلك الصــلة أو تضــعف، ويتبلد ضمير المرء فلا إكراه ويقول: لقد أباحت السنة النبوية أن يرى الخاطب زوجته المقبلة بالقدر الذي يطمئنه إلى ارتياح نفسه لها.

ولكنهم جبناء في التنفيذ.. وسراع إلى تجاهل كل ما دعوا إليه، وهي ظاهرة مؤســفة.. والموقف محتاج في هذا الأمر إلى رجال يثقون بعد الله بأنفســهم، يدخلــون التاريخ منفذين لما عجزت أجيال عن بدئه وممارســته.. فهل يطول انتظارنا؟ جهود مشــكورة بذلت في سبيل علاج مشكلة الزواج، لكنها لن تجــدي إن لم نغير مفاهيمنا تجاه هــذا الأمر، فالزواج في غالــب الأحيان هنا تتخذ مظاهره شكل المباهاة والمكاثرة ومجاراة الغير، وهذه ربما كانت سبباً في فشل الكثير من تلك العلاقات، لأنها تحدث على حساب واقع المرء وظروفه وأعصابه.. وشر الأمور ما تؤديه مكرهاً وأنت تدرك تفاهته وعدم جدواه.

وما سمعت بمناسبة زواج حشد لها أصحابها الكثير من المظاهر الباهظة التكاليــف إلا وتلهفت علــى إيجاد مفهوم آخر للــزواج يعتني فيه بالمخبر وهو.. الاختبار، والبساطة والاقتصاد في الأمر كله.

• • •

الفاشــل في مفهومي ليس هو المخفق في امتحان بذل في الاســتذكار له جهده، وليس هو اللاعب في مباراة حاول كسبها فلم تنجح محاولته..

لكنه العاجز عن اكتساب الثقة بكفاءته وإخلاصه وتضحيته.. فالوجود تافــه إذا خــلا منها.. لأنها المنطلق الراســخ لكل جهــد أو فكرة، ودونها سيظل المرء قابعاً والعاملون ينطلقون إلى أهدافهم من حوله.

وبقدر ما تبذل لاكتســابها ينبغي أن تفعل لاســتدامتها وبقائها.. ووراء كل قصة نجاح في أي مكان مصدر ثابت من الثقة.

• • •

إذا كان رب الدار بالدف ضاربا

فشيمة أهل الدار كلهمو الرقص

قبل سنوات حفظت هذا البيت متأثراً بعنصر الطرافة في تركيبه وألفاظه، وتبين لي بعد ذلك صدقه ودقته.

فالمســئول ينقل دائمــاً واقعه إلى من حوله، ويعكــس تأثيره على محيطه، ويــوم يكون واقعه منحرفاً فإنه يشــكل باســتمراره عنصر هــدم لأنه يعني فرض هذا الانحراف وتجسيمه، وانتقال عدواه.

ولتلافي هــذا الواقع المؤلم تعلمنا تجارب الإصــلاح أن اختيار المســئول كثيراً ما يغني من ضــياع الجهد في تقويمه، وإن أعدل جزاء للمنحرفين هو ردع الناس بعقوبتهم.

• • •

أقبح أنواع الإساءة أن تسيء إلى من أحسن إليك.. وأشد مراتب الظلم أن تظلم من شملك عفوه.. لأنك بذلك تكون جامعاً لوصفين: هما النكران والإساءة.. فلقد تسيء مبادرة وربما تلقى جزاء إساءتك أو لا تلقى تبعاً لواقعك.. لكن المرء يقف طويلاً أمام مظهر الإساءة المسبوقة بالإحسان والظلم الزاحف في أردان التسامح والعفو.

فالإحسان دائماً خير وسيلة لانتصار القوى الخيرة البانية وهو يستتبع التقاء القلوب والمشاعر ولا يستطيع الشر أن يجد طريقه في واقع الحب والإيثار والعفو.. ولكن حينما ترى مسيئاً إلى من أحسن إليه.. أو ظالماً لمن عفا عنه.. فتأكد أنه بجانب عدوانه يحمل بين جنبيه روحاً شريرة حاقدة لم يستطع الحب والإخاء تخفيف واقعها فاندفعت صفيقة باهتة.. لتحكي لواقعها قصة الحقد والانحراف والجحود.. ترى كم في دنيانا من يحكي تلك القصة؟

• • •

حقيقة ينبغي أن يعلمها كل الناس.. وهي أن المسئول لا يملك وقته، فهو لعمله، وللناس، ولأرباب المصالح.. فإذا كنت صديقاً لأحدهم، والتقى بالمسئولية فتذكر أنه أصبح لغيرك، فلا تطالبه بما كان يعطيك من اهتمامه ووقته، ثم لا تعتب عليه إن وجدته غير قادر على الوفاء بالتزامه لك، ولا تكن مع تبعاته عبئاً ينقض ظهره.

وأصحاب الحاجات بماذا نطالبهم؟ لا شيء إلا الرفق، والأناة، وتقدير واقع المسئول، والصبر عن إحراجه أو مطالبته بما لا يقدر عليه.. فهو إنسان.. يضع على كواهله مسئولية شديدة الوطأة والتبعة، فلماذا نحاول

دائمـاً أن نتجاهل واقعـه لنطالبه بما لا يمكنه أو لا يسـتطيعه؟ إذا أردت أن تطاع فسـل ما يسـتطاع.. من أمثالكما قد سـبق إليه وآخرون سيأتون.. فأوجـز ولا تتعجـل وقبل كل ذلك لا تطلب مسـتحيلاً، ولا تغضـب إذا لم يكـن في القدرة تلبية رغبتـك.. وتذكر دائماً هذه الحكمـة: إذا أردت أن تطاع فسـل ما يسـتطاع. وتأكد أن كل مسـئول في هذا الجهاز الكبير يسعى لخدمتك وإسعادك.. أيها المسئول: لا تغضب، واصبر على الإلحاح والتكرار من ذوي الحاجات والمصـالح.. فصاحب الحاجة أعمى، لا يريد إلا قضاءها، وهو يتخيل أنك لست مسئولاً إلا عنه، أو مطالباً إلا بحاجته، فهو الحريص، والمندفع، والمبالغ، فلا تجمع عليه مع حرصه غلظة أو تأنيباً.. فربما اندفع إلى خطأ لم يقصـده.. فوطّن نفسك على قبول الأخطاء العابرة منه، فقد يكون محاطاً بظروف شاقة وقاسية..

فساهم بتحملك على تخفيف وطأتها، وتقليص واقعها، وقد يبقى الصبر في حياتك عادة تطمئن لها، والنصر لك في نهاية المرحلة ولو على نفسك.

• • •

الكُتّاب على أنواع:

أحدهم يكتب ليقبض.

وآخر يكتب ليهدم.

وثالث يكتب ليشتهر.

ورابع يكتب ليملأ فراغه.

وكلهم أعباء على أمتهم، وخسارة لمواطنيهم، ونماذج سيئة في مجتمعهم.. أما من يكتب ليبني، ليصحح خطأ، ليرشد إلى صواب، لينصر قضية عادلة،

ليشـجع محسـناً، ليقول كلمة حق بطريق مشـروع، ليجمع كلمة، ليوحد صفاً، ليدافع عن دين أو خلق، فهم.. (الرجال) والرواد، والعاملون.

ونحن بحاجة قصوى إلى حجب أولئك وإبراز هؤلاء.

• • •

الوشاية دائماً صنيع الجبناء، والحساد، والمنحرفين.. فالواشي جبان وإن كان صـادقاً، لأنه جنح إلى الوشـاية الحقيرة بديلاً عن التناصـح الواجب للمسلم على أخيه.

وجبـان – إن كان كاذباً – لأنه آثـر أن يقذف بافترائه في غيبة أخيه، ولم يكن ليفتري عليه في مشهده.

والواشي حاسد إن كان صادقاً، لأنه سعى إلى الإيقاع بأخيه، مفسداً بما صنع صلة قائمة،

وحاسد إن كان كاذباً – لأنه افترى ما أراد الإضرار بأخيه وزوال نعمته..

والواشـي منحرف إن كان صادقاً – لأنه ترك السبيل المستقيم لإصلاح اعوجاج أخيه ومنحرف: إن كان كاذباً – لأنه ظلم أخاه وشهر به، ورسول الله – صـلى الله عليه وسـلم – حارب الوشاية والغيبة في وضوح وجرأة، حيث قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره.. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته).

• • •

لو علم المرتشـي مبلغ جنايته على مجتمعه وأمته لما اسـتطاع أن ينظر مع جريمته إلى أحد..

فالرشوة داء فاتك يخفي معالم الحق، ويفصم روابط الإخاء ويدع الناس حيارى بين حق مشروع وباطل يحجب أصحابه عنه ويدفعه إلى من لا يستحقه.. ولخطرها وسوء أثرها فقد استحق مقدمها وأخذها والساعي بينهما (لعنة الله).

وانتشار الرشوة في مجتمع دليل على ضعف أفراده، وتخاذلهم وموت ضمائرهم.. والعلاج دائماً لا يكمن في عقوبات الدولة وحدها بقدر ما يعتمد على وعي المواطن ويقظته ومبادرته لكشف الجريمة بعد حصرها..

ولا ترحموا من تمتد يده ليرتشي.. فهو مجرم، وملعون، وظالم، وهو بصنيعه يعادي كل أفراد مجتمعه، فانبذوه وشهروا به فقد طرده الله من رحمته.

• • •

إن أغلب الأغاني المنسوبة إلى بلادي تدعو إلى الألم والحيرة، فهي تافهة اللفظ، ماجنة المعنى، حقيرة الأداء، واختلفت الآراء في أسباب هذا الواقع المؤلم!!

فمن قائل: إن تأليفها لا يخضع لرقابة، وآخر يقول: إن مؤلفي الأغنية لدينا لا يهمهم مستوى الأنشودة أو هدفها، بقدر ما يهمهم (إثارة) لفظها، وميوعة لحنها.

وثالث يقول: بل هم لا يجيدون هذا النوع من الكلمات وألحانها.. أما أنا فأقول: إن الكثير من أغنياتنا يسيء على واقعنا أعظم إساءة، ويشترك في الإساءة بها مؤلفها وملحنها ومؤديها ومجيزها، وكفى استهتاراً وجناية وعبثاً.. فبلادنا الطاهرة المقدسة أكرم من أن ينتسب إليها الباطل قولاً أو عملاً..

• • •

كنت أقرأ في كتاب للمؤلف الفرنسي (جوستاف لوبون) وهو يبحث في الحالة النفسية للجماعة فاستوقفني من خلال سطوره كلماته الآتية:

(.. الذي يقود الناس لاسيما إذا اجتمعوا إنما هي التقاليد، وهم لا يسهل عليهم أن يغيروا منها سوى الأسماء والأشكال، والصعوبة دائماً في إيجاد التوازن بين التقلب والبقاء، وهي صعوبة كبرى.. فإذا تأصلت في الأمة عادت وتمكنت منها أجيال عدة تعذر عليها الانتقال، ولذلك كان أكبر النعم التي يجب أن تصبو إليها الأمم القادرة هي المحافظة على الأنظمة التي ورثتها وأن تسير في الانتقال بها من طور إلى أكمل منه على مهلٍ وبلا اهتزاز، وهو مطلب عزيز المنال ربما لم يفز به إلا دولة الرومان في الأزمان الخالية). انتهى.

وقلت: أنا أردد هذا الرأي الحكيم ليت قادة هذا الشرق الأوسط المغلوب على أمره يسمعون ويعتبرون!!

• • •

حينما أرى استهتار الكثير من النساء الوافدات وعدم احتشامهن في الأزياء والمشية رغم علمهن بمنافاة ذلك لتقاليدنا وديننا ومجتمعنا أؤيد الفكرة القائلة بضرورة تدخل السلطة الحكومية لإيقاف الانحراف، ولحماية مجتمعنا.. ومن ضاق بتقاليدنا فليرحل!! لن نستطيع بناء مجتمع فاضل إلا بإيجاد نماذج صالحة يقتدي بها، وبثواب المحسن وعقاب المسيء.

وإلا فنحن نكذب.. حينما ندعي الإصلاح دون أن نستصحب هذه العوامل الثلاثة.. القوى اليسارية، والقوى التقدمية، والقوى الثورية،

شعارات تختفي وراءها الشيوعية الملحدة بمساوئها وأهوالها.. هذه حقيقة واضحة.. فكم من المسلمين اليوم يرفع هذه الشعارات المعادية للإسلام ولماذا؟ إن واجبنا العام والأول هو حماية المجتمع.

• • •

اسمعوا!! هل وعينا تبعات المسئولية، والتزامات الاقتداء؟ إن لم نكن فعلنا ذلك فلنعلم أن القدوة واقع حازم يترك أثره العاجل خيراً أو شراً، بل رما كان (الشر) في القدوة المنحرفة بعيد الأثر، عميق التأثير، ولذلك كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا أراد أن ينهي المسلمين عن أمر جمع أهل بيته فقال لهم: (إنني سأنهي المسلمين عن كذا، فمن جاء لي به منكم يفعله ضاعفت له العذاب).

رحم الله عمر بن الخطاب فلقد ترك لمن بعده أمثلة مشرقة مضيئة.

كان يحدثني بحماسة بالغة عن ابنه ويقول: (رغم تحذيري وحرصي فلقد اكتشفته يدخن سيجارة في زاوية من الدار).

فقلت له: لماذا لا تريده مدخناً؟ قال: لضرر التدخين. قلت: وهل امتنعت عن التدخين أنت؟ فوجم ثم قال: حاولت لكني لم أستطع، فسألته، وهل يراك ابنك وأنت تدخن؟ قال: نعم قلت: لقد ظلمته، إذ كيف تنهاه عن أمر يشهدك متلبساً به؟ إن كان ما تنهاه عنه أمراً مقبولاً فلماذا تنهاه؟ وإن كان غير ذلك فلماذا تفعله ثم تنهاه عنه؟ ولماذا تأمره بما لا تلتزم به؟ وصمت ولم يُجِب.. مجسماً في وضوح سوء القدوة وعجز الأمثولة وهي حقيقة واقعة في كثير من أمورنا.

• • •

الشــاب الذي ينهي تحصــيله، ويبدأ عمله هل ينتهي دوره بوثيقة وقرار تعيينــه؟ سـؤال تردد كثـيراً وفرضــته الوقائــع المماثلة.. والجـواب دائماً كامل.. فرسالة المواطن المثقف تبدأ مع بدء حياته العملية.. إخلاصاً لدينه، وتضـحية لوطنه وحبــاً لمواطنيه، ورغبــة في إقرار مبادئ الخـير، ومحاربة للجريمة والرذيلة في كل مجال وبما يســتطيع من الوسائل!! وهو مطالب مع كل ذلك أن يقرأ دائماً ما يفيد وينفع ليضمن تطور عمله وتجدده.

وهو إن لم يفعل فإنما يشــكل (عقبة) في طريــق التقدم لوطنه.. وإن كان يمتلك كل وثائق الدنيا.

• • •

لقــد قــرأت في كتاب طبي وصــفاً لعقار (البنســلين) بأنه الســلاح ذو الحدين.. أي أنه قد يقتل إن أسيء استعماله أو لم تتخذ الاحتياطات الواجبة من أجله.. وعجبت (يومها) كيف يكون الشــيء الواحد نافعاً وضــاراً.. بينمــا هو للنفع ابتداء؟ وبمرور الأيام ومع تطور وســائل الإعلام من إذاعة وصــحافة وتلفزيون، تأكدت أن وســائل الإعلام هي الأخرى (سلاح ذو حدين).

• • •

قيــل قديماً (وعــداوة) الشــعراء بئس المقتنــى وأنا ليس في حســباني أن للعــداوة مكانــاً في المجتمع المســلم المتكامل، لأن مجــرد التفكير في عداء أي إنســان جريمــة ربما تتضــاءل بجوارها أكبر جرائــم الناس.. وحتى من يواجهك بالعداء فإن أروع انتصــار لك على باطله وظلمه أن تســتبعد من واقعك فكرة مقابلة عدائه أو الســعي في إذلالــه.. وتعمل لإنجاز أهدافك

الخـيرة بكل إمكاناتـك وطاقاتك.. ومعذرة للقاء فلقـد أردت أن أتحدث عن الشعر والشـعراء وإذا بي أتحدث عن الواقع البغيض للعداء.. ولكن لا يزال في مجال الخاطرة مكان للحديث عن الشـعر.. وقبـل أيام قرأت رأياً غريبـاً لأديب لبناني في كتاب اسـمه (وجهاً لوجه) عن الشـعر وهو يعبر بالضـرورة عن وجهة نظره التي امتلأت بالتحامل ولسـت أجد بأسـاً من استعراضـها ومناقشتها.. ومعذرة لأصـدقائي من الشعراء المعاصرين ربما كنت في حماسي للجيد من الشعر أكثر من الشعراء أنفسهم.

• • •

يقول الدكتور إيلي سالم في كتابه (وجهاً لوجه) عن الشعر.. الشعر عالٍ شرط ألا يؤخذ كله جدياً، الشـعر الأصـيل يفتح أمام الـروح دنيا الجمال والإحسـاس والعاطفة بواسـطة كلمـات موزونة وأفـكار خيالية حلوة، والمفروضـ في الشـعر أن يعبر بشـكل مؤثر عن اختبارات الشـاعر وعن الرؤيـا التي تتبين له.. أما الأفكار الحية والفلسـفات والعلوم فتكتب بلغة نثرية حرة خالية من قيود القافية والوزن والتقليد، من أراد أن يدرس العلوم السياسـية والاقتصـادية وغيرها من العلوم النافعة لا يدرس على يد شـاعر هذا بديهي، وإني أذكره فقط لأبين للشـبيبة العربية التي لا تزال مشـغوفة بالشـعر أن الشـعر هو آخر ما نحتاج إليه اليوم، عندما يحصـل المرء على كل شـيء وعندما يهذب عقله ويمرنه على العلوم الموضـوعية المفيدة يحق له أن يتلذذ بالشـعر ويردده. كل حضارة تأتي إلى حيز الوجود برفقة تدفق شـعري هائل.. الحضـارة اليونانية والحضـارة العربية مثلاً، ثم تتحرر منه وتعنـي بما هو أبقى وأجدى كالفلسـفة والعلوم الطبيعية، الشـاعر يغمض

عينيه ويتجول بخياله ويكتشف أشياء جديدة ويسميها لكنه لا يحقق فيما يكتشف مهمة التحقيق تترك لرجل العلم الشاعر للبداية لشق الطريق، ألا تلاحظ أن كل شاعر رغم سنه يبقى طفلاً؟ أنا شخصياً أحب الشعر العربي كثيراً لكني لا أريد أن أسمع شعراً إلا للراحة من جد الحياة، وإني أكره سماع الشعر في ندوة علمية أو في المجلس النيابي أو في المؤتمر الطبي، ومثل ذلك دارج في البلاد الغربية وهنا الجريمة، وأكره على الأخص الشعراء السياسيين مثل المتنبي.. لأنهم يبالغون ويكذبون ويشوهون الحقيقة، يقول القرآن عن الشعراء: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ × وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) ويعتبر الجاحظ (أن حالة الشاعر داعية إلى قول الزور والفخر بالكذب والإفراط بالمديح لمن أعطاه) ألا يصح هذا القول على الكثير من شعرائنا السياسيين اليوم؟ هذا ما قاله الكاتب عن الشعر وسأقول رأيي في خاطرة مقبلة.

• • •

أتى علي حين من الدهر وأنا أعتقد زوال (دولة الشعر) في عالمنا العربي.. ومرد ذلك إلى عاملين؛ أولهما.. عدم تواجد الجيد من الشعر المعاصر.. وكثرة المتطفلين على مائدته، وتفاهة أكثر ما نسمع منه وما نقرأ.. بل لقد تحول الأمر في مسيرة الانحدار المندفع إلى أن نقرأ فيما يسميه الناس شعراً، ما يصلح أن يحمل كل الأسماء إلا أن يكون (شعراً)، ولا أعني هنا شاعراً بعينه أو بلداً دون غيره، ولا أضع بما أقول رأياً لا يقبل النظر أو التمحيص، فهو انطباع شخصي دفعني إليه ألمي من واقع مرير، ورغبتي في الوصول إلى أفضل منه، (والثاني) إعجابي الذي لا ينتهي عند حد (بالثورة) الشعرية

الهائلة التي خلفها لنا شعراؤنا العرب والمسلمون في كل العصور، فلقد تركوا لنا روائع خالدة من الشعر الرصين طرقوا بها كل مجالات الحياة: فأصبحنا نقتات من هذا التراث كلما جاوزنا عقبة أو داهمنا خطب، بل لقد أصبح الشعر العربي (مدرسة) متعددة الأغراض يجنح إليها المرء ليجد في مناهلها ما يحتاج إليه وتطمئن له نفسه.. ثم بدأت دولة الشعر تضعف وتضعف، ولذلك أسباب ربما تعرضت لها في خاطرة مقبلة، ولكنني أعيش هذه الأيام فيما يشبه الأمل الباسم لواقع الشعر في بلادي.. فالشعراء وقد وضعتهم الكارثة أمام ضمائرهم قد استجابوا للنداء فوضعوا أيدينا على بارقة مشرقة لبعث جديد في دولة الشعر والأمثلة كثيرة تضيق بها صحفنا المحلية وتحية الأمل أبعثها إلى الشعراء السعوديين.

• • •

وهذه الخاطرة أستكمل بها الحديث عن الشعر والشعراء.. ولا أريد إلا أن أسجل مشاعري لمدى الخسارة الفادحة بانفصام الصلة بين أحفاد اليوم وآباء الأمس في حمل لواء الشعر الصادق المخلص.

وفرحتي بالمحاولات التي بدأت تأخذ طريقها بعد أن كاد الأمل في وجودها يختفي تحت وطأة الألم بما فقدناه، فالشعر في كل العصور (مرآة) صادقة لواقع الأمم ومظاهر حياتها وسجل حي لمدى تقدمها ووعيها.. وربما أكون متحاملاً على الأدباء إذا قلت لهم: إن الناس عادة يستجيبون للصادق من الشعر حينما ينطلق من القلب بلا تكلف - أكثر ما يستجيبون للكلمة المنثورة أو هما في حد سواء حينما تكون الكلمة (المنثورة) هادفة واضحة الفكرة، وكم من كلمات مكتوبة كان لها أثرها ثم انطوت بموت

صـاحبها أو زوال مناسبتها، وغير ذلك (الشـعر) فلقد استطاعت قصائد كثـيرة وأبيات من قصـائد أن تبقى على ألسـنة الناس وفي رسـائلهم أمداً طويلاً.. ولو أردت أن أدلل لما استطاعت هذه الخواطر أن تستوعب لكثرة الأدلة والأمثلة.. وسأقتصر على ثلاثة شعراء هم: حسان بن ثابت -رضي الله عنه- في صـدر الإسـلام.. وأبو الطيب المتنبي في عصر سيف الدولة. وحسـني بسـتانه الشـاعر العراقي المعاصر.. ترى هل منحوا العرب شيئاً يسيراً وهل استطاعت الأيام أن تتجاهل آثارهم أو تضعف تأثيرهم؟ أما عن نفسـي فلقد قرأت ولا أزال للشـاعرين الأولين واستمعت للثالث في ثاني أيام عيد الأضـحى المبارك 1386هـ، واستطاع بقصيدته العصماء أن ينتزع الإعجاب من كل لسان وقلب.. وربما عدت إلى هذا البحث مرة أخرى.

• • •

أريد أن أسأل وسأجيب.. أسأل الأعداء، والمتمردين، والجبناء.. ترى ما الذي يدفع بهذه الجموع العظيمة إلى المشاعر المقدسة هذا العام وكل عام؟ وما الذي يحمل حتى الطغاة من الرؤسـاء - على الرضـوخ لقوة الإسلام الزاحفة التي تدفع بالمسلمين للقاء الكبير في هذه الأيام المباركة؟ وأي شيء يصـوره لنا انتظام الصـفوف والقلوب حول بيت الله المعظم وفي رحاب القداسة والطهر؟

أسـئلة تحمل في طياتها إجابتها وتعليلهـا.. لكنها تظل بعيدة عن الواقع المظلم الذي تحياه كثير من المجتمعات، ويعيش آلامه العديد من الناس..

فهم يتجاهلون (قدرة) الإسـلام على تحدي الحواجز والقيود، ولا أقول يجهلونها.. فهم بها عالمون والضراوة التي تحارب بها فكرة اللقاء الإسلامي

(تشـتد وتقوى) كلما سجلت دعوة الإسـلام نصراً جديداً، أو أشرق على جزء من الأرض ضوءها وسناها.. وللعداء بين قافلة الخير المسلمة وبين من يعملون اليوم لحربها وتشويه معالمها.. (أسباب كثيرة وخطيرة).

فالإسلام يدعو إلى الوحدة الحقيقية.. وحدة القلوب والأيدي والمشاعر وهم يدعون إلى صراع الطبقات، واسـتخدام جزء من الأمة الواحدة ضد الجزء الآخر..

والإسـلام يدعو إلى (كرامـة) الفرد وحماية حقوقه المشروعة وإفسـاح المجـال لـه لأداء واجبه كاملاً.. وهـم يريدون من الفـرد أن يكون منفذاً لمطامعهم، وحامياً لباطلهم، وهم مع ذلك يحولون بينه وبين حقه الطبيعي في حياة كريمة مسـتقرة يعمل خلالها لضمان معيشته ومستقبله والإسلام يسـعى (لنشر السلام) والمحبة والتعاون.. وهم ينفقون أموال شعوبهم في التآمر والخيانة وتقويض المجتمعات الآمنة، وتسـليط حفنة من الناس على الأكثريـة العـزلاء ومع كل هذه الحـرب الخاسرة الماكرة فلقـد تعهد الله أن ينصـر دينه ويعلي راية الحق في كل مكان.. وتلك سـنة الله لا تبديل لها.. ومن (الجحيم) الذي يلتهم محسن الناس ومسيئهم ولا ينجو من ويلاته إلا من أسـلم روحه إلى الله أو فارق مكرهاً موطنه، ومرابع صباه حتى يقضي الله أمـره.. مـن مثل هذا (الجحيـم) الذي تحياه الكثير من شـعوب الله في الأرض نتيجة انحراف قادتها وغرورهم.. سـترتفع راية الحق لينهار أمام أضـوائها (الطغاة والمنحرفون).. وتاريخ الإسلام ماضية وحاضرة يشهد لهذه الحقيقة الواضحة.. وبالأمس لم أستطع أن أغالب الدمع من عيني وأنا ألتقي بالوفود الكشفية المسلمة التي استجابت للدعوة الموجهة من جمعية

الكشافة السعودية فلقد أوحى لي تجمعهم في إخاء وتعاون وود (بالمعجزة الإسلامية) التي بدأت تتحقق في كل مكان رغم كل الأباطيل.

والتجربة نعيشها اليوم في المعسكر الكشفي بمكة المكرمة وبودي لو استطاع كل إنسان أن يحياها بنفسه.

• • •

أسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الأمة والتغرير بها لأنها ستكتشف دون شك حقيقة أمرها ثم لا يزيدها استمرار التغرير بها إلا حقداً وضراوة ورغبة في الانتقام، وكلما أمعن الكاذبون في تجاهل واقعهم وتضليل غيرهم نجدهم يعززون - دون أن يعلموا مراكز النقمة عليهم والمعارضة لهم..

ترى كم في منطقتنا العربية من شعب يعاني مهزلة التغرير؟

• • •

إن إحساسنا بالمسئولية يكفي حافزاً للإجادة والتطور والتضحية.. وإذا أعشت ناظريك أضواء الانتصارات في تاريخ أمة فتأكد أن بها رجالاً عملوا من أجلها لإحساسهم بضرورة بذل جهدهم وراحتهم وتضحياتهم لا يطلبون لذلك ثمناً غير مجدها وعزتها وفخارها، والويل لأمة ينتظر شبانها من يذكرهم بواجبهم نحوها.

• • •

قال لي: متى نستطيع أن ندفع بإنتاجنا في كفاءة وجدارة لنستطيع أن نزاحم الطارئين والمؤقتين؟ فقلت له: متى أحس كل واحد منا بمسئوليته وراقب الله في عمله، فقال لي: صدقت ولكن.. متى؟

تستطيع أن تقول غير الحقيقة لمن لا يعلم حقيقتك لكنك تعجز أن تقول ما يخالف واقعك لمن يعيش معك ذلك الواقع..

إن استطعت أن تتجاهل وتكذب لفترة ما فستجد نفسك في النهاية عاجزاً عن إقناع الناس بما تحرص على إعلامهم به.

وكفى بالمرائي سوءاً أن يكذب الناس صدقه.. ولا حاجة بي إلى تدليل.

• • •

(يومان) من أمتع أيام العمر وأحفله بالنفع والجدوى – قضيتهما مع شهيد الإسلام (سيد قطب) رحمه الله في كتابه (الرائع) – معالم على الطريق – وقد كان مع غيره من مؤلفاته ضمن محتويات مكتبتي، وكنت أقرأ صفحات منه ثم يطرأ من مشاغلي ما يمنعني من المتابعة.

وقبل شهر قررت أن أقرأ كامل الكتاب.. وقد كان.. في يومين لن أنساهما أبداً.. المهم أنني خرجت من قراءته بنتائج ثلاث؛ (الأولى): أن الشهيد قد تحدث بقلبه وبمشاعره فكان صادقاً ومؤثراً ومعبراً.. و(الثانية) أن أفكاره التي احتواها كتابه هذا ليست ككل الأفكار والأحاسيس التي تمتلئ بها صفحات الكتب لكنها عهود الإيمان، ومواثيق الجهاد، يضعها رحمه الله أمانة ورسالة في أعناق كل المؤمنين المخلصين لعقيدتهم ومبدئهم، وكأنه يقول لهم: (إنني أبصر نهايتي وسألقاها راضياً مغتبطاً لكنكم ستسألون عما قدمتم لدينكم وما عملتم لحمايته ونشره).

و(الثالثة): أن من واجب المعركة التي يخوضها الإسلام اليوم مع أعدائه، والتائهين من أبنائه، أن يقرأ كل مسلم هذا الكتاب ليزداد اطمئناناً إلى واقعه، وقدرة على مقاومة أعدائه، وبصيرة في الدعوة إلى الله.. وربما عدت متحدثاً عن هذا الكتاب في خاطرة مقبلة بإذن الله.

• • •

لست أجد صفة نظلمها كل يوم ونحملها ما لا تحتمل ونطلقها على ما يخالفها: كما هو حالنا مع (الإخلاص) فكلنا ندعيه، ونخدع به، ونكذب بمدلوله..

بل لقد هان مفهومه في واقعنا فأضحى مجرد (صفة) يملك التحلي بها كل أحد.. تماماً كما تضع (الأحرف التي تكون اسمك في نهاية رسائلك لمن تكتب لهم مسبوقة بالصفة المظلومة: (المخلص).

فهل نحن مخلصون حقاً؟ لن أتعجل الإجابة لكني أود أن أناقش مستلزمات الإخلاص في حياتنا.. لأجد ومعي كل الناس الإجابة تفرض نفسها لتكون حافزة ومنبهة وفاضحة..

فالإخلاص ليس وصفاً ندعيه ثم نخالفه وليس شعاراً نرفعه ثم نمزقه، لكنه إيمان كامل بالمبدأ وتطبيق له ثم دفاع عنه.. (والمخلص لله) يؤمن به. وينفذ تعاليمه ويبتعد عن محارمه. (والمخلص لدينه) تمتلئ نفسه بالقناعة به ثم يتمثله واقعاً وسلوكاً، وهو يدفع عنه الكيد والأذى في بسالة وصبر وصمود، لا ينبغي لسعيه ثواباً إلا من الله، ولا لجهده شكراً إلا منه، وسواء لقي في واقعه يسراً أو وجد كل عسر، وسواء رضي الناس كفاحه أم أبوا فهو قانع بما يصنع مؤمن به منقطع لتحقيقه.

أما ادعاء الإخلاص بالأقوال والأعمال تباينها، والتظاهر بالاقتناع دون إيمان وتطبيق، وخداع الناس والتمويه عليهم بما يخالف ما نضمر، فأمور تحمل في طياتها الهدم والتدمير، والمعركة اليوم لن ينتصر فيها إلا (المخلصون) ومعالم الطريق لم تعد تخفى على أحد.

• • •

(خطبة الجمعة).. منطلق توجيه وتقويم.. شرعت في الإسلام للدعوة إلى الخير ومقاومة الانحراف، وبيان ما يحتاج إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم، وليعالج بها الخطباء المشاكل والأحداث.. هذا هو مفهومها الواضح، وكان المسجد هو (المدرسة) الإسلامية الهادفة يلتقي في رحابه المسلمون إخوة كراماً تتحد كلمتهم ويجتمع شملهم، ويصدرون في منتهى كل أسبوع عن (لقاء) حافل يوم الجمعة ينصتون فيه إلى ما ينفعهم، ويتعلمون ما ينقصهم، ويتذكرون ما فاتهم.

وكان طبيعياً أن يخضع (اختيار) الخطباء لشروط واعتبارات.. أهمها بعد توفر عدالتهم واستقامة مسلكهم، قدرتهم على انتقاء الموضوعات وبراعتهم في التوجيه، وتمكنهم من التأثير على سامعيهم، وليس هناك من ضمير في العمل على (إعداد) من نحتاج إليه من هؤلاء وتزويدهم بما يحتاجون، وإرشادهم إلى ما ينبغي لهم ومنهم بكل وسيلة ممكنة.. وحتى تتواجد لدينا (الأعداد) التي نريد ربما كان من المجدي أن نعهد (بخطبة الجمعة وصلاتها) إلى من تتوافر فيهم الشروط حتى ولو لم يكونوا (أئمة) في المساجد، لنضمن صقلهم والتأثير بهم.

ولا أتجاهل (عدداً) من خطبائنا ممن استطاعوا أن يحققوا أثراً بارزاً وحميداً لكني أتعجل شمول النفع.. لأننا في (معركة) وخطبة الجمعة أحد أسلحة الإسلام النافذة في الدعوة والتوجيه والدفاع.

• • •

لست أجد هواناً لفكرة أو مبدأ من المساومة على قبولها أو نشرها!

و(النائحة) في المأتم ليســت وإن أجادت الأجــواء نعيقاً (كالثكلى) التي تنتزع المنية وحيدها أو عائلها.

وفي الأمر شــيء مــن اللبس.. ففــي الناس من يقــول: فليرتفع معنا كل (صــوت) فالمؤيد وإن كان هزيلاً خــير من عدمه.. وفيهم من يقول كلا.. فالمؤيــد إن لم يكــن مؤمناً بما يقول فهــو كالنائحة يبكــي (دموعاً) كاذبة، ويردد (دعاوي خاسرة، وبين الرأيــين نلتقي (بالنائحين والمؤمنين).. وقد يبلغ الأمر بالنائحين أن يحســبوا على الفكرة (حديثــاً) عابراً، أو (مقالة) هزيلة، ليضعوا أنفسهم بها في مصاف الدعاة الأوفياء.. ويطالبون لهم بها من الميزات والمكانة ما ليس لهم.. والأمر في كل صــورة يشــكل (خداعاً واســتهتاراً وكيداً..) والمبادئ والأفكار لا تحتاج إلى (النائحين والمطبلين) فهم عوامل ضعف، لكنها تفتقر إلى المؤمن بها والمقتنع بجدواها والواحد من هؤلاء يعدل ألفاً من أولئك.

• • •

كل دولــة لا تقــوم العلاقة بين أفرادهــا وقادتها على (الثقــة والتجاوب والتعاون) تظل بعيدة عن تحقيق أهدافها عاجزة عن ممارسة دورها في الداخل والخارج.. وبقــدر ما يفلح (القادة) في تفهم نفســيات مواطنيهم وتحقيق الواجــب من آمالهم، وإشــاعة الاطمئنان والاســتقرار في مجالات حياتهم نجد أن (دورهم) في وضــع الأسس الواضحة للمجتمع المثالي المعتمد على الإنتاج والخالي من الفتن والمتناقضــات يبدو أكثر وضوحاً، وأن (تأثيرهم) في إرســاء القواعــد الصــحيحة البعيدة عــن الارتجال يظهر جليــاً وبارزاً، فالشعوب قد تقهر ولكنها لا تصبر على الضيم طويلاً، وقد يخدعها قادتها

لكنها لا تلبث أن تتكشف لها الحقائق دونما مراوغة أو خداع. و(الثقة) مطلب نفيس ربما كافح الكثيرون لضمانها والعمل لها لكنها لا تؤخذ قهراً ولا تملك بالإرهاب والبطش وسبيل الناس إليها (الاستقامة والصدق والعمل لما ينفع ويجدي).. وفي (الأحاديث) التي يدلي بها المواطنون في صحفنا المحلية منذ نكبة العرب الأخيرة (ولا يزالون) حول سلاح البترول وجدوى إشهاره في مثل ظروفنا الراهنة ومطالبتهم للدولة بمعاودة ضخمة ضماناً لسلامة اقتصادياتنا.. في هذه الأحاديث (معان كثيرة) من أهمها توفير الثقة المتكاملة من الشعب بفائدة، ومن (القائد) الحكيم بمواطنيه وهي في مدلولها لا تقل أهمية عن (ثروتنا) البترولية في الأثر والجدوى.

• • •

أمر ينبغي أن ينتبه له كل الناس، وهو أن الدفاع إذا لم يكن عن قناعة وإيمان ربما كان سبباً للهزيمة، فالمحارب إذا لم يكن مؤمناً بما يقاتل لأجله فستخونه عزيمته، ويخذله إقدامه، والفكرة أي فكرة لا يخدمها إلا المؤمنون بها المقتنعون بجدواها المخلصون لأهدافهم، والواحد من هؤلاء يعد ألفاً من المأجورين والكاذبين والمخادعين.. وإذا كنت تبغي نجاح فكرة فاعمل على اصطناع المؤمنين بها، وإن لم يكونوا أكثرية، (فالصوت المنطلق عن إيمان) وقناعة يكتسح في طريقه كل الأصوات المداهنة والكاذبة والمخادعة، والعزيمة الصادقة تطغى على باطل الأوهام والرياء والزيف.. ومرحباً بالمؤمنين المقتنعين ولا مرحباً بمن يخادع أو يداهن.

• • •

نقــول لأبنائنا: لقد عملنا بوحي صــادق من إيماننا بالله ومن إحساسـنا بأصالة الروح الدينية العميقة إلى دعوة مخلصة لتضامن المسلمين وإخائهم.. ليكونــوا قوة مؤمنة بالله، مؤتمرة بهديه وإرشــاده وليدافعوا عن قضــاياهم بعيداً عن القوميات والعصـبيات فحاربنا من كنـا نؤمل نصرته.. وكاد لنا ولما ندعو إليه.. وحمل دعوتنا كل ما شاء من الأباطيل والأكاذيب وأمعن في غيه وباطله.. حتى لقد قال أخ مسـلم من الباكسـتان: إن من يحارب اليوم دعوة المسـلمين للإخاء والتلاقي هم أشد أعداء الإسلام وأحقدهم.. ومهما تلمسـنا لهـم الأعذار فلن نجدهـم إلا الأعداء لديـن الله المحاربين لانطلاقته.. واسـتمرت الدعوة المخلصـة في طريقها رغم كل الأشـواك والعراقيل.. وفيما يشبه (الصفعة الدامية) لأعداء الوحدة الإسلامية وجدنا معنا في معركتنا إخوة التضـامن الإسلامي يدفعون إلى الموت في سبيل الله أبناءهم وإخوتهم لا لينصروا العروبة لا ليؤيدوا القومية ولكن ليدافعوا عن كلمة الله وينصروا دينه.

• • •

القضـايا المصيرية لا يمكن حلها أو معالجتها بتأثير (العاطفة) أو الاندفاع ولا يجدي في مواجهتها اتخاذ خطوات لا تنبع من الواقع الصـادق بعيداً عـن التيـارات والمؤتمرات.. ومـن الأخطاء الجسـيمة أن نعتمد في علاج آلامنـا على العاطفة، وأن نستسـلم في مراحل تفكيرنـا للحماس الذي لا يعتمد على يقين ثابـت مدروس.. و(الصراع بين العاطفة والعقل).. قديم قدم الحياة نفسـها.. فلولا (العاطفة) لخلت الحياة مـن الأواصر والروابط ولما استطاع الأحياء الاستفادة من الوشائج التي تجمعهم وتسخيرها لجعل

حياتهم أكثر متعة وبهجة. ولولا العقل لتلاشت مصالح الناس وانهارت مقومات حياتهم إذ ليس كل ما يسعد الناس يقودهم إلى واقع أفضل.. و(الحياة المثالية) هي التي تعتمد على مزيج من مترابط محدد المعالم من العقل والعاطفة.. يكون السلطان فيها للعقل أولاً بحيث يشكل القاعدة في كل شأن وأمر، ثم تلتقي به العاطفة لتقوي من فعالية أثره وتدفع الناس إلى اليقين بفائدته وجدواه.. وفي الواقع الفردي للناس نجد أن هذا النهج واجب ومفروض.. (فالأب) حينما يؤدب ابنه لا يقتلع جذور العاطفة من نفسه لكنه يقدم العقل عليها.. والطبيب وهو يجري (مبضعه) في جسم مريض لا نقول عنه: بلا عاطفة.. لكنه يحمي بعقله عاطفته.. والأمثلة لا تقع تحت حصر.. وفي واقع الأمم نجد الصراع واضحاً بين العاطفة والعقل وتحافظ الأمم على بقائها كلما أفلحت في إيجاد التوازن، وحكمت العقل وتدفع بنفسها إلى الفناء والضعف حينما تعمد في علاج قضاياها وإحداثها إلى العاطفة البعيدة عن العقل، والحماس الخالي من التفكير.

• • •

ثقتي بالله ثم بشبابنا لا حد لها، فنحن وهم – بإذن الله– مع النصر على موعد، ومع الأحلام على لقاء..

وليست الثقة بهم وليدة العصبية أو الوهم، أو نتيجة صلتي بهم شخصياً ورسمياً.. ولكنها وليدة الواقع ونتيجة الأحداث، فلقد تميز شبابنا بخصال حميدة نشكر الله عليها، من أهمها (تعصبهم) القوي لدينهم وخلقهم – وتلك حقيقة تتحدث عنها اليوم بإعجاب المحافل التي يرتادها طلابنا للعلم والمعرفة.. والأمر لا يحتاج إلى مقدمات فطلابنا في خارج المملكة

يربو عددهـم على الآلاف ترعاهم الدولة وتوفر لهم كل إمكاناتها مترقبة عودتهـم إلى وطنهم ليعملوا مع العاملين في سـبيل تحقيـق الآمال الكبيرة التي تسـعى إليها أمتنا العظيمة.. وحتى كتابة هذه السـطور لا نجد حادثة واحدة سجلها طالب منهم تتنافى مع رسالته الإسلامية أو واجبه الخلقي.. وفي الجانب الآخر نجد أن الكثرة منهم اسـتطاعوا أن يسهموا إلى حد كبير في التعريف ببلادنا ونسـف كل الأوهام المغرضة التي لفقها الأعداء عنها. واسـتطاعوا كما قال لي أسـتاذ كبـير في إحدى الجامعـات بأوروبا، (أن يثبتوا عملياً قدرة الشـباب على مسـايرة التطور العلمـي مع الحفاظ على تراثـه الروحي وأخلاقه)، وفي لقائي بهم قبل عامين في أوروبا كان أغلب تسـاؤلهم هو (نريد وسـائل نستطيع أن نصـحح بها ما تناقله الأعداء عنا ولنعرف الناس بواقعنا الكريم ومجتمعنا المسـلم، فلهم لكل شاب وفتاة في داخل المملكة وخارجها مع التقدير والود، كل أمنيات الفوز والتوفيق.

• • •

ربما عاد إلى الصـواب بعض قادة العرب ورضـوا مع زملائهم الآخرين بلقـاء واضـح وصريح وربما خرجوا مـن لقائهم بما يفيد قضـيتهم ويدعم كيانهم في الحاضر والمستقبل.. فتلك أماني كل مسلم وكل عربي.. ولكن مـا الذي يجب علينا عمله كأفـراد؟ هل ندع الفاجعة تحسر ظلالها الباهتة عـن واقعنا وتعود بنا حياتنا كما كانـت دونما جهد أو عمل؟ وهل نكتفي بالتلاوم والأحاديث، والأعداء يعيثون في أرضـنا العربية وقدسـنا الحبيب فتكاً وتعذيباً؟ ربما قال قائل: وما الذي في مقدورنا أن نعمل؟ وهو واجب القـادة والحكومات وأقول له: إن الدولـة أي دولة لا تتكون في مجموعها

إلا مـن الأفـراد (مني ومنك) نحن نشـكل القاعدة المهمـة في بناء الدولة وكيانهـا.. ومـا لم تكن تلـك القاعدة قوية ومتماسـكة فالبنـاء القائم بها سينهار.. وعلى كل فرد منا أن يعد نفسه إعداداً كاملاً لمواجهة أعدائه وأن يقيم كل اعتباراته وحياته على هذا الأساس، وأن يعيد النظر في علاقته بربه وبدينه فنصر المؤمنين (حق) أوجبه الله تعالى على نفسـه، وأن يخضـع كل تصرفاته ومظاهر حياته للأخلاق الإسـلامية ويعمل بكل قواه على إعداد أسرته وذويه كل فيما يسـتطيع للقيام بدورهم كاملاً في المعركة الفاصلة.. وبمعنى أكثر وضـوحاً نحن نحتاج إلى إعداد الفـرد قبل أن نطالب بالنصر والمسئولية في ذلك لا نستثني منا أحداً.

• • •

هنـاك فارق دقيق بين ما ينبغي وما لا ينبغـي، وفارق يماثله في الدقة بين الحسن والقبيح.. وكل ما نشهد في العالم منذ بدء الخليقة حتى قيام الساعة من متناقضات ومهازل وأزمات يرجع بصفة رئيسة إلى تجاهل ذلك الفارق أو الجهل به.. (وبمعنى أوضـح) تسـير بالناس حياتهم واضحة ومستقيمة كلمـا اسـتطاعوا أن يحددوا معـالم طريقهم، ويوفقوا بـين واقعهم وتلك المعـالم.. (والتعاليم السـماوية والقيم والمثل والأخـلاق) هي الحدود التي تنطلق حياة السعداء في إطارها.. ويوم تختفي تلك المعالم أو تتلاشى أهمية الحفاظ عليها والالتزام بها تختفي قدرة الناس على الاحتفاظ باستقرارهم وسـعادتهم، وتنطلق بهم حياتهم عاصـفة مدمرة ليس فيها سـعادة بماض أو متعـة بحاضر أو أمل بمسـتقبل، و(المسـلمون) اليوم لمـاذا نرى أكثرهم يتقمصون سـلوك غير المسلمين وتقاليدهم وعاداتهم؟ ولماذا نجدهم أسرع

الأمم إلى نبـذ تقاليدهـم ومثلهـم والذوبان في باطل غيرهـم وجحيمهم؟ أسئلة ربما فكر فيها المصلحون كثيراً، وربما اهتدى الكثير منهم إلى الإجابة عنها.. لكني وجدت أن الأسـتاذ (أبا الحسن الندوي) قد تحدث مجيباً عن مثل هذه الأسـئلة في إحدى رسـائله وكان موفقاً وحكيماً واسـتطاع أن يصور الحقيقة واضحة وصادقة وستكون إجابته موضوع خاطرتي المقبلة بإذن الله.

• • •

لا بـد لكل فكرة مـن (تحديد.. ومقتنعين.. ودعـاة).. (والفكرة) التي نحملهـا وننادي بها محددة المعالم لا غموض فيها ولا إبهام.. والمسـلمون في كل بقاع الأرض مقتنعون بها لأنهم دونها ضـعاف وأذلة ومفرقون.. فهـي تقويهـم وتعزهـم وتجمع شـملهم ثم هـي تتجاهـل -عامدة- كل مقومات التمييز العنصري والتفرقة الجائرة لتجعل الناس إخوة.. لا فضـل لأحد منهم على أحد إلا بتقوى الله.. والشـعب.. كل الشـعب.. دعاتها والمبشرون بسـماحتها ويسرها.. والفكرة هي (وحدة المسـلمين) لتكون القوة الهائلة الجبارة التي تسـحق كل طاغيـة وطاغوت وتقيم واقع الناس على الإيمان بالله وحده.. والاحتكام إلى شريعته وهديه.. ومعنا في الإيمان بهـا والدعوة إليها (كل مسـلم حر).. استعصـى على الإغراء، واسـتعلى على الباطل وأهله.. وان حَجبت شخصه عنها (سجون أو معتقلات)، أو منعت صوته عن نادينا (أسوار وأشواك).

فوحدة الإسـلام أقـوى من الآلام وأنفـذ من الحواجز.. بـل هي القوة الوحيـدة التي لا يسـتطيع الأعـداء قهرهـا.. أو إذلالها لأنهـا لا تعترف

بالماديات.. والمظاهر.. بل تفرض وجودها كالقدر المبرم يوم يتجه المسلم إلى الله ليصلي له أو يدعوه.

• • •

لا أكره في الدنيا شيئاً كرهي للنفاق والخداع والمديح الزائف لأنني أعلم التأثير السيئ لذلك في الحاضر والمستقبل.. والذي يتأثر بما يعلم كذبه هو في مفهومي يخدع نفسه لأنه يسمح للناس بالاستهانة به والإساءة إليه.. لكنني لا أجد ما يمنعني عن (قولة الحق).. لأنها مضيئة ولامعة مهما تغالبت عليها الأباطيل والأهواء.. وأتجاهل عامداً المثل القائل (لم تدع لي قولة الحق صديقاً) لأن كلمة الحق هي الجديرة بالبقاء والدوام لأنها صادقة ولأنها هي الأقوى.

ونصيحتي إلى كل أخ وزميل وصديق أن يكون صادقاً مع نفسه وألا يقول إلا ما يعتقد ويؤمن به..

• • •

(الدولة غنية) كلمة يقولها المواطن ليبرر إهماله وعبثه، ويقولها المسئول ليبرر أخطاءه.. ويقولها الموظف ليضع حداً للتساؤلات عن تبذيره وجناياته.

والضحية المغلوبة على أمرها في كل هذه المظاهر المؤلمة هي: (المصلحة) مصلحتك ومصلحتي.. فأنا وأنت نشكل الدولة.. فهي تتشكل من الأفراد.. وعجيب أمر هؤلاء الناس مع أنفسهم فهم يعبثون ويواصلون عبثهم ويتظاهرون به ويرونه ولا ينكرونه لأنه لا يقع في محيطهم المحدود.. ولأنهم – فيما يزعمون – بمعزل عن تأثيره وأثره.. و(الدولة غنية) كلمة

يجب أن نعيد النظر في مدلولها فنحن أغنياء بفضل الله ولكننا نحتاج إلى كل (قرش) من ثروتنا لتعمير بلادنا، ولتوفير العلم والشفاء والأمن والاطمئنان في ربوعها.. وما لم نتواص على حماية هذه (الثروة) وتوفيرها فسنجد أنفسنا بعد حين في الموقف الذي لا نرتضيه.. ولكي نأخذ طريقاً واضحة المعالم ينبغي أن نجعل شعارنا.. (الدولة محتاجة إلى توفير أموالها) وأن نأخذ أنفسنا جميعاً بإنفاذ ذلك ورعايته، وكل خارج على هذا المبدأ يضع نفسه بتصرفه في صفوف أعدائنا.

• • •

لا أزال أتذكر أول مرة سمعت بالتساؤل الذي ظل ردحاً من الزمن ولا يزال يتناقله الكتاب والأدباء في أحاديثهم ورسائلهم وهو.. (هل الفن للفن أم الفن للحياة؟) وكنت يومها طالباً في المرحلة الثانوية أنفذ كزملائي وجبة الإرهاق اليومي في الوصول إلى مقر الدراسة والعودة منه.. فلقد اختاروا للمرحلة الثانوية بفرعيها – آنذاك – أعلى قمة في مكة المكرمة في جبل هندي، وعلينا أن نتسلق المرتفع الشامخ صباح كل يوم وربما مسرعين لكي نضمن تواجدنا في الموعد المحدد.. وفي صبيحة أحد الأيام كنت أخذ طريقي ومعي زميلان كان أحدهما مولعاً بالأدب ومتابعة ما تنشره الصحف – آنذاك – وفاجأني يومها بسؤال لم أكن أتوقعه.. قال لي: (هل الفن للفن أم الفن للحياة؟) ولم أجب فلقد شغلت بالسؤال عن الإجابة عنه.. وقلت لنفسي: ما قيمة هذا السؤال وما صلته بواقعنا وكنت أحاول أن أجيب عن تساؤلي بإجابات كثيرة لكنها لم تصل بي إلى درجة الاقتناع بأهمية هذا التساؤل وقابليته للحدوث.. ونسيت السؤال مع الكثير مما

نسيته عن الدراسة وأحداثها (والجبل) الذي كان مفروضاً علينا أن نتسلقه في بداية كل يوم لننحدر منه في منتصفه.

وشعرت بعد لأي أنه ربما كان خليقاً بالبحث وبمرور الزمن وجدت فيما أقرأ وللكثير من الإخوة (الواضحين) كثيراً من الغموض واللبس والإبهام.. حاولت أن أجد له تعليلاً دون جدوى وتذكرت من خلال الكثير من النماذج.. التساؤل البارز (هل الفن للفن أم الفن للحياة؟). وقلت: ربما كانوا من القائلين باستحالة استخدام مواهبهم لواقعهم وأن الفن في مفهومهم للفن وحده! ومع تعليل شعرت بانعكاسات الأسف في نفسي.

• • •

الصراع بين العاطفة والعقل قديم قدم الحياة نفسها.. وسيظل يعيش مع الأحياء ما دامت بهم حياتهم، تطغي العاطفة حينما تنعدم الإرادة، أو تتلاشى قدرة الإنسانَ على البوح بما يعتقد، وينتصر العقل حينما تستقر خطوات الناس على الصعيد المتماسك.. وحينما يمتلئ واقعهم بالمثل والمبادئ.. ويمسك (أقوام) بمنتصف العصا في محاولة لإيجاد نوع من التوازن المعقول بين النقيضين.. ويقف التاريخ مشدوهاً يرقب (الرواد) المعتدلين وهم يأخذون طريقهم بأقل قدر ممكن من التحامل أو الأخطاء.. لا لعصمتهم منها ولكن لهدوئهم وانتصارهم الساحق على نزواتهم وأطماعهم.

وفي واقع الأفراد قد يكون الأمر قليل الخطر، ضعيف التأثير.. لكنه ليس كذلك حينما تتجسد تلك التناقضات في أشخاص الزعماء والقادة والمرشدين.. لأن تأثيرهم يتجاوز واقعهم المحدود إلى غيرهم.. والإساءة منهم مؤلمة ومؤثرة لأنها تبسط ظلها القاتم على الكثير من الأبرياء وربما

ذهبوا أو أغلبهم ضحيتها.. ثم هم يحطمون بعملهم نماذج الحكمة ومقاييس التكامل ويسلمون مجتمعاتهم إلى الاضطراب والمتاهة – وهما عاملا ضعف وخذلان.

والمكاسب الحقيقية للأمم ليست في ثرواتها أو سطوة إعلامها ولكن في ظفرها (بقادة) يملكون قدرة التوازن بين عقولهم وعواطفهم.. وبلادي بحمد الله تنعم اليوم بكل هذه المكاسب.

• • •

يا أجيالنا القادمة.. ويا أحفادنا.. طوبى لكم، فلقد شاء الله أن تعيشوا مرحلة الانتصار الكاملة لفكرة اللقاء الإسلامي الكبير.. حيث سعى لبلوغ هذه المرحلة – رجال– صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. ولا نزكيهم على الله.. لكنهم عملوا حيث تحدث غيرهم.. وبنوا فيما هدم غيرهم، وأصلحوا إذ أفسد سواهم، ومساكين هم (أعداء الإسلام) كلما حسبوا أنهم أفلحوا في مسعاهم وجدوا أنهم ضعاف أمام صمود العقيدة، وثبات المبدأ.. والمستقبل لكم يا أجيال التضامن الإسلامي، ويا شباب العقيدة (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).. حقيقة واضحة لا يضعف من شأنها تجاهل الأعداء لها أو إقلالهم من شأنها والمشكلة اليوم.. كيف تشعر القوي بمواطن قوته؟ ربما لا تستطيع إقناعه بسهولة لكن (ميزان) القوى سيتغير حتماً عندما يدرك ما تريد.. (فالقوة) فينا ومعنا ويوم نستطيع الاستفادة من انطلاقتها واندفاعها سنجد أن وجه تاريخنا سيتحول – بإذن الله – ولصالح كل المسلمين.

• • •

يجب أن نقطع العهد على أنفسنا ألا نقول غير ما نعتقد، وأن نستشعر فيما نفعل دقة المرحلة التي نجتازها، وحساسية الدور الذي نؤديه، ونبل الغاية التي نعمل من أجلها.

وأن نتيقن ضرورة الحاجة لتحطيم أسوار سلبيتنا وتخاذلنا وأن نعمل ونعمل بكل إمكاناتنا وطاقاتنا لنعوض ما فاتنا، ونستعيد أمجادنا.. (فالتاريخ) بكل تبعاته وأعبائه يدفعنا وبكل قوة لكي ننطلق إلى حيث ينبغي أن نكون، ونمارس في اعتداد وثقة التزامات الطليعة البارزة في مسيرة الوحدة والسلام والطمأنينة، ونحن (كمسلمين) نملك كل تلك المميزات -وليس فيما أقول أفاخر ولا أدعي- بل هي الحقيقة التي لم يستطع أعداؤنا رغم قسوتهم إخفاء معالمها، ولا تزال ذكريات لقائي قبل عامين في الجزائر الشقيقة بأحد (رجال الثورة) بها وهو أحد المتحمسين للفكرة الإسلامية تغمرني بتأثير صدق ذلك اللقاء وعمقه.. فلقد اندفع يحدثني ولم يمض على تعارفنا سوى دقائق عن آماله الكبيرة في انتصار مواكب الإسلام في كل معاركها وكان مما قاله: (نحن يا أخي كمسلمين قوة هائلة لا تستطيع كل قوى الأرض تدميرها أو سحقها، فنحن نملك شجاعة النفس وهي أنفذ الطاقات أثراً وأعمقها تأثيراً.. وحتى نستطيع بلورة تلك القوى ودفعها لا بد لنا من حملة واعية تستهدف إذكاء شعلة الإيمان في قلوب المسلمين، والحماس في دمائهم.. وبذلك وحده ستنطلق كل طاقاتنا الحبيسة لنحقق بها ما نريد).

.. وحديث هذا القائد المسلم لم ينته بعد وسأعود إليه في إحدى خواطري المقبلة بإذن الله.

• • •

الأمـة التـي لا تعتز بتقاليدها وعاداتها تفرض الضـياع والتلاشـي على نفسـها.. وبقدر مـا تتنكر لملامحهـا ومقوماتها تدفع بكيانها إلى الفشـل والتهاوي.. وتبدو لغيرها ضـعيفة تافهة عليها سمة التابع دائماً، وأمارات الذليل أبداً.

والثبـات على المبـدأ، والاعتـزاز بالشخصـية، والحفاظ علـى الملامح المميـزة، مطالـب عزيزة المنـال لا تقوى على تحقيقهـا إلا الأمم العريقة في أصـالتها والفخورة بأمجادها.. وإلا (الأفذاذ من الرجـال) الذين انتصروا على أنفسـهم في معركة الضعف والتخلف، وأثبتوا قدرتهم على الصمود والرسوخ أمام مزالق الأهواء والمغريات تماماً كما تقف الجبال الشم راسخة أمام العواصـف المتلاحقة.. تلك حقيقة واضـحة، لا يضـعف من شأنها تجاهل البعض لها أو عجزهم عن إدراكها.. فليس (مهماً) أن يعيش الناس حياتهـم ثم تمضـي بهم كما أتت، ولكـن المهم أن يثبتـوا واقعهـم المتلاقي مـع ما لهم من مثـل ومقومات – عبر تلك الحياة – بعيداً عن التناقضـات والتبعية العمياء.. (وبلادنا) الحبيبة استطاعت – بفضل الله – أن تبقي على ملامح الأصـالة في تقاليدها وعاداتها وقيمها، واسـتطاع المخلصون من أبنائها أن يؤكدوا قدرتهم على التصـدي لكل عوامل التخاذل والضـعف والانهزاميـة لكنهم مدعوون دائمـاً لمتابعة الحرص واليقظـة، ومطالبون بالوقوف بحزم وصـلابة أمام كل النزاعات التي تسـتهدف تشويه واقعنا وضياع شخصيتنا.

• • •

هل نحسن استقبال العيد؟

قبل عدد من السـنين وقـف أبو الطيب المتنبي يقـول في مثل هذه الأيام مبتدئاً قصيدته المشهورة بقوله:

عيد بأية حـال عـدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما أنا فأسـأل نفسي.. ترى بماذا نستقبل هذا العيد الذي يوشك أن يحل بعد شـهر الخير والرحمة والغفران، هل نعود كما كنا ضـعافاً أمام نقائصنا وتفاهتنا. (سـادرين) في ظلام الغفلة وباطل العبث، أم نسـتبدل ما بنا من الشر بخير؟ سـؤال يلح في تفكيري ومخيلتي كلما أقبل (عيد) وأجد نفسـي بعده وحيداً إلا من (الصمت) الذي يشمل الأكوان عندما يصرخ مستغيث فلا يجد حوله من يسمع نداءه.. ولست هنا بالمبالغ أو البريء من المصائب فلقد تحملت منها الكثير وضقت ذرعاً بما تحملت ولم أجد سبيلاً إلى الخلاص إلا باللجوء إلى الله أن يحيل الضعف قوة، والتفرق ائتلافاً، والتناحر ألفة.

.. وهـذا العيـد قد أقبـل فكيـف نسـتقبله؟ إذا كنا سـنبقى متقاطعين متحاسـدين فنحـن لم نحسـن اسـتقباله، وإذا كان أحدنا يسـعى للوقيعة بالآخر فنحن لم نحسـن اسـتقباله، وإذا كان أحدنـا يغتاب الآخر ويظلمه فنحن لم نحسـن اسـتقباله، وإذا عملنا على تعميق الهـوة بين الأجزاء التي أراد الله لهـا أن تجتمع وتلتئم بين الإخوة وذوي الأرحام وبين الأصـدقاء وبين كل المواطنين، وإذا لم نعمل على توحيد الصفوف، وتمزيق صفحات الخلاف، وامتهان أسباب الفرقة، ونبذ دواعي الحقد والكراهية، وحاربنا

النميمة والوشـاية واقتربنا من الحقيقة البسيطة الواضحة.. إذا لم نعمل كل ذلك فنحن لم نحسن استقبال عيدنا.. و(الكلام) يقال ويذهب مع الرياح كما تذهب الورقة الصـفراء التي تسـقط متهالكة من الشـجرة المورقة في يوم عاصـف، ولكن الذي يجدي هو العمل.. التنفيذ، بلورة الكلام (إلى فعل).. وهنا فقط يبرز الرجال الشرفاء القادرون الذين تفخر بهم دنياهم..

وماذا بعد العيد؟

وأقبلـت أيـام عيـد الفطـر مشرقة باسـمة، وسـيلتقي خلالهـا الإخوة والأصـدقاء في ود وألفة وهي فرصـة سـانحة للقاءات كثيرة يستعيد فيها المسلمون علاقاتهم، ويؤكدون فيها روابطهم، ولكن ما الذي سنفعله بعد العيد؟ هل ستكون حياتنا بعده كما كانت في كل حين راكدة، غير هادفة، ننفـق الكثير منها فيما لا يفيد وينفع؟ أم نسـتفيد مـن الأحداث والوقائع فنسـتبدل ما يضر بما ينفع، وما يسـيء بما يحسن؟ إن ما أخشاه أن نمعن مع مـرور الأيام في غفلتنا وذهولنا ونتجاوز مواسـم الخير، ولقاءات الأعياد، ثم نعود سيرتنا الأولى في عدم العناية بأوقاتنا واستغلالها فيما ينفع ويفيد.. وكم هي خسـارتنا بالأيام تنطوي ونحن لا نحقق ضـمن مسيرتها أهدافاً كريمة تنفع الناس، وتسـهم في البناء، ربما قـال قائل: إن ذلك مطلوب من المسئولين الكبار دون غيرهم، لكنه يغالط نفسه ويجني باعتقاده هذا على أمته ووطنه، فالمسـئولية في الإسلام لا تستثني أحداً، والواجب يتعين على كل إنسان أن يؤديه وفق قدراته وإمكاناته.

ورسـالة المواطـن المسـلم لا تنتهي عند حـد فهو مطالب بتقديم نفسـه وحملها على الخـير، والبعد بها عن مواطن الجريمة والضـعف والخمول،

ومطالــب بحماية أسرتــه من الانحراف، وتقويم ســلوكهم، وإرشــادهم بالحكمة والبصــيرة إلى مســالك الخير والإيمان، ومطالب بــأداء أمانته في عمله (مهما كان ذلك العمل) والإحسان فيه، والنصح لإخوته المسلمين، والعمل على بذل الخير وكف الأذى.. وكل هذه الأمور لا يستطيع إنسان أن يتخلــى عن التزامه بهــا، ويظل مجرماً في حق دينــه وأمته ومجتمعه متى تهاون بها أو أضــاعها، ومرحباً (بعيدنا) هذا وبكل عيد في بلادنا الحبيبة وكل بلاد ينادى فيها باسم الله وترتفع في واقعها كلمته.

• • •

وهــذه الخاطــرة حديث عــن أحد جوانــب الثروة في بلادي وليســت هــي (البترول) تمتلئ به حقول الطبيعة داخل أرضــنا المعطاءة الخيرة، (ولا المعادن) تتكشــف عنها طبقاتها الغنية، لكنها (شــبابنا) الــثروة التي تعلو على الأثمــان المادية، وتتجاوز المقادير المألوفة.. شــبابنا المؤمن بالله الذي استطاع أن يمزق بعنف (الأسطورة) المقيتة التي طالما صكت أسماعنا حتى أوشكت أن تكون واقعاً مسلّماً به.. والتي تقول إننا لن نستطيع أن ننطلق في فجاج العلم ومســالك الحضــارة لأننا لا نملــك مقومات ذلك ويجب أن نظــل قانعين بالأماني والأحلام دون أن نحدث النفس بغيرها.. وفجأة وكمــا يحدث للغريب البعيد عن موطنه، واليائس من قرب القفول إليه إذ التقــى بأهله وأبنائــه دون أن يخطر له ذلك على بــال.. التقينا بالكفاءات من بلادنا (نماذج حية) لا تكذب أعداءنا فحســب لكنها تصــفعهم، إنهم (صقورنا) الذين يقودون اليوم وبكل مهارة طائراتنا النفاثة ضمن أسطولنا الجوي بنوعيه المدني والحربي الذي يحتوي على أحدث الطائرات وأكثرها

تعقيداً، فالأسـماء المألوفة التي نسـمعها ونحن نسـتعد للإقلاع إلى أجواء الفضـاء ليست أسماء عابرة لكنها تحكي انتصاراً وطنياً بقادته وشعبه وكل أجياله وتجسـد دفعاً جديداً من الآمال في الحاضر والمسـتقبل ولهم جميعاً لإخوتي مع كل (انقضاضـة) تسبق الصـوت في سماء بلادي الطاهرة في سـلاحنا الملكي، ومع كل (رحلة) ميمونة الطالع في أسـطولنا المدني لهم، من عرفت منهم ومن لا أعرف، محبتي واعتزازي وإعجابي، وللعاملين في صمت لكي يأخذ وطني مكانته اللائقة به الشكر والثناء واحترام التاريخ.

• • •

أيام خمسـة قضاها العلامة الكبير الأستاذ الشـيخ أبو الحسن الندوي في الرياض ضيفاً على وزارة المعارف من 18-8-88هـ كانت فريدة في نوعها، فالضـيف هـو أحد العلماء المسـلمين المعدودين في عصرنا هـذا، عرفه قراء العربية كاتباً إسلامياً ذائع الصيت يدعو بإخلاص إلى سيادة الفكرة الإسلامية وإذكائها، وإثبات قدرة النظام الإسـلامي على قيادة المجتمعات وسعادتها وعلاج مشـاكلها، والتقى بـه الآلاف من العرب وغير العرب محاضراً ممتازاً ينفذ بكلماته البسـيطة إلى القلوب والأفكار لأنها صـادقة وواضحة لا أثر فيهـا للمداورة أو التكلف ومنذ اليوم الأول لزيارته القصـيرة وهو يتحدث حتى في مجالسه الخاصة عن أفكاره الواضحة، ويلتقي برجال العلم والفكر يناقشـهم ويبحث معهـم، في بعد عجيب عن المظاهـر، وعزوف نادر عن الشهرة، والتقى العديد من الشباب في المدارس لقاءات أبوية حانية، حدثهم فيها عن دورهم في الحاضر والمستقبل بكلمات سهلة بسيطة، ثم طلب إليهم أن يسألوه عما يدور بأذهانهم وانهالت الأسئلة التي حدثني هو عنها بقوله:

إنها تدل دلالة واضحة على الرغبة الصادقة من الشباب في الاستطلاع ومتابعة المد الإسلامي والفكري، والتقى به الشباب والأساتذة والمواطنون في (محاضرات) ثلاث، ألقى الأولى في صالة المعهد الصناعي بالرياض، والثانية في صالة المعاهد والكليات، والثالثة في قاعة المحاضرات بجامعة الرياض.. وهناك ظواهر عدة عن هذه المحاضرات وأثرها، أهمها: هذا الإقبال المنقطع النظير من المواطنين على اختلاف طبقاتهم على شهودها، فلقد ضاقت المدرجات على سعتها بالحضور ووقف الكثيرون وعاد غيرهم ممن لم يجد له مكاناً، وفي جامعة الرياض كان عدد العائدين لعدم وجود أماكن لهم يربو على عدد الحضور، مما يصور بوضوح رغبة هذا الشعب المسلم في الخير وتقديره للعاملين، وحرصه على تلقي التوجيه الهادف، وأصالة وعمق المفاهيم الإسلامية في أفراده.

• • •

كنا في عزلة عن العالم..

بل كان (العالم) في عزلة عن نفسه.. ونحن لا نعلم ما يجري حولنا والخبر لا يصل إلا بعد حدوثه بشهر أو يزيد، وتطورت المخترعات فأحسنت وأساءت.

أحسنت لأنها هيأت للفرد من الناس ما لم يكن للحاكم فيما مضى، فالأخبار لم تعد تصدر عن الأشخاص أو المبعوثين يمضون في فجاج الأرض بين سهل ووعر حتى ينقلوا ما بجعبتهم من بشرى أو وعد.. وليست مصادرها كما يقول الشاعر: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

لكن مصدرها (وكالات) متخصصة جعل عملها متابعة الأحداث

والوقائع بمندوبيها وأجهزتها ثم نقلها إليك بطريقين هما الراديو والتلفزيون.. وأنت في دارك تلتهم عشاءك أو تداعب أحد أطفالك تستطيع أن تتابع ما يجري في كل أنحاء الدنيا.

و(أساءت) لأنها دفعت بك من عزلتك الحالمة الوادعة إلى أتون الأحداث والمعارك وربما كان فيما تسمع الكثير مما تكره.. ونقلت إليك من الباطل والمفاسد والآثام ما كنت في منأى عنه وعن سماعه.

وليس في مقدور أحد أن يمنع سماع الشر أو يحجب رؤيته دائماً ولكن في مقدورنا أن نتعرف عليه فنحذره.

• • •

زارني صديق وتحدثنا عن ضرورة وجود الشعور بالمسئولية لدى مستخدمي الدولة بوصفه المنطلق الوحيد لتطوير الأعمال وإجادتها، فقال لي: سأحدثك عن واقع عشته وشهدت أدواره.. فلقد كان من بين الموظفين العاملين في نطاق مسئوليتي (شاب) كنت أعاني منه الأمرين.. فهو لا يعتني بعمله.. يتغيب أو يتأخر، ثم لا يهمه في قليل أو كثير أن يرضى عنه مراجعوه أو يغضبوا، تنتهي مشاكلهم أو تبقى معلقة، وحاولت بكل الوسائل تقويمه دون جدوى، وبعد لأي جاء الفرج فلقد تقدم لي طالباً التوسط في قبول استقالته، وفعلت دون تردد وترك عمله لدي ولم أعد أسمع عنه شيئاً.. وبعد شهور وفيما يشبه الصدفة كنت أعتزم شراء جهاز تلفزيون وقصدت مكتب الشركة المستوردة له لاختيار ما أريد فالتقيت به.. بالموظف المتعب.. مسئولاً عن مبيعات الشركة ولم أستطع تصديق ما رأيت، فلقد كان يعمل بحيوية ورغبة، وكانت الساعة تتجاوز الخامسة

عصراً وهو ينتقل بين المشاهدين ليشرح لهم مميزات الأجهزة وفوائدها والتقت عيناي به فقلت له.. لقد أدهشتني بما وجدتك عليه من حرص ومسئولية طالما افتقدتها منك في عملك. فقال لي: لا وجود للإهمال في واقع موظفي الشركات.. ولقد أحسست بكلماته مؤلمة ومنبهة وكنت أستمع لحديث صديقي وخرجت منه بالكثير من العبر والدروس.

• • •

في بلادنا مواهب مغمورة تحتاج إلى من يجلوها ويبرزها واكتشاف المواهب ربما يخضع لمبدأ (الصدفة)، لكن إبرازها وإفساح الطريق لها أمر يحتاج إلى الجهد والخبرة، فكما أن الثروة المعدنية التي تشتمل عليها - بحمد الله - أرضنا المعطاءة، ظلت قروناً من الزمن تحت طبقات الأرض حتى هيأ الله لها من يستخرجها ويستثمرها.. فكذلك الأمر في مواهبنا من (الرجال) وهم الثروة الحقيقية لبلادنا.. قد نحتاج إلى جهد في اكتشافهم لكننا نحتاج إلى أكثر منه لنبرزهم ونمهد الطريق لكفاءاتهم وخبرتهم والطريق الأسلم والأجدى أن يحاول كل إنسان أن يرتقي بكفاءته، وأن يثبت وجوده في حقله.

وعلى الرؤساء والمسئولين أن يبحثوا عن المواهب والكفاءات ويوجهوا الأنظار إليها لتأخذ طريقها وتؤدي دورها.

والأمة التي تحجب مواهبها أو تحطم تظل دائماً بعيدة عن أهدافها وآمالها.

• • •

المسئول والناس..

وهذه الخاطرة حديث عن المناصب الحكومية ومسئولياتها، فلقد

اعتاد الناس أن ينظروا إلى مراكز المسئولية في الدولة نظرتهم إلى مناطق النفوذ والصلاحيات والمصالح ناسين أو متناسين واقع أولئك المسئولين وواجباتهم والمسئوليات التي يواجهونها مع مطلع كل يوم ومسائه، فالمراكز في مفهوم عالمنا المعاصر لم تعد مواطن إغراء أو عوامل اجتذاب بقدر ما هي تكليف ومسئولية وواجب، والمسئول (الصادق المخلص) ربما كان مظلوماً في واقعه ومستقبله فهو يعمل ويضحي ويكدح لكي يؤدي واجبه نحو ربه ومجتمعه وكثيراً ما يتحمل بالغ المشقة في واقعه المحدود ويصعب عليه الحصول على ما يناله أي إنسان في مجتمعه من الراحة ولقاء أبنائه وأسرته وقضاء بعض الوقت معهم لكنه يشعر بالسعادة البالغة، رغم قسوة واقعه، لأنه يشعر بسعادة الثقة وتحقيق نداء الضمير المخلص والأمل في أن يعمل شيئاً مذكوراً لأمته ووطنه، وحديثي ليس تبريراً للأخطاء، ولا دفاعاً عن المتكاسل، لكنه بيان صادق لواقع ربما خفي على كثير من الناس، وعجز أكثرهم عن بيانه وإيضاحه.

• • •

شبابنا يمتاز بالأصالة في خلقه وطباعه، وينفرد بالإخلاص والمثابرة، ويستجيب للتشجيع والتوجيه، هذه (ظواهر) تميز شبابنا، سمعتها من كثير من أساتذتهم وموجهيهم ولمستها عن كثب في الكثير منهم عندما تسعدني ظروفي بلقائهم والحديث إليهم، بل لقد قال لي أستاذ كبير يعمل في بلادنا منذ سنوات (إنني لم أشاهد مثيلاً لشبابكم مع كثرة اختلاطي بالشباب وارتباط عملي بهم، فهم يتعاملون مع الغير باحترام وتهذيب، وينصرفون لواجباتهم بعزيمة وانقطاع، وتكاد تخلو نفوسهم من دوافع

الخداع أو الانحراف، فهم (واضحون) كوضوح دينهم (نقيون) كنقاء هواء بلادهم، لديهم القدرة على فرض محبتهم وتقديرهم في أي مكان).

فشكرت لمحدثي ثناءه.. وحمدت الله.. فالأمم تعتمد - بعد الله - على شبابها.. وما لم يكونوا مدركين لدورهم.. أغنياء بالصدق والخلق والعزيمة، فستظل تلك الأمم واهنة خاملة ضعيفة.. وشبابنا بحمد الله يتمتع بكل هذه الصفات.

• • •

في محيط التربية..

الدور الذي يلعبه (الكشافون السعوديون) في واقعنا لم يعد خافياً على أحد، فهو يصور بوضوح كفاءة شبابنا ومدى الإمكانات الهائلة التي يملكونها ويحكي قدرتهم المبكرة على التضحية وتحمل المسئولية، فهم اليوم يمارسون واجباً إنسانياً عظيماً إذ ينتشرون في مناطق كثيرة من المملكة وعلى طول الطريق الممتد من حدودنا الشرقية والشمالية حتى المشاعر المقدسة.. أينما ذهبت تلقَ شاراتهم المميزة، وتلمحهم بقاماتهم المديدة وهم يرحبون بالحجيج ويرشدونهم ويقدمون لهم ما يحتاجون، ويتحملون في سبيل ذلك ما يقع فوق طاقة شبابهم الغض، وأعوادهم اللدنة، لكنهم وقد عَمَر الإيمان قلوبهم، وامتزج حب هذا الوطن بدمائهم تراهم رغم كل الصعاب لا تفارق البسمة شفاههم، ولا يعرف اليأس قلوبهم، إنني بت أشعر في كل مرة ألمح فيها كشافاً يؤدي واجبه بالفخر والإكبار.. الفخر بهم والإكبار لهم (وهذه الخاطرة) اليوم هي تحية صادقة مخلصة لأبنائنا الكشافين وهم يقدمون لنا اليوم تلو اليوم أمثلة مشرقة ناصعة البياض.. وفقهم الله وأعانهم.

• • •

كتب إلي يقول: ترى هل يستقيم بالمخلص سير؟ وما حظه من العيش الكريم..؟ وهل تشفع له استقامته في الحماية من الأحداث ومخاوف الطريق؟ وتذكرت وأنا أحاول الإجابة وقائع شتى، وبدا لي واضحاً أن المثالية الواعية في الواقع تعني شيئاً آخر ليس هو الطمأنينة أو راحة البال.. وقد يكون هذا الأمر مستغرباً لو لم تتلوث صفحة الحياة والأحياء.. بجرائم الخيانة والاختلاس وفقدان الضمير، والمجتمعات قد لا تخلو من مسميات حية لهذه الأوصاف، تعبر مجرى الحياة الزاحف في صمت المريبين كما تنزوي أسراب (البوم) من ضوء النهار اللامع لكنها لا تكون كذلك عندما تتحول خصائص البوم فيها إلى ما يشبه استنسار (البغاث) في الأرض المهملة، فالصادق على حق، والعامل على حق، والزاهد في الكسب الحرام على حق، والمترفع عن الاختلاس والرشوة على حق، هذا هو المنطق الصحيح كصحة نسبة الباطل الواضح إلى المتصف بنقيض هذه الصفات، ولكن من يضمن لكل أولئك – مع حقهم – المستوى اللائق بهم فلا يخضعهم سلطان الحاجة، أو يستذلهم واقع مجتمعهم، أو يطامن كبرياءهم تجاهل الناس لهم أو استخفافهم بتأثيرهم؟ لن أقول (لا أحد) فأقيم بما يشبه الإصرار حاجزاً منيعاً قد يأتي على ما نكافح من أجل إيجاده.. على آمالنا وأحلامنا وقد عقدنا العزم على تذليل صعابها – لنلتقي بها نماذج باسمة في حياتنا رغم العراقيل والعقبات. ولن أقول نعم، فالبريء وإن كان شاعرنا العربي قد نعته بشجاعة في قوله: (وما في الأرض أشجع من بريء) مضطر شاء أم أبى إلى استدامة الصبر والكفاح،

وهما مطلبان قاسيان، قد يبدؤهما المرء طائعاً، ثم لا يلبث أن ينحني في مسيرهما الطويل دون أن يبلغ مداه.

والنابذ للاختلاس والرشوة وكسب الحرام -مع الحق على موعد- لكنه مع واقعه في صراع لا تهدأ ثائرته، يشهد من خلاله أعداء مسلكه ومن هم على النقيض منه يمضون سراعا إلى الغنى والشهرة، بينما هو في ضيق من العيش، وألم من الواقع القاسي والدنيا بباطلها العابث تحتنك البقية الباقية من صبره ومثاليته وتحمله، وإذا به لولا بقية من إيمان أحد ضحايا الظلم أو أحد المعذبين في الأرض، وكلاهما أشد مرارة من عيش العالم بين الجاهلين، أو الجاد بين العابثين، ثم ماذا مع (المستقيم) إن تنكر له كل المحيطين به؟ وأي مقدرة يكون له النجاة في استصحابها في مثل واقعه الجاحد؟ لا أظن أنني أستطيع الإجابة بمثل ما في هذا التساؤل من الواقعية والصدق، لكنني أشير في أناة ورفق إلى الجزاء الآجل له بعد أن تنطلق به قافلة العمر الزاحفة بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ). ولا أتجاهل - مع كل هذا - مسئولية الحاكم الهادفة في دعم الكفاءات المؤمنة النزيهة وحمايتها من سعار الحاجة المضني، وحرب الباطل وأهله، فيهيئ لها مسالك العيش الآمنة، وضع أيديها في ثقة على مشارف القيادة حتى ينطلق الركب آمناً نحو غايته النبيلة وحتى يجد غيرهم في تشجيعهم حافزاً يدفع بهم إلى نهج طريقهم واقتفاء أثرهم، وبعد: فلست أدري إن كان في قولي ما يقنع صاحب الرسالة المتسائلة.

• • •

الشعور بالمسئولية هو السر الذي يكمن دائماً وراء الإنجازات الموفقة والبارعة، وبقدر شعورك بمسئوليتك تدفع بكل طاقاتك للإبداع والكفاءة ولا تصاب الأمم في كل مراحلها بأدهى من فقدان أبنائها لهذا الشعور وقناعتهم بالخمول والتواكل، وبحثهم عن الأسهل والأخف، بينما نجد أمماً أخرى يتمتع أفرادها بالإخلاص وحياة الضمير ومراقبة الله قد حققت لنفسها ما لم تحلم به من رفيع المنزلة وعالي المكانة.. والشعور بالمسئولية ليس صفة ينتحلها الصادقون والكاذبون لكنه إخلاص دائب في أداء الواجب وسعي أكيد لتطوير ذلك الأداء وعمل لا يقف للبحث عن الأفضل ثم نكران للذات وبعد عن الادعاء والتظاهر.. هذا هو الأمر الذي ينبغي أن يحققه كل مواطن مهما كانت مسئوليته. أما ما عداه فهو باطل وظلم وأولئك الذين لا يشعرون بمسئوليتهم الفردية والرسمية إن لم يعودوا لرشدهم وصوابهم فسيلتقون مكرهين بما لا يرضون من وسائل التقويم والردع.

• • •

(المسئول) في أي دولة وفي أي مكان يواجه العديد من واجباته والكثير من مسئولياته، والذي لا ينتهي من التزاماته الرسمية والشخصية وهو مطالب بالاصطبار لهذه المواجهة بحكم وضعه الوظيفي ودوره السياسي لكنه يلقى الكثير من العنت والضياع والمشقة من جراء المقابلات الشخصية التي تلتهم كل وقته، لا تحصرها فترة محدودة ولا ينظمها وقت معين بل هي (مفروضة) عليه وفق مزاج راغبها وتبعاً لظروفه الشخصية. والمسئول

بعـد ذلك بين أمريـن، إما أن يجعل وقت دوامه الرسـمي الذي يجب أن يصرفـه لمواجهة أعبائه وواجباته تحت تصرف الزائرين والمتحدثين (لغير ما سبب).. وإما أن تقال عنه الأقاويل ويوصف بكل النعوت ما يستحق منها وما لا يستحق منها وليس الأمر مقصوراً على المضطر وصاحب المصلحة، فهؤلاء مما يسعد المسئولين استقبالهم وقضاء الممكن من حوائجهم، بشرط أن يلتزموا الحقيقة وألا يطالبوا المرء بأكثر مما يستطيع.. ولكن (المشـكلة) تكمـن في المقابلات والأحاديـث التي لا هدف منهـا ولا طائل وراءها. و(الطلبات) التي يواجه بها أصـحابها المسئولين وهم يعلمون أنها لا تقع في مقدورهم أو ضـمن صلاحياتهم والنتيجة الحتمية (ضياع) وقت الأمة و(إحراج) لمن لا يملك التصرف، و(عداء) لمن لا يسـتحقه، وتبقى الحقيقة منزويـة تحت منعطفات المجاملة وعدم الاعتراف حتى يظهرها الله أو يظل ضـحاياها يحملون أوزارها دونما ذنب سـوى الرغبة الصادقة في الالتقاء الكامل بالمسئولية.

• • •

يـا قومنا.. يـا إخوتنا.. يا مؤلفي الأناشـيد والأغاني، لقد مللنا سـماع الغـزل والتغني بجمـال المحبوب وعيونه وقوامه، بل لقد أصـبنا بالتخمة لكثرة ما سـمعنا من هذا النوع وشـاهدنا.. ولم نجد بداً من أن نقول لكم: (كفى) فكل الظروف والمقومات والأحداث تتطلب منكم أن تعيشـوها أداء لأمانة الواجب. وانفعالاً لمجرى الحوادث وتجاوباً لمشـاعر المسـلمين والعرب التي يَكْلُمُها كل يوم بل كل ساعة أعداؤهم قتلاً وتخريباً ودماراً.. لا تقولـوا يبالغ فيما يقول، أو.. يتخاذل فيمـا يطلب.. فأنا أعيش مع كل

المسـلمين والعرب (المأساة) الدامية التي يتسـاقط خلالها الشهداء العرب ضحايا للغدر والجريمة وموت الضمير الإنساني.. بعد أن شردوا من ديارهم وأوطانهم تحت سمع الدنيا وبصرها، ورغم مبادئ الأمم المتحدة ودساتيرها (والفـن) لم يكن في يوم من الأيام داعيـة انحلال أو هزل أو مجون عند من يدركون أبعاده وآثاره.. بل ربما كان من أمضـى الأسلحة فتكاً ومن أقواها شـحذاً للعزائم واسـتدامة للصمود والسـخط على الأعداء.. و(المملكة) وهي تعيش اليوم مرحلة القيادة الإسلامية، مطالبة بأن تتبلور بكل طاقاتها في هذا السبيل و(أغانينا) يجب أن تتجه إلى إيقاظ المشاعر، وشد المواطنين إلى مواطـن الفخار في حاضرهم وماضـيهم، وشـحذ عزائمهم لمواصـلة الكفـاح والفداء وتنبيه جيلنا الناشـئ إلى دوره ومسـئولياته، وإن نحن لم نفعل ذلك فنحن نحفز للهزيمة طريقها في مشاعرنا وعقولنا وأفكارنا.

• • •

كلمـا أردت الكتابة عن هذا الموضـوع عدلت وتراجعت لأنني أخشـى أن يؤخـذ علـى محمل الحديث عـن النفس.. أو أن يقال إنـه يدعو إلى عزلة المسـئولين وابتعادهم عن أرباب الحاجـات.. وكل هذه الأمور لم تخطر لي على بال.. فإني وإن كنت مسـئولاً اليوم لكننـي قد لا أكون كذلك في يوم من الأيام، ثم مفهومي عن المسـئولية الرسـمية قد أختلف فيه مع الكثيرين، فهي وإن كانت تبدو للبعض براقة لامعة فيها إشباع لغريزة الشهرة والظهور عند من يريدها لكنها في واقع الأمر تكليف والتزام ومرحلة صراع لا ينتهي أبـداً بين الضـمير (إذا كان يقظاً) والواجب الذي يتعين علـى المرء أداؤه.. وهي موسم سباق بين (ما ينبغي وما يمكن) وفي تلك المرحلة وذلك السباق

يبدو جهد المسئول واضحاً، وإن لم يبلغه إلا بالكثير من النصب والمشقة والعناء أو يبدو باهتاً تتجاوزه الأعين فلا تراه والأذان فلا تسمعه.. والباعث لبلوغ إحدى هاتين النتيجتين خوف الله ومراقبته واستشعار الواجب ويقظة الضمير، (ومركز الخدمة العامة) واسمحوا لي أن أدعوها كذلك عند من يدرك أبعادها وأدوارها - لولا الثقة التي تدفع المرء إليها والتي لا يجد المخلصون في كنوز الأرض ما يساويها وزناً ولا قيمة، ولولا الآمال التي تراود من يعهد بها إليهم في تحقق نفع أو إزالة ضرر أو بلوغ بعض الآمال الكبيرة.. لولا هذه لكانت (أعباء وعناء).. ولذلك جاءت شريعتنا السمحاء ناهية للمرء أن يستشرف للمسئولية أو يطلبها، وجعلت ذلك سبباً لتخلي عون الله عنه إن هو سعى لها ولم تفرض عليه.. وبعد هذه المقدمة سأتحدث غداً بإذن الله عن بعض ما يلقاه المسئولون من غيرهم.

• • •

تحدثت أكثر من مرة عن مشاكل الزواج في بلادي وضمنت بعض ذلك كتابي (دورنا في الكفاح) ولا أزال أعتقد أن الموضوع محتاج إلى من يتحدث عنه لأهميته ولأثره البالغ في مجتمعنا.. فالكل مجمعون على ضرورة إبطال الكثير من العادات وعلى وجوب الابتعاد عما يقام من الاستعدادات والتكاليف في مثل هذه المناسبات ولكنهم لم يصلوا بعد إلى درجة الجرأة على مواجهة تلك الحقائق وإعلان ما يعتقدون.. ولا يعدو الأمر أن يكون (محاكاة وتقليداً) ينقله الآخرون الأول، وتتحكم فيه أهواء طائشة لا تستند إلى عقل أو منطق، لكنها تضغط بقوة العاطفة والتقليد ويظل المرء حائراً في مواجهتها ثم قد يستجيب لها رغم ألمه واستيائه،

لأنه لا يملك الجـرأة على مواجهتها ومقاومتهـا.. والعلاج لهذه الظاهرة يبتـدئ من القادة والعلماء والبارزين وأولى الحجى، وأولئك يجب عليهم أن ينتجوا طريقاً حسـنة لا مجال فيهـا للإسراف أو الإرهاق بل تعتمد على الحقائق الأساسـية التي تعود بالخير على المجتمع وعلى العروسين.. ورغم أننا نشاهد بين الحين والآخر (نماذج) شبه نادرة تجنح لهذا المنحنى لكننا لا نزال بحاجة إلى اتجاه جماعي يؤيد الحق ويزيل كل هذه الشكليات العقيمة وسنظل نتحدث دونما ملل حتى نلتقي بذلك الاتجاه ونسير معه.

• • •

فلسفة الثواب والجزاء والمهزلة الكبرى

(الثـواب والجزاء) عاملان مهمان في تسـيير الأمور، جليلها وحقيرها، والناس في أي مجتمع بين محسـن ومسـيء، (فالمحسـن) يجـب أن يلقى الثواب على إحسـانه، (والمسـيء) يجب أن يلقى الجزاء على إساءته، تلك هـي الوسـيلة المثلى لانتظام سـير المجتمعـات وتلازمها، أمـا حينما يظل المحسن (مهملاً) فسينتهي به المطاف إلى أمرين لا ثالث لهما:

الأول: أن يلجـأ مع وطـأة الأيام وقسـوتها إلى أن يحني رأسـه ويميت ضميره، ثم يفتقده الناس من صفوف الأوفياء المخلصين.

الثاني: أن يظل نهباً للباطل وأهله حتى يضـيق به رحب الأرض ويسيطر عليـه القلق والحيرة.. والضـحية في ذلك (مصـلحة المجتمع والأمة) هذا وجه للمشـكلة والوجـه الآخر الذي لا يمكن أن يلتقـي مع الخير في مجال هو أن يلقى (المسيء) من يتغاضى عن إساءته ويلبسه ثوب المحسن ويخلع عليه من الأوصاف والألقاب ما يستحق نقيضها.. لأنه سيندفع في إساءته،

ويشجع ذلك غيره على محاكاته، وستمضي الحياة بالمحسنين والمسيئين لكن القيادة (الواعية المؤمنة) لا تسمح أبداً – في ممارستها لدورها الواجب – للمتناقضات من هذا النوع أن تبرز وتتواجد، و(التاريخ) لن يتهاون في تسجيل الحقائق وإبرازها. و(علام الغيوب) قبل كل أولئك سيجزي من أحسن على إحسانه، ومن أساء على إساءته، والصحافة الواعية ربما كانت من أكثر الأجهزة مسئولية في ضرورة العمل على الإشادة بالمحسنين وتشجيعهم والتنبيه على الأخطاء غير المقصودة لكي يتجنبها العاملون، والاحتراس دائماً من الانضمام إلى ركب (المهزلة الكبرى) التي تسيطر على الكثير من أجزاء عالمنا الواسع، والتي يرتفع من خلالها للقمة بفعل التهريج والخداع (أناس) هم بالحضيض أولى وأجدر.

• • •

لي الخيار بين أمرين: إما أن أصمت مع الصامتين ولا أحرك ساكناً، وإما أن أقول ما أعتقد فائدته ونفعه ولو أغضبت الكثيرين ممن لا أهوى عداءهم.

(خيار مؤلم) بين – غنم عاجل – يختاره البعض ربما لأنهم يفضلون (الموقف السلبي) إن جاز لي أن أدعوه كذلك، حيث يجعل صاحبه في معزل من العتاب واللوم – وغنم آجل – يزهد فيه غيرهم لأنهم لا يريدون أن يعانوا ضريبة الأمانة والثقة والمسئولية.. لكنني سأكون إيجابياً (ولست هنا أجامل نفسي أو أعطيها ما لا تستحق) وسأعلن حقيقة هامة ربما لقيت بسبب إعلانها الكثير من العتاب واللوم ولكنني لن أكترث بذلك لأن واجبي الديني والوطني يحتمان عليّ الإيضاح والبيان.

و(الحقيقة) هي أن بعض مستخدمي الدولة وموظفيها لا يؤدون أو لا

يحاولـون أن يـؤدوا ما يجب عليهـم من أعمال أو ما يقابـل ما يدفع لهم من أجور، فهم الحريصـون على اسـتيفاء رواتبهم ومـا يتبعها من ترقيات وعلاوات، وغير الحريصين على أداء واجباتهم، وتفهم مسئولياتهم، وربما ينظـرون إلى أعمالهم نظرتهم إلى الأعباء الثقيلة التي لا يفتئون أن يقابلوها بالإهمال والإضـاعة بـكل الأسـاليب والطرق هي (مشـكلة) قائمة في مجتمعنـا، وعلاجها، أن يعود أولئك إلى الله ويراقبوه فيما هم مطالبون به، ويعملوا بكل جد على إصـلاح واقعهم.. أو تعمد الدولة (كما هو متوقع وواجـب) إلى عملية تقييـم جماعية تتلوهـا بكل حزم إجراءات تنسـيق وتطهير لكل إنسان يرضي أن يأخذ من الدولة ولا يعطيها.

• • •

طالما شـغلني هـذا التسـاؤل المهم وهو (كيـف نفسر إحجام الشـباب وغيرهم عن القراءة الحرة وكيف ندفع بهم إلى اعتيادها والإقبال عليها؟)، فالملاحـظ أن الكثير من شـبابنا وحتـى الجامعيين منهم، باتـوا بمعزل عن المصـدر الدائم والمتجدد للعلم والثقافة ربما لأنهم قنعـوا بالإجازات التي يحملونهـا والتـي لا تعني أكثر من نقطـة البدء في عالم متطور لا تنقضـي عجائبه، ولا تحد كنوزه، أو لأنهم عجزوا عن إقناع أنفسهم بفضيلة القراءة المنظمة التي تصلهم بآفاق المعرفة التي لا يحصرها حيز، وحسبوا أن عليهم أن ينصرفـوا لواجبهم العملي وحده في تعليل مخادع للواقع السـيئ الذي يعيشـونه، وربما لم يسـتطيعوا أن يخضـعوا حياتهم لما تحتاج إليه من تنظيم يجـب أن تحتل في ظلاله قـراءة الكتب أثمن الأوقات وأهدأها.. وسـواء كان هذا السـبب أم ذاك فنحن نعيش معهم (واقعاً) بالغ الأثر والتأثير على

نهضة بلادنا، وسيترك دون شك ملامحه الكئيبة على كل جوانب حياتنا، (فالغالبية) العظمى من رجالات الدولة وشبابها والعاملين بها لا يقرءون بصفة منتظمة، (والبعض) منهم ربما يمضي عليه العام والعامان وهو لم يفرغ من قراءة كتاب واحد، وحسبه من القراءة أن يلم بالصحف والمجلات ويحسب أنه قد نال ما يبتغي وحصل على ما يريد.. ولعل هذا هو السر الذي يختفي وراء ما نلحظه جميعاً من تدني مستوى الإنتاج وعدم القدرة على التطوير، ولست بحاجة إلى تدليل (فالمكتبات العامة) لا يرتادها إلا النزر اليسير، والمكتبات الخاصة التي تأخذ مكانها في بعض المنازل ربما كانت عند الكثير إحدى وسائل التجميل للمنزل أو أمام الأصدقاء، ولكي نعالج هذه الظاهرة ليحاول كل واحد منا أن يخصص (ساعة) من كل يوم للقراءة الهادفة المختارة ثم – ليشهد بعد قليل من الوقت ما تمده تلك العادة من ثقة بنفسه، وتركيز لآرائه، وقدرة على تحقيق آماله.

• • •

النزعة التي تدفع بنا دائماً إلى الإقلال من الاهتمام بشأن ممتلكات الدولة ومصالحها يجب أن نحاربها بشدة وبقسوة وبلا رحمة.. (فالدولة) هي أنت وأنا وابنك وابني وابنتي وابنتك.. والفرد دائماً هو الأساس في كيان الدولة.. ومتى سمحنا للفجوة أو الهوة أن تفرض واقعها بين الدولة وبين الأفراد التي تتكون منهم نكون قد عملنا على هدم الدولة وتخريب كيانها..

والكلمات المجرمة التي نسمعها بين الحين والآخر التي تقول: (حلال حكومة)، و(الدولة غنية).. و(الدولة أغنى منك)، كلها كلمات ظالمة منحرفة يطلقها العابثون الذين فقدوا إيمانهم بالله الذي يوجب عليهم

الأمانة والإخلاص والعمل لما ينفع الجميع، و(الظاهرة) التي نشـهدها كل يوم أن ممتلكات الدولة لا تلقى من بعض مسـتخدميها أو المسـئولين عنها ما يجب أن تلقاه، بل ربما يعمد البعض إلى إجازة العبث بها أو اسـتغلالها بطريـق مباشر أو غير مباشر (والخاسر) في ذلك أنـت وأنا لأننا أبناء الدولة والمنتفعون بخيراتها ورخائها.

والأمر في تصوره الحقيقي يعكس إيمان المرء بربه من عدمه وإذا فقد المرء إيمانه فقـد بالتبعية كل ما يدعو إلى إكرامـه واحترامه، وعلى (الدولة) بعد ذلك أن تمارس واجبها في إصلاحه أو استبداله.

• • •

من بين تلك المتناقضـات التي نحياها ونعيشـها في واقع حياتنا المعاصرة (التباين) الكبير والمريع بين ما نعتقد وما نفعل، فالإسـلام كما نعلم جميعاً قول وعمل، عقيدة وسـلوك، لا مجال فيه أبداً للقول بلا عمل، أو للاعتقاد بـلا تطبيـق، ولئن تحدث (المصـلحون) في كل زمان ومـكان عن العلاج لمشكلات المسلمين أو المنتسبين للإسلام فستبقى المشكلة الرئيسة واضحة وعملاقة، وهي: أن المسـلمين أو أكثرهم يكتفي بالانتسـاب إلى الإسلام دون التقيـد بواجبـات المسـلم وسـلوكه.. ولئلا يبقى الحديـث عاماً بلا تحديد.. سـأحاول أن أوضـح ما أعتقد دلالته على ما أقول، فالدين يأمرنا بـأداء الواجبـات والحفاظ عليهـا، فهل نحن نعمل ذلـك دائماً؟ وفي كل الظـروف أم نجد أن أداءنا للكثير من الأركان والواجبات يطبعه التكاسـل والتهاون؟.. والصـدق والوفـاء والأمانة والإخلاصـ والترفع عن الدنايا والبر بالوالدين وصلة الأرحام والنصح لكل مسلم وعدم الغش والخديعة،

والثبـات على المبدأ والاعتماد علـى الله والعطف على الفقراء والمحتاجين ومـد يد العون لهـم، وغير ذلك من الأمور التي يوجبهـا ديننا، فهل نحن على التزام دائم بها وهل نطبقها في حياتنا وواقعنا؟ ثم القيام على إصلاح شـؤوننا المنزلية وتقويم سـلوك أسرنا وأولادنا وهل مـا توجبه الأمانة التي يتحملها كل مسلم وسيسأله الله عنها هل عملنا من أجل تحقيقها؟..

وأخيراً هذه (الأزياء شـبه العارية) التي نكسـوها فتياتنا وزوجاتنا والتي لا تتفق مع الزي الإسـلامي الـذي يحترم المرأة ويصـون مفاتنها ويحفظ مقامها، والتي تكشف عن أجزاء من جسمها ما كان لها أن تكشف، ترى هل تتفق مع توجيهات ديننا الحنيف.

(أسـئلة) ربما ظلت بلا جواب لكنني وإن كنت أعلم أن (جموعاً) كثيرة قد ارتضـت لنفسـها أن تسـمح لهذا البلاء أن يسـحب ذيوله القاتمة على الكثيرين من منازلنا المسـلمة التي ما أراد الله لها إلا أن تظل منطبعة بتعاليم ديننا وآدابه، أجد أن (ضـعف) الآباء والأزواج وأولياء الأمور (وضـياع) شخصياتهم وعدم قدرتهم على أداء الأمانة أو إدراكهم لتأثيرها هو السب (الوحيد) لكل ما يحدث وما سـيحدث، أما ما لا يحسـن السكوت عنه أو إقراره فهو أن البعض ممن يصـنع ذلك هم من المنتسـبين الذين يظهرون الدعوة إلى الفضيلة وحمايتها ولا أخص أحداً، فهم بواقعهم أعرف، لكن الله عزَّ وجلَّ لن يهملهم وإن أمهلهم.

• • •

(سـؤالان) سأطرحهما وسـأحاول الإجابة عنهما، وهما في نظري من أكثر الأمور أهمية ودقة.. (أولهما) هل لنا شخصـية تميزنا عن غيرنا؟ وإذا

كان كذلك فما هي ملامح تلك الشخصية ومظاهرها؟..

(والثـاني) هل نحن نعمل بصـدق للإبقاء على تلـك الملامح وتعميقها واحترامها والاعتزاز بها؟

ولا أدعي لنفسـي القدرة على إيجاد الإجابة المتكاملة، لكنني سأحاول الإيضـاح لما أعتقد، واضـعاً في مخيلتي كل الاعتبارات التي قد أواجهها، والتي ربما كان منها بعض مظاهر الدهشـة لإثـارة أمور قد لا يراها غيري هامة أو جوهرية، وللإجابة عن أول السـؤالين أؤمن بوجود (شخصـيتنا) الواضـحة المميزة التي رسـم لهـا إطارها وحـدد أبعادها ديننـا الحنيف، وهي شخصـية المؤمن بالله، المعتز بدينـه، القائم في حياته على تحري الحق والعدل، المقيم لشرع الله، والملتزم بتعاليمه وهديه، وهي شخصـية تفرض على صاحبها التقيد بما توجبه وتتطلبه..

أما إجابتي عن السـؤال الثاني: فهي (لا تعـترف) بالالتزام الكامل منها بما تتطلبه تلك الشخصـية المشرقة الواضـحة، و(الدلائـل) كثيرة ربما كان مـن أهم ما دفع بهـا إلينا عدم القناعة الكاملة منا – بواقعنا– والاكتفاء منه بالمظهر الشـكلي الذي ينهار أمام أدنى مقاومة، ثم فقداننا الثقة بأنفسـها وبمبادئنـا، والتي من أبرز آثار وجودها الحفاظ علـى ما يعتقد المرء ويؤمن به، وعدم التفريط في أي جزء منه، مهما لقي في سـبيل ذلك من العقبات والمتاعـب، ومهما كان عدد مخالفيه والخارجين على مسـلكه لو فاضـت بهم فجاج الأرض، شأنه في ذلك شأن الأوفياء لمبادئهم المؤمنين بها، وربما تحدثت غداً – بإذن الله – عن بعض تلك التناقضـات التي تحياها مجتمعاتنا المسلمة والتي تلتهم كل يوم الكثير من (الضحايا) طائعين أو مكرهين.

إذا كنت لا تعرف قيمة ما تملك فأنت لا تحسن الوسيلة لاستبقائه والمحافظة عليه، هذه حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل وتتكرر على مدى الأيام ويؤيدها الواقع الماثل، فما لم تكن خبيراً بالجواهر والأحجار الكريمة – مثلاً– فإنه يتساوى في ناظريك جيدها ورديئها بل قد تستهين بالغالي منها وأنت تراه لأول مرة قبل أن تعرف ثمنه وهكذا كل الناس.. والدافع الوحيد الذي يحملك على حماية ما تملك هو علمك بحقيقته.

ونحن جميعاً طيلة هذه السنوات المتعاقبة والرخاء والأمن والاستقرار يمد علينا ظلاله الوارفة بفضل الله، والناس من حولنا يتخطفون وتستباح دماؤهم وأموالهم ترى هل وعينا حقيقة ما نملك؟ وهل أحطنا علماً بالطريق الشاقة والمؤلمة التي سلكها المؤسسون المؤمنون في بدء مسيرتنا والتي كان من آثارها (بعد توفيق الله) ما نحن فيه من رغد وسعة عيش؟ أخشى أن أقول (نعم)، فأتجاوز الحقيقة، وأخشى أن أقول (لا) فأظلم نفراً من الناس يعلمون الكثير.. لكنني أقولها وبصراحة تامة إننا جميعاً بحاجة وبحاجة ملحة أن نعلم الكثير عن الأهوال والمخاطر والآلام التي قاساها المغفور له الملك عبد العزيز والمؤمنون الصادقون معه في سبيل تأسيس هذا البناء الراسخ الذي نحسبه لاعتيادنا عليه ولفرط جهلنا بأسبابه (أمراً عادياً).

نحن بحاجة إلى قراءة التاريخ – تاريخنا القريب – على الأقل لنعتبر ونحرص ونكافح ونعمل على حماية الأمانة والبناء.. وإلا فنحن لا نستحق أن نكون الأحفاد لأولئك المجاهدين الصادقين.

• • •

لا أريـد أن أبعـث أحقـاداً وثـارات قديمـة، فأحـداث التاريـخ يعتبر بها وتستفيد من استعراضها الأجيال الحاضرة والمقبلة لتلافي المسببات التي تدفع لتكرارهـا.. ولا أريـد أن أُحمل أحداً وزر من سـبقه، فربما لو كان هؤلاء مع أولئك لما رضوا صنيعهم ولكان لهم الأثر في إيقاف ما حدث، والآية الكريمة تضـع في وضـوح التشريع السـماوي الخالد (وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)، لكنني لم أسـتطع أبداً أن أمنع نفسي من الأسى والتأثر كلما تذكرت أو قرأت أو سـمعت عن ذلك اللقاء بين (إبراهيم باشـا)، وقد توغل غازياً في الجزيرة العربية بجيوشه يريد بها إطفاء نور الله الذي انطلق واضحاً قوياً – وبين الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، (العالم) الفتى الذي جمع له الله بـين الذكاء والعلم، والغيرة الصـادقة على حرمات الله، وقد اسـتدعاه القائد الطاغيـة بعد أن جمع حولـه عدداً من العازفين والضـاربين على آلات اللهو إمعاناً في النكاية به، وبعد أن رأى اشـمئزازه وإنكاره أمر عدداً من قناصته – قيـل إنهم ثمانية – أمرهم أن يطلقوا النـار عليه من فوهات بنادقهم في لحظة واحدة، وكأنما خشـي ألا يموت ببندقية واحدة، وانطلقت تلك الرصاصات الغادرة لتمزق جسـده، ولتجسـم في الوقت نفسـه الحقد والطغيان والظلم الـذي يتميز به قائـد الحملة المجرمة، وحظي شـيخنا بلقاء وجه ربه شـهيداً صـابراً محتسـباً وتلقى القائد الصـفعة العاجلة من والد الشـهيد، وقد قال له القاتل إمعاناً في الظلم والقسوة: (لقد قتلنا سليمان) فأجابه والده المؤمن بالله وهو هادئ النفس مطمئناً بقوله: (إن لم تقتله مات)، فأضاع عليه بإيمانه وثقته بربه نشوة الغرور بالقدرة والسلطة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

• • •

بيت من الشعر أعجبني وجعلت أردده في أكثر من مجال لأنني رأيته واقعياً يحكي واقع الحياة دونما أكاذيب أو أضواء وهو ما نحتاج إليه اليوم في واقعنا المليء بالعثرات والأكاذيب.

يقول الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهمو

الجود يفقر والإقدام قتال

وصدق الشاعر فيما قال: فالسيادة مطمح يتوق إليه الكثيرون لكنهم يعجزون عن بلوغه والحصول عليه.. والأصل في ذلك كله فلسفة الأخذ والعطاء التي ربما لا يقرها الكثيرون في واقعنا رغم الضرورة التي تفرضها.

فالكل يرغب أن يكون سيداً لكن القليل منهم من يتحمل ضريبة السيادة، وتلك هي التي عناها الشاعر بقوله: لولا المشقة ساد الناس كلهم، والأمر الذي يثبت صفة السيادة هو (التحمل والصبر)، وهما صفتان نادرتان وحيويتان وقليل من يصبر لهما ويقبل نتائجهما.. سواء كانت النتيجة إيجاباً أو سلباً فستبقى الحقيقة الخالدة وهي أنك لن تستطيع أن تصنع جميلاً بلا تعب.

فإذا أردت أن تكون صانعاً للجميل فاقبل التعب واصطبر له.

• • •

هذه (الهوة) العميقة بين العلماء والمفكرين وبين الشباب كيف نستطيع أن نضيق فوهتها أو أن نلغي تأثيرها؟ المعروف أن الشباب هم رجال الغد وأنه بقدر الإخلاص في توجيههم والعناية بهم سنحصل على مؤمنين بالله مخلصين لأماناتهم.. ولكن الواقع أن الشباب يشعر أنه بمعزل عن العلماء

والموجهين، والمخلص منهم يتألم لهذا الواقع، وغيره قد لا يتنبه لأثره..

و(العلماء).. وهم قادتنا وأصحاب الرأي في مجتمعنا ترى هل قنعوا بهذه العزلة البغيضة بينهم وبين أبنائنا؟ لا أتوقع ذلك، ولكنهم قد لا يعرفون الطريق لتلافيها والشباب ربما اعتقدوا أن في ابتعاد العلماء عنهم وعدم تأليفهم لهم ما يصور الكره لواقعهم أو عدم الرضا عنهم، وتمضي السنون والأيام وترتفع الأصوات لتقول: إن الشباب في خطر، وتحملهم ما يستحقون وما لا يستحقون، ولو عقلوا لما بالغوا فيما يقولون، فالشباب هم ابني وابنك وأخي وأخوك.. إن نحن لم نفسح لهم صدورنا ونتفهم واقعهم فمن يفعل ذلك؟ وإذا لم يسع العلماء بدافع من واجبهم الإصلاحي الكبير إلى اجتذابهم والتبسط لهم وتشجيع المحسن منهم واحتضان المسيء.. وتوجيههم في إطار من الحنان والحب فمن عسى أن يقوم بهذا الواجب؟

وأقولها بصراحة إن الشباب يحتاج إلى من يفهمه ويمنحه ثقته ثم لترتفع كل الأصوات بعد ذلك فإنها لن تجد واقعاً تعتمد عليه.

• • •

(صحافتنا مظلومة).. هذا أمر واقع، فالقائل إنها لم تستطع إبراز جيل من الكتاب –يظلمها– لأن هذا الجيل موجود الآن يعمل ويعبر عن مواهبه بشكل يدعو للإعجاب والغبطة.

والذي يقول عنها: إنها لم تستطع إثبات وجودها –يظلمها– فهي تبذل كل جهد لكي تؤدي.. رسالتها.. وإذا كانت لم تستطع أداء تلك الرسالة على الوجه الأكمل فربما كانت هناك أمور أخرى لا تقع في نطاقها ويسأل عنها أعضاؤها المؤسسون والأدباء الذين كثيراً ما نراهم

يؤثـرون العزلة والبعد ما خلا فـترات متباعدة، فهي - وأنا هنا لا أجاملها - قـد أثبتـت وجودها رغم ظروفها، واسـتطاعت أن تقتلع الحواجز أمام الكثير من الكفاءات الموهوبة ليسـمع بها الناس ويأنسوا إليها، وهي تلتزم الصـدق والبعد عن الضجيج المفتعل كما يصنع غيرها.. وتعني بالثناء على المحسـن بقدر عنايتها بتوجيه انتباه المخطئ إلى صـنيعه ومن كان في شك من الأمر فليقرأ أي صـحيفة في عالمنا العربي ليدرك الفارق الواضح بينها وبـين (صـحفنا) تدعو إلى الإصـلاح.. وتوجه الأضـواء إلى ما يبذل من جهـود.. وتتبنى فكرة اللقاء الكامل بين الشـعب وقادته.. ولن أسـتطيع إحصـاء مكاسبنا منها (بالشباب) الذين اسـتطاعوا أن يثبتوا وجودهم في عالم الصحافة المتطورة فهم كثيرون وربما تحدثت عنهم في خاطرة أخرى.

خواطر سريعة

(الكارثــة) التــي لا يمكن تحمل نتائجها هي في اســتخفاف فريق بالدين وأهله، وتعصب (الفريق الآخر) لموقفهم لمن عداهم، وتجاهل حسنات من لا ينطلق من منطلقهم.

• • •

الصراع الماثل في العالم الإســلامي بين المنظمات الإســلامية والجمعيات الدينية أخطر عليها من أعدائها.

• • •

عندمــا نتذكر دائماً جهودنا، ونرتاح لنســبة الإنجــازات إلينا نكون قد مهدنا الطريق للانقضاض على ما نملك من مبادئ.

• • •

التراحم، وتحمل الأخطاء غير المقصــودة، والنصيحة المشروعة بشروطها هي سمات المجتمع المسلم.

• • •

عندما تعجب بخلق إنسان حاول أن تعمل مثله، وعندما تتأذى من خلق آخر حاول أن تهجر صنيعه.

• • •

البر بالوالدين – هو عنوان الشخصــية المؤمنة المتزنة والســبيل إلى الحياة المستقرة.

• • •

الإعجاب بالنفس، والغرور بها أسرع طريق إلى الفشل والخيبة.

• • •

(صوتان) لا توطن نفسك لسماعهما: صوت المديح الكاذب وصوت النقد المغرض الهادم.

• • •

العمل المخلص الصادق يثبت وجوده حتى مع أشد الأعداء صلابة وقسوة.

• • •

(النفاق) وإن راج زمناً فهو على المدى الطويل عملة زائفة.

• • •

كلمة رائعة أذكرها دائماً تقول: (لا تطلب من أحد أن يحبك بل اجعله يحبك).

• • •

الوفاء هو السمة البارزة للعظماء من الرجال.

• • •

ربما كان أشد أعدائنا ظلماً لنا أولئك الذين يفتعلون الصراع الوهمي بين الطبقات ويعملون على إذكائه.

• • •

ليس الخطر من (الوباء) يزحف ليلتهم قرية آمنة أو (الفيضان) يتخطى التلال ليغمر الأودية والمنخفضات بأكثر من طغيان (المجاملة أو المحسوبية)

على حساب مصلحة الجميع.. إنها تدمر وتحطم وتسيء، وخير لك أن تغضب واحداً من أن تسيء إلى أمة بتشويه واقعها وتحطيم جهود أبنائها.

• • •

يخطئ من يلوم شاعراً أو كاتباً قبل أن يتعرف على واقعهم ومحيطه وظروفه الخاصة فربما كان ضحية واقع لا يمكن احتماله.

• • •

ظاهرة مؤسفة ألا يجد الناس لذة الضراعة إلى الله ودعائه إلا خلف أبواب غرفة العمليات أو حول أسرة المرضى.. أو قبل موسم الامتحانات.

• • •

إن ما سمعت عن مهزلة امتهان بعض المواطنين (للغناء) في ملاهي الليل في بعض البلاد العربية باسم المملكة يشعر بأهمية العمل على تصحيح ذلك الوضع وجعل تمثيل بلادنا الغالية رهن اختيار المختصين في الأشخاص وأماكن عملهم.

• • •

الذين يحسدون بلادي على مكانتها هل يملكون صرف أنظار المسلمين عن التوجه إليها في صلاتهم كقبلة للمسلمين في كل أرجاء الأرض في كل يوم وليلة خمس مرات؟ وهل يستطيعون الحيلولة دون قدوم الآلاف من الحجيج إليها كل عام لتأدية فريضتهم وتقوية إيمانهم؟

• • •

أقسى الأزمات ليست هي أزمة النقد لكنها أزمة الثقة عندما تبحث عمن تثق به فلا تجده.

• • •

أصعب المواقف أن تكون (محباً غير محبوب).

• • •

استسلامنا الدائم لتبرير واقعنا يجعلنا أبطالاً في التجاهل واللا مبالاة.

• • •

من أراد أن يتفادى الكثير من أخطائه فليتذكر دائماً ضعفه.

• • •

رأيت أصعب الأمور إنصاف المرء من نفسه.

• • •

الذي يتخلى عن صديقه في الرخاء يجب ألا يبحث عنه في الشدة.

• • •

هل صحيح أن أكثر الناس (ضعاف) أمام حاجاتهم، و(عميان) أمام رغباتهم؟

• • •

سؤال لا أملك الإجابة عنه بمفردي رغم وجود ما لا يحصى من الأدلة الماثلة على صحته.

• • •

كم في المقابر من هو أعلم منا وأحكم، وأكثر قدرة على مواجهة الحياة والاستفادة منها؟ لكننا ننسى أولئك وننسى معهم انطلاقنا الحثيث للحاق بهم.

• • •

(الإفراط والتفريط) مشكلة كل المجتمعات على وجه الأرض والطريقة المثلى هي (الوسطية) التي اختارها الله لنا وأمرنا بانتهاجها.

• • •

لا تنزعج من سطوة الباطل وإن كثر أعوانه فهو ذليل أمام الحق وان كان وحده.

• • •

حكمة لها معنى (صغار قوم كبار آخرين).

• • •

أوقات المسئولين ليست ملكاً لهم، لذا ينبغي ألا نطالبهم بما هو فوق طاقاتهم، ونترك المال لغيرنا ممن يحتاجون.

• • •

قال لصديقه: هل تتصور خلو إنسان من العاطفة والرحمة؟ فقال له: نعم إذا فقد ثقته بنفسه وابتعد عن تعاليم ربه وغرته الحياة الدنيا.

• • •

الصراع بين العقل والعاطفة باق ما بقيت الحياة ولكن الرجال هم الذين يستطيعون معالجة أمورهم بالتوفيق بينهما وعدم إجحاف أحدهما بالآخر.

• • •

حكمة لها معنى (وكل قريب لا ينال بعيد).

• • •

عجيب أمر (وسائل الإعلام) هذه تفرض على العاملين بها والمتعاونين عملية استنزاف دائمة لكل طاقاتهم وتبقى هي بعد مستعدة لالتهام كل ما يلقي به في أفواهها المفتوحة أبداً.

• • •

حتى المروءة تحتاج أحياناً إلى تغذيتها بالوفاء وعرفان الجميل.

• • •

أكثر الناس حلماً قد تضطره ظروفه إلى الغضب.

• • •

لو سأل كل إنسان نفسه على مدى (قدرة) من نريد لحاجتنا على أدائها دون أذى لنفسك أو احتمال ما يسيء إليه، قبل طلبها منه ثم تصرف على ضوء ذلك لما ثقلت حاجة إنسان على الآخر.

• • •

كثيراً ما ننسى أن المسئولين (بشر) ولهم أوقات يحتاج إليهم فيها أبناؤهم وذووهم.

• • •

قوافل الدنيا لا تشبع بطن الرجل الطامع.

• • •

الناس يستعجلون كل أمورهم، ثم إذا حانت شغلوا عنها باستعجال غيرها.

• • •

(مواطن الضـعف) ظاهـرة بشرية واقعـة، ولكن المهم هـو التغلب عليها وحجبها أما استغلالها من الغير والمساومة بها فهو هبوط بالعلاقات الإنسانية إلى ما هو أدنى من الوحل وأشـد منه أذى وألماً هو اسـتدامة هذا الضعف من صاحبه وانعدام الشعور منه بوطأته وفقدان رغبته في التخلص منه.

• • •

لنقرأ دائماً الصـالح من الكتب، ولنتردد على المخلص من العلماء، وإلا فنحن مع الخواء الروحي على موعد.

• • •

أكثر الحقائق تضيع بين كاذب، ومبالغ، ومنافق.

• • •

قـد تبلـغ ما لم تحلم به يومـاً، لكن تصرفك هو الذي يحكـم بأهليتك لما بلغت، أو تدنيك عن منزلته.

• • •

السماء لا تبكي على أحد وان جرت الأرض أنهاراً بمائها.

• • •

أعمال المخلصين لها رنين يملأ آذان الأوفياء دون سواهم.

• • •

قال لي: لماذا لا تؤثر الكثير من الجهود التي يبذلها الناس؟ قلت: ربما لأنه لم يقصد بها وجه الله.

• • •

الكثير من أخطاء الناس كانت بفعل المحيطين بهم.

• • •

ليس المهم أن ترضى عن واقعك ولكن المهم ألا يكون ما تفعل بمعزل عن دينك وتقاليد مجتمعك.

• • •

ما لا يحصى من البشر يمارسون عملية خداع مكشوفة لضمائرهم كل يوم.

• • •

عندما تجد رغبة في الحديث عن أخطاء غيرك تأكد من خلوك مما تريد الحديث عنه.

• • •

إذا تأكدت من باطل - فلا تحبس استنكارك له بل مارس فضيلة كشفه وإبرازه والتحذير منه، واعمل على إبلاغه لمن يملك إزالته أو حجبه.

• • •

والهفتي على ذوي الأفكار الناجحة البديلة لكل نقص أو عجز في تشريعاتنا، أو تنظيماتنا، كيف لا يقولون كلمتهم من منطلق التعاون الذي نعيش اليوم سعادة الالتزام به.

• • •

ليس كل مطالب بحق على حق..

• • •

(النصيحة المطلوبة) من كل مسلم هي أكثر الأمور افتقاداً في واقع المسلمين اليوم رغم شدة حاجتهم لها.

• • •

ربما كان من حقك أن تكره إنساناً ما ولكن ليس من حقك أن تتجاهل جهوده أو تنسب له من الأخطاء ما لم يفعله، أو أن تجعله من خلال عملك الرسمي (خصماً) فتتهاوى من خلال عدائك له كل مقومات المصلحة (مصلحة الأمة)!!

• • •

المحبة الصادقة كضوء الشمس لا يمكن أن يحجبه أحد.

• • •

من أهم المسئوليات التي تواجه الآباء تربية الأبناء وتعليمهم، وفي سبيل ذلك يبذلون كل شيء، ترى هل يرعى الأبناء جميل آبائهم وجهودهم؟

• • •

كلمة لها مدلولها (إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل).

• • •

لا يمكن أن تكون بمنجاة عن الخطأ ولكن المهم أن تعترف به وتعمل على تلافيه وعدم تكراره، وكل كوارث الدنيا تكمن في إصرار المخطئين على تكرار أخطائهم.

• • •

لكـي يظل شـبابنا على صـلة بأهدافهم: (هدفنا هو إعـلاء كلمة الله في الأرض، ونشرها في آفاق الدنيا، وإيضـاح كمالها وسموها والدفاع عنها ضـد كل الظالمـين والحاقدين والسـعي لجمع كلمة المسـلمين على الحق، وتوحيد صـفوفهم والإخلاص لله وحده والعمل صفاً واحداً في سبيله)، هذه هي رسـالة (التضـامن الإسـلامي): تبني ولا تهدم وتجمع ولا تفرق وتصلح ولا تفسد وهي مع ذلك لا مكان لليأس والملل من خلال انطلاقتها لأنها (رسالة الله في الأرض).

• • •

شـباب من بلادي يتلقون علومهم بالخارج يمارسون عن طواعية وقناعة أروع الصـور لإبراز شعائر دينهم ومبادئ وطنهم والعجيب أنهم يدفعون من مكافآتهم المحدودة لهذا الهدف جزءاً عن طمأنينة ورضـا، فلهم على البعد محبتي وشكري وإعجاب كل المخلصين في وطني الحبيب.

• • •

الباطل مهما كان قوياً فهو سريع الزوال لأن قاعدته لا تحميه.

• • •

كل أضواء الدنيا لا تستطيع أن تصل إلى القلب المظلم الحاقد.

• • •

ليس المهم أن تبلغ المركز الذي تحلم به ولكن المهم هو تعاملك مع الناس بعد ذلك من خلاله.

• • •

الذي يعمل الخير ويصر على حصــول ثوابه عاجلاً هو مع إيجابيته محتاج إلى تدعيم إيمانه بربه.

• • •

مع تلاحق المغريات، والفتن وضـعف الوازع الديني تبقى الحاجة ملحة إلى عــودة صــادقة إلى الله وقوامها (مجالس العلماء) المخلصـين وندواتهم وأحاديثهم واسـتخلاص الحكمة والعظة من بطون (الكتب) التي تعلوها الأتربـة في أماكنهـا المغلقة والمهم كيف نسـتطيع الاسـتفادة مـن علمائنا ومؤلفاتنا ومتى؟

• • •

يـا رب اجعل مني ذكرى طيبة بعد رحيلي ولا تؤاخذني بسـوء ما أفعل أنك سميع الدعاء.

• • •

المعانـاة ليسـت قرينة الحرمان دائماً فربما تكـون في أحيان كثيرة رديف القدرة والإمكانات.

• • •

(الالتزام) هو الشـيء الذي يكثر ادعـاؤه، ويقل تطبيقه، ولا يقوى عليه إلا الرجال.

• • •

القدرة على الاختيار، والتعرف على أحسن جوانب التنفيذ، من صفات الذين يعملون لمستقبلهم.

• • •

قد تخدع الأساليب زمناً لكن المبادئ لا تخدع لأنها لا تحتمل التغيير أو التبديل.

• • •

في كثير من الأحيان تبرز الجودة قبل التعقل فتخدع صاحبها والناس.. ولكنها تصطدم بسرعة بالحقائق (العاقلة) ويتحول بعدها المجيد إما إلى عاقل أو متهور.

• • •

أجهزة الإعلام في كل مكان كم هي براقة وخطرة وصالحة للتوجيه.

• • •

إذا كنت قادراً على قول (نعم) فلا تقل (لا) وإذا كنت محتاجاً لقول (لا) فلا تقل (نعم).

• • •

إذا لم تكن قادراً على إيصال كلمة الحق فلا تنخرط في سلك المنافقين.

• • •

لا تعجب بنفسك مهما كنت مالكاً للكثير من المواهب فالعالم مليء بالموهوبين المتواضعين.

• • •

لا تقلد إلا من تعتقد أنه خير منك.

• • •

حاول أن تؤدي عملاً صالحاً لربك، وعوناً صادقاً لغيرك في مطلع كل يوم جديد.

• • •

حتى ولو لم تؤذ غيرك فلا تدهش لما قد ينالك من أذى غيرك.

• • •

اتفــق الناس على أكثر الأشــياء إلا على (مقاييس النجاح) فكل إنســان يتصورها على النحو الذي يرغبه.

• • •

لا تهاجم أحداً أو تلمه قبل معرفة واقعه وإمكاناته وقدراته.

• • •

حتى (الجاسوسية) وهي ما نهى عنها (كتاب الله) بدأت تتخذ في العصر الحديث أشكالاً رهيبة ومدمرة.

• • •

بيت أعجبني يقول:

والشيخ لا يعدل عــن طبعه

حتى يـــوارى في ثـــرى رمسه

وحكمة أعجبتني:

(إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون).

• • •

وأخرى تأثرت بمدلولها كثيراً تقول:

(إذا أردت أن تطاع فمر بما يستطاع).

• • •

أعجب لبعض القيادات العربية التي تشعر بالأخطار تحتويها والمؤامرات تستهدفها، ثم لا تعمل على توحيد أهدافها وجمع شملها، وتناسي خلافاتها.

• • •

أخطر أدوار الكفاح (دور اليأس) الذي يفقد المجاهد من خلاله قدرته على الصمود.

• • •

مهما كانت الإمكانات المتاحة، فالمهم في كل مرحلة أن نثق بالله ثم بأنفسنا، وعدالة مطالبنا.

• • •

جامل ولا تنافق، ووافق ولا تخادع، تكن خير الرجال، ولا تنخدع بكثرة مخالفي نهجك.

• • •

أخطر أعدائك ذاك الذي يحسن لك الاستمرار فيما تفعل ولو كنت خاطئاً.

• • •

كم يمتهن الناس فضيلتي (الإخلاص والوفاء) عندما تصبح ادعاء فاجراً أو زعماً كاذباً.

• • •

الذي يعاملك بنقيض ما يعتقد إنما يمارس هواية الخديعة في واقعك.

• • •

عندما تعتقد (القدرة والعلم) يجب أن تتذكر الضعف والجهل حتى لا تدفعك نفسك إلى العجب والغرور.

• • •

كثير من الناس يمكن أن يكونوا (كتاباً) ولكن القلائل منهم هم (الموهوبون) القادرون على العطاء بكفاءة.

• • •

أكبر أدوات العصر الحديث أنك تسمع الكثير وتروي الكثير ويجب أن تعمل على الاختيار رغم صعوبة ذلك.

• • •

حتى لو أغضبك صديقك فلا تحاول تجاهل مواهبه.

• • •

بين أحكام (الرقابة اللا مرنة) على الأبناء وبين إهمالهم يكمن الكثير من المشاكل والأزمات.

• • •

لم أر (وجهاً كالحاً) كوجه المنافق الذي يمتدحك بما ليس فيك ويطالبك بما لا يمكنك تحقيقه.

• • •

قال لي صديق من بلد عربي: إن والدته قالت له وهو يعتزم تسلم مسئولية هامة: احذر ممن لا يبرز لك عيوبك حتى لا تخفى عليك.

• • •

عندما تجد الرغبة في الكلام حاول أن تجرب الصمت.

• • •

رغم كل التطورات التي طرأت على علم الإدارة العامة فسيظل العامل الأكثر تأثيراً في نجاح عمل ما.. أن تسود كل العاملين روح الإخاء والود والثقة.

• • •

متى عرف العاملون بالمرافق العامة أن نجاحهم يكمن في خدمة المراجعين وملاطفتهم وتسهيل أمورهم تختفي الكثير من المشاكل والشكاوى.

• • •

أقبح أنواع التصور أن يرى الموظف نفسه في عزلة عن مراجعيه، وفي صلف عند لقائه بهم، إنه بذلك يسيء في معاملته إلى علاقة المواطنين بقادتهم.

• • •

كم هو مزعج تجاهل الشباب لدورهم ومسئولياتهم القيادية وانسياقهم وراء التقليد الأعمى للمجرمين واليهود والتافهين، وكم هو رائع الدور الذي ينتظرهم كرواد لشباب العالم الإسلامي كله، والمشكلة تكمن في سلامة توجيههم واستدامة تذكيرهم بدورهم، والعلاج المبكر لما يشكون منه.

• • •

ليس المهم (التعلم أو التدريب) إذا لم يكن لدى المرء القدرة على الاستيعاب ونقل معلوماته لغيره والنماذج ماثلة في كل مكان.

• • •

(فضيلة التواضع ومحاولة اكتساب المعرفة) هما سمة (الرجال) الذين أراد الله لهم أن يغيروا كل الملامح التي لا تتناسب مع طموحاتهم.

• • •

لك الحق أن تطلب ما تعتقد أنه من نصيبك ولكن في نفس الوقت عليك أن تتأكد من أداء ما يجب أداؤه منك.

• • •

حتـى (المقابـر) لم يجد المرء مجالاً من خلالها لقـبر موتاه ويحيط بالكثير منها عمارات فارهة تطل على أجداث الموتى.

• • •

ليس المهم أن ترى شيئاً ولكن المهم أن تفعل شيئاً.

• • •

الكلمة إذا لم تكن صادقة هادفة تموت قبل مولدها.

• • •

ما أكثر جهل الأحياء بالحياة رغم قصرها!

• • •

الذي يمتدحك بما ليس فيك إما كاذب أو طامع.

• • •

من كثرة مشـاهدتنا لممارسـة التجاهل لشخصـيات غيرنا بدأنا ندهش عندما نرى إنساناً يحترم غيره.

• • •

سجل عيوبك لتراها ماثلة أمام عينيك، ثم حاول إصلاحها يوماً بعد يوم.

• • •

كل نــزاع يمكن تبريره وتحمله إلا نزاع العلمــاء وحملة كتاب الله لأنهم بذلك يخالفون بما يعملون ما يعلمون.

• • •

استخراج الحق لا يبرر ممارسة جريمة الرشوة.

• • •

إذا اختلفــت مع إنســان فلا يدفعك ذلك إلى تجاهل مــا قد يكون له من إنجازات أو مواقف.

• • •

حكمة رائعة لها مدلولها تقول: (من أحبك بشيء أبغضك لفقده).

• • •

تذكر دائماً الفقراء والمحتاجين لأنك ربما تكون أحدهم يوماً ما.

• • •

عندما تشرق الشمس يذوب الجليد الرابض على الأرض.

• • •

احترام شخصية أي إنسان – هو المفتاح – للدخول إلى قلبه.

• • •

إذا لم تستطع أن (تحفر) على الصخر طريقك فلا تلم غيرك ولا تعاتبه.

• • •

(الرزق والأجل) هما موضع اهتمام الأحياء، ومن العجب أن (الأحياء) مهما كانوا لا دخل لهم بها.

• • •

حتى السباع الضارية المفترسة – لها أبناء وتشعر بالحنان عليهم والأنس بهم.

• • •

أمران يقفان وراء نيل الأمم والأفراد لما يصبون إليه.. تجاهل الذات، والاهتمام بالجوهر.

• • •

حكمة لها أبعادها تقول: (من أعان ظالماً سلطه الله عليه).

• • •

من حكم المتنبي الكثيرة والصادقة قوله:

ومن يك ذا فم مر مريض

يجد مراً به الماء الزلالا

أولئك الأغنياء الذين تتصرم بهم لياليهم وأيامهم وهم يلهثون وراء تكديس الأموال من (حرام وحلال) كم هم يعذبون أنفسهم مرتين.

• • •

بمقدور كل إنسان أن يخسر أصدقاءه في لحظة واحدة لكنه يحتاج إلى المزيد من الصبر والجهد لاكتساب صداقة رجل واحد.

• • •

(الغرور) هو آفة الفئة المثقفة يدفعها إلى التشنج في التصرفات والصلف في المحاولات والنتيجة معروفة سلفاً: انعدام التأثير الإيجابي وفقدان القدرة على أداء الدور المطلوب.

• • •

اعمل بإخلاص، وصبر، ثم لا تقلق إذا تأخرت النتائج.

• • •

لنعلنها حرباً لا هوادة فيها على (الأمية المستجدة) بأن نجعل للقراءة وقتاً ثابتاً لا يتغير ودون ذلك نعود للوراء بدلاً من الانطلاقة المطلوبة.

• • •

لو سألنا الكثيرين عما إذا كانوا على صلة بجيرانهم وعلاقة بهم لأجابوا بالنفي.. رغم حث الشريعة الإسلامية على إكرام الجار والعناية به.

• • •

تعود قبل العذر ممن تثق في ندمه على ما فعل وعزمه على عدم تكراره.

• • •

لو عملت إحصائية للمطالبة بالترفيعات والاستثناءات في أغلب أجهزة الدولة لوجد أكثرها من العاجزين على الأداء المطلوب والمشكلة تكمن في إقناعهم بواقعهم.

• • •

(المنافقون) يعتقدون بأنهم يخدمون غيرهم بنفاقهم وكذبهم ولكن الواقع هو ألم المقصودين بنفاقهم وكراهية الآخرين لمسلكهم.

• • •

آخر خطاب ألقاه شهيد الإسلام فيصل بن عبد العزيز في احتفاله بكبار الحجيج بمكة كان مؤشراً على إحساسه – رحمه الله – بدنو أجله شمله الله بواسع رحمته وعفوه.

• • •

(الجحود والنفاق) هما أخبث ثنائي عرفه الناس.

• • •

قال لي مسئول: إنني لم أجد أحداً من الناس أرشدني إلى عيب في أحد الأجهزة التي أشرف عليها – لكنني وجدت (حاقداً) يتلذذ بالهدم، أو (موتوراً) يتحدث في لقاءات مغلقة – وكلاهما لا يحقق مصلحة عامة.

• • •

أعجب من خوف المخلص، وجرأة المنافق.

• • •

عندما تعجز عن مجاراة (الإنجاز الماثل) فلا تهاجمه أو تشوه واقعه.

• • •

يا رب باعد بيني وبين الخيانة حتى أظل مرفوع الرأس دائماً.

• • •

يا رب لا تجعل لمجرم سبيلاً إليّ حتى لا أضطر إلى إقراره على جريمة، أو أتعرض لبلاء انتقامه.

• • •

يا رب لا تجعل صلتي إلا بمن يحبك ويخشاك حتى أظل على الخوف منك والرجاء في عفوك.

• • •

يا رب لا تسلط علي بذنبي من لا يخافك ولا يرحمني يا أرحم الراحمين.

• • •

يـا رب قـارب بيني وبـين المخلصـين لـك، العاملين مـن أجلك حتى أحصـل من لقائهم علـى الحرص على ما يرضـيك والبعد عما يغضـبك يا سميع الدعاء.

• • •

حتى لا تندم لا تقدم على فعل ما تعتقد خطأه.

• • •

(القوة في غير عنف، واللين في غير ضـعف) هما وسـيلة المعايشة لكل مشاكل التربية للأبناء.. لكن المهم كيفية الممارسة لكل منهما.

• • •

يخطـئ كل الخطأ من يقـرن دائماً بين المرء ومنصـبه، ويتجاهل مواهبه وشخصيته.

• • •

كلمـة قرأتها في صـحيفة غربية تقول: لـو كانت المناصـب وقفاً على الأكفاء المؤهلين لتقلصت أكثر مشاكل العالم.

• • •

فكـر دائماً قبل أن تقطع وعداً لغيرك لأنك تظل في دائرة التقصـير إن لم تستطع الوفاء بما وعدت مهما كانت مبرراتك وظروفك.

• • •

كلمة يجـب أن تكون معلومة كل حين، تقول: (قبل أن تطالب بحقك تأكد من أدائك لواجبك).

• • •

بين أن يجد العالم أو المفكر نفسه مضطراً إلى الهوان في سبيل كسب عيشه، وبين أن يظل مشمولاً بأغلفة النسيان والإهمال والجحود -تبرز- (القدرة) الواجبة والرائعة على إيجاد التوازن البالغ الأهمية في كل أمة وجيل.

• • •

ما أشد حاجتنا إلى هذا التوجيه النبوي الكريم!: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

• • •

البراعم التي تنهل من معين المعرفة، والتي يسرت لها قيادتنا الحكيمة (مسالك العلم) كم هي بحاجة بعد نهاية مسيرة تحصيلها إلى التوجيه الحاني والهادف.

• • •

ضعف القوة أن تظلم من لا يستحق، وخطأ المروءة أن تعفو عمن لا يستحق وبينهما يستطيع الرجال أن يعملوا.

• • •

ليست المشكلة أن توفر الوسائل الصالحة لتوجيه أبنائك ورعايتهم لكنها ذاك (الدخيل) الذي يهدم بنيانك لهم من القواعد وهو أجدر الناس بقسوتك وغضبك.

• • •

ربما كان المرء محتاجاً للإعلان عن جهوده لكنه يتجلل (عاراً وخزياً) عندما يحاول التعريض بغيره والإساءة إلى من لم يظلمه أو يقاومه.

• • •

أكبر صفعة للفاشلين الحاقدين (نجاح) المخلصين وتكاثرهم وقيامهم بدورهم الواضح والكريم.

• • •

(النقد) وسيلة ناجحة لاستكمال البناء لكنها تتحول إلى ممارسة للحقد والكراهية من كل فاشل أو منبوذ.

• • •

عندما نحكم على مواهب الناس من خلال مراكزهم فإنما نظلمهم ونقسو عليهم لكن حكمنا الصادق لهم أو عليهم يجب أن يتم من خلال جهودهم وسلوكهم والتزامهم.

• • •

أقبل التعريف ممن أعرف لمن لا أعرف لكنني أرفض أن يستغل صاحب الشأن ما معه لغير ما أراد به باعثه.

• • •

كن كل شيء إلا أن تكون عبئاً على وطنك وعملك وإذا أردت تقييم واقعك فلا تنفرد برأيك عن نفسك وقارن بينك وبين من هم أكثر منك خبرة وإنتاجاً وتجرد من عاطفتك وحكِّم عقلك ثم طالب بما تريد.

• • •

في حديث مع معالي الوزير المسلم الدكتور محمد خير عثمان وزير التربية السوداني السابق قال لي: ينبغي أن نعمل بتنظيم وحرص وألا نسمح لليأس أن يسيطر علينا لأننا على حق، لكن يجب أن يصحب التفاؤل كل أعمالنا، وهي كلمة حق من مخلص.

• • •

ليس مهماً أن تعلم متى تتحدث؟ ولكن الأهم أن تعلم متى تصمت.

• • •

ما تألمت يوماً مثل ألمي باضطراري لمجاملة إنسان أعلم عدم استحقاقه لذلك.

• • •

ألا نمتدح مسئولاً إلا عندما نحتاج إليه فهو افتراض منا، بإمكان التأثير عليه لكن الأولى له ولنا أن نبلغه ثناءنا على ما يستحق قبل حاجتنا إليه.

• • •

بدلاً من الحديث عن غيرك راقب عملك، وضاعف جهدك، وتذكر أمانة الله في عنقك، واعمل للأفضل دائماً حتى ولو لم تخش رؤساءك، وبذلك وحده نضمن معك المستوى الذي نريد.

• • •

(يا أخي) كل أجهزة الرقابة في الدنيا لا تساوي ذرة في جانب رقابة الله لك وعلمه بواقعك، فكن من الله أخشى من الناس، وأصلح سريرتك يصلح الله علانيتك.

• • •

كلمة أعجبتني في إحدى مؤلفات الأستاذ محمد السباعي تقول: (أما لو تراحم الناس وجرى بينهم الود والثقة مجرى الذهب والفضة إذاً لأسفرت وجوه شاحبة عليها غبرة الغم وقترة الكمد، وإذاً لنبع الحب من البغض والصلة من القطيعة كما يبعث الربيع الضاحك من قبر الشتاء.

• • •

ليس محالاً أن تخطئ ولكن المشكلة ألا تشعر بخطئك أو لا تحاول اجتنابه.

• • •

مهما كنت (عقلاً وقدرة وموهبة) ستظل بحاجة إلى غيرك تأكيداً لحكمة الله في الانفراد بالكمال وباختصاص رسله عليهم السلام بالعصمة فيما يبلغونه عن الله.

• • •

كلمة أقولها لمن يسمعها: إذا وجدت موهوباً بحق فلا تهمل شأنه وانقل واقعه لمن يستطيع صقله وتوجيهه.

• • •

(المقاتل السعودي) ضابط أو ضابط صف أو جندي هو بكل فخر يقف اليوم بعقيدته في طليعة المكافحين عن دين الله وشرعه، وشتان بين المحارب بعقيدة وبين المدافع دونها.

• • •

نصيحتي - وأنا أحوج الناس إلى من ينصحني - نصيحتي إلى كل مثقف في بلادي أن يسعى بكل جهده لتعميق الوعي الإسلامي في نفوس الشباب وكل من يلقاه لأننا دون ذلك كقطيع من الغنم دون راع.

• • •

إذا اختلفت مع مسئول فلا تحمل غيره مسئولية خلافك معه.

• • •

من عوامل البقاء بما ينعم الله به علينا كل حين أن نتذكر فضله فنفعل ما أمرنا به، ونجتنب ما نهانا عنه، ونتواصى مخلصين على حماية ما منَّ به علينا من مكاسب بالقول والعمل.

• • •

بدلاً من امتداد الأقاويل التي لا تعلم صدقها طالب قائلها بإثباتها ثم اعمل على إبلاغها لمن لم يستطع علاجها.

• • •

كثير من الناس لا ينقصهم الإدراك والوعي، لكنهم تضطرهم ظروف كثيرة لمصادرة كل روافد إدراكهم ووعيهم، ثم يلومهم من لا يعلم واقعهم، رغم سلامتهم من لوم من يعلمه ويدركه.

• • •

من أهم عوامل النجاح أن يتمكن المسئول من التفريق بين واقعه الشخصي والتزاماته الرسمية.

• • •

عندما تختفي (القدرة) في دنيا الناس يصعب حملهم على الصواب.

• • •

الفشل يختفي دائماً وراء الإغراق في الإعجاب بالنفس.

• • •

ليس مهماً أن تملك القدرة على الفعل ولكن المهم أن تملك القدرة على النجاح والجودة.

• • •

عندما تشعر أنك قريب من أهدافك اعمل على أن تكون قريباً من الله.

• • •

جامل لكن لا تساوم.

• • •

الحياة تبدو باهتة عندما ينعدم فيها الإخلاص، وتبدو كريهة عندما يضعف بين الناس اهتمامهم بأمر الله ونهيه.

• • •

كلما زدت كمواطن تأملي في الأحداث الدولية وتأثيري بها زاد إكباري واعتزازي بقائدنا الفيصل المفدى الذي استطاع بتوفيق الله له أن يفرض صوتنا واحترامنا وكياننا في كل مكان.

• • •

إذا تكالبت عليك قوى الباطل، واختلطت عليك المسالك وأوشك صبرك أن ينفد، فاتجه إلى الله بقلب صادق، وإخلاص واضح، وستجد أنك (بإيمانك) عملاق – وما كنت ترهبه تحت قدميك.

• • •

من أسوأ نتائج الحضارة المعاصرة بكل مظاهرها أن كثيراً من الناس باتوا عاجزين عن توجيه أبنائهم وفهمهم.

• • •

من أهم وسائل النجاح في علاقتك بالناس أن تلتزم بتوفير كرامتهم في كل الظروف.

• • •

عوِّد نفسك إسداء العون والمعروف وحتى لا يؤلمك الجحود وطِّنها على طلب الثواب من الله وحده.

• • •

لو قدِّر لي أن أتحدث للأجيال القادمة لقلت لهم: لم نهزم كمجاهدين لكننا هزمنا شيعاً ومتفرقين.

• • •

الحقير والمخادع هو الذي يعدل عن النصيحة المشروعة إلى التشهير بالناس، متناسياً كل ما صنعوا، جاهداً في إبراز مواطن ضعفهم، وأحقر منه وأظلم من يعينه ويستمع إليه.

• • •

ليس المهم أن تفكر في العمل الناجح ولكن أن تبدأ في تنفيذه.

• • •

كلما سمعت عن الإغراق في المادية الظالمة في خارج بلادي أحمد الله على واقعنا وأدعو لمزيد من التمسك به والإصرار عليه.

• • •

كل المشاكل تتلاشى إلا حيث يسيطر الحقد المظلم.

• • •

أظلم من الظالم من يساعده على ظلمه.

• • •

كم أتمنى أن يقرأ كل شاب بروتوكولات حكماء صهيون حتى يعلم أهدافهم ويحذر أن يكون أحد المنفذين لها.

• • •

كل الناس يملكون القول ولكن القلائل هم الذين يصنعون كلماتهم.

• • •

أعجبني كثيراً سرعة التفهم من المواطنين لأهداف ميزانيتهم الجديدة واستعدادهم لتحقيقها.

• • •

إن من يفتح عينيك على أخطاء الآخرين دائماً دون محاسنهم يتجاهل فيك نصف عقلك.

• • •

قال لي: ما المخرج وقد قصد بلادنا الآلاف من العاملين والخبراء ومروجي سلعهم؟ قلت له: حفاظك على دينك وتقاليدك وإلزام أسرتك بذلك.

• • •

ليت المشاهدين لأفواج الخريجين من جامعاتنا يشعرون بمدى المعاناة في سبيل بلوغهم يوم نجاحهم.

• • •

يـا رب لا تحرم شـهيدنا الغالي (فيصـل بن عبـد العزيز) أجـر كل إنجاز إسلامي سعى من أجله.

• • •

الكلمة المخلصة لها رنين، والكلمة الحاقدة لها ضجيج.

• • •

الوفاء في أكثر صـوره أعلـى من الحب.. لأن الحب قـد يكون انفعالاً، بينما يبقى الوفاء دائماً قريناً للأصالة الراسخة في واقع كل النبلاء.

• • •

الفكـر يخبو بالغفلـة، أو بعدم حمله على الاعتبار ممـا يلقي من تجارب سلبية أو إيجابية، ويزداد قوة وصفاء كلما عمدنا إلى تعويده على استيعاب ما يلقي واستخلاص الأمثل مما يواجه.

• • •

لأن تبقى مجهولاً خيراً لك من أن تكون مكروهاً.

• • •

يقاس تقدم الشـعوب بمقدار قدْراتها على الاحتفاظ بأصالتها، والملامح الصادقة لشخصيتها، ويخطئ من يعتقد غير ذلك.

• • •

قـد أحتـاج إليك لأنه لا غنى للأحياء عن بعضـهم فيمـا يقدرون عليه، لكننـي أجانـب الصـواب والمعقول إذا علقت صـلاتي بك بمقـدار دافع حاجتي إليك.

• • •

رضاك عن نفسك لا يعني دائماً صواب ما تفعل ولا يعكس رضا غيرك عنك.

• • •

ظاهرة الجحود لا تبرر الحرمان.

• • •

الاختلاف على غير الأمور الجوهرية وسيلة لامتصاص الكثير من طاقاتنا وجهودنا.

• • •

قد أختلف معك لكنني سأظل معترفاً بالصالح من إنجازاتك وإلا فأنا أظلمك.

• • •

السلبية المنحرفة لها وجوه لا حصر لها وهي أسوأ ألوان المواجهة للإصلاح العادل.

• • •

ما أشد مسئولية المعلمين والآباء إنهم لو أدركوا أبعادها لتقلص الكثير من مظاهر الانحراف والشذوذ.

• • •

قلوب المخلصين يجب أن تظل خافقة بالخير وإن لقيت جحود الناس.

• • •

أكثر الكلمات التي تلقي الإهانة والتجريح والتشويه كل يوم هي كلمة (محاضرة) إذ تطلق في كثير من الأحيان على التافه من القول والعادي من الحديث مما يفقدها وقعها وتأثيرها.

• • •

من أصـعب الأمور أن تواجه فاشلاً بواقعه لكنك إن لم تفعل ذلك بلباقة تظل متواطئاً على تشويه الحقيقة، أو متأثراً بالمتناقضات منه.

• • •

أخـلاق العالم هي أغلى من كل شـهادات الدنيا لأنه بها يحقق وجوده، وينفـع مجتمعه، ودونها يغدو متقمصـاً ثوب الغـرور، متجاهلاً لدوره في مجتمعه الذي كافح في سبيل انتظار عودته.

• • •

لا تمتدحوا إنساناً بما لا يستحق، ولا تبخلوا على من يستحق بالتشجيع.

• • •

المشكلة أننا نعلم عيوب أنفسنا ونجبن عن مواجهتها في كثير من الأحيان.

• • •

إذا كنت غير مستطيع أن تنصر الحق فلا ترحب بالباطل.

• • •

أعرف ما لا يحصـى من الناس، يرحبون بكل عمل هادف لكنهم قد لا يترجمون ذلك إلى أعمال.

• • •

أسـتطيع أن أتحمل كل تجربة إلا أن يتظاهر إنسان بالدعوة لدين الله لكي يبرز من خلال تلك الدعوة.

• • •

إليه إلى الوفي قبل بعده، والمحب في كل حالاته، أبعث اعترافي بالصادق من إخائه، والكريم من مشاركته.

• • •

جهود مخلصة لا يحتفل بها أحد، وأخرى تافهة تشغل الناس بالحديث عنها، وتبقى (الحقائق) بين الجهل والتجاهل.

• • •

ليس المهم أن تعلم ولكن الأكثر أهمية أن توفق للعمل بما علمت.

• • •

أكثر الناس بعثاً للسخرية من يتعالى بمسئولياته وتخدعه عن واقعه، وتدعوه للتنكر لماضيه، وأصدقائه، وأفكاره.

• • •

قال لي ليس مشكلاً أن يتواجد فاشلون أو تافهون.. ولكن المشكل هو كيف نجعلهم يعلمون واقعهم، وما الأمر فيمن يخدعهم عن ذلك الواقع.

• • •

في كثير من الأحيان ترى أن بعضنا يهتم بما لا يستحق كل الاهتمام ويتجاهل ما هو جدير باليقظة.

• • •

بيت صادق للمتنبي يقول فيه:

ومن جهلت نفسه قدره

رأى غيره منه ما لا يرى

• • •

هناك كفاءات مغرورة، وأخرى تنقصها الواقعية وثالثة تنقصها القدرة على إثبات وجودها وكل الفئات الثلاث (ظالمة) لمجتمعها.

• • •

المبالغة في المديح أو الذم أو الوصف هي البداية لكل مظاهر الفشل والانهزامية.

• • •

جهودنا تظل مقبولة حتى يتملكنا بالغ الإعجاب بها والحديث الدائم عنها ثم تفقد كل ميزاتها.

• • •

من أكبر أخطاء الشعوب أن تعتقد أن كل (إنجاز) يجب أن يتم من قبل الدولة، وأنهم لا يمكن أن يقوموا بدور ما من أجل بلادهم.

• • •

ما زلت أذكر كلمة تألمت لها مع أخ مسلم زار بلادنا ورأى بعض الشباب وقد أرسلوا شعورهم كالنساء وانطلقوا كالأطفال بسياراتهم ليقدموا الموت لهم ولغيرهم.. قال لي بمرارة: (إن انصراف شبابكم عن دوره الهائل في قيادة العالم الإسلامي وإعطائه المثل الذي يحتذيه (كارثة كبرى) يجب أن تعملوا لتلافي نتائجها).

• • •

(وسائل الإعلام) في بلادي يجب أن يظل المخططون لها على يقظة تامة بما يجب أن يقدم (لشعب) أراد الله له أن يكون (رائداً) لكل من يعبد الله في الأرض.

• • •

(الغيرة) تظل مقبولة في كل شيء إلا عندما تكون انفعالاً غير موجه، أو ستاراً لهدف يختلف عن ظاهرها.

• • •

العجيب أن تعبيرات عيون الكثيرين تفوق قدرتهم على الحديث.

• • •

سر النجاح أن تتجاهل إنجازاتك، وأن تتعلم ممن هو أعلم منك، وألا تفارقك القدرة على الاستمرار.

• • •

أشعر أن الوقت قد حان لإلقاء نظرة حانية عادلة على صحافتنا المحلية، تدفع طموحها وتدعم مسيرتها، وتضاعف قدرتها على الصمود.

• • •

لن أتحدث عن التلفزيون لأنني سمعت من يقول إنني أهاجمه لسبب ولغير سبب.

• • •

يا جحافل الإيمان لا تيأسوا فالنصر آت بإذن الله رغم كل العقبات والعراقيل.

• • •

مرة أخرى يا سنابل الحقد لا تورقي أبداً.

• • •

كل الصلات تتمزق وتتهاوى إلا الصلة في الله ومن أجله.

• • •

زهد العلماء الصــالحين في خوض غمار الحياة يفقد الحياة أفضل مصدر لنمائها واستدامة إشراقها.

• • •

هذا التكالــب المجنون على المادة واعتبارها هدفاً لا وســيلة (مظهر من مظاهر انحراف كل مجتمع).

• • •

الفائــز في معركة الصراع مــع الحياة هو غنى الأخــلاق والمبادئ، رغم قسوة واقعه أحياناً وابتعاد أصدقائه عنه.

• • •

لو كانت الغلبة بالضجيج لكانت الحمير أجدر الناس بهذه الصفة.

• • •

إذا تلاشى التراحم بين الناس، وجفت موارد المودة والعطف في واقعهم فقدوا حياتهم، واستحالوا (وحوشاً ضارية) يفترس قويها الضعيف.

• • •

عندما تتحد أهداف الأمم فإنها مطالبة بالضرب بحزم على يد من يحاول العبث بها، أو الإساءة إليها.

• • •

إذا طال عهد جيل بتواجد القدوة الصالحة في واقعه فإنه يأخذ طريقه إلى الانحراف بسهولة ويسر.

• • •

عندما أشـهد الوقائع الماثلة في المجتمعات الإسلامية أشعر بالأسى لحال شبابنا المسلم الذي لا يجد معيناً، ويشهد كل يوم انتحار الفضيلة، وتجاهل المثل، ويقف مع كل هذه المتناقضات وحده.

• • •

بدلاً من الهمس اللا مسئول لماذا لا نسلك طريقين: إصلاح أنفسنا، والنصيحة المشروعة لمن يعنيهم الأمر.

• • •

أن تسعى لتحقيق مطالبك فهو أمر معقول ولكن أن تتناسى في سبيل ذلك كل الضوابط والقواعد والإمكانات فهو الأمر الفاحش الذي لا يرضى به أحد.

• • •

تتلاشى كل المسئوليات والمظاهر والمراكز ويبقى الذكر الجميل لمن استطاع أن يضيفه بتوفيق الله لنفسه.

• • •

الجلساء يملكون تحديد وجهة جليسهم إما إلى الخير والإبداع ومحبة الناس أو إلى التعالي والغطرسة وتجاهل الآخرين.

• • •

سبل الانحدار لا تقف بسالكها عند حد، فليحذر السالك لها قبل سلوكها.

• • •

ليس مشكلاً أن يعصي الخلق خالقهم فهم معرضون لذلك ولكن الأمر الخطير أن يعتبروا المعصية أمراً مألوفاً وممكناً وعادياً.

• • •

إذا كنت رجلاً فلا تحاول أن تتأثر إلا بالرجال.

• • •

الجنود المجهولون لهم دورهم في كل مجتمع ولكن التعرف عليهم يضاعف من عزيمتهم وتشجيعهم يشجع على مسلكهم.

• • •

أفهم أن يطالب إنسان بما يعتقد أنه حق له ولكنني لا أفهم أبداً افتراضه أحقيته له.

• • •

حكمة لها معنى: قيل لأعرابية: ما الجرح الذي لا يندمل؟ قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده.

• • •

النبلاء تؤنسهم في وحدتهم مشاعر الرضا من ضمائرهم، وغيرهم (تقبرهم) في وحدتهم أحقادهم فلا يشعر بهم أحد.

• • •

حديث نبوي رائع وله معزى: (إنا لا نولي أمرنا هذا من سألنا إياه).

• • •

لا تتحدث عما لا تعلم، ولا تبالغ بما علمت، وعوِّد نفسك على التعلم ممن يعلم.

• • •

الإخلاص له بريق لامع وإن عميت عن اكتشافه آلاف العيون.

• • •

كل شــيء يمكن تحمله من جراء انحســار القيم في المجتمعات الإسلامية أمام غزو التكنولوجيا إلا الولاء لله وبر الوالدين، والإخلاص لولاة الأمر.

• • •

ليســ المهم أن تلتقي بالموهبة ولكن الأمر الصــعب هــو أن تجعلها قادرة على مواجهة مسئولياتها وإثبات وجودها.

• • •

قد نختلف مع المخلصــين في وســائل تنفيذ أفكارهــم لكننا لن نختلف معهم أبداً في أفكارهم.

• • •

لو أدرك الناس مدى استغناء الخالق عن أعمالهم وشدة احتياجهم لرعايته لاختفى الكثير من المظاهر المؤلمة والظالمة.

• • •

إنجازات الإصلاح ستجد من يتحدث عنها حتى ولو تجاهلها معاصروها.

• • •

الأمور الصغيرة في واقع الدول الكبيرة تبدو في حجم تلك الدول دائماً وإن تجاهلها الكثيرون.

• • •

عجيب أمرنا إذ نتجاهل شــكر المحســن حتى من أبنائنا ونصرخ لمعاقبة المسيء وكلاهما مهم وضروري.

• • •

يجب أن نقود احترام الزمن فلا يضيع منا في التافه والمؤسف والمسيء.

• • •

صيانة كل شيء هي وسيلة استدامة بقائه والشعور بمبدأ الصيانة هو ما تحتاج إليه شعوب المنطقة التي تعاني من التضخم وتفتقر إلى استصلاح ما بيدها.

• • •

أمران يفسدان كل تفوق فردي.. (الإعجاب بالنفس) و(الاهتمام بإلقاء الأضواء) على ما تفعله حتى وإن كان لا يستحق ذلك.

• • •

قد تقبل ما لا ترضى من الأمور لكنك تغدو شريكاً في صنعها إذا لم تحاول إصلاحها.

• • •

من أقسى أنواع الظلم الحكم على (الأمة) بتصرف بعض أفرادها، أو الحكم على (العقيدة) بما يفعله بعض الخارجين على آدابها والتزاماتها.

• • •

حتى الأمم يمكنها أن تضحي لمساعدة غيرها لكنها تظل ظالمة لنفسها عندما يعتبر غيرها ما تقدمه (حقاً) طبيعياً لهم، أو أن الحصول عليه إنما كان طهارة يمارسونها أو ذكاء يتمتعون به.

• • •

أفضل من مجاملتي ألا تظلمني.

• • •

الأعمال المخلصة ستظل معلنة عن نفسها حتى في أشد أوقات التنكر لها.

• • •

كلما سمعت انزعاج أعداء الوحدة الإسلامية من استمرارية انطلاقة المملكة في مسيرة التضامن الإسلامي، أزداد إيماناً بضرورة الإصرار عليها، وسعادة بنجاح أهدافها.

• • •

حتى الكلاب تتمسك بالوفاء بينما يعجز الكثير من الناس عن الاحتفاظ به.

• • •

أحزن لانحراف الكفاءة في بلادي بمقدار حزني لعدم وجودها.

• • •

الحاقدون يعيشون حياتهم بين عذاب الضمير أو موته وكلاهما مدعاة للرثاء والأسى.

• • •

للحق قوة لا تستطيع كل القوى إخمادها أو التغلب عليها، وللباطل جولات لكنها تتلاشى وتنهار لأنها لا تعتمد على حقائق ثابتة أو قواعد راسخة.

• • •

أشد ما تحتاج الأمم إلى اليقظة في حالات انتصاراتها.

• • •

ميادين المحبة لا تضيق أبداً بقاصدها، وسراديب الكراهية لا تتحمل أي قاصد لأنها ضائقة بأصحابها.

• • •

هناك فارق كبير بين ادعاء الشيء وبين تطبيقه والالتزام به.

• • •

أتألم لأمرين: إهمال النصيحة المشروعة، وتفشي المديح الكاذب لسبب وبلا سبب.

• • •

الحاقد يعادي نفسه.

• • •

مهما لقي المخلصون من العراقيل والمكائد فإن إيمانهم بالله ثم بأنفسهم سيجعل منهم القدرة التي تتحدى العراقيل وتهزأ بالمكائد.

• • •

أسوأ مخلوقات الله الذي يجعل اللذة في أذى الناس أو يحجب حقوقهم عنهم أو إهدار كرامتهم.

• • •

الذي لا يجعل مسئوليته أداة حب وثقة وتقدير لكفاءات وأخذ بأيديها إنما يهدم مع الأيام واقعه، ويحيط بالكراهية وجوده.

• • •

مرة أخرى الذي يستمع للواشي أو المغتاب هو شر منهما.

• • •

المديح الكاذب قرين مماثل للغيبة الظالمة.

• • •

لن ننال مرحلة التفوق حتى يتم انتصارنا على أهوائنا ومطامعنا وتتحقق قدرتنا على انفعالاتنا.

• • •

العجيب أنه حتى الظلمة والمنحرفين هناك من يمتدح صنيعهم ويمجد فعالهم.

• • •

يوم تتهاوى صلة الناس بعقيدتهم، وبتاريخهم، وبأهدافهم تتلاشى كل مقومات بقائهم بكرامة.

• • •

قال لي بألم.. لماذا تتكاثر الجرائم وأعمال عنف في المجتمعات الإسلامية..؟ قلت له لأنها لم تعد إسلامية.

• • •

الغرور والحقد هما أشد أدوات المجتمعات الطامحة لتحقيق أهدافها.

• • •

أشد الناس حاجة للرثاء ذاك الذي لا يجد له من الناس صديقاً.

• • •

المناصب هي حقول رائعة لتجارب عقول شاغليها وطاقاتهم وقدرتهم على استيعاب مشاكل الناس وإيجاد الحلول لها.

• • •

أفشل الناس من يتمنى مرؤوسوه رحيله.

• • •

هذه المسئوليات إما أن تكون وسيلة لكسب محبة المخلصين أو سبباً لكراهيتهم.

• • •

لا يوجد بديل أغلى من محبة الناس.

• • •

يقولون: لماذا نشاهد مظاهر الشذوذ في عادات بعض شبابنا؟ وأقول لهم: إن السبب في ذلك غفلة الآباء أو جهلهم أو تهاونهم.

• • •

عندما تتدخل الدولة لإصلاح ما كان يجب إصلاحه من الآباء - وولاة الأمور في أبنائهم، فإنها تؤكد تخليهم عن واجبهم الإسلامي في التوجيه والتقويم، وهو أمر يجب أن نتلافى حدوثه.

• • •

بدأت أشعر مع الأيام أننا بحاجة إلى حملة توعية خلقية هادفة ومدروسة من كل مسئول مخلص حتى يعلم الرأي العام ملامح شخصيتنا، التي يجب أن تبقى لامعة ومشرقة، وتظل في أشد حالات المحافظة عليها.

• • •

بدلاً من أن تشهر بأخطاء غيرك حاول أن تقدم له النصح بالوسائل المشروعة فربما عاد إلى صوابه وسلمت من رذيلة التشهير بأخ مسلم.

• • •

عندمـا تعتقـد وجهة نظـر معينة، أو تـراودك فكرة محـددة تذكر دائماً أنهـا ربمـا أتـت خاطئـة أو ناقصـة، أو محتاجـة إلى تعديل، ثم حـاول أن تستكمل نقائصها.

• • •

قبل أن تطالب أي إنسان بتأديب غيره راقب تأديبه لنفسه.

• • •

النفوس الصغيرة والتافهة هي التي تسمح لأعدائها بالوصول إلى أهدافها بواسطتها.

• • •

لا أزال مُصراً على وجوب إيجاد توعية مدروسـة توضح واقعنا العلمي الجامعي، وضرورة تدعيمه، وسـوء أكثر الأوساط الجامعية خارج بلادنا، وضرورة تبصير وحماية أبنائنا من شرورها.

• • •

كل شيء يمكن أن أقبل سماعه إلا مطالبة أب مسلم أن أسمح له بابتعاث بناته إلى خارج وطنه المحافظ.

• • •

حكمة بالغة:

إن السلاح جميع الناس تحمله

وليس كل ذوات المخلب السبع.

• • •

قبل أن تقول ماذا عمل غيري لي قل ماذا عملت أنا، ثم حاول أن تتحدث عن دور غيرك.

• • •

سأظل – بإذن الله – وفياً للمبادئ الرئيسة في حياتي حتى لو أغضب في سبيل ذلك من أحب.

• • •

إذا طالبتني بما لا أملك الوفاء به فأنت تدفع بي إلى أمرين: إما التضحية بعلاقتي بك، أو التضحية بأمانتي في سبيل إرضائك.

• • •

لا أزال أقول: إن مراقبة ما يعرض في (الشاشة الفضية) أهم مما يعمل المخلصون في سبيل حماية جيلهم المسلم.

• • •

هذه المسلسلات المصرية لا أدري كم منها يتفق مع ديننا وتقاليدنا وأهدافنا؟

• • •

دورنا القيادي يحتم علينا أن نصنع للناس ما يتلاءم مع دورنا، لا أن نقبل منهم أسوأ ما يصنعون.

• • •

كلمة رائعة قلتها وأكررها: (من خوّفك حتى تلقى الأمن خير لك ممن أمّنك حتى تلقى الخوف).

• • •

بلادنــا وهي تجتاز مرحلتها الحاســمة في مرحلة الإنماء تحتاج إلى العقول والأفكار أكثر من حاجتها للعواطف والانفعالات.

• • •

أقبـل أن أختلــف معــك في أفكاري لكــن الخلاف في مصــالح بلادي وسمعتها لا يحتمل أبداً.

• • •

إنني أتعــذب كل يوم لأنني قرأت أكثر من مــرة (بروتوكولات حكماء صهيون) وأجد من أبناء بلادي الإسلامية كل يوم (التنفيذ الأمين لها) ولا أعلم من المسئول ومن يقول كلمة الحق ويجد قبولاً لها.

• • •

الخطــورة أن نحمــل الدولــة كل التبعــات لأخطائنا ثــم لا نعاونها في إصلاحها وعلاجها.

• • •

عندما تكــون قيمة الرجل بماله فقط نجــد أن كل المثل والاعتبارات تعبر بمرارة عن تجاهلها.

• • •

إذا كنت حريصــاً على سلامة مجتمعك فاحرص على ألا تخالف أهدافه المخلصة في نفسك وأسرتك.

• • •

قـد نخطـئ ولكن المـؤلم أن نصر علـى أخطائنـا ولا نسـتمع إلى الآراء الناصحة المخلصة.

• • •

مجتمعنا هو الوحيد الذي يتمتع بالاعتبارات الإيمانية الصادقة، لذا يجب علينا جميعاً أن نؤكد في واقعه كل هذه الاعتبارات، ونحارب ما يتعارض معها مهما كان (الثمن والفداء).

• • •

المشكلة ليست من الإحساس بآلام المجتمع ولكن في القدرة على التعبير عنها ومعالجتها بإيجابية وأمانة.

• • •

أقول وتقول ولكن ما ينفع الناس يمكث في الأرض والزبد يذهب جفاء.

• • •

أخشـى أن ينسـى الناس الأمانة في معاملتهم، والصدق في أقوالهم، ثم يتوهموا بقاء علاقتهم بالدين وأهدافه.

• • •

(المنافقون) يملؤون الأرض، و(المخلصون) بين فريقين، منعزل لاطمئنانه إلى السـلبية، أو عجزه عن المقاومة، وتبقى الحياة تحكي قصص (الرجال) الذين تخلصـوا من السـلبية والعجز وبذلوا كل ما في إمكانهم لإصـلاح واقعهم، أولئك هم العظماء رغم تواريهم.

• • •

لا أطالب أن تمتدحني لكنني أرفض أن تظلمني.

• • •

ليس المهم أن تكون (بارزاً) ولكن المهم أن تكون (ناجحاً).

• • •

انتشار الباطل لا يمكن أن يكون مبرراً لاستمرار وجوده.

• • •

قد لا تكون قادراً على إقرار المبادئ العادلة التي تؤمن بها لكنك مطالب بعدم التمهيد لما يتعارض معها.

• • •

أعجب ما في الحياة أنها تنتهي بموت كل الأحياء.

• • •

ليس المهم أن يحدث ما يسيء لكن المهم ألا يتكرر حدوثه.

• • •

كل الرؤوس التي تتعالى عن قول الحق وسماعه تتهاوى كغيرها بموتها في صدوع من الأرض بمعزل عن الأنصار والمدافعين لتلقي مصيرها الذي لا يختلف.

• • •

نصيحة سمعتها من مجرب عاقل: إذا انفعلت من أمر فاكتب مشاعرك كما هي.. ولكن راجعها بعد غياب انفعالك لتجد أنك أكثر الناقدين لما فعلت.

• • •

في غمرة العواطف المتشـنجة للعلاقـات الفردية يجب أن نعمل لإيجاد قواعـد ثابتة إيمانية لكل الصـلات التـي تربطنا بغيرنـا، وإلا فنحن ننطلق وبسرعة إلى بلوغ أسوأ مظهر للعلاقات بين الناس وهو المظهر المادي الذي يعتبره أصحابه المعيار الصادق لعلاقاتهم بغيرهم.

• • •

مرة رابعة يا سنابل الحق لا تورقي أبداً.

• • •

عندما أشـاهد مباني (جامعة الرياض) في طريق الدرعية وبجانبها أرض (جامعة الإمام محمد بن سعود) أشعر أن مرحلة قادمة – بإذن الله – للدرعية الباسـلة، سوف تقبل لتأكيد اسـتمرارية الدعوة السلفية المباركة التي تمت بحمد الله على أرضها.. ولا تزال تؤتي بفضله ثمارها.

• • •

عندما تطالبني باحترامك يجب أن تكون على الأقل بعيداً عن الإساءة إلي.

• • •

الغرور بالإجازات العلمية أو مراكز الثقة تدفع بأصحابها إلى الكثير من المهازل والأخطاء.

• • •

ممارسة المعرفة لمقدار كفاءة المرء مدعاة لرحمة الله.

• • •

(ما كل ما يعلم يقال) مثل رائع وحكيم ومؤثر.

• • •

الانتصار على النفس، وكبح جماحها في مفهومي هما (قمة الانتصار) على متناقضات الحياة وآلامها.

• • •

لك أن تطالب المسئول بتفهم رغبتك ونصيحته حولها لكنك تظلمه إذا طالبته بما تريد منه، دون تعرفك على إمكاناته وما يستطيع فعله.

• • •

المطابع التي تدور كل يوم لتعطينا الصحف كل صباح يجب أن نتأكد مما ندفع إليها به حتى لا نقع موقف التناقض بين دورنا وما نعمله.

• • •

لكي تكون نبيلاً لا يجب أن تقتصر على حفظ كرامة الناس ولكن يجب أن تعودهم على وسيلة الاحتفاظ بها والشعور بضرورتها.

• • •

كل الخلائق صائرة إلى الفناء ولكنها – ما عدا القلائل – قادرة على ترك آثارها واضحة صامدة.

• • •

إذا وجدت منكراً ولم تغيره أو تبلغ من يملك تغييره بالطرق الملائمة فأنت مسئول عن آثاره ومضاعفاته.

• • •

الإنسانية لا تتخلف أبداً عن الكرامة والحب وإذا ما فقدتهما أو أحدهما فهي لا تستحق مسماها.

• • •

(حب الشهرة) ربما كان مطلباً لما لا يحصى من الناس، لكن افتعال مواقفها يبدو ثقيل الوطأة وعديم الأثر.

• • •

المناصب القيادية يجب أن يفكر المسئولون في تحديد مواصفات المرشحين لها قبل اتخاذ قراراتهم، لأن أخطاء شاغليها أو عقدهم النفسية تعطي لمعامليهم أحياناً سوء الأثر عن أجهزة الدولة مجتمعة.

• • •

(يشير مارديني) كفاءة فنية لكنها لا تزال بإنتاجها تتجاهل عادات هذه البلاد وتقاليدها وأخشى ما أخشاه أن يكون (قاصداً لما يفعل)..

• • •

إذا أردت أن أحترمك فاحترمني ثم طالبني باحترامك.

• • •

(الكذب والخديعة) مداهما قصير وكثيراً ما ينقطع حبلهما بالممارس لهما قبل بلوغ غايته.

• • •

إذا أردت النجاح فراقب الله وأخلص في عملك وتحمل أذى الناس، وحارب الغرور في واقعك.

• • •

ليس الذي يؤذي هو بروز النتائج المشوهة، ولكن الأذى في تمجيدها وإضفاء النعوت على فاعليها.

• • •

حتى ولو لم نتعارف فيجب أن تجمعنا الفضيلة.

• • •

كم كان بودي أن تلغي (الأبواب الثابتة) من الصحف اليومية لأنها مصدر إزعاج للمكلفين بها، وربما كانت مصدر إزعاج للقراء حينما لا يجد الكاتب موضوعاً صالحاً للحديث عنه رغم إعجابي بالمحاولات (الناجحة) التي يبذلها الكثير من المكلفين بهذه الأبواب ومدى الجهد الذي يقدمونه.

• • •

يجب ألا تحول (المشقة) في إبداء النصيحة بيننا وبين إبدائها بالوسائل.. المشروعة.

• • •

أنت حر في فهم الأمور من جهة نظرك ولكنك لست (حراً) في فرض مفهومك على غيرك.

• • •

يجب أن يتخلى المجتمع المسلم عن الإغراق في المجاملات والبعد عن المبالغة في تقدير حجم الوقائع.. حتى يتسنى للعاملين أن يتفرغوا لما هم مطالبون به من إنتاج، وحتى يجد الناس أمامهم الأعمال قبل الأقوال.

• • •

(المخلصون) في كل زمان ومكان يحتاجون إلى من يشعرهم بمكانتهم، ويرتفع بمعنوياتهم، ويشد من أزرهم.

• • •

هنـــاك أمور تلقى الكثير من العناية وتســليط الأضــواء عليها بينما تجري أمور أخرى أكثر منها أهمية وأثراً ولا يدري بها أحد.

• • •

هناك من يمارس – ربما دون شعور – نوعاً كريهاً من أنواع (السادية) إذ تزداد ســعادته بمقدار ما يعرقل جهود غيره، وتتضــاعف غبطته إذا نجح في الحيلولــة دون حقوق الناس، أو أحجم عن عونهم للوصــول إليها وهؤلاء هم أشقى الناس بواقعهم و(مجتمعهم) أشد المجتمعات شقاء بهم.

• • •

اعتراف المرء بخطئه علانية مظهر (رائع) للثقة بنفسه.

• • •

يا رب ساعدني دائماً على معرفة قدر نفسي.

• • •

مرة أخرى أقول: خسارتنا بانحراف (الكفاءة) أشد وأكثر ألماً من افتقاد وجودها.

• • •

عندما ينسى الإنســـان دوره وحجمه الحقيقي يجد معاصروه منه الكثير من التناقضات والعجائب.

• • •

الثقة تدفع بالرجال إلى إبراز (الروائع) في واقعهم، وتدفع بالصــغار إلى إبراز (المهازل) في حياتهم.

• • •

عندما تمتدح إنساناً بما لم يفعل أو أكثر مما يفعل فإنما تمارس نوعاً من التشهير به.

• • •

أشد إجراماً من المنحرفين من يساعدهم على التمادي في انحرافاتهم.

• • •

عون الله للمرء يجعله السبَّاق فيما يفعل ولو قاومته كل قوى الأرض.

• • •

(المنازل) مدارسنا الأولى، يجب أن تحتفظ بدورها بأمانة وحرص وإلا فلا يدهشنا كل ما نلقى من المتناقضات والأشكال المتباينة لأوضاعنا ورسالتنا.

• • •

في معركة البناء التي نجتازها يجب أن نعطي الإمكانات للعاملين المخلصين، ونشجع المواهب القادمة للإسهام في المرحلة التي نجتازها، ونقاوم بكل شدة كل الأفكار التي تتعارض مع واقعنا وعقيدتنا وأهدافنا لأن ذلك هو السبيل الوحيد للوصول إلى أهدافنا بأقل قدر ممكن من المتاعب.

• • •

ليس المهم أن تحصل على (الشهادة) ولكن المهم أن تحسن استخدامها.

• • •

عاجل انتصار الله للمظلوم أن يجد له أنصاراً لم يتعرف عليهم قبل محنته.

• • •

(صيغ العموم) في الأحكام المطلقة كثيراً ما تتجاهل جنوداً عاملين بإخلاص في كثير من المصالح والمؤسسات.

• • •

(الوشايات والإشاعات) وجهان لأخطر الأمراض التي تبتلى بها المجتمعات.

• • •

عندما تصبح علاقات الناس (نفاقاً)، ومعاملاتهم (خداعاً) ومواعيدهم (كذباً)، فيجب أن نسعى لإيجاد مفاهيم جديدة تتلاءم مع دورنا وعقيدتنا وأخلاقنا.

• • •

يخطئ الكثير حينما يحكمون على بلد ما بتصرف بعض (الطائشين) وغير العقلاء من أبنائه.

• • •

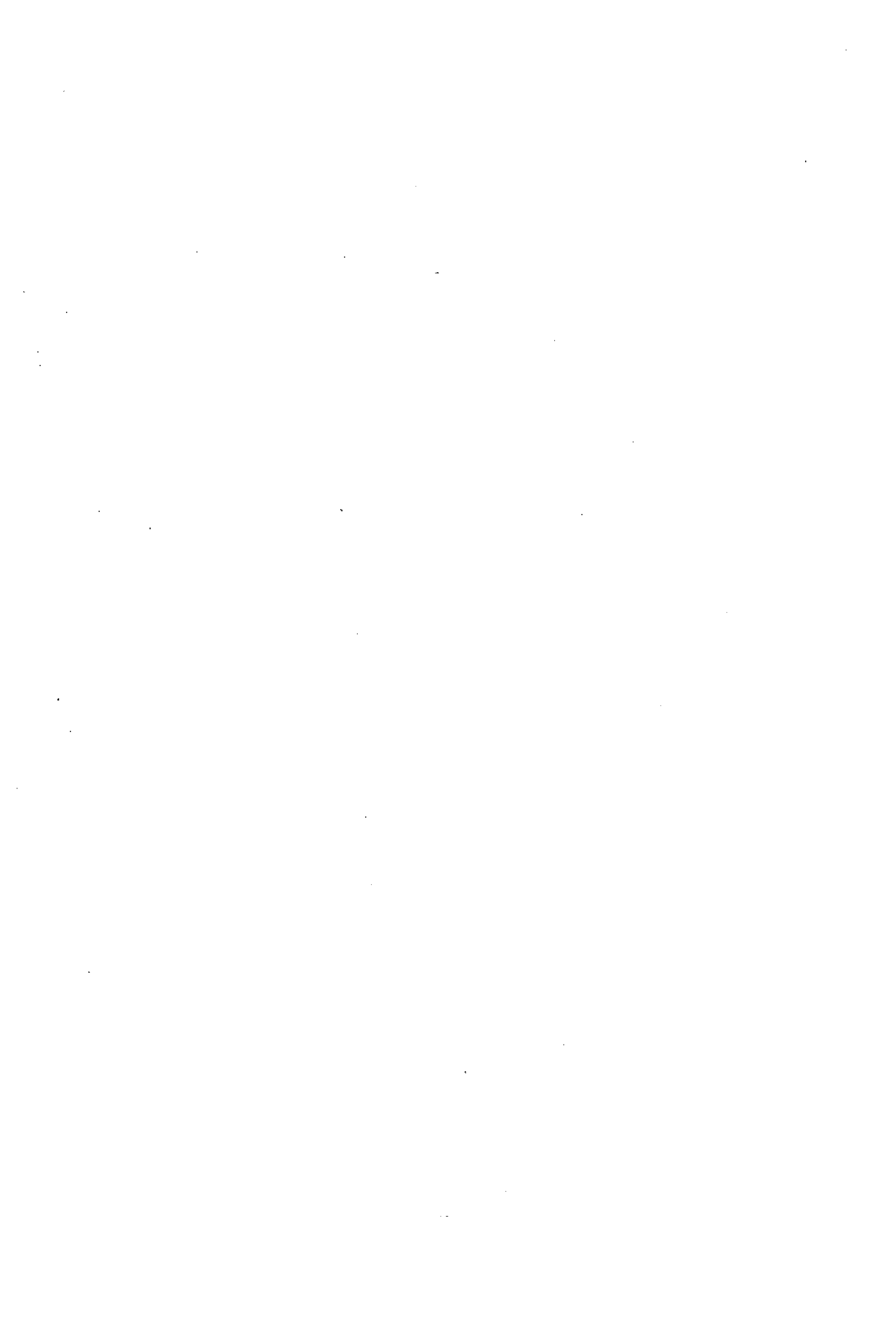
ليس المهم أن تكون محافظاً في وطنك وبين أهلك، ولكن المهم أن تحافظ على واقعك عندما تبتعد عن كل شيء يربطك بوطنك.

• • •

قرأت عن حيرة كثير من المسئولين في إبلاغ السخفاء من الناس عن سخافتهم في الحديث أو الكتابة، لكنني أجد أن خير معين لهم هو حثهم على الاطلاع.. والدراسة والبحث.

• • •

لا تبالغ ولا تكذب ولا تجامل على حساب الحق الواضح، واعمل على بناء نفسك مع اعترافك بواقعك وطموحك الدائم إلى تجاوزه.



التنظيم القضائي

في المملكة العربية السعودية

طبعت الطبعة الأولى
1403هـ/ 1983م

الطبعة الثانية
1435 هـ - 2014 م



مقدمة

بحكم طبيعة عمل والدي - رحمه الله - في حقل القضاء سنوات طويلة، وتشرفي بملازمته، وجدت في نفسي ميلاً إلى التعرف على واقع القضاء، والإلمام بما أستطيع من جوانب مسؤولياته، وتيسّر لي بالتعرف من بعض إخواني القضاة على طبيعة أعمالهم، والصعوبات التي تواجههم، أن أجد نفسي مشدوداً إلى هذا الحقل العظيم معجباً بملامح الإيجابية في علاجه وتصدّيه للمشكلات التي تبرز دائماً من خلال تطبيقاته، ومبهوراً بقدراته على حلّ المعضلات، وحمل الناس على قبول الحق والتراضي به.

ودفعني ذلك إلى محاولة استعراض تاريخ القضاء في الإسلام، وخاصة في (المملكة العربية السعودية) التي شرفها الله بتطبيق شرعه، والتقاضي إليه، وقبول ما يقرره، وكانت فكرة هذا الكتاب.

لا أدّعي لها الشمول أو الكمال - لكنها محاولة للتعريف بهذا النهج الذي تنفرد به بلادنا الغالية في احتكامها لشرع الله، وفاء لدينه، وتقديراً لدور كل العاملين في هذا المسلك الكريم، على الله ثم على الناس.

والله وحده هو المؤيد والمعين.

المؤلف

تمهيد

كان العرب قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- في جهالة جهلاء، وضلالة نكراء، غير متقيدين بنظام، أو ملتزمين بنهج.. تسودهم الهمجية، ويعمهم الظلام، ليس لديهم من العلم ما يرفع عنهم غشاء الجهل القاتم.. ولا لهم من الدِّين ما يربط بين أهدافهم ونزعاتهم.. السلطان فيهم (للقوة) وإن كانت بعيدة عن الحق، والمغلوب فيهم هو (الضعيف) العاجز وإن كان الحق بجانبه.

كانوا من الوجهة الدينية في فوضى عجيبة.. مثلهم كمثل الشباب في قوة شعوره واندفاع قواه، يترسم خطى الخيال ويرى في الواقع قيوداً تعوق سيره، وتعرقل جهوده.. كان خيالهم يصور لهم آلهتهم في الكواكب المضيئة، والحجارة الصلدة، فكانوا ينحتون أصنامهم من الحجارة، ومن غير الحجارة، فيسجدون لها ويعبدونها في انقياد عجيب، وضلال لا يبصر الحق.. وكانوا يتخذونها أرباباً من دون الله، حتى كان الرجل منهم إذا سافر فنزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار فجعل أحدها في نظره رباً له، وجعل الثلاثة الباقية أثافي لقدره.. يقيمه عليها حيث يصنع زاده..

وكانوا يجعلون أصنامهم أحياناً من غير الحجارة، وحكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما معناه: (أنه كان في الجاهلية يتخذ الصنم الذي يعبده من التمر فإذا جاع أكله). كل ذلك يعطينا الأدلة الواضحة على مدى الحيرة والمتاهة التي وصلت إليها حال العرب قبل الإسلام.

ومن الوجهة السياسية، كان كل فريق منهم يرى الحق والهدى فيما نشأ

عليه وورثه عن آبائه، وكانت كل (قبيلة) تستمد بقاءها من غزو القبيلة الأخرى وانتهاب خيراتها.. تدور رحى الحرب لأتفه سبب وأدنى غاية.. وما لهم لا يكونون كذلك ما داموا غير معترفين بالقيمة الفردية، أو الرابطة الجماعية.. كانوا في حياتهم مثلاً صادقاً للفوضى والاضطراب، جعلهم يقدمون على وأد بناتهم وهن أحياء خشية ما يسمونه (بالعار)، وعلى الاعتداء على الأرواح الآمنة الوادعة لمجرد الرغبة في البطش والانتقام، وشاء الله أن تنطلق الصيحة المخلصة من (مكة المقدسة) برسالة الإسلام إلى الناس كافة.. عربهم وعجمهم.. بعد أن كانوا في منحدرهم العميق.. يشدهم إليه عاملان: (وثنية في الدين، وفوضى في المجتمع).. فكان لا بد لانتشالهم من هاويتهم السحيقة، من الاتجاه إلى إصلاح هذين العاملين.. فقضى الإسلام بادئ الأمر على ما اتجهت نفوسهم إليه من وثنية وضلالة، بأن غرس في قلوبهم عقيدة التوحيد الخالص لله سبحانه، ووجههم نحو إفراده بالعبادة، لأنه قريب مجيب يجيب من دعاه، ويعفو عمن ظلم نفسه.. أقرب إلى عباده من حبل الوريد، وهم ليسوا معه بحاجة إلى وسطاء ولا شفعاء، لأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

اتجه الإسلام بادئ الأمر إلى غرس هذه العقيدة الصحيحة في النفوس ليرتفع بها من مهابط العبودية، ومزالق الهوان، وليشعر المسلم بكرامته وقيمته ومدى قدرته على التأثير في مجتمعه ومحيطه، ووضع الإسلام بعد ذلك لأتباعه نظاماً محكماً يتناول كافة شؤونهم، ليسيروا على هديه في نواحي حياتهم ومعايشهم.

وكان هـذا الاتجاه الأول للإسـلام بادئ الأمر فيما نزل مـن القرآن بمكة المكرمـة، حيـث كان يدعو بـه الناس إلى توحيـد الله، ونبذ مـا كان عالقاً بأذهانهم من الالتجاء إلى غيره أو دعوة سـواه.. ويسوق لهم العبر الصادقة فيما يقصـه عن السـالف من الأمم.. ويدعوهم إلى إعمال عقولهم في النظر الصادق في ملكوت الله، وما أودعه في الكائنات من أسرار خلقه، وشواهد إعجازه، وإلى نبذ التعصب الأعمى لما ورثوه من عقائد بالية، وما تلقوه عن آبائهم وأسلافهم مما يخالف الحق ويجانب الصواب.. ويوضح لهم الأضرار والعواقـب الوخيمة التي ينتهي إليها الناس في حال انصـياعهم لشـهواتهم المحرمـة، ويدعوهم إلى التعاون على البر والتقوى، لا على ما ألفوه وذهبوا إليه في جاهليتهم، من العصـبية القبلية، والنعرة الجاهلية، المنطوية على الإثم والعدوان.. ظل على ذلك ثلاث عشرة سـنة، ثـم أذن الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة لما اشتد إيذاء قريش له بمكة، وتلقى النبي صلى الله عليه وسلم من ربه فيما أنزل عليه بالمدينة، من الوحي (الأحكام) التي تتناول شؤون المسلمين، وتتصـل بحيـاة الجماعـة والفـرد، في العبـادات، والمعامـلات، والجهاد، والجنايات، والمواريث، والوصـايا، والزواج، والطلاق، وغير ذلك مما هم بحاجة إليه لينتظم لهم سبيل حياتهم وطريق معيشتهم.

وكان العرب مع ما أسـلفنا من الحال، قبل مبعث النبي -صـلى الله عليه وسـلم-، أهل فصـاحة وبيان، واسـتمعوا من وهاد (مكـة) الطاهرة إلى صـوت النبي الكريم، الذي اختاره الله لتبديد ما هم فيه من حيرة وغواية، يقول لعشـيرته وقومـه: (إن الرائد لا يكذب أهلـه، والله لو كذبت الناس مـا كذبتكم، ولـو غررت الناس ما غررتكم، والله الـذي لا إله إلا هو إني

لرسول الله إليكم حقاً، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالشر شراً، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً، وإنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد). وانصاعوا إلى تعاليمه السماوية الرشيدة وهي ترفض تعدد الآلهة، وتقرر أن ليس هناك إله إلا الله الواحد، وأطلقها مدوية دكت عروش الباطل ومعاقل الضلال..

(لا إله إلا الله محمد رسول الله) قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، فقال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون ذلك، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله).

وجاءهم بالمعجزة الخالدة (كتاب الله) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. وتحداهم أن يأتوا بعشر سور منه، ثم بسورة ثم بآية فعجزوا وما استطاعوا لأنه ليس من قول بشر، قال تعالى: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)[1]... فهو تنزيل من رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب محمد، ليكون للناس بشيراً ونذيراً.. وبدأت نتائج الدعوة الجديدة تأخذ طريقها للبروز والظهور، فاستحال الجفاء اللازب، إلى وئام وصفاء، والقطيعة إلى تراحم وتعاطف وتواد، وجعل الإسلام من مؤيديه قادة البشرية، وأساتذتها، أقاموا إمبراطورية الإسلام الخالدة، فغيروا بها وجه التاريخ. وفي هذا يقول الله تعالى لهم على لسان نبيه: (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم

(1) النساء الآية 28.

مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِه لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[1]. ويقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[2]، وارتفعت دعوة الإسلام بالعدل مكان الظلم، والرحمة بديل القسوة، والصلة مقابل القطيعة، (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[3]، وساد النظام والأمن، وانتظمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين الرئيس والمرؤوس، واطمأن الناس إلى القائد الحكيم، يبلغ تعاليم ربه، ليجدوا أنفسهم مندفعين إلى فعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه، في انقياد وطواعية، مصدرها ثقتهم بوعد الله، واطمئنانهم إلى عدله ورحمته.

القضاء في الإسلام

أول قاض في الإسلام، هو محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-، أبان للناس طريق الخير، ومسالك الهداية، ونهاهم عن كل ما يؤدي بهم إلى القلق، والضعف، والهوان، وألزم الله عباده بطاعته، والانقياد لأمره: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[4]. (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ)[5]، وخاطبه ربه بقوله: (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً)[6]، توجيه حكيم، من الله لنبيه الكريم، بأن يحكم بين الناس بما أراه الله، وهداه إليه،

(1) آل عمران من الآية 103.
(2) المائدة من الآية 3.
(3) النحل الآية 90.
(4) الحشر من الآية 7.
(5) النساء من الآية 80.
(6) النساء الآية 105.

(ووصـية) جامعة بأن لا يجادل عن الخائنين والمنحرفين.. والخطاب عام وإن خرج مخرج الخصوص، يوضح ضرورة رجوع المتخاصمين إلى كتاب الله، وسـنة نبيه عليه السـلام، والعـدل في الحكم وتحـري كل ما هو حق وصـدق.. قال تعـالى: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُـم بَـيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّـا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَـمِيعاً بَصِـيراً)[1]. وقال تعالى لنبيه داود: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِـلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)[2].

هـذه المبادئ الراسـخة التـي نادى بها الإسـلام في الحكم بـين الناس، والسبيل الواضحة التي ينبغي أن يسير عليها كل من أراد الله له أن يأخذ بين الناس مكان الحاكم.. لابـد أن يحكم بينهم بالحق.. ويبتعد بأحكامه عن الهوى، الذي قد يسـتبد بالحقيقة وبالعدل فيحجبهما عمن يستحقهما.. يواريهما عمن يفتقدهما.. ولأن الميل للهوى والقصـد، يسـتتبع الضلال والانحراف، كنتيجة حتمية لا تقبل الجدال ولا الشـك، وبعدها يوم ينقاد الحاكم لهـواه، مجانباً للعدالة والحق، يضـل هو بانحرافه عن الصـواب.. ويضـل غـيره بتمكينه مما ليس له.. يجد نفسـه مندفعـا إلى النهاية الحتمية لـكل منحـرف وجائر.. العذاب الشـديد، لأنـه بما أقدم عليه نسـي يوم الحساب.. وكان كتاب الله تعالى، وسنة نبينا عليه السلام، بأنواعها الفعلية والقولية والتقريرية، هما (مصـدر الأحكام) وفصل الخطاب، ليس لأحد

(1) النساء الآية 58.

(2) ص الآية 26.

من المسلمين العدول عنهما، ما وجد إليهما سبيلا، وقد أمر الله عباده بالرد إليهما حيث يقول: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)[1].

التشريع في عصر النبوة

لم يقم التشريع في عصر النبوة على فرض الحوادث، وتخيل وقوعها، والتماس الأسباب للتفريع وتدوين الأحكام، بل كانت سائرة مع واقع المسلمين، فإنهم كانوا إذا عرض لهم أمر يقتضي بيان الحكم، رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيفتيهم تارة بالآية أو الآيات يتلقاها وحيا من الله.. وأخرى بالحديث.. وأخرى بعمله فيراه المسلمون وقد أمروا باتباعه.. أو يقرهم على الصائب من أعمالهم وأقوالهم.

وفي كل هذه الحالات فهو يتعلق بالحق، وبالوحي وبالبرهان: قال تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[2]، وقال: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)[3].. فالكذب، والانحراف، محالان على من اصطفاه الله لرسالته، واختاره لهداية البشرية، وإنقاذها، لسبب واضح، هو اختيار الله له، وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

وتتابعت الآيات الكريمة معلية شأن القضاء والفصل بين الناس، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً

(1) النساء من الآية 59.
(2) النجم الآيتان 3 و4.
(3) الحاقة الآيات 44 – 47.

عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ)[1]. بل قد جاءت الآية الكريمة، نافية للإيمان، عمن رغب عن تحكيم ما جاء به رسول الله، فيما يعرض له ثم يرضى بحكمه ويسلم طائعاً ومطمئناً في قوله تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)[2]. وقال عليه السلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به).[3]

تعريف القضاء وحكمه

عرفه الفقهاء لغة: بأنه إحكام الشيء والفراغ منه، ومنه قوله تعالى: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)[4]. وشرعاً: تبيين الحكم الشرعي والإلزام به، وفصل الخصومات.. وعرف بعضهم (حقيقته) أنها (الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام). قالوا: ومعنى قولهم قضى القاضي، أي ألزم الحق أهله، والدليل على ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ)[5] أي: ألزمناه وحتمنا به عليه.. وقوله تعالى: (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ)[6] أي: ألزم بما شئت واصنع ما بدا لك.

وقال ابن طلحة الأندلسي: (القضاء معناه الدخول بين الخالق والخلق، ليؤدي فيهم أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة).. قالوا: والحكم في مادته بمعنى المنع، ومنه حكمت السفيه، إذا أخذت على يده ومنعته من

(1) المائدة من الآية 48.
(2) النساء الآية 65.
(3) رواه في شرح السنة وقال النووي في أربعينيته (هذا حديث صحيح) كما صححه الحاكم وغيره.
(4) فصلت من الآية 12.
(5) سبأ من الآية 14.
(6) طه من الآية 72.

التصرف، ومنه سمي الحاكم حاكماً، لمنعه الظالم من ظلمه، ومنه قولهم: حكم الحاكم، أي وضع الحق في أهله، ومنع من ليس له بأهل.. وبذلك سميت الحكمة التي في لجام الفرس، لأنها ترد الفرس عن المعاطب.

وحكمة القضاء قمع الظالم، ونصرة المظلوم، وقطع الخصومات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (والأصل في ثبوته في الشرع الكتاب والسنة والإجماع).. أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)[1]. (والسنة) حكم النبي، صلى الله عليه وسلم، بين الناس، وبعثه علياً ومعاذاً إلى اليمن. (والإجماع) أن الخلفاء الراشدين حكموا بين الناس، وبعث أبو بكر أنس بن مالك إلى البحرين ليقضي بين الناس، وبعث عمر أبا موسى الأشعري إلى البصرة قاضياً: وغير ذلك، (وحكمه) فرض كفاية، فإن قام به من يصلح، سقط فرضه عن الباقين، وإن امتنع الجميع أثموا، والصحيح أن الإمام يجبر أحدهم.

القضاء بين المدح والذم

أجمع المسلمون على مشروعية القضاء كالجهاد والإمامة، قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا بد للناس من حاكم - أتذهب حقوق الناس؟).. وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا

(1) المائدة من الآية 49.

أمروا عليهم أحدهم). وأخذ العلماء من هذا الحديث، مشروعية القضاء، لأنه حيث قد شرع لكل ثلاثة في فلاة تأمير أحدهم عليهم، تفادياً من الخلاف الذي يدفع بكل واحد منهم إلى الاستبداد برأيه، والعمل بما يلائم هواه. فهو في حق من هم أكثر منهم من سكان الأمصار والقرى أولى وأحرى، ولا يكون ذلك بسوى الحاكم الشرعي.

وفي القيام بالحكم بين الناس، لمن قوي على ذلك، وأدى الحق فيه فضل عظيم. قال صلى الله عليه وسلم: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا)[1]. وجعله النبي صلى الله عليه وسلم من النعم التي يباح الحسد عليها في قوله: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[2]. وقال عليه السلام: (أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل يوم القيامة، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم)[3]. وقال تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[4]. وهناك أحاديث أخرى يتبين منها الوعيد الشديد في حق القضاة والحكام، منها قوله عليه السلام: (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة. واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل عرف الحق فجار في الحكم

(1) رواه مسلم.
(2) متفق عليه.
(3) رواه أحمد.
(4) المائدة من الآية 42.

فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار)[1]. وقوله: (من جُعِل قاضياً فقد ذُبِح بغير سكين)[2].

وقال بعض العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث والنصوص، إن ما جاء منها في معرض التخويف والوعيد، إنما هو في حق قضاة الجور أو الجهال، الذين يدفعون بأنفسهم إلى مناصب القضاء، وهم ليسوا لها بأهل.. حتى لقد قال بعضهم في قوله عليه السلام: (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين)، الذي ورد في معرض التحذير من القضاء، قالوا: إن هذا الحديث دليل على شرف القضاء، وعظيم منزلته، وأن المتولي له مجاهد لنفسه وهواه، وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق، إذ جعله ذبيح الحق امتحاناً، لتعظم له المثوبة امتناناً، فالقاضي لما استسلم لحكم الله، وصبر على مخالفة الأقارب والأباعد، في خصوماتهم، فلم تأخذه في الله لومة لائم، حتى قادهم إلى مر الحق، وكلمة العدل، وكفّهم عن دواعي الهوى والعناد، جعل ذبيح الحق لله.. كيف وقد ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، ومعقل بن يسار، رضي الله عنهم، القضاء فنعم الذابح، ونعم المذبوح، فالتحذير الوارد في الشرع، إنما هو عن الظلم والجور، لا عن القضاء، لأن الجور في الأحكام، وإتباع الهوى فيها، من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، قال تعالى: (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)[3]. والقاسط: هو الجائر الظالم.

(1) رواه أبو داود وابن ماجة.

(2) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة.

(3) الجن الآية 15.

أمـا من اجتهـد في الحق على علم فأخطـأ، فقد قال عليه السـلام: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصـاب فلـه أجران، وإن حكم فاجتهد ثم أخطأ فلـه أجر)[1]. ويسـتثنى من ذلك كله من طلب القضـاء، أو اسـتعان عليه بالشـفعاء، أو قبله وهو يعلم من نفسـه الجهل به وبأحكامه، وكان شـعار السـلف والمتقين البعد عنه ما وسـعهم ذلك، قال عليه السلام: (من ابتغى القضاء وسـأل وكل نفسه، ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده)[2].
ولعل التحقيق فيما سـبق أن الأخبار التي تـدل على ذمّه، محمولة على من علم من نفسـه أنه لا يسـتطيع أن يقوم بالقضـاء إما لجهله، أو لقلة أمانته، والأخبـار التـي تدل على مدحـه، محمولة على من علم من نفسـه القدرة على القيام بالقضـاء، لعلمه وأمانته، وقد بعث النبي صـلى الله عليه وسلم عليـاً ومعاذاً رضـي الله عنهما قاضـيين إلى اليمن. روي عـن علي بن أبي طالب رضـي الله عنه أنه قال: (بعثني رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضـياً فقلت: يا رسول الله إنك ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضـاء، قال: إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. قال: فما شـككت في قضاء بعد)[3]. وروي معاذ بن جبل رضي الله عنـه، أن نبـي الله بعثه إلى اليمن فقال له: (كيف تقضـي إن عرض لك القضـاء؟ قال: أقضـي بمـا في كتاب الله. قال: فـإن لم يكن ذلك في كتاب الله؟ قال: أقضـي بسـنة رسـول الله، قال: فإن لم يكن ذلك في سنة رسول

(1) متفق عليه.
(2) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.
(3) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.

الله؟، قال: أجتهد رأيي ولا آلوه، قال: فضرب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم صـدره بيده وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله)[1]. وولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه شريحاً قضاء الكوفة، وكعب بن سوار قضاء البصرة، وكتب إلى أبي عبيدة ومعاذ يأمرهما بتوليه القضاء في الشام. ولئن تجاوزت عن الكثير فلن أستطيع الإعراض عن إيراد خطاب عمر رضـي الله عنه إلى أبي موسـى الأشـعري والـذي يقول عنه الإمام ابـن القيم رحمه الله: (إنه كتاب جليل تلقـاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه).

عـن أبـي العوام قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسـى (أما بعد: فإن القضـاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحـق لا نفاذ لـه، آس الناس في مجلسـك وفي وجهك وقضـائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضـعيف من عدلك، البينة على المدعي، واليمين على من أنكر، والصـلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، ومن أدعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه، فإن بيَّنه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك اسـتحللت عليه القضـية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر وأجلى للعماء، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشـدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التعادي في الباطل. والمسـلمون عدول بعضهم على

(1) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وقال عنه محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح: إسناده ضعيف وإن احتجوا به في أصـول الفقه، فقد صرح بتضـعيفه أئمة الحديث كالبخاري والترمذي والدار قطني وعبدالحق الأشـبيلي وابن الجوزي والعراقي وغيرهم.

بعض، إلا مجرباً عليه شهادة زور، أو مجلوداً في حد، أو ظنينا في ولاء أو قرابة، فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والإيمان، ثم ألفهم، الفهم فيما أدلي إليك، مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قس الأمور عند ذلك، وأعرف الأمثال، لم أعمد فيما ترى إلى أحبّها إلى الله، وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر، والتأذي بالناس، والتنكر عند الخصومة، أو الخصوم – شك أبو عبيد – فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيته في الحق، ولو على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس في نفسه، فإن الله تعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصاً، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه، وخزائن رحمته، والسلام عليك ورحمة الله).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية (وهو أمير الشام) (أما بعد: فإني كتبت إليك في القضاء بكتاب لم آلك فيه ونفسي خيراً، فالزم خصالاً يسلم دينك، وتأخذ بأفضل حظك عليك، إذا حضر الخصمان فالبيّنة العدول، والإيمان القاطعة، أدن الضعيف حتى يحتوي قلبه، وينبسط لسانه، وتعاهد الغريب، فإنه إن طاب حبسه ترك حقه، وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقه، من لم يرفع به رأساً، واحرص على الصلح بين الناس، ما لم يستبن لك القضاء).

وعن عمر بن قيس قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة: (أما بعد: فإن رأس القضاء إتباع ما في كتاب الله، ثم القضاء بسنة رسول الله، ثم حكم الأئمة الهداة، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم، وألا تؤثر أحداً على أحد، وأن تحكم بين الناس وأنت تعلم ما تحكم بهن ولا تقس،

فـإن القائسـ في الحكم بغير العلـم كالأعمى الذي يعشـو في الطريق ولا يبصر، فإن أصـاب الطريق أصـاب بغير علم، وإن أخطـأه فقد نزل بمنزلة ذاك، حين أتى بما لا علم له فهلك، وأهلك من معه، فما أتاك من أمر تحكم فيه بين الناس لا علم لك به، فسـل عنه من يعلم، فإن السـائل عما لا يعلم من يعلم، أحد العالمين).

ويجدر بي بعد ذلـك وأنا اقلب الطرف في هذه الكنوز النادرة من عالم الأئمة الكرام وصـدقهم، وحرصهم على إيصال الحق إلى أهله، والتحري واليقين قبل الفصـل بين الناس.. أن أعرض إلى الرسـالة الجامعة التي بعث بها أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم، وجواب أمير المؤمنين لهما عليها.. قالا:

(بسـم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بـن الجراح، و معاذ بن جبل، إلى عمـر بن الخطاب، سـلام عليك.. فإنا نحمد إليـك الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد) فإنا عهدناك وأمر نفسـك لك مهم، فأصـبحت وقد وليت أمـر هذه الأمة، أحرمها وأسـودها، يجلس بين يديك الصـديق، والعدو، والشريف والوضـيع، ولكل حصّـته من العدل، فانظـر كيف أنت يا عمر عنـد ذلك، وإنا نحذرك يوماً تعنو فيه الوجوه، وتجب له القلوب، وتنقطع فيـه الحجج، بحجة ملـك قهرهم بجبروته، والخلق داخـرون له، يرجون رحمته، ويخافون عقابه، وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانهـا، أن يكون إخـوان العلانية أعداء السريرة، وإنـا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا سـوى المنزل الـذي نزل من قلوبنا، فإنا إنما كتبنا إليك نصـيحة لك والسلام). فكتب إليهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول:

(بســم الله الرحمــن الرحيم من عمر بــن الخطاب إلى أبــي عبيدة عامر بــن الجراح ومعــاذ بن جبل – ســلام عليكما: أحمد إليكمــا الله الذي لا إلــه إلا هو (أما بعد) فقــد جاءني كتابكما، تزعمان أنــه بلغكما أني وليت أمر هذه الأمة، أحمرها، وأســودها، يجلس بين يدي، الصديق، والعدو، والشريف، والوضيع، وكتبتما تحذراني ما حذّرت به الأمم قبلنا، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس، يقرّبان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود، حتى يصــير الناس إلى منازلهم، من الجنة أو النار، ثم توفي كل نفس بما كســبت، إن الله سريع الحســاب. كتبتما تزعمان أن أمر هــذه الأمة يرجع في آخر زمانها، أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بذاك، وليس هذا ذلك الزمان، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبــة، وكتبتما تعوذان بــالله أن أنزل كتابكما مني ســوى المنزل الذي نزل من قلوبكما وإنما كتبتما نصــيحة لي وقد صــدقتما، فتعهداني منكما بكتاب، ولا غنى بي عنكما، والسلام عليكما).

جهات القضاء في المملكة

المحاكم الشرعية هي الجهة القضائية الأساسية في المملكة ولها الولاية العامة في الفصل في المنازعات والجرائم.

وهناك نوع آخر من القضاء يستمد أصوله من ولاية المظالم التي بيّن أحكامها فقهاء المسلمين.. ويباشر هذه الولاية في المملكة ديوان المظالم.

وقد نصّت بعض النظم التي صدرت في المملكة على تشكيل هيئات خاصة للفصل في المنازعات التي تحكمها هذه النظم ومن هذه الهيئات:

- هيئة حسم المنازعات التجارية.
- لجنة مكافحة الغش التجاري.
- لجنة الأوراق التجارية.
- الهيئة الخاصة بتطبيق العقوبات المنصوص عليها في نظام الوكالات التجارية.
- اللجنة المختصة بنظر مخالفات المعايير والمقاييس.
- اللجنة القضائية للتموين.
- لجان العمل وتسوية الخلافات العمالية.

ولا شك أن تعدد جهات القضاء على هذا النحو، أمر غير مرغوب فيه، ولذلك فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم 236 في 1398/3/21هـ ويقضي بتشكيل لجنة برئاسة سمو وزير الداخلية وعضوية كل من: وزير العدل ووزير العمل والشؤون الاجتماعية ووزير التجارة ورئيس ديوان المظالم ورئيس شعبة الخبراء لبحث ما يتعلق بتوحيد مهام الهيئات القضائية في جهة واحدة.

ثم صدر قرار مجلس الوزراء رقم 176 وتاريخ 1401/9/14هـ وينص على ما يأتي:

أولاً: إنشاء محاكم متخصصة، تفصل في المنازعات التجارية والعمالية، والمرورية، طبقاً للأنظمة، والتعليمات التي أصدرها ولي الأمر، وبما لا يتعارض مع نص من الكتاب والسنة أو الإجماع.

ثانياً: أن يتم اختيار القضاة الذين يكلفون بالعمل في المحاكم التجارية والعمالية والمرورية، خلال ساعات الدوام الرسمي، من بين القضاة العاملين في المحاكم.

ثالثاً: أن يخصص في محكمتي التمييز بالرياض ومكة المكرمة دائرتان لتمييز الأحكام الصادرة من المحاكم التجارية والعمالية والمرورية.

رابعاً: تدرس الأنظمة السعودية في المعهد العالي للقضاء وفي كليات الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الملك عبدالعزيز.

خامساً: تشكل لجنة من وزارة الداخلية ووزارة العدل ووزارة التخطيط ووزارة التجارة ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة المالية والاقتصاد الوطني والديوان العام للخدمة المدنية وشعبة الخبراء، لتقوم تحت إشراف وزير العدل باقتراح ما يلزم لتنفيذ ما ورد في هذا القرار من قواعد تنظيمية وإجراءات قضائية وإدارية، وتقدير ما يتطلبه ذلك من اعتمادات مالية ووظائف قضائية وإدارية، على أن يشترك مع اللجنة عند بحث موضوع تدريس الأنظمة مندوب من الجامعات ذات العلاقة يعينه وزير التعليم العالي.

وعلى هذه اللجنة أن تنهي مهمتها خلال سنة من تاريخ هذا القرار، وأن تكون توصياتها ومقترحاتها متضمنة لبرنامج زمني يتم خلال تحقيق ما ورد في هذا القرار.

سادساً: يقوم وزير العدل برفع تقرير عما قامت به اللجنة المذكورة في المادة (خامساً) من أعمال خلال سنة من تاريخ هذا القرار إلى رئيس مجلس الوزراء.

ولما كانت هذه الهيئات ذات الاختصاص القضائي في طريقها إلى الزوال فقد رأيت الإشارة إليها دون أن أعرض لبيان كيفية تشكيلها واختصاصها واقتصرت على الحديث بشيء من التفصيل عن نظام القضاء الشرعي وديوان المظالم.



القضاء الشرعي

- تطور القضاء الشرعي
- المحاكم
- رجال القضاء
- إجراءات التقاضي



تطور القضاء الشرعي

- قبل تدوين النظم
- بعد تدوين النظم



الحديث عن تطور القضاء في المملكة يقتضي التفرقة بين مرحلتين: الأولى: قبل تدوين النظم، والثانية – بعد تدوينها.

القضاء قبل تدوين النظم

كان نظام التقاضي في هذه المرحلة يختلف في نجد عنه في الحجاز، وفيما يلي كلمة موجزة عن ذلك.

أولاً: القضاء في نجد

إن المتحدث في أي شأن من شؤون هذه المملكة الفتية، يجد نفسه مضطراً إلى إيراد لمحة تاريخية خاطفة من ابتداء تكوينها، وكيف تم إطلاق هذا الاسم عليها.. فلقد شاء الله لجلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله – أن يغادر الكويت في عام 1319هـ قاصداً الرياض، في أربعين من رجاله – واستولى عليها في ظروف جريئة ودقيقة، وأخذ بعدها يجمع شتات الجزيرة العربية، لتوحيدها، وضمها إلى المملكة الحديثة. وتم له ذلك في تفصيل أورده المؤرخون في كتبهم، لكن ما يعنيني هنا هو (حالة القضاء في نجد). وقبل أن أتعرض لهذه الناحية بالبحث يحسن بي أن أشير إلى العوامل التي تكتنف القضاء هناك، فلقد كان متأثراً إلى حد كبير بالعوامل التالية:

1– البيئة الطبيعة الخالية من التعقيد والمشاكل، والتي جعلت من الصراحة والوضوح، السمة المميزة لأبنائها، وهم في ذلك إنما يعكسون مظاهر تأثرهم بيئتهم الواضحة السهلة.

2- قـوة الـوازع الديني لديهـم، وتمكنه من نفوسـهم، الأمر الذي بدا واضـح الأثـر في إقدامهم وثباتهم عند اللقاء، وفي جنوحهم للصـدق في المعاملة، وبالتالي عدم خضوعهم لنزعة التعدي أو الاغتصاب.

3- كأثر مباشر للبساطة والوضوح اللذين يلازمان الحياة الطبيعية البعيدة عن مشـاكل الحضـارة وتعقيدها، وكنتيجة حتمية لتمكين الوازع الديني مـن النفوس والقلوب، فقد انتفت من مجتمعهـم أو كادت، تلك الظاهرة الخطيرة التي تفتك بالضـمائر والذمم، وتقضـي على المثل والمبادئ، وهي (شـهادة الزور) والتي حاربها الإسـلام في غير هـوادة، ليحمي بانتفائها الرابطة التي تشد السلم إلى أخيه، وليساعد على فعاليتها ونمائها.

وليس فينا من يجهل الأثر السـيئ الذي يسـتتبع انتشـار ظاهرة قول الزور والشـهادة في أي مجتمـع، إذ هو يدفـع بالعناصر الفاسـدة المنحرفة في ذلك المجتمـع، إلى تطبيـق مبـدأ الاعتداء والاغتصـاب، ولها بعد ذلـك ما يقوي انحرافهـا أو يبرره من وجهة النظر الخارجية، بما تجهزه ممن وقف نفسـه، في وقاحة ودناءة، ليمكن شـهادة باطلة، لكل إجراء غاشـم وشـاذ، ولينتزع في جرأة عجيبة على كل القيم والمثل، حقوقاً طبيعية من أهلها الشرعيين، ليضعها في أيدي غيرهم ممن لا يدنيهم إلى حيازتها وامتلاكها سبب قريب أو بعيد.

4- وكمـا (أن الناس على دين ملوكهـم) فقد عرف الناس مدى إعزاز ملوك هذه الجزيرة وسكانها، لرجال الشرع والقضاء ووضعهم في المكان اللائـق بهـم ويعلمهم، فلسـت تراهم بينهـم إلا ولهم الرأي المسـموع، والقول النافذ. (وإخلاص الولاة) للمبدأ الكبير، الذي أخذوا على عاتقهم نشـره وتأييـده، وهو (إعـزاز ديـن الله) وتحكيمه في كل شـؤون حياتهم

العامة والخاصـــة، أوجد في نفوس رعاياهم، مبدأ الاحترام والهيبة لرجال العلــم، والاطمئنان والثقة بهم، فيلجأون إليهم في غير مشــاكل القضــاء، لاســتفتائهم وطلب مشــورتهم، وتبعاً لذلك فقد يجد الفرد من الناس في اختصاصــه مع أخيه، لدى عالم البلدة أو قاضيها، أمراً بالغ الحرج، حشية أن يؤدي ذلك إلى إضعاف المكانة التي يأمل بلوغها في نفس ذلك القاضي أو العالم، وأنا إذ عبر هنا بلقب (العالم) بجانب لقب القاضــي، فلا أعني به تجرد الأخير من العلم، لكنني أشــير به إلى إمكان وجود علماء أفاضــل لهم مكانتهم في النفوس والقلوب ممن ليســوا (بقضــاة) وإلا فالواقع الطبيعي ينفي الاستحقاق للقضاء عمن لم يضرب في العلم بسهم وافر.

5- ونظراً إلى أن كتاب الله تعالى وســنة نبيه عليه السلام، هما الأصلان اللذان يرجع إليهما عند التحاكم، وبهما يكون الفصل في المنازعات، فإن مــن الطبيعي والحالة كذلك أن نرى الدولة، تضــع علمــاء الشريعة وفقهاء الديــن، في المنزلــة الأولى، والمكانــة الاعتباريــة، لأنهم وفــروا جهودهم وعزائمهــم، على دراســة دين الله واســتيعاب أحكامــه وتشريعاته، وهم يعلنــون بمــا عرفوه وعلموه في ديــن الله لهم - حكم الله ورســوله - فيما ينتهي إليهم، لتتطامن النزعات الإنسانية، والدوافع الفطرية ويعود الجميع (في رضا واطمئنان) إلى حكم الله ورسوله.

من يختار القضاة

يتولى ملــك البلاد أو نائبــه، اختيار من تتحقق لــه كفاءتهم من الوجهة العلمية، ليلزمهم بقضــاء الجهــات التي يختارها لهم. والقضــاء وإن كان

مظهراً طبيعياً من مظاهر الحكم، إلا أن له اعتباره في الوجهة الشرعية، التي تمنع نفاذ أحكام القاضي الشرعي، ما لم يكتسب حق (التولية) التي يملكها الحاكم أو نائبه.. والتي قد يلجأ، عند اقتضاء المصلحة، إلى تخصيصها بحد معين أو قضايا محصورة، أو يدعها مطلقة لتشمل كل أنواع الأحكام التي ترفع إليه.. وكثيراً ما تقابل رغبة الحاكم (بالاعتذار)، الذي قد يتخذ شكل الإصرار والعزيمة.. والذي يدفع إليه غالباً ورع المرشح وحرصه على براءة ذمته، وظنه بنفسه أن يخدعها شيطانها، فتنزل في مهاوي الانحراف، فيخسر الدنيا والآخرة.. ويصر (الحاكم) على رأيه لتنتهي هذه المشادة الطريفة إما باقتناع الحاكم بالعدول عنه إلى غيره، أو بإلزامه له بإنفاذ ما عهد به إليه.

والقاضي بعد ذلك لا يميزه عن غيره مظهر أو هيئة.. فهو على ما اعتاده الناس منه، يقضي بين المتخاصمين في داره حيث يسكن، فهي (داره) ومجلس قضائه، والناس يقصدونها في أغلب ساعات النهار والليل. فالساعة التي يلتقي فيها المتظلم بخصمه، أو تحتدم بينهم فيها أسباب المشاحنة، هي التي يختارونها لكي ينطلقوا إلى قاضيهم.. ولا يهمهم في قليل أو كثير، ضرورة إعطاء هذا القاضي ساعات معلومة من النهار والليل، يقضي فيها شؤونه، أو ينال خلالها شيئاً من الراحة.. فهم واقعيون ومن طبيعتهم أنهم يكرهون بشدة كل ما يؤدي إلى تأجيلهم أو إرجاء البت في مشاكلهم.. ولماذا يؤجلهم؟ والقاضي في مفهومهم مفترض فيه شمول العلم والإحاطة، ولن يستعصي عليه معرفة الحق في دعواهم.. ولو جرى منه ذلك، فسيحتاجون إلى معاودة البحث عن خصمهم، وقد

يمتنع عليهم.. فإذاً لا بد للقاضـي من إنجازهم، وحتى يقنعوا قاضيهم بهذا الاتجاه، قد تطول بهم طرق البحث لتنتهي بالتضحية من جانب القاضي، إن كان قدومهـم له في الوقت الذي اختاره لراحته وهدوئه، أو إلزامه لهم بالعودة إليه من الغد وبعدها ينصرف جميعهم.. والقاضـي بعد ذلك، إن كانت القضية المنظورة لديه من قبيل الأملاك المبيعة أو المرهونة والموهوبة، فهو يعمد إلى رصد ما أجراه حيالها، من إقرار البائع أو الراهن أو الواهب، بما باعه أو رهنه أو وهبه ويذكر حدوده، وخلاصـة الحكم فيه بثبوت نوع الحكم، ويحتمه كما ابتدأه، بحمد الله وإيضـاح اسـمه ولقبه، والصـلاة على نبينا محمد صـلى الله عليه وسـلم، ثم يسلمها للمشتري أو المرهون أو الموهوب (صـاحب الحق فيها)، وما لم يكن القاضـي (كفيفاً) لا يبصر فإن كتابة هذه المحاضر أو الصكوك إن جاز لنا أن نطلق عليهما هذين الاسمين أو ما يسـمونها هناك (بالمخاليص) تكون بيد القاضي ويتصرف المتبايعان في امتنان وغبطة.

هذا النوع وغيره من المخاصـمات، يسبقه شخوص المدعي إلى خصمه، وطلبه منه الحضـور لدى (الشرع، أي مجلس القضـاء).. فإن أجابه الخصـم إلى ذلـك فيهـا.. وإلا ذهب المدعي إلى حاكم البلدة إن كان في العاصـمة، أو أميرهـا من قبله في الملحقيات، ليطلب إليه تكليف خصـمه بالانقياد معه لساحة القضـاء.. وصـدر الحاكم أو الأمير تكليفه بأن يبعث معه (مندوباً) من قبله يبلغ المدعي عليه ضرورة الحضـور (للشرع) وإلا فهو يكرهه ويعزم عليـه.. وينقاد (الفريقـان) ومعهما منـدوب الحاكم أو الأمـير، إلى مجلس القاضـي لينظر في ظلامتهما، وبعد الإدلاء إليه بأقوالهما، واتضـاح حقيقة

الخلاف، واستكمال ما يتطلبه استيعاب ظلامتهما، من بينات أو إيمان.. يصدر القاضي (حكمه) مشافهة، فيرضى به الطرفان، وتنتهي مهمة المندوب، أو يعترض (المحكوم عليه) فيقول الحاكم أو الأمير إرغامه على إنفاذ الحكم وإرجاعه إليه.. (فالحاكم) يمثل السلطة التنفيذية يقيم بها رعاياه على الحق، ويحملهم على الصواب، وهو مكمل لسلطة التشريع والقضاء.. فالقاضي يبين حكم الله ورسوله، والحاكم يقيمه ويلزم به ويحمل عليه.

الدفع

وقد يحدث ألاّ يقتنع المحكوم عليه بحكم القاضي - وهذا غالباً - عندما تكون الخصومة في اليمين، فيطلب إلى القاضي في صراحة وجرأة، أن يحيلهم إلى غيره من القضاة، لأنهم لا يرتضون حكمه، ولهم تعبير يطلقونه على الإحالة وهو (الدفع) يطلبون إليه دفعهم إلى غيره.. وقد يجيبهم القاضي إلى طلبهم. فيحرر لهم في ورقة ما أدعيا به، وما ظهر له، وما طلبا من الإحالة إلى غيره، ويعين ذلك الغير إن حدد له شخصاً بعينه، أو يطلقها إلى من يراه.. وينصرف بها الخصماء. وقد يرفض القاضي طلبهم لعدم بيان وجاهته له، فيلجأون إلى الحاكم ملتمسين منه الأمر بإحالتهم إلى غيره وقد يجيبهم الحاكم إلى ذلك بإشعار القاضي بإحالتهم.. أو قد لا يجيبهم ومن ثم فهو يلزمهم بحكمه ويحملهم عليه..

حكام الدماء

وعندما توجد قضية وبها قتيل أو أكثر، فإن كانوا بمقر الحاكم الرئيسي لجأوا إليه، ويحيلهم بمندوبيه إلى القاضي أو القضاة الذين يختارهم، ليحكموا فيها بما يتراءى لهم - وهو يتولى إنفاذ حكمهم. وإن كانوا في

غير مقر الحاكم الرئيسي، فالغالب أن يشخص إليه في مقره (أولياء الدم) ويعرضون عليه ظلامتهم، والحاكم قد يستدعي القاتل أو - المتهم بالقتل - إلى حيث يقيم ليحيله إلى رجال القضاء أو قاضي البلدة، إن رأى الاكتفاء به.. وقد يكتفي بإيفاد مندوبين معهم إلى القاضي الذي وقع التعدي في بلده وولايته، لينظر بينهم ويرفع إليه بما يراه..

فأنت ترى بعد ذلك كله، أن مرجع الفصل في كل خصومة (شرع الله) والقول فيها (للقائمين عليه)، من أهل العلم، ورجال القضاء، والحاكمون في كل ذلك، يصدرون في أعمالهم وتشريعاتهم، بل وحتى في الأمور التي يستدعي القيام بها الأمن العام للدولة، عن رأي (العلماء) الذين كانوا لا يألون نصحهم وإخلاصهم لحاكمهم، وتذكيره وإيضاح ما خفي عليه أمره. في مظهر كريم للتعاون الصادق المخلص بين العلم والهدى، وبين السيف والسنان.. ولئن شاء الله لهما أن يسيرا في هذا الاتجاه الصائب: الإخلاص والصدق من العلماء.. والقبول والتجاوب من الحكام والولاة، فإنهما سيحققان بهذا التعاون المثمر، إيجاد مجتمع تسوده العدالة، وينعم أفراده بالاستقرار، والأمن على كرامتهم، وأعراضهم وممتلكاتهم، وهكذا كان.. والمتتبع لأقوال المؤرخين المعاصرين وغيرهم، يلمس إحساسهم بهذه الظاهرة الحميدة.. ألا وهي تعاون رجال العلم مع رجال الحكم، في نشر تعاليم الإسلام وإقامة حدود الشريعة السمحة، دون تفريق أو تمييز.

هكذا كانت حالة القضاء بنجد، وكلما انضم إلى القافلة جزء من وطننا الكبير، جرى على النحو الذي سبقه إليه غيره، في القضاء والحكم والهدف.

ثانياً: القضاء في الحجاز

وفي عام 1343هـ انضم الحجاز إلى شبه الجزيرة، وكون مع نجد وملحقاتها ما يطلق عليه حالياً اسم (المملكة العربية السعودية). وكانت (محاكم الحجاز) تختلف عن مثيلاتها في نجد فبينما كانت الأخيرة كما أوضحنا، نجد (الحاكم) هنا تتمتع ضبط غير قليل من التنظيم الإداري، وتأخذ أوضاعاً وأشكالاً تخالف ما عرضنا عنه في نجد، كالتسجيل، ورصد أقوال المترافعين، وتقسيم الدعاوي باختلاف أنواعها.. ولعل مرجع ذلك فيما يظهر، تأثر الحجاز بالحكم العثماني، الذي نقل (ولاته) إليه المظاهر التنظيمية للقضاء القانوني السائد هناك، كجزء من سياستهم تجاهه.. وكان بمكة المكرمة (محكمة) رئيسية كبرى، تضم رئيساً وثلاثة نواب، هم بمنزلة أعضاء للمحكمة، كل واحد منهم يمثل مذهباً من المذاهب الإسلامية المشهورة، تحال إليه قضايا الأوقاف والزوجية، والتي يتطلب البت فيها، سوق ما صح من أقوال ذلك المذهب.. وفي أوائل العهد السعودي ظلت المحاكم على منوالها، لولا ما طرأ عليها من التغير الشكلي في إجراء التناقل بين قضاتها، وإبدال بعضهم، وكذا طريقتهم في دراسة القضايا وتمحيصها، إذ أصبح لزاماً عليهم عند النظر في مشكل القضايا، أن يجتمعوا لدراستها، وتمحيصها بغية التحري وإصابة الحق.

وكان النظام السائد يومها في المحاكم هو (القانون العثماني) يوضح ذلك لنا الإرادة السنية المبلغة إلى النيابة العامة تحت رقم 166 في 1345/12/27هـ والتي تقول: (إن أحكام القانون العثماني ما زالت جارية إلى الآن، لأننا

لم نصـدر إرادتنا بإلغائها، ووضع أحكام جديدة مكانها. ولذا نوافق على اقتراحكم بشـأن اسـتمرار أحكام ذلك القانون، ونطلب منكم أن تبلغوا رئاسة القضـاة والحكام الإداريين بالملحقات، بضرورة الامتناع عن إجراء إفـراغ العقار إلى الأجانـب وتوقيف الإجراءات المعروضـة الآن أمامها. أما المعاملات التي جرت سـابقاً، فمن الضروري إحضـار كشف مفصل يحتـوي مواقعها، وأسـماء أصـحابها، وتواريخ فراغهـا، لنرى ما يجب اتخاذه بشأنها).

القضاء بعد تدوين النظم

في اليوم الرابع من شـهر صفر عام 1346هـ صدر المرسوم الملكي المتعلق بأوضـاع المحاكم الشرعية وتشـكيلاتها، والذي يعتبر ناسخاً للتعليمات العثمانية وملغياً لها وكان (الفصل الأول) منه في تشكيل المحاكم الشرعية ووظائفها ويقضي بأن تنشأ في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة المحاكم الآتية:

أ – محكمـة الأمـور المسـتعجلة الأولى، وتنظـر في الجنـح والتعزيرات الشرعيـة، والحدود التي لا قطـع فيها ولا قتل. وفي الدعـاوى المالية التي لا تزيد عن ثلاثين جنيهاً، وأحكامها لا تقبل النقض ما لم تخالف نصـاً أو إجماعاً.

ب – محكمة الأمور المسـتعجلة الثانية وتنظـر في أمور البادية وما يتعلق بها، وتكون صـلاحيتها كالمحكمـة المسـتعجلة الأولى، وذلك فيما عدا العقار حيث إنه من اختصاص المحكمة الشرعية الكبرى.

ج – المحكمة الشرعية الكبرى، تنظر في جميع الدعاوي التي تقدم لها، مما هو خارج عن اختصاص المحاكم المستعجلة، وقبل الحكم يجتمع قضاة المحكمة كلهم لإصدار الحكم بموافقتهم جميعاً أو بالأكثرية، هذا في غير الدعاوي التي يكون فيها قتل أو قطع، فإنها لا تنظر ابتداء إلا بحضور هيئة المحكمة أما في سائر الملحقات فيقوم بسائر الأحكام قاض واحد.

ونص على أن تؤلف هيئة للمراقبة القضائية، تكون وظيفتها الإشراف على سائر المحاكم الشرعية والتفتيش من حين إلى آخر، على سير القضايا، وتدقيق الإعلامات الصادرة، ونقضها، وإبرامها، وإعادة القضايا التي نقض حكمها، إلى المحكمة التي صدر منها الإعلام، ليعمل ما يجب نحوه، من إعادة المحاكمة، أو غيرها. ومن الضروري أن نبين هيئة المراقبة القضائية، أسباب نقضها مع الأدلة، وعلى كل قاض، إذا خالف الحكم الصادر بالأكثرية، أن يبين مخالفته بالدليل.

وحدد وظائف هيئة المراقبة فيما يلي:

أ – النظر في جميع الحدود الشرعية ما عدا حدي الشرب والقذف.

ب – النظر في المنازعات المالية إذا طلب أحد المتداعين عوضها عليها وذلك في القضايا التي لا يكون الحكم فيها مبنياً على الإقرار.

ج – النظر في الأحكام التي تمس حقوق المحجور عليه لصغر أو غيره، وكذلك الأحكام التي تمس حقوق الوقف.

د – المراقبة على المعارف، والمحاكم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

هـ – الإفتاء في المسائل التي لا يرجع النظر فيها إلى المحاكم الشرعية.

و – إرشاد قضاء المحاكم إن الحكم، إذا رفعوا للهيئة قضية اختلفوا فيها،

ولم تحصل أكثرية فيها، وذلك لاستفتاء الهيئة في تلك القضية قبل الحكم.

وإذا اختلفت هيئة المراقبة في ذلك الحكم، ولم تحصل على أكثرية يعرض الأمر على الحكومة.

ووضعت بعد ذلك في (الفصل الثالث)، تعليمات لإسراع البت في القضايا.

ثم في يوم 24 صفر عام 1346هـ صدر مرسوم ملكي يعتبر إلحاقاً للمرسوم الصادر في 4 صفر من العام نفسه والقاضي بتشكيل لجنة المراقبة على النحو الذي سلف، ويقضي هذا المرسوم الأخير بتخويل لجنة المراقبة حق الإشراف على معاملات المحاكم، والمعارف، وهيئة الأمر بالمعروف على النحو التالي:

المحاكم:

1- في حالة الخلاف بين الأعضاء في المسائل الواقع فيها التقاضي.

2- في حال شكاية أحد الخصوم وتظلمه من الأحكام التي صدرت من المحكمة.

3- إذا علمت هيئة المراقبة أن هناك إجراءات في المحكمة، تجري على غير النهج الشرعي، وإذا وقع اختلاف في الرأي أو في وجهة النظر بين المحكمة الشرعية، وهيئة المراقبة يرجع إلينا للفصل فيه.

المعارف:

1- الإشراف على هيئة المعارف في أمر مراقبة التدريس والكتب، وسائر المناهج التي يقررها مجلس المعارف.

2- تنبيه المعارف إلى المسائل التي تكون فيها مخالفة للمسائل الشرعية.

هيئة الأمر بالمعروف:

1- تنبيــه الهيئة في حال تجاوزها العـرف الشرعي، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- مراقبتهـا في سـيرها، وحضـها علـى الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، وإذا وقع اختلاف في الرأي أو في وجهة النظر فالمرجع إلينا.. على أن كل دائرة من الدوائر لها تمام الحرية في السـير على الأنظمة المصدقة من قبلنا فيما عدا هذه المواد.

ثم في التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام 1346هـ صدر قرار مجلس الشـورى رقم 32 بما نصـه: (لا وجه لامتناع المستعجلة الأولى من النظـر في جميع دعاوي السرقة والتهم، فإذا ظهر بعد ذلك أنها تصـل إلى القطع أو القتل، تحال إلى المحكمة الشرعية الكبرى لإجراء الإيجاب).

وفي الشـهر الرابع هذا العام 1347هـ صدرت بعض التعليمات الإضافية والملحقة باختصاصـات كل من المستعجلة الأولى بمكة والمحكمة الشرعية الكبرى بها.

وفي عام 1349هـ وإنفاذاً للإرادة الملكية الصادرة بتاريخ 25-3-1349هـ فقد قرر مجلس الشورى بقراره رقم 303 في 1349/7/2هـ ما يأتي:

للمحكمة المسـتعجلة الثانية الحق في رؤية جميع الدعاوى الآتية المتعلقة بشؤون البادية فيما بينهم وهي:

أ - الدعاوي المتعلقة بالحقوق والتجارة والزراعة.

ب - الدعاوي المتعلقة بالعقار العائد للبادية.. إلخ.

وفي عام 1350هـ صدر قرار مجلس الشورى رقم 671 في 1349/12/13هـ

المصدق في تاريخ 1350/1/6هـ ببعض التعليمات المتعلقة بما يجب إجراؤه في حالة تغيب الخصوم أو أحدهم.

وفي شهر صفر من هذا العام 1350هـ صدرت بعض التعليمات الإلحاقية بما هو من اختصاص المستعجلة الثانية.

ثم في نفس هذا الشهر من العام نفسه صدر نظام سير المحاكمات الشرعية الذي يوضح للقضاة طريقة السير في المحاكمات وما يرتبط بذلك من كيفية جلب الخصوم وما يعمله الحاكم عند امتناع أحدهم أو طلب إمهاله وتخويل رئاسة القضاة، بعد تشكيلها، صلاحية تدقيق الأحكام وتمييزها.

تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي

وفي عام 1357هـ صدر نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي بالأمر السامي رقم 3/1/32 في 1357/1/4هـ، وظل معمولاً به حتى أوائل عام 1372هـ، ففي 1372/1/24هـ صدر نظام جديد بنفس المسمى برقم 109، ويتكون النظام الأخير من نفس الأبواب التي كان يتكون منها النظام القديم مع تعديل في بعض أحكامها وهذه الأبواب هي:

الباب الأول: رئاسة القضاة

وقد بين اختصاصات كل من رئيس القضاة والمعاون الأول والمعاون الثاني وهيئة تدقيق الأحكام الشرعية.

الباب الثاني: تفتيش المحاكم الشرعية.

الباب الثالث: قضاة المحاكم الشرعية.

وقد ذكر المعنى المراد من مسمى: رئيس المحكمة - قاض - المعاون - نائب القاضي - قاضي المستعجلة الأولى - قاضي المستعجلة الثانية - قاضي المستعجلة فقط. كما أورد صلاحيات واختصاصات كل من رئيس المحكمة الكبرى والقاضي ومعاون رئيس المحكمة ونوابها - ونائب القاضي - وقاضي المستعجلة الأولى - وقاضي المستعجلة الثانية - وقاضي المستعجلة.

الباب الرابع: كتاب المحاكم الشرعية.

الباب الخامس: المحاضرة (المحضرون وهم الذين يتولون إشعار الخصوم وجلبهم).

الباب السادس: كتاب العدل.

الباب السابع: دوائر بيت المال.

الباب الثامن: مواد عمومية.

تنظيم الأعمال الإدارية

وفي هذا العام نفسه 1372هـ صدر تنظيم الأعمال الإدارية بدوائر الشرع والقضاء مصدراً بالخطاب الموجه من جلالة الملك سعود (إبان ولايته للعهد قبل وفاة والده غفر الله له) إلى أخيه الأمير فيصل برقم 109 في 1372/1/24هـ وهذا نصه: (إلى حضرة الأخ المكرم فيصل بن عبدالعزيز سلمه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فتسهيلاً لأعمال القضاء والمحاكم الشرعية في البلاد، فقد أعدنا النظر في النظم السابقة المعمول بها في رئاسة القضاة، وفي المحاكم والإدارات الشرعية، فرأينا ضرورة إلغاء نظام المرافعات السابق، رغبة منا في تنفيذ الأحكام الشرعية، حسبما يأمر به الشرع بدون تغيير أو

تأخير أو تبديل، وإبداله بتعليمات إدارية من شأنها تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية. وهذه التعليمات مشفوعة لكم مع هذا لنشرها في الصحف المحلية، وطبعها في كراسات توزع على جهات الاختصاص، وتعميد الجهات المختصة باعتمادها، والعمل بموجبها من تاريخ نشرها، وعليكم أن تؤكدوا على الجهات المختصة، بوجوب تنفيذ جميع الأحكام الشرعية الصادرة من المراجع المعتبرة حال صدورها بدون تأخير، نسأل الله أن يوفق الجميع لكل ما فيه الخير والسداد والسلام عليكم ورحمة الله) سعود.

وسترد أحكام هذا النظام عند الحديث عن إجراءات التقاضي أمام المحاكم الشرعية.

كادر القضاة

وصدر بعد ذلك المرسوم الملكي م 1 وتاريخ 1387/1/12هـ بالموافقة على كادر القضاة وقد حدد درجات السلك القضائي بما يأتي:

ملازم قضائي، قاضي ج، قاضي ب، قاضي أ- وكيل محكمة ب، وكيل محكمة أ، رئيس محكمة ب، رئيس محكمة أ- قاضي تمييز، رئيس هيئة التمييز - وذكر المؤهلات التي تشترط لشغل كل درجة من درجات السلك القضائي، وبيّن أن رئيس هيئة التمييز يختار من بين قضاة التمييز بالأقدمية المطلقة.

ونص على أنه فيما عدا ما نص عليه في النظام، يتمتع أعضاء السلك القضائي بالحقوق والضمانات المقررة في نظام الموظفين العام، ونظام التقاعد، ويلتزمون بما جاء في النظامين المذكورين من واجبات لا تتعارض مع طبيعة الوظيفة القضائية، كما نص على تشكيل هيئة يشار إليها باسم

المجلس، وتتكون من رئيس القضاة، ورئيس هيئة التمييز، وأحد قضاتها، وثلاثة من رؤساء المحاكم الكبرى. ويختص هذا المجلس بالأمور الآتية:

أ - اقتراح التعيين والترقية في السلك القضائي.

ب - تأديب أعضاء السلك القضائي.

ج - اقتراح إحالة أعضاء السلك القضائي للتقاعد.

د - نقل أو إعارة أعضاء السلك القضائي واقتراح نقلهم وندبهم حسب الحالات.

هـ - النظر فيما يقدمه أعضاء السلك القضائي من تظلمات في التقارير التي تقدم بشأنهم إذا كان تقدير العضو أقل من المتوسط.

ونص على أنه لا يجوز نقل أعضاء السلك القضائي أو ندبهم في داخل السلك القضائي إلا بقرار من المجلس. كما لا يجوز نقل أعضاء السلك القضائي أو ندبهم أو إعارتهم خارج السلك القضائي إلا بأمر ملكي بناء على قرار من المجلس. وتضمن هذا النظام نصاً باعتبار وظائف كاتب عدل ورئيس كتاب الضبط من الوظائف الملحقة بالسلك القضائي - وأورد الشروط الواجب توافرها فيمن يشغلها.

نظام القضاء

وفي 1395/7/4هـ صدر المرسوم الملكي رقم م/64 بنظام القضاء وقد عدل بالمرسوم رقم م/76 في 1395/10/14هـ وبالمرسوم رقم م/4 في 1401/3/1هـ.

ونعرض فيما يلي أحكام القضاء الشرعي على ضوء النظم المعمول بها.

المحاكم

- الولاية العامة للمحاكم
- ترتيب المحاكم واختصاصها
- ارتباط المحاكم بوزارة العدل



الولاية العامة للمحاكم

تنص المادة 26 من نظام القضاء على أن المحاكم تختص بالفصل في كافة المنازعات والجرائم إلا ما يستثنى بنظام – وتبين قواعد اختصاص المحاكم في نظامي المرافعات والإجراءات الجزائية، ويجوز إنشاء محاكم متخصصة بأمر ملكي، بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى.

وهـذا النص يقرر أن المحاكـم – أي المحاكم الشرعية – هي الجهة ذات الولاية العامة بالفصل في المنازعات والجرائم، وأن أي جهة أخرى قد يعهد إليها نظام بالفصـل في نوع معين من القضـايا، تعتبر جهة قضاء استثنائي، ويترتب على ذلك أن أي نوع من القضـايا، لم يعهد النظام بالفصل فيه إلى جهـة أخرى، يكون الحكم فيه من اختصـاص المحاكـم، باعتبارها الجهة القضائية الأصلية، ذات الولاية العامة.

وأجازت المادة 26 إنشـاء محاكم متخصصة، بأمر ملكي بناء على اقتراح مجلس القضـاء الأعلـى، وهذه المحاكم المتخصصـة، لا تعتبر جهة قضـاء استثنائي، وإنمـا هي محكمـة من المحاكم تتخصـص في نـوع خاص من القضـايا. ويتولى الفصـل في هذا النوع من القضـايا، قضاة تخصصوا في موضـوعه – وتوجد حالياً محكمة متخصصـة بقضايا الأحداث، وأخرى متخصصة بقضايا الأنكحة والضمان.

وقد نص قرار مجلس الوزراء رقم 167 وتاريخ 1401/9/14هـ على إنشاء محاكم متخصصـة تفصل في المنازعات التجارية والعمالية والمرورية، طبقاً للأنظمـة والتعليمات التي أصـدرها ولي الأمر، وبمـا لا يتعارض مع نص

الكتاب والسنة أو الإجماع. وعلى أن يتم اختيار القضاة الذين يكلفون بالعمل في المحاكم التجارية والعمالية والمرورية، خلال ساعات الدوام الرسمي، من بين القضاة العاملين في المحاكم.

وقضى هذا القرار بتشكيل لجنة لتنفيذ ما جاء به على أن تنهي مهمتها من خلال سنة من تاريخ صدوره.. ولكن لم تنه اللجنة مهمتها حتى اليوم.

وإن تخصيص قاض بنظر بعض القضايا دون غيرها أمر عرض له فقهاء الشريعة الغراء وبينوا حكمه وقد جاء في كتاب المغني في هذا الصدد:

(ويجوز أن يولي قاضيي عموم النظر في خصوص العمل، فيقلده النظر في جميع الأحكام، في بلد بعينه، فينفذ حكمه فيمن سكنه، ومن أتى إليه من غير سكانه، ويجوز أن يقلده خصوص النظر في عموم العمل فيقول: جعلت إليك الحكم في المداينات خاصة في جميع ولايتي، ويجوز أن يجعل حكمه في قدر من المال، نحو أن يقول: أحكم في المائة فما دونها، فلا ينفذ حكمه في أكثر منها، ويجو أن يوليه عموم النظر في عموم العمل، وخوص النظر في خصوص العمل).

(ويجوز أن يولي قاضيين وثلاثة في بلد واحد، يجعل لكل واحد عملاً، فيولي أحدهم عقود الأنكحة، والآخر الحكم في المداينات، وآخر النظر في العقار، ويجوز أن يولي كل واحد منهم عموم النظر في ناحية من نواحي البلد، فإن قلد قاضيين أو أكثر، عملاً واحداً، في مكان واحد، ففيه وجهان، أحدهما: لا يجوز، اختاره أبو الخطاب وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي، لأنه يؤدي إلى إيقاف الحكم والخصومات، لأنهما يختلفان في الاجتهاد، ويرى أحدهما ما لا يرى الآخر. والآخر يجوز

ذلك، وهو قول أصحاب أبي حنيفة، وهو أصح إن شاء الله تعالى، لأنه يجوز أن يستخلف في البلدة التي هو فيها، فيكون فيها قاضيان: فجاز أن يكون فيها قاضيان أصليان، ولأن الغرض فصل الخصومات، وإيصال الحق إلى مستحقه، وهذا يحصل فأشبه القاضي، ولأنه يجوز للقاضي أن يستخلف خليفتين في موضع واحد، فالإمام أولى لأن توليته أقوى).

(وقولهم: يفضي إلى إيقاف الحكومات غير صحيح، فإن كل حاكم يحكم باجتهاده بين المتخاصمين إليه، وليس للآخر الاعتراض عليه، ولا نقض حكمه فيما خالف اجتهاده).

دفع الدعوى بنزاع تختص به جهة أخرى

قد يدفع الخصم الدعوى بدفع يثير نزاعاً تختص بالحكم فيه جهة أخرى، وليس من صلاحية المحكمة المعروض عليها النزاع أن تفصل فيه، في حين أن الفصل في هذا النزاع ضروري، يتوقف الحكم في الدعوى الأصلية على البت فيه. وقد عالجت المادة 28 من نظام القضاء هذه الحالة فنصت على أنه:

(إذا دفعت قضية مرفوعة أمام المحكمة، بدفع يثير نزاعاً تختص بالفصل فيه جهة أخرى، وجب على المحكمة، إذا رأت ضرورة الفصل في الدفع قبل الحكم في موضوع الدعوى، أن توقفها وتحدد للخصم الموجه إليه الدفع ميعاداً يستصدر فيه حكماً نهائياً من الجهة المختصة، فإن لم نر لزوماً لذلك أغفلت موضوع الدفع وحكمت في موضوع الدعوى. وإذا قصر الخصم في استصدار حكم نهائي في الدفع في المدة المحددة كان للمحكمة أن تفصل في الدعوى بحالتها).

ويبين من نص المادة 28 أن للمحكمة المعروض عليها النزاع أن تقرر مدى جدية الدفع، فإن رأت أنه من الضروري الفصل في الدفع حتى يتسنى لها الحكم في الموضوع، قررت وقف الدعوى التي أمامها، وتحدد للخصم مدة يستصدر في خلالها حكماً نهائياً من الجهة المختصة وإذا أهمل الخصم أو تقاعس في استصدار الحكم في الدفع من الجهة المختصة، كان للمحكمة أن تفصل في الدعوى بحالتها.. وإن تعبير المادة بأن للمحكمة أن تفصل في الدعوى بحالتها إذا قصر الخصم في استصدار حكم نهائي في الدفع في المدة المحددة، يفيد أنه إذا كان عدم صدور الحكم النهائي في المدة المحددة لا يرجع إلى تقصير الحكم، وإنما إلى أسباب أخرى حالت دون صدور الحكم في المدة المحددة لا يرجع إلى تقصير الحكم، وإنما إلى أسباب أخرى حالت دون صدور الحكم في الموعد المحدد، فإنه في هذه الحالة لا يحق للمحكمة أن تفصل في الدعوى بحالتها. لأن شرط جواز ذلك هو أن يكون عدم استصدار الحكم بسبب تقصير الخصم.

أما إذا رأت المحكمة عدم جدية الدفع وأنه يمكن الفصل في الدعوى بغير حاجة إلى التعرض لموضوعه فإنها تغفل الدفع وتصدر حكمها في الدعوى.

تنازع الاختصاص

إذا كانت المحاكم هي الجهة ذات الولاية العامة بالفصل في المنازعات والجرائم. فإن هذا لا يمنع من وجود هيئات قضائية أخرى تختص بنظر بعض المنازعات التي يرى ولي الأمر اختصاص هذه الجهات بالفصل فيها، ويخرجها من ولاية المحاكم، ومن أهم هذه الجهات في المملكة ديوان المظالم

الذي صدر نظامه الأخير بالمرسوم الملكي رقم م/15 وتاريخ 1402/7/17هـ.

وتعدد جهات التقاضـي مع إمكان الاختلاف في تفسير النصوص التي تحدد اختصـاص كل جهـة، يمكن أن يؤدي إلى حـدوث تنازع في تحديد الجهة المختصة بالفصل في بعض المنازعات.

وتنازع الاختصاص يكون سلبياً أو إيجابياً، فيكون سلبياً إذا تخلت كل جهة عن نظر النزاع واعتبرته من اختصـا الجهة الأخرى. ويكون التنازع إيجابياً إذا رأت كل جهة أنها هي وحدها المختصة بنظر النزاع.

وقد حرص أولو الأمر على وضـع حل لهذا التنازع، فنصت المواد 29، 30، 31، 32، من نظام القضـاء على تشـكيل لجنة للفصل في هذا التنازع، وبينت إجـراءات رفع الطلب إليها، وأثر رفـع الطلب، وقوة القرار الذي تصدره اللجنة. وفيما يلي الأحكام المتعلقة بتنازع الاختصاص.

لجنة تنازع الاختصاص

قضـت المادة 29 من نظام القضاء بتشـكيل لجنة لتحديد الجهة المختصة بنظر النزاع، سـواء أكان التنازع إيجابياً أم سـلبياً، فنصـت علـى أنه (إذا رفعـت دعوى في موضـوع واحد، أمـام إحدى المحاكم الخاضـعة لهذا النظـام، وأمام أية جهة أخـرى، تختص بالفعل في بعضـ المنازعات، ولم تتخـل إحداهمـا عن نظرهـا، أو تخلتا كلتاهما، يرفع طلـب تعيين الجهة المختصـة إلى لجنة تنازع الاختصاص التي تؤلف من ثلاثة أعضاء، عضوين من أعضـاء مجلس القضـاء الأعلى (المتفرغـين) يختارهما مجلس القضـاء الأعلـى، ويكون أقدمهما رئيسـاً. والثالث رئيس الجهـة الأخرى أو من

ينيبه. كما تختص هذه اللجنة بالفصل في النزاع الذي يقوم بشأن تنفيذ حكمين نهائيين متناقضين صادر أحدهما من إحدى المحاكم الخاضعة لهذا النظام والآخر من الجهة الأخرى).

إجراءات رفع الطلب

يرفع الطب في الأحوال المبينة في المادة (29) بعريضة تقدم إلى الأمانة العامة لمجلس القضاء، تتضمن علاوة على البيانات العامة المتعلقة بأسماء الخصوم وصفاتهم ومحال إقامتهم وموضوع الطلب، بياناً كافياً عن الدعوى التي وقع في شأنها التنازع أو التخلي. وعلى الطالب أن يودع مع هذه العريضة صوراً منها بقدر عدد الخصوم، مع المستندات التي تؤيد طلبه. ويعين رئيس لجنة تنازع الاختصاص أحد أعضائها لتحضير الدعوى وتهيئتها للمرافعة، وعلى الأمانة إعلام الخصوم بصورة من العريضة، مع تكليفهم بالحضور في الجلسة التي تحدد لتحضير الدعوى، وبعد تحضير الدعوى تعرض على رئيس اللجنة لتحديد جلسة أمام اللجنة للمرافعة في موضوعها (مادة 30).

آثار رفع الطلب

فرقت المادة 31 من نظام القضاء بين حالتين: الأولى حالة ما إذا كان الطلب قد رفع إلى اللجنة قبل أن تصدر أحكام من الجهات المتنازعة، وبين ما إذا كان الطلب قد رفع بعد صدور أحكام منها، فرأى أن يوقف نظر الدعوى حتى ثبت في الطلب وتحدد الجهة المختصة بنظر الدعوى إذا قدم الطلب قبل صدور أحكام النزاع – أما إذا لم يقدم الطلب إلا بعد

صدور الأحكام فإن لرئيس لجنة التنازع الاختصاص أن يأمر بوقف تنفيذ الحكمين المتعارضين أو أحدهما، فقد نصت المادة 31 على أنه (يترتب على رفع الطلب إلى اللجنة المشار إليها في المادة 29 وقف السير في الدعوة المقدم بشأنها الطلب. وإذا قدم الطلب بعد الحكم في الدعوى، فلرئيس لجنة تنازع الاختصاص أن يأمر بوقف تنفيذ الحكمين المتعارضين أو أحدهما (مادة 31).

عدم قابلية قرار اللجنة للطعن

القرار الذي تصدره اللجنة بتحديد الجهة المختصة قرار نهائي لا يجوز الطعن فيه، إذ نصت المادة 32 من نظام القضاء على أنه (تفصل لجنة تنازع الاختصاص في الطلب بقرار غير قابل للطعن).

ترتيب المحاكم واختصاصها

نصت المادة الخامسة من نظام القضاء على أن المحاكم الشرعية تتكون من:

أ - مجلس القضاء الأعلى.

ب - محكمة التمييز.

ج - المحاكم العامة.

د - المحاكم الجزئية.

وتختص كل منها بالمسائل التي ترفع إليها طبقاً للنظام.

ولما كان كل نوع من هذه المحاكم يختلف من حيث ترتيبه وتشكيله واختصاصه عن الآخر، فإننا نتكلم عن كل نوع على حدة:

أولاً: مجلس القضاء الأعلى

1 - تشكيل المجلس

يؤلف مجلس القضاء الأعلى من أحد عشر عضواً على الوجه الآتي:

أ - خمسة أعضاء متفرغين بدرجة رئيس محكمة تمييز، يعينون بأمر ملكي، ويكونون هيئة المجلس الدائمة. ويعين رئيسها من بين الأعضاء بأمر ملكي.

ب - خمسة أعضاء غير متفرغين، وهم رئيس محكمة التمييز أو نائبه ووكيل وزارة العدل وثلاثة من أقدم رؤساء المحاكم العامة في المدن الآتية: مكة، المدينة، الرياض، جدة، الدمام، جازان، ويكونون مع الأعضاء المشار إليهم في الفقرة السابقة هيئة المجلس العامة، ويرأسها رئيس مجلس القضاء الأعلى (مادة 6 معدلة بالمرسوم م/ 76 في 1395/10/14هـ والمرسوم م/4 في 1401/3/1هـ).

2 - انعقاد المجلس

ينعقد مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة المكونة من الأعضاء المتفرغين برئاسة رئيسها، أو من ينوب عنه من أقدم أعضائها في السلك القضائي، وذلك للنظر في المسائل والأحكام المنصوص عليها في الفقرات 2، 3، 4 من المادة (8) إلا ما قرر وزير العدل أن ينظر فيه المجلس بهيئته العامة، وينعقد المجلس بهيئته العامة المكونة من جميع أعضائه، برئاسة رئيس مجلس القضاء الأعلى، للنظر فيما عدا ذلك من المسائل. ويكون انعقاد المجلس وبهيئته الدائمة صحيحاً بحضور أغلبية أعضائها إلا عند مراجعته للأحكام الصادرة بالقتل أو القطع أو الرجم، فينعقد بحضور جميع الأعضاء. وفي حالة غياب أحدهم يحل من يرشحه وزير العدل من أعضاء المجلس غير المتفرغين.

أما انعقاده بهيئته العامة فلا يكون صحيحاً إلا بحضور جميع الأعضاء، وفي حالة غياب أحدهم، أو ينظر المجلس مسألة تتعلق به أول له فيها مصلحة مباشرة، يحل محله من يرشحه وزير العدل من أعضاء محكمة التمييز، وتصدر قرارات المجلس في حالتي انعقاده بهيئته بالأغلبية المطلقة لأعضاء الهيئة (مادة 9 معدلة بالمرسوم م /76 في 1395/10/14هـ والمرسوم م/4 في 1401/3/1هـ).

3 - صلاحيات مجلس القضاء الأعلى

يشرف المجلس على المحاكم في الحدود المبينة بالنظام (مادة 7) ويتولى بالإضافة إلى ما تضمنه النظام من اختصاصات ما يلي:

1- النظر في المسائل الشرعية التي يرى وزير العدل ضرورة تقرير مبادئ شرعية فيها.

2- النظر في المسائل التي يرى ولي الأمر ضرورة النظر فيها من قبل المجلس.
3- إبداء الرأي في المسائل المتعلقة بالقضاء بناء على طلب وزير العدل.
4- مراجعة الأحكام الصادرة بالقتل أو القطع أو الرجم. (مادة 8).

ويتضح من المادة الثامنة أن الاختصاص القضائي لمجلس القضاء الأعلى هو ما نص عليه في الفقرة الرابعة من مراجعة الأحكام الصادرة بالقتل أو القطع أو الرجم. وهناك اختصاص قضائي آخر منصوص عليه في المادة الرابعة عشرة، فقد قضت هذه المادة بأنه: إذا رأت إحدى دوائر محكمة التمييز في شأن قضية تنظرها العدول عن اجتهاد سبق أن أخذت به هي أو دائرة أخرى في أحكام سابقة، أحالت القضية إلى الهيئة العامة لمحكمة التمييز. وتصدر الهيئة العامة قرارها بأغلبية لا تقل عن ثلثي أعضائها بالإذن بالعدول - فإذا لم تصدر القرار به على الوجه المذكور أحالت القضية إلى مجلس القضاء الأعلى ليصدر قراره في ذلك بمقتضى الفقرة (أ) من المادة (8).

ثانياً: محكمة التمييز

1 - تشكيلها

تؤلف محكمة التمييز من رئيس وعدد كاف من القضاة، يسمى من بينهم نواب للرئيس حسب الحاجة، وحسب ترتيب الأقدمية المطلقة. وتكون بها دائرة لنظر القضايا الجزائية ودائرة لنظر قضايا الأحوال الشخصية ودائرة لنظر القضايا الأخرى، ويجوز تعدد هذه الدوائر بقدر الحاجة، ويرأس كل دائرة الرئيس أو أحد نوابه. (مادة 10 من نظام القضاء).

ويتم تسمية نواب رئيس محكمة التمييز بقرار من وزير العدل، بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى (مادة 11 من نظام القضاء).

وتوجد حالياً في محكمة التمييز ثلاث دوائر: دائرة حقوقية ودائرة جزائية ودائرة أحوال شخصية.

وقد نص قرار مجلس الوزراء رقم 167 وتاريخ 1401/9/14هـ على أن يخصص في محكمتي التمييز بالرياض ومكة المكرمة، دائرتان لتمييز الأحكام الصادرة من المحاكم التجارية والعمالية والمرورية، ونظراً لأن قرار مجلس الوزراء المشار إليه عهد إلى لجنة بتنفيذ ما قرره من توحيد جهات القضاء، على أن تنهي مهمتها من خلال سنة، وكانت هذه اللجنة لم تنه أعمالها بعد، فإن إنشاء دائرتين لتمييز الأحكام الصادرة من المحاكم التجارية والعمالية والمرورية لم يتم لأنه متوقف على إنهاء اللجنة المذكورة عنها.

2 - اختصاصها

تختص محكمة التمييز بالنظر في الاعتراضات التي ترفع إليها على الأحكام الصادرة من المحاكم العامة والمحاكم الجزائية – وقد تضمنت لائحة تمييز الأحكام الشرعية الصادرة تختص محكمة التمييز بالنظر في الاعتراضات التي ترفع إليها على الأحكام الصادرة من المحاكم العامة والمحاكم الجزائية – وقد تضمنت لائحة تمييز الأحكام الشرعية الصادرة بموجب الموافقة السامية برقم 24836 في 1386/10/29هـ بيان ما يخضع للتمييز من الأحكام، فنصت المادة الثالثة على أن الأحكام الآتية غير خاضعة للتمييز من قبل هيئات التمييز:

أ – كل حكم ميزته رئاسة القضاة أو شرعت في تمييزه.

ب– كل حكم حصلت القناعة به من المحكوم عليه.

ج – كل حكم مضى عليه أكثر من خمسة عشر يوماً لدى المحكوم عليه ولم يعده للقاضي خلال هذه المدة.

د – ما صدر من الأحكام قبل تاريخ 1381/4/1هـ لأنه سابق لافتتاح هيئات التمييز.

هـ – إذا كان المحكوم به لا يزيد عن خمسمائة ريال أو ما يعادلها من نقد أو منقول. أما قضايا العقار فتميز ولو كانت قيمته أقل من خمسمائة ريال.

و – إذا كان الحكم بتعزير لا يزيد عن أربعين جلدة أو سجن عشرة أيام.

ونصت المادة الرابعة من اللائحة، على أن لرئيس القضاة بصفة استثنائية، أن يأمر بتمييز أي حكم يرى تمييزه. كما نصت المادة الثامنة على أنه إذا كان المحكوم عليه ناظر وقف أو وصياً أو مأمور بيت مال ونحوها، أو كان المحكوم عليه غائباً، فعلى المحكمة أن ترفع الحكم لهيئة التمييز لتدقيقه مهما كان موضوع الحكم.

ولا يفوتني أن أذكر أنه وفقاً للأمر الملكي رقم أ/126 وتاريخ 1390/8/13هـ يباشر وزير العدل الصلاحية المحددة لرئيس القضاة. كما أوضح أن ما تضمنته الفقرة (د) من المادة الثالثة من عدم تمييز الأحكام الصادرة قبل 1381/4/1هـ، يرجع إلى أنه في أوائل عام 1374هـ، ارتأى ولاة الأمر إلغاء تدقيق الأحكام الشرعية، وجعلها نافذة المفعول بمجرد فراغ القاضي من إصدار حكمه حيالها. وصدر الأمر القاضي بذلك تحت رقم 1680 في 1374/1/20هـ بما يأتي:

أولاً: بالنظر لأن أحكام القضاة واجبة الإنفاذ دون تردد، وجار إنفاذ أحكام قضاة نجد فعلاً، وفي ذلك احترام للأحكام الشرعية، وقطع دائر المشاغبات بين الناس فإن جلالة الملك يأمر:

أ - كل حكم يصدر من قاض معين من قبل الحكومة ينفذ حالاً.

ب - الأحكام الخاصة بقضايا القتل أو القطع أو المصادرة هذه تعرض قبل إنفاذها على الأنظار العالية.

ج - رئاسة القضاة تبقى على حالها مرجعاً للقضاة فيما يريدون استرشادها فيه ولتدقيق ما يحال إليها ويطلب منها تدقيقه.

د - يحدث في كل من جيزان، وأبها، وتبوك، قاض من الأشخاص المشهود لهم بكفاءتهم العلمية، يكون مرجعاً لقضاة مقاطعة الناحية التي هو بها، يسترشدونه فيما يكون غامضاً عليهم، وله حق التفتيش عليهم وعلى أعمالهم.

هـ - الشخص الذي يصدر عليه حكم شرعي، من أي محكمة كانت، ويتظلم إلى الحكومة من ذلك الحكم، ينظر في ظلامته. وإذا اقتضت إرادة جلالة الملك بالاعتراض، يأمر جلالته الجهة التي يراها بتدقيق ذلك الحكم وإن رأى جلالته غير ذلك فيهمل طلبه.

ثم رؤي بعد ذلك إعادة تمييز الأحكام. وفي شهر رجب من عام 1380هـ صدر توجيه من جلالة الملك المعظم لمجلس وزرائه أمره بإعادة تدقيق أحكام القضاة براءة للذمة ولقد كان نص توجيه جلالته كالآتي:

(نظراً لما للقضاة من أهمية عظمى، وحرصاً منا على صيانة حقوق الرعية، وزيادة في الاطمئنان إلى صحة أحكام القضاة، وحيث أن القضاء

الشرعي هو المرجع الوحيد لفصل الخصومات، وأن التحاكم إليه بين الأفراد والجماعات، لذلك كله رأينا وجوب تمييز الأحكام الشرعية، وتوقيعها من قبل هيئة علمية تشكل من كبار العلماء، رئاسة ريس القضاة، ومهمتها النظر في الأحكام الشرعية الصادرة من القضاة وتدقيقها إذا كانت مخالفة، وإعادة المحاكمة فهيا مرة أخرى، على أن يعمل نظام شرعي للمرافعات وتدقيق الأحكام وتمييزها والحرص على إنجازها). وتم تشكيل هيئات التمييز من جديد في 1381/4/1هـ.

الهيئة العامة لمحكمة التمييز

تقوم محكمة التمييز بمراجعة أحكام المحاكم الكلية والجزئية التي تعرض عليها، فتراقب مدى التزام هذه المحاكم بالنظم وموافقة ما تستخلصه من مبادئ من كتب الفقه المعتمدة كمرجع لها. ولما كانت محكمة التمييز مكونة من عدد من الدوائر، فإنه من المحتمل أن تتعرض اجتهادات هذه الدوائر في موضوع واحد. ولذلك كان من الضروري أن تكون هناك جهة تتدارك هذا الاختلاف، وتعمل على توحيد المبادئ التي تسير عليها المحاكم – وقد عهد نظام القضاء بهذه المهمة إلى الهيئة العامة لمحكمة التمييز. وتتكون الهيئة العامة لهذه المحكمة من جميع قضاتها العاملين فيها (المادة 15).

ونصت المادة 14 من نظام القضاء على أنه: إذا رأت إحدى دوائر المحكمة، في شأن قضية تنظرها، العدول عن اجتهاد سبق أن أخذت به هي أو دائرة أخرى في أحكام سابقة، أحالت القضية إلى الهيئة العامة

لمحكمة التمييز. وتصدر الهيئة العامة قرارها بأغلبية لا تقل عن ثلثي أعضائها بالإذن بالعدول، فإذا لم تصدر القرار به على الوجه المذكور أحالت القضية إلى مجلس القضاء الأعلى ليصدر قراره في ذلك بمقتضى الفقرة (1) من المادة (8).

وبينت المواد 16 – 21 الأحكام المتعلقة بالهيئة العامة لمحكمة التمييز فقررت أنه: تجتمع الهيئة العامة لمحكمة التمييز للنظر فيما يلي:

أ – ترتيب وتأليف الدوائر اللازمة وتحديد اختصاصها.

ب – المسائل التي ينص هذا النظام أو غيره من الأنظمة، على نظرها من قبل الهيئة العامة (المادة 16).

وتنعقد الهيئة العامة برئاسة رئيس المحكمة، أو الأقدم من نوابه في حال غيابه أو شغور وظيفته، ويكون انعقادها بناء على دعوة من الرئيس أو نائبه وفقاً لحاجة العمل، أو بناء على طلب يقدم إليه من ثلاثة من قضاة المحكمة على الأقل (مادة 17).

ولا يكون انعقاد الهيئة العامة صحيحاً إلا إذا حضره ثلثا عدد قضاة المحكمة، فإذا لم يحضر هذا النصاب أعيدت الدعوة، ويكون الانعقاد صحيحاً إذا حضره نصف عدد قضاة المحكمة (المادة 18).

ومع عدم الإخلال بما ورد في المادة (14) تصدر قرارات الهيئة العامة بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين، وإذا تساوت الآراء يرجح الجانب الذي فيه الرئيس (المادة 19).

ويعتبر قرار الهيئة العامة نهائياً بموافقة وزير العدل عليه، فإذا لم يوافق عليه، أعاده إليها لتتداول فيه مرة أخرى، فإذا لم تسفر المداولة عن الوصول

إلى قــرار يوافق عليه وزير العدل، عرض الأمر على مجلس القضــاء الأعلى فيه ويعتبر قراره فيه نهائياً (المادة 20).

وتثبت محاضر الجلســات للهيئة العامة في ســجل يعد لذلك، ويوقع عليه من رئيس المحكمة وأمين السر. (المادة 21).

ثالثاً: المحاكم العامة

1- تشكيلها

تؤلف المحكمة العامة من قاض أو أكثر، ويكون تأليفها، وتعيين مقرها، وتحديد اختصاصها، بقرار من وزير العدل، بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى (مادة 22 من نظام القضاء).

وتصــدر الأحكام في المحاكــم العامة من قاض فرد ويســتثنى من ذلك قضــايا القتل والرجــم والقطع وغيرها من القضــايا التــي يحددها النظام فتصدر من ثلاثة قضاة (مادة 23 من نظام القضاء).

2- اختصاصها

تختصــ المحاكم العامــة بالنظر في المنازعات والجرائــم التي تخرج عن ولاية المحاكم الجزئية.

رابعاً: المحاكم الجزئية

1- تشكيلها

تتألـف المحكمـة الجزئية مـن قاض أو أكـثر، ويكون تأليفهـا، وتعيين مقرها، وتحديد اختصاصها، بقرار من وزير العدل، بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى (مادة 24 من نظام القضاء).

وتصـدر الأحكام في المحاكم الجزئية من قاض فـرد (مادة 25 من نظام القضاء).

2- اختصاصها

حددت اختصاصـات هـذه المحاكم بقـرار وزير العـدل رقم 12/14/ت في 1397/1/20هـ المبني على قرار مجلس القضـاء الأعلى رقم 299 في 1396/11/22هـ المتوج بالخطاب السـامي رقم 4/ز/384 في 1397/1/6هـ وذلك على النحو التالي:

1- تنظـر المسـتعجلة الأولى في كل قضـايا الجنـح والتعزيـرات وحد السكر، وفي أروش الجنايات التي لا تزيد عن خمس الدية.

2- تنظر المسـتعجلة الثانية في جميع الحقوق المالية التي لا تزيد عن ثمانية آلاف ريال، ما عدا القضايا التي تتعلق بالأمور الزوجية والنفقات والعقارات.

3- تنظر المحكمة المسـتعجلة في البلد التي ليس فيها سـوى مستعجلة واحدة في جميع القضايا التي تنظر فيها المستعجلة الأولى والثانية.

ويلاحظ أن القرار اسـتعمل التسمية القديمة وهي (المحكمة المستعجلة) ولم يستعمل التسمية الجديدة التي جاءت في نظام القضاء وهي (المحاكم الجزئية).

ارتباط المحاكم بوزارة العدل

كانت المحاكم تخضع لإشراف رئيس القضاة إذ تنص المادة الثانية من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي الصادر في 1372هـ، على: أن رئيس القضاة هو رئيس الدائرة الرئيسية صاحبة الرقابة التامة على المحاكم وكتّاب العدل من الوجهة الشرعية وبيوت المال، ودوائر تفتيش المحاكم الشرعية وعلى أعمالها، وواجباتها وصلاحياتها وموظفيها على اختلاف أنواعها، وهي المسؤول الأول والمرجع الوحيد للدوائر المذكورة من كافة النواحي الشرعية والإدارية طبقاً للأنظمة المختصة بها، والمرجع لجميع مخابرات الدوائر المذكورة، ولا واسطة في تبليغ جميع الأوامر والتعليمات والنظم الصادرة من الجهات المختصة إلى الدوائر المذكورة، وهي المختصة بإصدار الأوامر للدوائر المذكورة، وتوجيهها التوجيه المطلوب، وتنظيم موازناتها، والمرجع لتدقيق الأحكام الشرعية والإفتاء ومحاكم قضاة المحاكم، وصاحبة النظر والتحقيق في جميع الشكاوي التي ترفع في حق الدوائر المذكورة وموظفيها، والمسؤولة عن مراقبة موظفي هذه الدوائر.

كما أن المادة العاشرة منه تنص على أن: يقوم رئيس القضاة بترؤس هيئة التدقيقات الشرعية، والاشتراك معها في تدقيق الأحكام، وكافة ما كان من اختصاصها. وكان من اختصاص هذه الهيئة تدقيق أحكام الجنح والحدود والتعزيرات الصادرة من محاكم العاصمة، وتدقيق أحكام القطع والقتل والرجم الصادرة من بقية المحاكم (المادتان 16 و17 من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي) وهاتان المادتان تؤكدان ما تضمنه تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية إذ يقضي بأن الأحكام التي تصدر

بمكة في قضايا الحدود والجنح والتعزيرات لا تنفذ إلا بعد عرضها على رئيس القضاة وتصديقها منه ومن هيئة التمييز، والأحكام التي تصدر في سائر المدن الحجازية في قضايا القتل والقطع والرجم لا تنفذ إلا بعد عرضها على رئيس القضاة وتصديقها منه ومن هيئة التمييز (المادتان 51 و52).

وعندما أنشئت وزارة العدل صدر الأمر الملكي رقم أ/126 وتاريخ 1390/8/13هـ ويقضي بأن يباشر ويزر العدل الصلاحية المحددة لرئيس القضاة، ويكون رئيساً لمجلس القضاء الأعلى.

ولما صدر نظام القضاء الأخير رقم م/64 وتاريخ 1395/7/14هـ كان ينص في المادة السادسة على أن رئيس الهيئة الهامة لمجلس القضاء هو وزير العدل. ثم صدر المرسوم الملكي رقم م/76 في 1395/10/14هـ الذي عدل بعض نصوص نظام القضاء، ومن التعديلات التي أدخلها إنشاء وظيفة جديدة، هي رئيس مجلس القضاء الأعلى، وعهد إليه برئاسة المجلس بدلاً من وزير العدل.

والمحاكم ما تزال مرتبطة بوزارة العدل. وقد نصت المادة 71 من نظام القضاء على أنه: مع عدم الإخلال بما للقضاء من حياد واستقلال في القضاء يكون لوزير العدل حق الإشراف على جميع المحاكم والقضاة. وقد عقد نظام القضاء باباً خاصاً لوزارة العدل هو الباب الرابع وينص على ما يأتي:

مادة 87: مع عدم الإخلال بالأحكام المنصوص عليها في هذا النظام، تتولى وزارة العدل الإشراف الإداري والمالي على المحاكم، والدوائر القضائية الأخرى، وتتخذ التدابير أو تتقدم إلى الجهات المختصة، بما تراه من المقترحات أو المشروعات التي من شأنها ضمان المستوى اللائق

بمرفق العدالة في المملكة. كما تقوم بدراسة ما يرد إليها من مجلس القضاء الأعلى، من مقترحات أو قرارات، وترفع إلى المراجع العليا ما يحتاج منها إلى إصدار أوامر أو مراسيم ملكية.

مادة 88: يختار وكيل وزارة العدل من بين رجال القضاء العاملين أو السابقين.

مادة 89: تشكل بوزارة العدل إدارة فنية للبحوث، تؤلف بقرار من وزير العدل، من عدد كاف من الأعضاء، لا يقل مؤهل أي منهم عن شهادة كلية الشريعة، ويجوز أن يختاروا عن طريق الندب من القضاة. وتتولى هذه الإدارة المسائل الآتية:

أ - استخلاص المبادئ التي تقررها محكمة التمييز فيما تصدره من أحكام أو المبادئ التي يقررها مجلس القضاء الأعلى، وتبويبها وفهرستها، بحيث يسهل الرجوع إليها.

ب - إعداد مجموعات الأحكام المختارة للنشر.

ج - إعداد البحوث التي تطلب وزارة العدل القيام بها.

د - الإجابة على استرشادات القضاة.

هـ - مراجعة الأحكام، وإبداء الرأي في القواعد الفقهية التي بنيت عليها من حيث مدى موافقتها للعدل في ضوء الظروف والأحوال المتغيرة، وذلك تمهيداً لعرضها على مجلس القضاء الأعلى لتقرير مبادئ فيها طبقاً لما ورد في الفقرة (1) من المادة (8).

القضاة وأعوانهم وكُتاب العدل

- القضاة
  - شروط التعيين
  - درجات السلك القضائي وشروط شغلها
  - استقلال القضاء وضماناته
  - واجبات القضاة
  - تأديب القضاة
- أعوان القضاة
- كُتاب العدل
  - شروط التعيين
  - اختصاصات كتاب العدل
  - قوة الأوراق الصادرة من كتاب العدل



القضاة

شروط التعيين

القضاة هم الذين يقومون بالفصل في المنازعات بين الخصوم، وهم الذين يحكمون بالقصاص، ويعاقبون بتوقيع الحدود أو بالتعزير – ولا يصلح كل شخص لأن يتولى القضاء، بل لا بد من أن تتوافر لديه الشروط التي تجعله صالحاً لأداء هذا العمل. وقد نصت المادة 37 من نظام القضاء على هذه الشروط فقررت أنه: يشترط فيمن يولى القضاء:

أ – أن يكون سعودي الجنسية.

ب – أن يكون حسن السيرة والسلوك.

ج – أن يكون متمتعاً بالأهلية الكاملة للقضاء حسب ما نص عليه شرعاً.

د – أن يكون حاصلاً على شهادة إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، أو شهادة أخرى معادلة لها، بشرط أن ينجح في الحالة الأخيرة في امتحان خاص تعده وزارة العدل، ويجوز في حالة الضرورة تعيين من اشتهر بالعلم والمعرفة من غير الحاصلين على الشهادة المطلوبة.

هـ – ألا يقل عمره عن أربعين سنة إذا كان تعيينه في درجة قاضي تمييز، وعن الاثنتين وعشرين سنة إذا كان تعيينه في درجات السلك القضائي الأخرى.

و – ألا يكون قد حكم عليه بحد أو تعزير أو في جرم مخل بالشرف، أو صدر بحقه قرار تأديبي بالفصل من وظيفة عامة، ولو كان قد رد إليه اعتباره.

شروط الأهلية

ولئن كانت الشروط التي تضمنتها المادة 37 واضحة المعنى، إلا أن الفقرة (ج) اكتفت بالقول إنه: يجب أن يكون متمتعاً بالأهلية الكاملة للقضاء حسبما نص عليه شرعاً. ولذلك يتعين الرجوع إلى كتب الفقه لبيان الشروط الواجب توافرها في الشخص حتى يكون أهلاً للقضاء - ونعرض فيما يلي بإيجاز ما تضمنته كتب الفقه عن هذا الموضوع:

أولاً: الإسلام

لا يجوز أن يتولى القضاء غير مسلم لأن القضاء ولاية، ولا ولاية لغير المسلمين على المسلم.

ثانياً: الحرية

العبد لا ولاية له على نفسه لأنه مملوك، ومن ثم فلا تكون له ولاية على غيره.

ثالثاً: البلوغ

القاصر لا يصلح للقضاء لأنه لم يكتمل نموه، فضلاً عن أنه تحت ولاية غيره ولا ولاية له على نفسه، والقضاء لا يتولاه من لا ولاية له على نفسه.

ولم يكتف نظام القضاء ببلوغ الشخص بل اشترط سناً فوق سن البلوغ إذ نصت الفقرة هـ من المادة 37 على أنه: يشترط لمن يعين في درجات سلم القضاة التي هي دون درجة قاضي تمييز ألا يقل عمره عن اثنتين وعشرين سنة.

رابعاً: العقل

المجنـون والمعتوه لا يصـلح أي منهما لأن يتولى القضـاء لأنه في حكم القاصر ولا ولاية له على نفسه.

خامساً: الذكورة

يـرى جمهور الفقهاء أنه لا يلي القضـاء إلا رجل، ولا يجوز أن تقوم به المرأة، وعند أبي حنيفة إذا وليت المرأة القضـاء جاز لها أن تقضـي في غير حد ولا قيود، لأنها أهل للشـهادة في غيرهما، فكانت أهلاً للقضـاء فيما هي أهل للشـهادة فيه. ولكن يأثم من ولاها القضـاء لقوله صـلى الله عليه وسلم: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة). (رواه البخاري).

وقـال جمهور الفقهاء إن الحديث السـابق يفيد عدم جـواز تولي المرأة القضـاء - كما أن القاضي يحضر محافل الرجال، ويحتاج إلى كمال الرأي وتمـام العقل والفطنة، والمرأة ناقصـة العقـل، وقليلة الرأي، ليسـت أهلاً لحضـور محافل الرجال، ولا تقبل شهادتها، ولو كان معها ألف امرأة مثلها ما لم يكن معهن رجل. وقد نبه الله تعالى على ضـلالهن ونسـيانهن بقوله تعالى: (أَن تَضِـلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[1]، وهي لا تصـلح للإمامـة العظمـى، ولا لتولية البلـدان، ولهذا لم يول النبي صـلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه، ولا من بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد.

---

(1) البقرة من الآية 282.

سادساً: السمع

يجب أن يكون القاضـي سميعاً، فالأصـم لا يسمع قول الخصمين ولا يفرق بين إقرار وإنكار، وإنشاء وإخبار.

سابعاً: البصر

يشـترط في القاضي أن يكون بصـيراً، لأن الأعمى لا يعرف المدعي من المدعى عليه، والمقر من المقر له، والشـاهد من المشـهود له، واختار بعض الشافعية صحة ولاية الأعمى، واستدلوا على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسـلم، استخلف ابن أم مكتوم على الصلاة وغيرها من أمور المدينة (رواه الطبراني).

وأجاب جمهور الفقهاء على ما استند أصحاب الرأي السابق باحتمال أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم إنما اسـتخلف ابن أم مكتوم في الأمور العامة من الحراسة وما يتعلق بها لا في خصوص الحكم.

ثامناً: النطق

لا يولى الأخرس القضـاء لأنه لا يستطيع مناقشة الخصوم أو الشهود ولا النطق بالحكم. ولا تكفي الإشارة إذ لا يفهم الناس جميع إشارات الأبكم.

تاسعاً: العدالة

العدالـة ملكـة في النفس تمنع من اقتراف الكبائـر والرذائل المباحة، ولا يجوز أن يكون القاضـي فاسقاً، ولا غير أهل لأداء الشهادة، لقوله تعالى:

(يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)[1]، وهذا أمر بالتبين عند قول الفاسق، ولا يجوز أن يكون القاضي ممن لا يقبل قوله، ويجب التبين عند حكمه، ومن لا يجوز أن يكون شاهداً فألا يكون قاضياً أولى.

وشـرط العدالـة يتوافر بتوافر الشرطين المنصـوص عليهمـا في الفقرتين ب، ومن المادة 37 من نظام القضاء، فقد اشترطت الفقرة (ب) فيمن يعين قاضـياً أن يكون حسـن السـيرة والسلوك، كما اشـترطت الفقرة (و) ألا يكون قد حكم عليه بحد أو تعزير أو في جرم مخل بالشرف أو صدر بحقه قرار تأديبي بالفصل من وظيفة عامة ولو كان قد رد إليه اعتباره.

عاشراً: الكتابة

معرفة الكتابة ليست بشرط يجب توافره فيمن يتولى الحكم، لأن الرسول صـلى الله عليه وسـلم كان أمياً وهو سـيد الحكام، وقال بعض الفقهاء إن العلـم بالكتابة شرط ليعلم القاضـي ما يكتبه كاتبـه ولا يتمكن من إخفائه عنه.

وإن ما نصـت عليه الفقـرة (د) من المادة (37 من نظام القضـاء) من أنه يشـترط في القاضـي أن يكون حاصـلاً على شـهادة من إحـدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السـعودية أو شهادة معادلة، يؤدي إلى ضرورة أن يكون القاضي كاتباً، خصوصـاً وأن جمهور الفقهاء يشترطون أن يكون القاضي بصيراً.

---

(1) الحجرات من الآية 6.

درجات السلك القضائي وشروط شغلها

بينت المواد 38 – 49 مكرر من نظام القضاء درجات السلك القضائي، والشروط الواجب توافرها فيمن يشغل كل درجة.

درجات السلك القضائي

ملازم قضائي قاضي (ج) وقاضي (ب)، قاضي (أ)، وكيل محكمة (ب)، وكيل محكمة (أ)، رئيس محكمة (ب)، رئيس محكمة (أ)، قاضي تمييز، رئيس محكمة تمييز، رئيس مجلس القضاء الأعلى ويجري شغل هذه الدرجات طبقاً لأحكام هذا النظام (مادة 38 معدلة بالمرسوم رقم م/76 في 1395/10/14هـ).

شروط شغلها

يشترط فيمن يشغل درجة ملازم قضائي بالإضافة إلى ما ورد في المادة (37) أن يكون قد حصل على الشهادة العالية، بتقدير عام لا تقل عن جيد، وبتقدير جيد جداً في مادتي الفقه وأصوله (مادة 39).

يشترط فيمن يشغل درجة قاضي (ج) أن يكون قد أمضى في درجة ملازم قضائي ثلاث سنوات على الأقل (مادة 40).

يشترط فيمن يشغل درجة قاضي (ب) أن يكون قد قضى سنة على الأقل في درجة قاضي (ج)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة أربع سنوات على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، لمدة أربع سنوات على الأقل، أو أن يكون من خريجي المعهد العالي للقضاء (مادة 41).

يشترط فيمن يشغل درجة قاضي (أ) أن يكون قد قضى أربع سنوات على الأقل في درجة قاضي (ب)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة ست سنوات على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، لمدة سبع سنوات على الأقل (مادة 42).

يشترط فيمن يشغل درجة وكيل محكمة (ب) أن يكون قد قضى ثلاث سنوات على الأقل في درجة قاضي (أ)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة عشر سنوات على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، لمدة عشر سنوات على الأقل (مادة 43).

يشترط فيمن يشغل درجة وكيل محكمة (أ) أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة وكيل محكمة (ب)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة اثنتي عشرة سنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، لمدة اثنتي عشرة سنة على الأقل (مادة 44).

يشترط فيمن يشغل درجة رئيس محكمة (ب) أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة وكيل محكمة (أ)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة أربع عشرة سنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، لمدة أربع عشرة سنة على الأقل. (مادة 45).

يشــترط فيمن يشــغل درجة رئيس محكمة (أ) أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة رئيس محكمة (ب)، أو أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة وكيل محكمة (أ)، أو أن يكون قد اشــتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة أربع عشرة ســنة على الأقــل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصــوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية، لمدة أربع عشرة سنة على الأقل. (مادة 45).

يشــترط فيمن يشــغل درجة رئيس محكمة (أ) أن يكون قد قضــى سنتين علــى الأقل في درجة رئيس محكمة (ب)، أو أن يكون قد اشــتغل بأعمال قضــائية نظيرة لمدة ست عشرة ســنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصــوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية الســعودية، لمدة ست عشرة سنة على الأقل (مادة 46).

يشــترط فيمن يشــغل درجة قاضــي تمييز أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة رئيس محكمة (أ)، أو أن يكون قد اشــتغل بأعمال قضــائية نظــيرة لمدة ثمــان عشرة على الأقل، أو قــام بتدريس مواد الفقه وأصــوله بإحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية الســعودية، لمدة ثمان عشرة ســنة على الأقل (مادة 47).

يختار رئيس محكمة التمييز من بين قضاة التمييز حسب ترتيب الأقدمية المطلقة (مادة 49).

تكون درجة رئيس مجلس القضاء الأعلى بمرتبة وزير، ويشترط أن تتوفر فيمــن يشــغل هذه الدرجــة الشروط المطلوبة لشــغل درجة قاضــي تمييز، ويتم تعيين رئيس مجلس القضــاء الأعلى بأمر ملكي، (مادة 49 مكرر وقد أضيفت بالمرسوم رقم م/76 في 1395/10/14هـ).

ولما كانت المواد السابقة قد تحدثت عن الاشتغال بأعمال قضائية نظيرة، فقد نصت المادة (48) على أنه: يحدد مجلس الوزراء، بناء على اقتراح وزير العدل، المقصـود بالأعمال القضـائية النظيرة، وتعتبر شهادة المعهد العالي للقضاء معادلة لخدمة أربع سنوات في أعمال قضائية نظيرة.

استقلال القضاء وضماناته

القاضي حين يصدر حكمه فيما يعرض عليه من قضايا، إنما يصدره بناء على ما يعتقد أنه الحق، ولذلك فلا يجوز أن يتدخل في عمله، لما في ذلك من تأثير على رأيه، مما قد يؤدي إلى إصداره أحكاماً غير مطمئن إلى سلامتها وغير راض عنها.

وقد حرص أولو الأمر على أن يوفروا للقاضي الضمانات التي تحميه من كل تدخل، وتجعله يؤدي عمله في اطمئنان، لا يخشى في ذلك إلا الله، فأعطوا القضاة حقوق الموظفين وضماناتهم، فنصت المادة 52 من نظام القضاء على أنه: مع عدم الإخلال بما يقتضه هذا النظام من أحكام، يتمتع أعضاء السلك القضائي بالحقوق والضمانات المقررة في نظام الموظفين العام، ونظام التقاعد، ويلتزمون بما نص عليه نظام الموظفين العام من واجبات لا تتعارض مع طبيعة الوظيفة القضائية.

ولم يكتف أولو الأمر بذلك، بل جاءت المادة الأولى من نظام القضاء مقررة: أن القضاة مستقلون لا سلطان لأحد عليهم غير الشريعة الإسلامية والأنظمة المرعية، وليس لأحد التدخل في القضاء. وإذ كان مجرد النص على استقلال القضاة لا يحميهم من التدخل، فقد يكون التدخل ذا سلطان، يستطيع معه أن يعزل القاضي، أو أن يبعده عن عمله، فقد تضمن نظام القضاء ضمانات تحمي هذا الاستقلال وتؤكده وهذه الضمانات هي:

أولاً: عدم القابلية للعزل

تنص المادة الثانية من نظام القضاء على أن: القضاة غير قابلين للعزل، إلا في الحالات المبينة في هذا النظام – وكررت الفقرة الأولى من المادة 51 هذا الحكم، فنصت على أنه: فيما عدا الملازم القضائي، لا يكون عضو السلك القضائي قابلاً للعزل، ولكن يحال إلى التقاعد حتماً إذا بلغ سن السبعين، والحالات التي يجيز فيها النظام العزل هي:

1– عندما يكون القاضي ما زال تحت التجربة، إذ تنص المادة 50 من النظام على أنه: يكون من يعين من القضاء ابتداء تحت التجربة لمدة عام، ويصدر مجلس القضاء بعد نهاية مدة التجربة وثبوت صلاحية المعين قراراً بتثبيته. ويجوز قبل صدور هذا القرار الاستغناء عنه بقرار من مجلس القضاء الأعلى.

2– إذا فقد أحد الأعضاء الثقة والاعتبار اللذين تتطلبهما الوظيفة يحال إلى التقاعد بأمر ملكي بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى (المادة 2/51).

3– إذا لم يستطع القاضي بسبب مرضه مباشرة عمله بعد انقضاء الإجازة المرضية المقرر في النظام، أو ظهر في أي وقت أنه لا يستطيع لأسباب صحية القيام بوظيفته على الوجه اللائق (المادة 57).

4– إذا حصل على تقدير أقل من المتوسط في تقرير الكفاية ثلاث مرات متوالية فيحال إلى التقاعد بأمر ملكي بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى (المادة 69).

5- إذا أحيل إلى التقاعد من مجلس التأديب (مادة 82).

ولا يؤثر على استقلال القضاة ما نصت عليه الفقرة الأولى من البند (ثانياً) من مرسوم إصدار نظام القضاء، من أنه يجوز استثناء في خلال السبع السنوات التالية لنفاذ القضاء الآخرين، يرأسها وزير العدل، للنظر في إحالة من ترى عدم صلاحيته لتولي القضاء على التقاعد، ويصدر قرار الإحالة على التقاعد في هذه الحالة بأمر ملكي، إذ الواضح من هذا النص أنه يهدف إلى أن لا يبقى بين رجال القضاء من لا يصلح لهذا العمل، ولا يعمل بهذا الحكم الاستثنائي إلا لمدة محددة هي سبع سنوات تبدأ من تاريخ نفاذ النظام وبانتهائها يصبح القضاة غير قابلين للعزل إلا للأسباب التي حددها نظام القضاء.

ثانياً: النقل والندب والإعارة

وحرصاً على ضمان استقلال القضاة، سد النظام ثغرة كان من الممكن من خلالها إبعاد القاضي عن عمله، دون أن يأخذ هذا الإبعاد شكل العزل، وذلك بنقله إلى وظيفة أخرى خارج السلك القضائي، فنصت المادة الثالثة من نظام القضاء على أنه: مع عدم الإخلال بحكم المادة (55) لا ينقل القضاة إلى وظائف أخرى إلا برضاهم أو بسبب ترقيتهم ووفق أحكام هذا النظام.

ولا شك أن نقل القاضي إلى عمل آخر برضاه ليس فيه افتئات على استقلاله، فالأمر متوقف على قبوله، وهو لا يقبل النقل إلى عمل آخر إلا إذا رأى أن ذلك في صالحه.

غير أن المادة (55) أجازت نقل القاضي إلى عمل آخر خارج السلك القضائي، على أن يكون ذلك بأمر ملكي وبناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى وفي هذه القيود ضمانات للقاضي من أنه لن ينقل من عمله بغير رضاه، إلا لأمور استوجبت ذلك في نظر مجلس القضاء الأعلى، وأقرها المقام السامين وتضمنت المادة 55 أيضاً الأحكام التي تتعلق بنقل أعضاء السلك القضائي داخل السلك القضائي، وكذلك أحكام ندبهم أو إعارتهم، وذكرت الضمانات التي تكفل للقاضي استقلاله، فنصت على أنه: لا يجوز نقل أعضاء السلك القضائي، أو ندبهم أو إعارتهم خارج السلك القضائي، إلا بأمر ملكي بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى، تحدد فيه المكافأة المستحقة للقاضي المندوب أو المعار. وتكون مدة الندب أو الإعارة سنة واحدة، قابلة للتجديد لسنة أخرى، على أنه يجوز لوزير العدل في الحالات الاستثنائية أن يندب أحد أعضاء السلك القضائي داخل السلك القضائي أو خارجه لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر في العام الواحد.

ثالثاً: الترقية

يتكون السلك القضائي من عدد من الدرجات يعلو بعضها فوق بعض، والترقية قد تتخذ وسيلة للتدخل في أمور القضاء، إذا لم توضع قواعد تحول دون ذلك، فمن الممكن أن يرقى من لا يستحق الترقية، وأن يترك دون ترقية من هو بها جدير. وتلافياً لذلك تضمنت لمادة 53 من نظام القضاء القواعد التي تحكم الترقية في درجات السلك القضائي، فنصت على أنه: يجري التعيين والترقية في درجات السلك القضائي، بأمر ملكي بناء

على قرار مجلس القضـاء الأعلى، يوضح فيه توفر الشروط النظامية في كل حالة على حدة، ويراعى المجلس في الترقية ترتيب الأقدمية المطلقة، وعند التسـاوي يقدم الأكفأ بموجب تقارير الكفاءة، وعند التسـاوي أو انعدام تقارير الكفاءة يقدم الأكبر سناً. ولا يجوز أن يرقى عضو السلك القضائي مـن درجـة رئيس محكمـة (ب) فمـا دون إلا إذا كان قد جـرى التفتيش عليـه مرتين على الأقل في الدرجة المـراد الترقية منها، وثبت في التقريرين الأخيرين السابقين على الترقية أن درجة كفاءته لا تقل عن المتوسط.

ولا يفوتني أن أشـير إلى أن مرسـوم إصـدار نظام القضاء تضمن حكماً اسـتثنائياً يقضي بعدم التقيد بترقية القاضي من درجة إلى درجة في السلك القضـائي. وهذا الحكم الاسـتثنائي يوقف العمل به بعد سـبع سنوات من تاريخ نفاذ نظام القضاء.

التفتيش القضائي

ولما كان من قواعد الترقية أنه عند التساوي في الأقدمية يقدم الأكفأ بموجب تقارير الكفاءة، كما أنه لا يجوز أن يرقى عضو السلك القضائي من درجة رئيس محكمة (ب) فما دون، إلا إذا كان قد جرى التفتيش عليه مرتين على الأقل في الدرجة المراد الترقية منها، وثبت في التقريرين الأخيرين السابقين على الترقية أن درجة كفاءته لا تقل عن المتوسط، فقد نص نظام القضاء على أنه:

تشكل بوزارة العدل إدارة للتفتيش القضائي تتكون من رئيس وعدد كاف من الأعضاء يختارون من بين قضاة محكمة التمييز أو المحاكم العامة، ويكون ندبهم للعمل بهذه الإدارية بقرار من مجلس القضاء الأعلى لمدة سنة قابلة للتجديد لمدد أخرى (المادة 62).

وتتولى إدارة التفتيش القضائي بوزارة العدل، التفتيش على أعمال قضاة المحاكم العامة والمحاكم الجزئية، وذلك لجمع البيانات التي تؤدي إلى معرفة درجة كفايتهم، ومدى حرصهم على أداء واجبات وظيفتهم، وإمداد الجهات المختصة بهذه المعلومات، والتحقيق من الشكاوى التي تقدم من القضاة، أو ضدهم، ويجب أن يقوم بالتفتيش عضو بدرجة أعلى من درجة المفتش عليه، أو سابق له في الأقدمية إن كانا في درجة واحدة.

ويحصل التفتيش والتحقيق بديوان الوزارة أو بالانتقال إلى المحاكم بناء على ما يقرره وزير العدل (المادة 63).

ويكون تقدير كفاية القاضي بإحدى الدرجات الآتية:

كفؤ، فوق المتوسط، متوسط، أقل من المتوسط (المادة 64).

ويجب إجراء التفتيش على أعضاء السلك القضائي مرة على الأقل ومرتين على الأكثر كل سنة (المادة 65).

وترسل صور من الملاحظات القضائية والإدارية دون تقدير الكفاية إلى القاضي صاحب الشأن للاطلاع عليها وإبداء اعتراضاته حولها خلال ثلاثين يوماً (المادة 66).

ويشكل رئيس إدارة التفتيش لجنة برئاسته وعضوية اثنين من المفتشين القضائيين، لفحص الملاحظات ثم الاعتراضات التي يبيدها القاضي المعني، وما تعتمده اللجنة من هذه الملاحظات يودع في ملف القاضي مع الاعتراض، وما لا يعتمد يرفع من التقرير ويحفظ، ويبلغ القاضي بتقدير كفايته المعتمد من اللجنة (المادة 67).

ويجوز للقاضي، الذي حصل على تقدير يثبت فيه أن درجته أقل من المتوسط، أن يتظلم لمجلس القضاء الأعلى، خلال ثلاثين يوماً من تاريخ إخطاره بمضمون التقدير، ويكون قرار المجلس في هذا الشأن نهائياً (المادة 68).

وإذا حصل القاضي على تقدير أقل من المتوسط في تقرير الكفاية ثلاث مرات متوالية، فيحال إلى التقاعد بأمر ملكي بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى (مادة 69).

ونصت المادة 70 على أنه: تصدر لائحة بقرار من وزير العدل بعد موافقة مجلس القضاء الأعلى تبين قواعد وإجراءات التفتيش القضائي.

وإعمالاً لنص هذه المادة صدرت لائحة التفتيش القضائي وفيما يلي نصها:

(تعليمات التفتيش القضائي)

1 – المقصـود من التفتيش هو معرفة كفاءة القاضي ومقدرته، من رئيس محكمة (ب) فما دون كما أشير إليه في المادة (19) من كادر القضاء.

2 – على المفتش أن يلتزم بما جاء في المادة (22) من كادر القضـاء ونصـه (يجـب أن يقوم بالتفتيش عضـو من درجة أعلى من درجة العضـو الذي يجري التفتيش عليه).

3 – على المفتش فور وصوله المحكمة الاتصال بالمسؤول فيها، وإشعاره بمهمته قبل ابتداء التفتيش.

4 – يجـري المفتشـ ابتـداء من حيـث وقـف التفتيش السـابق ويلقي المفتش الأضـواء على سير القضايا في المحكمة، ومعرفة نشاط القاضي في تصريفها، وملاحظة مدى استجابة القاضي لملاحظات المفتشين السابقين.

5 – يقوم المفتش بدراسـة الدعاوي والإنهاءات المرصـودة في الضبوط وتصورها وهل جرى استكمال ما يسوغ سماع الدعوى أو الإنهاء أم لا.

6 – ملاحظـة إجابة المدعى عليه وهل هي مسـتوفية لما تتطلبه الدعوى المقدمة ضده.

7 – إمعان النظر في توجيه الأسـئلة التي وجهت أثناء النظر في القضـية لأحد الخصمين، أو المنهي وهل مجرى القضية يستلزم ما اتخذه القاضي أو يقضي الأمر خلاف ذلك.

8 – تأمـل كيفية أخذ القاضـي للبيانـات وإدراكه لمدلولاتهـا وتطبيقه لمفاهيمها.

9 – الانتباه لما تقتضيه المحكمة من سؤال المشهود عليه من حال الشهود، وما جاء في شهادتهم وهل جرى رصد ذلك بضبط القضية، وهل طلب القاضي إثبات الطعن شرعاً من المشهود عليه في حالة طعنه في الشهود بطعن شرعي.

10 – ملاحظة مدى تطبيق ما يتعلق بطلب حجج الاستحكام شرعاً ونظاماً.

11 – دراسة حيثيات الأحكام والإثباتات الشرعية، والانتباه لضرورة أن يكون المستند عليه مسجلاً بضبط القضية، وأن تكون حيثيات الحكم متفقة مع ما جاء في ضبط القضية من مستندات.

12 – ملاحظة هل جرى سؤال المحكوم عليه خطياً بضبط القضية عن القناعة بالحكم أو عدمها ورصدت إجابته.

13 – تتبع فترات مراحل جلسات القضايا في الضوابط وانتظامها وهل ذكر السبب المبرر للتأجيل أم لا.

14 – المقارنة بين الصكوك في السجل وضبوط القضايا، وهل الصكوك متفقة مع ما جاء في الضبوط ترتيباً وتنظيماً ووافية بالغرض مع الاختصار غير المخل.

15 – التعرف على أسلوب القاضي، من حيث الجودة والتركيز، وتطبيق قواعد اللغة العربية.

16 – الوقوف على معرفة إدراك القاضي لاختصاصات عمله رسمياً، بحيث لا يتخلى عن شيء من واجباته ولا يتدخل في شيء خارج اختصاصه دون مبرر.

17 – للمفتش أن يتوضح من الموظف المسؤول في حدود اختصاصاته، عن كل أمر يرى ضرورة الاطلاع عليه لتسهيل مهمته.

18 – على المفتش القضائي أن ينبه القاضي على الملاحظات الهادفة لتنظيم الأعمال فيما لا بد منه من الناحية الشرعية.

19 – على المفتش القضائي أن يعلم أن الإجراءات المطلوبة في سير القضايا، لا يمكن حصرها في مواد معينة، ولا تدرك غالا بعد الاطلاع على إجراءات القاضي، وعلى المفتش ملاحظة أي خلل أو نقص في سير القضايا من الناحية الشرعية، وإبداء مرئياته.

20 – يبدي المفتش مرئياته حيال نشاط القاضي، ومقدرته، واستعداده لتولي عمل أهم من عمله الذي جرى عليه التفتيش.

21 – على المفتش أن يختم بالختم الخاص بالتفتيش على نهاية ما أجرى التفتيش عليه في الدفاتر ويوقع بجانب ذلك مع ذكر التاريخ.

22 – استناداً إلى المادة (19) من كادر القضاء والتي تختص بتقييم كفاءة القاضي الذي جرى عليه التفتيش من قبل المفتش القضائي، فينبغي أن تكون درجات التقييم من النحو التالي:

1. ممتاز.
2. جيد.
3. فوق المتوسط.
4. متوسط.
5. دون المتوسط.

ويكون التقييم على أساس أن تكون العلامات التي تمنح للقاضي من قبل المفتش من مائة درجة فما دون حسب الترتيب الآتي:

من 91 – 100 ممتاز.

من 76 – 90 جيد.

من 61 – 75 فوق المتوسط.

من 50 – 60 متوسط.

ما دون الـ50 دون المتوسط.

23 – على المفتش الإيضاح مفصلاً في تقريره، عن المسوغات التي اعتمد عليها في وضع درجة الكفاءة التي استحقها القاضي.

24 – يلزم المفتش تحرير قرار مستقل عن كل قاضي بمفرده من القضاة الذين فتش عليهم، يحتوي على ملاحظاته وإبداء مرئياته.

25– على المفتش القضائي بيان القضايا التي صدق عليها من هيئة التمييز والتي نقضت.

26 – ينظم المفتش بياناً يشتمل على خلاصة القرارات المشار إليها في المادة (24) بخطاب إلى الجهة المختصة.

رابعاً: المخاصمة

وحماية للقاضي من كيد المتقاضين ومحاولتهم إعنات القاضي بمقاضاته واتهامه بأنه خرج في قضائه من العدل عامداً أو بسبب جهل لا يقبل من مثله، فقد رأى أولو الأمر أن تكون لهذه الدعاوى إجراءات خاصة تغاير إجراءات التقاضي العادية فنصت المادة الرابعة من نظام القضاء على أنه: لا تجوز مخاصمة القضاة إلا وفق الشروط والقواعد الخاصة بتأديبهم.

وسنذكر فيما بعد الأحكام المتعلقة بتأديب القضاة.

واجبات القضاة

الوجود في محل العمل

يجب على القاضي أن يؤدي العمل الذي عهد به إليه، وهو الفصل فيما يعرض عليه من قضـــايا وأداء هذا الواجب يستوجب وجوده في محل عمله وعــدم الانقطاع عن العمل. وقد نصــت المادة 61 من نظام القضــاء على أنــه: لا يجوز للقاضــي أن يتغيب عن مقر عملــه، ولا أن ينقطع عن عمله لســبب غير مفاجئ، قبل أن يرخص له في ذلك كتابة، فإذا أخل القاضــي بهذا الواجب نبه إلى ذلك كتابة، فإذا تكرر منه ذلك، وجب رفع الأمر إلى مجلس القضاء الأعلى، للنظر في أمر محاكمته تأديبياً.

الإقامة في بلد مقر العمل

إن وجوب وجود القاضي في محل عمله، يستدعي إقامته في البلد الذي به مقر العمل، ولذلك أوجبت المادة 60 من نظام القضــاء أن يقيم القاضي في البلــد الذي به مقر عملــه، وأجازت لمجلس القضــاء الأعلى لظروف اســتثنائية أن يرخص للقاضي في الإقامة مؤقتاً، في بلد آخر قريب من محل عملــه، ويصــدر هذا الترخيص عــادة إذا لم يكن في بلد مقر العمل ســكن مناسب للقاضي.

عدم إفشاء سر المداولات

الحكم في القضايا لا يتم، إذا تعدد القضاة، إلا بعد أن يتداولوا في الموضوع، ويتبادلوا فيه الآراء، سواء من الناحية الموضوعية، أو من ناحية الحكم الشرعي، واعتبر نظام القضاء هذه المداولة من الأسرار، وحظر على القضاة إفشاء هذا السر، فنصت المادة 59 منه على أنه: لا يجوز للقضاة إفشاء سر المداولات.

حظر القيام بعمل يتعارض مع واجبات الوظيفة

تنص المادة 58 من نظام القضاء على أنه: لا يجوز الجمع بين وظيفة القضاء ومزاولة التجارة أو أية وظيفة أو عمل، لا يتفق مع استقلال القضاء وكرامته، ويجوز لمجلس القضاء الأعلى أن يقرر مع القاضي من مباشرة أي عمل يرى أن القيام به يتعارض مع واجبات الوظيفة وحسن أدائها.

عدم الاتصال بالمتقاضين

تنص المادة 256 من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي على أنه: لا يجوز اتصال القضاة أو نوابهم وموظفي المحاكم بذوي المرافعات والمصالح أو وكلائهم بصفة خاصة في موضوع قضاياهم خارج المحاكم، وكل من يثبت عليه أنه تدخل في سير المحاكمات والمرافعات يكون مسؤولاً وفق النظام.

الالتزام بالواجبات المنصوص عليه في نظام الموظفين

تقضي المادة 52 من نظام القضاء، بأنه: مع عدم الإخلال بما يقتضيه نظام القضاء من أحكام يلتزم القضاة بما نص عليه نظام الموظفين العام من واجبات لا تتعارض مع طبيعة الوظيفة القضائية، وقد بينت المواد 11، 12، 13، 14، 15 من نظام الخدمة المدنية واجبات الموظف. وفيما يلي نصها مقترناً بما جاء في اللائحة التنفيذية:

مادة (11): يجب على الموظف خاصة:

أ – أن يترفع عن كل ما يخل بشرف الوظيفة والكرامة سواء كان ذلك في محل العمل أم خارجه.

ب – أن يراعي آداب اللياقة في تصرفاته مع الجمهور ورؤسائه وزملائه مرؤوسيه.

ج – أن يخصص وقت العمل لأداء واجبات وظيفته وأن ينفذ الأوامر الصادرة إليه بدقة وأمانة في حدود النظم والتعليمات.

1/11

يحظر على الموظف توجيه النقد أو اللوم إلى الحكومة، بأية وسيلة من وسائل الإعلام المحلية أو الخارجية.

مادة (12): يحظر على الموظف خاصة:

أ – إساءة استعمال السلطة الوظيفية.

ب – استغلال النفوذ.

ج – قبول الرشوة أو طلبها بأي صورة من الصور المنصوص عليها في نظام مكافحة الرشوة.

د – قبول الهدايا أو الإكراميات أو خلافه بالذات أو بالوساطة لقصد الإغراء من أرباب المصالح.

هـ – إفشاء الأسرار التي يطلع عليها بحكم وظيفته ولو بعد تركه الخدمة.

1/12

يحظر على الموظف استعمال سلطة وظيفته ونفوذها لمصالحه الخاصة، وعليه استعمال الرفق مع أصحاب المصالح المتصلة بعمله، وإجراء التسهيلات والعاملات المطلوبة لهم في دائرة اختصاصه وفي حدود النظام.

مادة (13): يجب على الموظف أن يمتنع عن:

أ – الاشتغال بالتجارة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ب – الاشتراك في تأسيس الشركات أو قبول عضوية مجالس إدارتها أو أي عمل فيها، أو في محل تجاري، إلا إذا كان معيناً من الحكومة، ويجوز بمقتضى لائحة يصدرها مجلس الوزراء الإذن للموظفين بالعمل في القطاع الخاص في غير أوقات الدوام الرسمي.

1–13

يحظر على أي موظف أن يزاول نشاطاً يؤدي إلى اكتساب صفة التاجر، كأن يباشر الشراء من أجل البيع على سبيل الاحتراف، أو أن يكون مقاولاً متعهداً للتورد أو دلالاً أو صرافاً أو وكيلاً بالعمالة.

ويعد اشتغالاً بالتجارة وفق أحكام النظام على سبيل المثال:

أ – قيام الموظف بتسجيل محل تجاري باسم القاصر الذي تشمله ولايته أو وصايته.

ب – الاستمرار في شراء المنقول أو العقار بقصد بيعه أو بعد تغييره.

ج – كل عمل يتعلق بالوكالة أو بالعمولة أو البيع بالمزايدة.

د – كل عمل يتعلق بالمصارفة والدلالة (السمسرة).

هـ – العقود والتعهدات التي يكون فيها الموظف مقاولاً أو مورداً.

2/13

لا يعد اشتغالاً بالتجارة وفق أحكام النظام ما يلي:

أ – بيع أو تأجير مالك العقار عقاره، أو شراء العقار لا لغرض البيع، وبيع مالك المزرعة أو المزارع فيها غلتها.

ب – تملك الحصص والأسهم في الشركات المساهمة والشركات ذات المسؤولية المحددة وشركات التوصية.

ج – القيام بأعمال القوامة والوصاية والوكالة ولو بأجر، إذا كان المشمول بالقوامة أو الوصاية أو الموكل ممن تربطه به صلة نسب أو قرابة حتى الدرجة الرابعة، ويشترط أن يكون قيامه بذلك وفق الإجراءات الشرعية.

د – بيع واستغلال الموظف إنتاجه الفني والفكري.

هـ – تحرير الشيكات والسندات والكمبيالات.

و – ممارسة شاغلي الوظائف الفنية المساعدة والوظائف الحرفية لحرفهم خارج وقت الدوام الرسمي.

3/13

يحظر على الموظف القيام بالأعمال المنصوص عليها في المادة (2/13) إذا كانت الوزارة أو الدائرة التابع لها طرفاً فيها.

مادة (14): لا يجوز للموظف الجمع بين وظيفته وممارسة مهنة أخرى، ويجوز الترخيص في الاشتغال بالمهن الحرة لمن تقضي المصلحة العامة بالترخيص لهم في ذلك لحاجة البلاد إلى مهمتهم، ويكون منح هذا الترخيص من قبل الوزير المختص وتحدد اللائحة شروط منح هذا الترخيص.

مادة (15): كل موظف مسؤول عما يصدر عنه ومسؤول عن حسن سير العمل في حدود اختصاصه.

الحالات التي لا يجوز للقاضي أن يحكم فيها

القاضي بشر يتأثر بما به يتأثرون، له مشاعره وعواطفه الخاصة ولئن كان الواجب عليه أن يفصل فيما يعرض عليه من قضايا، إلا أن هناك حالات يتعين عليه أن يمتنع عن الحكم فيها، إذ قد تربطه بأطراف الخصوم صلة يقتضي حسن سير العدالة، أن يحكم في الدعوى غيره، كأن يكون أحد الخصوم أحد أصوله أو فروعه أو زوجته أو تكون بينه وبين أحد الخصوم مودة أو عداوة، وقد نصت المادة 101 من نظام القضاء على أن يحدد نظام المرافعات الحالات التي لا يجوز للقاضي الحكم فيها ولم يصدر هذا النظام بعد.

وتنص المادة 23 من لائحة تمييز الأحكام الشرعية على أنه: إذا كان لرئيس الهيئة أو أحد أعضائها أو لمن لا تقبل شهادته له حكم معروض للتدقيق، فلا يشترك في تدقيقه، ولا يحضر الجلسات، وليس له الاطلاع على ما يقرر في ذلك - وكذا إذا كان الحكم صادراً من الرئيس أو من أحد الأعضاء. وفي حالة كون الحكم للرئيس أو صادراً منه يستنيب أحد الأعضاء في إدارة الجلسة.

ولم يفت فقهاء الشريعة أن يعرضوا لبيان الحالات التي لا يجوز للقاضي أن يحكم فيها. ومما جاء في المغني في هذا الصدد:

(ليس للحاكم أن يحكم لنفسه كما لا يجوز أن يشهد لنفسه، فإن عرضت له حكومة مع بعض الناس، جاز أن يحاكمه إلى بعض خلفائه أو بعض رعيته، فإن عمر حاكم أبياً إلى زيد: وحاكم رجلاً عراقياً إلى شريح: وحاكم علي اليهودي إلى شريح، وحاكم عثمان طلحة إلى جبير ابن مطعم، فإن عرضت حكومة لوالديه أو ولده أو من لا تقبل شهادته له ففيه وجهان:

أحدهما: لا يجوز له الحكم فيها بنفسه، وإن حكم له لم ينفذ حكمه، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي لأنه لا تقبل شهادته له فلم ينفذ حكمه له كنفسه.

والثاني: ينفذ حكمه، أختاره أبو بكر وهو قول أبي يوسف وابن المنذر وأبي ثور لأنه حكم لغيره أشبه الأجانب. وعلى القول الأول متى عرضت لهؤلاء حكومة حكم بينهم الإمام أو حاكم آخر أو بعض خلفائه، فإن كانت الخصومة بين والديه أو ولديه أو والده ووالده لم يجز له الحكم بينهما على أحد الوجهين، لأنه لا تقبل شهادته لأحدهما على الآخر، فلم يجز الحكم بينهما كما لو كان خصمه أجنبياً، وفي الآخر يجوز، وهو قول بعض أصحاب الشافعي لأنها سواء عنده فارتفعت تهمة الميل فأشبها الأجنبيين).

تأديب القضاة

القضـــاة موظفون في الدولة واستقلال القضاء لا يمنع من أن يكون هناك إشراف عليهم، فهم بشر وعرضة لارتكاب ما يستوجب المؤاخذة التأديبية أو الجنائية.

الإشراف على القضاة

خول نظام القضاء وزير العدل صلاحية الإشراف على المحاكم والقضاة، كمــا خول رئيس المحكمة الإشراف على القضــاة الذيــن يعملون معه في المحكمة التي يرأســها، ونصــت على ذلــك المادتــان (71، 72) من نظام القضـــاء فقضـــت المادة 71 على أنه: (مع عدم الإخلال بما للقضاة من حياد واستقلال في القضاء، يكون لوزير العدل حق الإشراف في جميع المحاكم والقضاة، ولرئيس كل محكمة حق الإشراف على القضاة التابعين لها).

ونصـــت المادة 72 على أن: (لرئيس المحكمة حق تنبيه القضــــاة التابعين لها، إلى ما يقع منهم مخالفاً لواجباتهم أو مقتضـيات وظائفهم، بعد سماع أقوالهم. ويكون التنبيه مشـــافهة أو كتابة، وفي الحالة الأخيرة تبلغ صـــورة منه لوزارة العدل، وللقاضـــي في حالة اعتراضـــه على التنبيه الصـــادر إليه كتابــة عن رئيســ المحكمة، أن يطلب خلال أســبوعين مــن تاريخ تبليغه إيــاه، إجراء التحقيق عن الواقعة التي كانت ســبباً للتنبيه، وتؤلف للغرض المذكـــور، بقـــرار من وزير العدل، لجنــة من رئيس محكمــة التمييز أو أحد نوابه، وقاضـــيين من قضاتها، ولهذه اللجنة بعد سماع أقوال القاضي، أن تعهد إلى أحد أعضـــائها بإجـــراء التحقيق، إن وجـــدت وجهاً لذلك ولها

أن تؤيد التنبيــه، أو أن تعتبره كأن لم يكن، وتبلغ قرارها لوزير العدل، وإذا تكــررت المخالفة، أو اســتمرت بعــد تأييد التنبيه من قبــل اللجنة، رفعت الدعوى التأديبية).

وقد بينت المواد من 73 إلى 83 من نظام القضاء، الأحكام المتعلقة بتأديب القضــاة. وهي تختلــف في إجراءاتها وفي العقوبات التــي توقعها عما هو متبع بالنسبة للموظفين، ونعرض فيما يلي ما تضمنته هذه المواد من أحكام.

الجهة المختصة بالتأديب

تأديب القضــاة يكون من اختصاص مجلس القضاء الأعلى منعقداً بهيئته العامة، بوصــفه مجلس تأديب وإذا كان القاضي المقدم إلى المحاكمة عضواً في مجلس القضــاء الأعلــى، فيندب وزير العدل أحد قضــاة محكمة التمييز ليحل محله. ولا يمنع من الجلوس في مجلس التأديب سبق الاشتراك في طلب إحالة المتهم إلى المعاش أو طلب رفع الدعوى التأديبية ضده. (المادة 73).

إقامة الدعوى التأديبية

ترفــع الدعوى التأديبية بطلــب من وزير العدل من تلقاه نفســه، أو بناء على اقتراح رئيس المحكمة التي يتبعها القاضــي. ولا يقدم هذا الطلب إلا بناء على تحقيق جزائي، أو بناء على تحقيق إداري يتولاه أحد قضــاة محكمة التمييز يندبه وزير العدل. (المادة 74).

وترفع الدعوى التأديبية بمذكرة تشــتمل على التهمة والأدلة المؤيدة لها، وتقدم لمجلس التأديب ليصــدر قراره بدعوة المتهم للحضور أمام المجلس (المادة 75).

إجراءات الدعوى التأديبية

يجوز للمجلس أن يجري ما يراه لازماً من التحقيقات، وله أن يندب أحد أعضائه للقيام بذلك. (المادة 76).

وإذا رأى مجلس التأديب وجهاً للسير في إجراءات المحاكمة عن جميع التهم أو بعضها كلف المتهم بالحضور في ميعاد لائق، ويجب أن يشتمل التكليف بالحضور على بيان كاف لموضوع الدعوى وأدلة الاتهام. (المادة 77).

ويجوز لمجلس التأديب عند تقرير السير في إجراءات المحاكمة أن يأمر بوقف المتهم عن مباشرة أعمال وظيفته، وللمجلس في كل وقت أن يعيد النظر في أمر الوقف. (المادة 78).

وتكون جلسات مجلس التأديب سرية. ويحكم مجلس التأديب بعد سماع دفاع القاضي المرفوعة عليه الدعوى، وله أن يقدم دفاعه كتابة، وأن ينيب في الدفاع عنه أحد رجال القضاء. وللمجلس دائماً الحق في طلب حضوره بشخصه.

وإذا لم يحضر ولم ينب أحداً جاز الحكم في غيبته بعد التحقق من صحة دعوته. (المادة 80).

الحكم في الدعوى التأديبية

يجب أن يشتمل الحكم الصادر في الدعوى التأديبية على الأسباب التي بني عليها وأن تتلى أسبابه عند النطق به في جلسة سرية، وتكون أحكام مجلس التأديب نهائية غير قابلة للطعن. (المادة 81).

والعقوبات التأديبية التي يجوز توقيعها على القاضي هي: اللوم والإحالة على التقاعد. (المادة 82).

وتبلغ قرارات مجلس التأديب إلى وزارة العدل، ويصدر أمر ملكي بتنفيذ عقوبة الإحالة على التقاعد، وقرار من وزير العدل بتنفيذ عقوبة اللوم. (مادة 83).

انقضاء الدعوى التأديبية

تنقضي الدعوى التأديبية باستقالة القاضي - ولا تأثير للدعوى التأديبية على الدعوى الجزائية أو المدنية الناشئة عن الواقعة نفسها. (المادة 79).

اتهام القاضي بارتكاب جريمة

بينت المادة 84 ما يتبع في حالة اتهام القاضي بارتكاب جريمة من الجرائم فقضت بأنه: (في حالة التلبس بالجريمة يجب عند القبض على القاضي وحبسه، أن يرفع الأمر إلى مجلس القضاء منعقداً بهيئته الدائمة، في مدة الأربع والعشرين ساعة التالية، وله أن يقرر إما استمرار الحبس أو الإفراج بكفالة أو بغير كفالة، وللقاضي أن يطلب سماع أقواله أمام المجلس عند عرض الأمر عليه. ويحدد المجلس مدة الحبس في القرار الذي يصدر بالحبس أو باستمراره، وتراعى الإجراءات السالفة الذكر كل ما رؤى استمرار الحبس الاحتياطي بعد انقضاء المدة التي قررها المجلس. وفيما عدا ما ذكر لا يجوز القبض على القاضي أو اتخاذ أي إجراء من إجراءات التحقيق معه أو رفع الدعوى الجزائية عليه إلا بإذن من المجلس المذكور، ويجري حبس القضاة وتنفيذ العقوبات المقيدة للحرية بالنسبة لهم في أماكن مستقلة.

أعوان القضاة

لا يستطيع القاضي أن يتولى بمفرده جميع الأعمال التي تمر بها الدعوى، فهو في حاجة إلى كتّاب يتلقون الدعاوي، ويسجلونها، ويدونون محاضر الجلسات، ويحررون الأحكام. وإلى من يعلنون الخصوم، ويحضرونهم عند الضرورة. وإلى من يتولى الترجمة، إذا كان بين الخصوم أو الشهود، من لا يتكلم العربية. كما أنه في حاجة إلى الاستعانة بخبرة الخبراء في المسائل الفنية.

وقد عرضت لبيان هؤلاء الأعوان المواد من 97 إلى 100 من نظام القضاء. ونصت على ما يأتي:

مادة 97: يعتبر من أعوان القضاة كتّاب الضبط، والمحضرون والمترجمون، والخبراء، ومأمورو بيوت المال.

مادة 98: ينظم نظام المرافعات الخبرة أمام القضاء، ويحدد حقوق الخبراء وواجباتهم، وطريقة تأديبهم.

مادة 99: مع عدم الإخلال بما نص عليه نظام الموظفين العام من شروط التعيين، يشترط فيمن يعين كاتباً، أو مترجماً، أو خبيراً، أو محضراً، أن ينجح في امتحان تحدد إجراءاته، وشروطه، بقرار من وزير العدل، ويكون تعينهم على سبيل التجربة مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد عن سنتين.

مادة 100: تسري على موظفي المحاكم، فيما لا يتعارض مع أحكام هذا النظام، الأحكام العامة لموظفي الدولة، ويعمل موظفو كل محكمة تحت رقابة رئيسهم الإداري ويخضع الجميع لرقابة رئيس المحكمة.

وقد نصت المواد من 108 إلى 128 من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي على اختصاصات وصلاحيات كاتب الضبط ومعاونه، كما نصت المواد من 168 إلى 176 من النظام المذكور على اختصاصات وصلاحيات كل من رئيس المحضرين والمحضر - كما بينت المواد من 207 إلى 223 من نفس النظام اختصاصات وصلاحيات مأمور بيت المال ومعاون مأمور بيت المال.

ولم يصدر بعد نظام المرافعات الذي ينظم الخبرة أمام القضاء ويحدد حقوق الخبراء وواجباتهم وطريقة تأديبهم.

كتاب العدل

كتّاب العدل دائرة ملحقة بوزارة العدل، وقد خصص نظام القضاء لكتّاب العدل الباب الخامس – وعرض الفصل الأول منه لشروط تعيين كتّاب العدل ومؤهلاتهم، وتكلم الفصـل الثاني عن اختصاصات كتّاب العدل والتفتيش عليهم، وبين الفصل الثالث قوة الأوراق الصادرة من كتّاب العدل.

شروط تعيين كتاب العدل ومؤهلاتهم

يشـترط فيمن يعين بوظيفة كاتب عدل أن تتوفر فيه الشروط المنصـوص عليها في المادة (37) من هذا النظام (المادة 90).

ونصـت المـادة (91) على أنه: مـع مراعاة ما جاء في المـادة (90) تحدد مؤهلات شـغل فئـات وظائف كتّاب العـدل بلائحة تصـدر باتفاق بين وزارة العدل وديوان الموظفين العام.

كما نصـت المادة (92) على أنه: مع عدم الإخلال بالأحكام المنصوص عليها في هذا النظام، يخضع كتّاب العدل لجميع الأحكام التي يخضع لها موظفو الدولة بموجب نظام الموظفين العام.

وإعمالاً لنص المادة (91) صدرت لائحة تحديد مؤهلات وظائف كتّاب العدل، المعتمدة بموجب خطاب رئيس الديوان العام للخدمة المدنية رقم 4/ن/36144/10 في 1398/10/30هـ وخطاب وزير العدل رقم 5/53 خ في 1399/10/6هـ وهذا نصها:

مادة (1): تعتبر وظائف كتاب العدل ضـمن المجموعة العامة للوظائف الإدارية وتصنف كالآتي:

كاتب عدل بالمرتبة السابعة.

كتاب عدل بالمرتبة الثامنة.

كتاب عدل بالمرتبة التاسعة.

كتاب عدل بالمرتبة العاشرة.

كتاب عدل بالمرتبة الحادية عشرة.

مادة (2): تكون الخبرة المعتبرة لشـغل وظائف كتّاب العدل، هي الخبرة المكتسبـة في أعمال كتابة العدل، أو الأعمال القضـائية في المحاكم الشرعية بالمملكة أو الأعمال القضـائية النظـير. أو في تدريس المواد الدينية، أو في أعمال كتابة الضبط أو السجل في المحاكم أو كتابات العدل في المملكة.

مادة (3): يشـترط فيمن يشغل وظيفة كاتب عدل أن تتوفر فيه الشروط المنصوص عليها في المادة 37 من نظام القضاء، على أن يجتاز من لا يحمل الحد الأدنى في المؤهل العلمي حسـب ما ورد في الفقرة (د) من المادة 37 من نظام القضاء، الامتحان الذي تجريه وزارة العدل باشتراك الديوان العام للخدمة المدنية.

مـادة (4): تحدد المؤهلات المطلوبة لشـغل وظيفة كاتـب عدل بالمرتبة السابعة بالآتي:

– الشهادة الجامعية في الشريعة أو ما يعادلها.

مـادة (5): تحدد المؤهلات المطلوبة لشـغل وظيفة كاتـب عدل بالمرتبة الثامنة بالآتي:

1 – الشهادة الجامعية في الشريعة أو ما يعادلها، مع خبرة لمدة لا تقل عن سنتين.

2 – شهادة الماجستير في الشريعة أو ما يعادلها.

مادة (6): تحدد المؤهلات المطلوبة بشغل وظيفة كاتب عدل بالمرتبة التاسعة كالآتي:

1 – الشهادة الجامعية في الشريعة أو ما يعادلها، مع خبرة لمدة لا تقل عن أربع سنوات.

2 – شهادة الماجستير في الشريعة أو ما يعادلها، مع خبرة لمدة لا تقل عن سنتين.

3 – شهادة الدكتوراه في الشريعة أو ما يعادلها.

مادة (7): تحدد المؤهلات المطلوبة لشغل وظيفة كاتب عدل بالمرتبة العاشرة بالآتي:

1 – الشهادة الجامعية في الشريعة أو ما يعادلها، مع خبرة لا تقل عن ست سنوات.

2 – شهادة الماجستير في الشريعة أو ما يعادلها، مع خبرة لمدة لا تقل عن أربع سنوات.

3 – شهادة الدكتوراه في الشريعة أو ما يعادلها، مع خبرة لمدة لا تقل عن سنتين.

مادة (8): يشترط لشغل وظيفة كاتب عدل بالمرتبة الحادية عشرة، توفر مؤهلات لا تقل عن المؤهلات المطلوبة لشغل وظيفة كاتب عدل بالمرتبة العاشرة. ويتم شغل هذه الوظائف طبقاً لقرار مجلس الخدمة المدنية رقم (2) في 1398/8/18هـ.

مادة (9): تعتبر بالنسبة للموظفين الذين يشغلون وقت العمل بهذه اللائحة وظيفة كاتب عدل، ولا يتوفر لديهم المؤهل العلمي المطلوب، أو من يراد تعيينهم وفق الاستثناء الوارد في المادة 37 من نظام القضاء، مدة ثلاث عشرة سنة خبرة، أو إحدى عشرة سنة مع الابتدائية، أو تسع سنوات مع الكفاءة، أو ست سنوات مع الثانوية العامة، معادلة للشهادة الجامعية.

مادة (10) مع مراعاة ما ورد في نظام القضاء من أحكام، وفيما لم يرد فيه نص في هذه اللائحة يخضع كتّاب العدل لجميع الأحكام الواردة في نظام الخدمة المدنية ولوائحه التنفيذية.

اختصاصات كتاب العدل والتفتيش عليهم

يختص كتّاب العدل بتوثيق العقود، وضبط الإقرارات وفقاً للائحة تصدر بقرار من وزير العدل، بناء على موافقة مجلس القضاء الأعلى، ويكون تعيين مقار إدارات كتّاب العدل وتحديد دوائر اختصاصها، وإنشاء إدارات كتابة عدل جديدة بقرار يصدر من وزير العدل (المادة 93).

والبلدان التي لا توجد فيها دوائر كتّاب عدل، تسند مهمة كتّاب العدل فيها إلى قاضي البلد، ويكون له اختصاص وصلاحيات كاتب العدل في حدود الاختصاص المكاني المحدد لقضائه، ويجوز ندب أحد القضاة للقيام بعمل كاتب العدل في حالة غيابه (المادة 94).

ويخضع كتّاب العدل للتفتيش القضائي وفقاً لأحكا هذا النظام (المادة 95).

قوة الأوراق الصادرة من كتاب العدل

نصت المادة (96) على أن: الأوراق الصادرة عن كاتب العدل بموجب الاختصاص المنصوص عليه في المادة (93) تكون لها قوة الإثبات. ويجب العمل بمضمونها أمام المحاكم بلا بينة إضافية. ولا يجوز الطعن فيها إلا تأسيساً على مخالفتها لمقتضى الأصوات الشرعية أو تزويرها.

إجراءات التقاضي

- إجراءات نظر الدعوى
- الأحكام



إجراءات نظر الدعوى

لم يضـع نظام القضـاء أحكاماً لبعض الموضوعات، وترك تنظيمها لنظام المرافعات، ونظام الإجراءات الجزائية، فقد نصـت المادة 26 على أنه: تبين قواعـد اختصـاص المحاكم في نظامـي المرافعات والإجـراءات الجزائية، ونصت المادة 98 على أنه: ينظم نظام المرافعات الخبرة أمام القضاء ويحدد حقـوق الخبراء وواجباتهـم وطريقة تأديبهم، كما قضـت المادة 101 بأنه: يحدد نظام المرافعات الحالات التي لا يجوز للقاضي الحكم فيها.

وإذ كان موضـوع نظامـي المرافعـات والإجراءات الجزائيـة هو تنظيم وبيان إجراءات التقاضـي أمـام المحاكم في جميع أنـواع المنازعات التي تعرض عليها، وكان أي من هذين النظامين لم يصدر بعد، فإنه يظل معمولاً بإجـراءات التقاضـي التي تضـمنها تنظيـم الأعمال الإداريـة في الدوائر الشرعية، ونظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي، وما تضمنته التعليمات الأخرى التي تتعلق بإجراءات التقاضـي، مع مراعاة ما أدخله نظام القضاء على بعض أحكامها من تعديل أو نسخ.

وعلى ضوء ما تقدم نعرض بإيجاز لإجراءات نظر الدعوى، ثم للأحكام التي تصدر فيها.

انعقاد المحاكم في مقارها

الأصـل أن يباشر القاضـي عمله في المقر الرسـمي للمحكمة، فإلى هذا المكان يقصد المتقاضون لعلمهم أنه المكان المخصص للتقاضي. ولا يجوز للقاضـي أن يباشر عمله في غير هذا المقـر، ويتم تحديد مقر المحاكم العامة

والمحاكم الجزئية بقرار من وزير العدل بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى (المادتان 22، 24 من نظام القضاء).

ولما كانت ظروف بعض القضايا تستدعي انتقال القاضي إلى محل النزاع لمعاينته والوقوف على حقيقته على الطبيعة، كما قد توجد ظروف تستوجب عقد المحكمة ف يغير مقرها، فقد نصت المادة 27 من نظام القضاء، على أنه: في غير القضايا التي يقتضي النظر فيها الوقوف على محل النزاع، لا يجوز أن تعقد المحاكم جلساتها في غير مقرها، ومع ذلك يجوز عند الضرورة، أن تعقد المحاكم العامة والمحاكمة الجزئية جلساتها في غير مقرها، ولو خارج دائرة اختصاصها بقرار من وزير العدل.

لغة التقاضي

اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية، ومن ثم فإن التقاضي يجب أن يتم بهذه اللغة، وهذا يستوجب أن تحرر جميع الأوراق، وتتم جميع الإجراءات باللغة العربية، فسماع أقوال الخصوم وشهادة الشهود، تكون باللغة العربية، ولكن قد يكون بعض الخصوم أو الشهود جاهلين اللغة العربية، وفي هذه الحالة يجوز للمحكمة أن تسمع أقوالهم بلغتهم، أو بأي لغة أخرى يعرضها، على أن يتولى مترجم ترجمة أقوال المحكمة للخصم أو الشاهد وترجمة أقوال هؤلاء للمحكمة. وقد قررت هذا الحكم المادة 36 من نظام القضاء فنصت على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمحاكم، على أنه يجوز للمحكمة أن تسمع أقوال الخصوم أو الشهود الذين يجهلون اللغة العربية عن طريق مترجم.

علنية الجلسات

نصت المادة 33 من نظام القضاء على أن جلسات المحاكم علنية، إلا إذا رأت المحكمة جعلها سرية مراعاة للآداب أو حرمة الأسرة أو محافظة على النظام العام. ويكون النطق بالحكم في جميع الأحوال في جلسة علنية.

كما تنص المادة 70 من تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية على أن تكون المرافعات علنية، إلا في الأحوال التي ترى المحكمة أن في إسرارها مراعاة للآداب.

وهذان النصان وإن قررا قاعدة علنية الجلسات، إلا أن النص الوارد في تنظيم الأعمال الإدارية قصر جعل الجلسة سرية على مراعاة الآداب العامة، في حين أن النص الوارد في نظام القضاء وسع من أسباب السرية فأضاف إلى مراعاة الآداب، حرمة الأسرة، والنظام العام.

ويقصد بعلنية الجلسات، أن يكون دخولها مباحاً لمن يريد متابعة ما يجري فيها من إجراءات، والهدف من هذه العلنية أن تكون هناك رقابة للرأي العام على أعمال القضاء، فالقاضي الذي يباشر عمله علانية أمام الجمهور، يخشى أن يأتي بتصرف يخالف الأحكام الشرعية، أو أن يصدر منه تصرف يشكك في عدله ومساواته بين الخصوم.

وتصدر المحكمة قرارها بجعل الجلسة سرية علناً، ثم تخلي بعد ذلك الجلسة من الذين لا تستدعي الخصومة وجودهم بقاعة الجلسة. وسرية الجلسة تقتصر على إجراءات نظر الدعوى، أما الحكم فيجب أن ينطق به في جلسة علنية، وقد نصت على ذلك الفقرة الأخيرة من المادة 33 من نظام القضاء فقررت أن النطق بالحكم في جميع الأحوال يكون في جلسة علنية.

ومما هو جدير بالذكر أن المادة 34 من لائحة تمييز الأحكام الشرعية الصادرة بموجب الموافقة السامية برقم 24836 في 1386/10/29هـ تنص على أن جميع أعمال الهيئة تكون سرية بالنسبة للخصوم وغيرهم حتى تنتهي الإجراءات بنقض أو تصديق.

جرائم الجلسة

للقضاء مكانته ويجب أن يصان من كل ما يمس كرامة القائم به، أو يحل بهيبته، ولذلك نص الفقهاء على أن للقاضي أن يغرر من يعتدي عليه أو على غيره في مجلس القضاء. وقد عرضت لذلك المادة 73 من تنظيم الأعمال الإدارية فصت على أنه: في حالة وقوع جنحة أو جناية بالمحكمة، على الحاكم أن يقرر تعزير الجاني ومن يستحق الجزاء بما يروع، ويحفظ للمجلس الشرعي كرامته، ويرفع ما يقرر في ذلك إلى رئاسة القضاء لتقرير اللازم أسوة بقرارات التعزيرات، هذا إذا كان في العاصمة أما إذا كان في الملحقات يبعث للحاكم الإداري لتنفيذه.

وقد استعملت المادة 73 كلمتي جنحة أو جناية وهما مصطلحان منقولان عن بعض القوانين وليس لهما مدلول معين في النظم السعودية، والمقصود من هذين المصطلحين في المادة 73 أية جريمة مهما كانت درجة جسامتها.

ويتعين أن أشير إلى أن الأمر الملكي رقم أ/126 وتاريخ 1390/8/13هـ قرر أن وزير العدل يباشر الصلاحية المحددة لرئيس القضاة.

ضبط الجلسة وإدارتها

جلسات المحاكم علنية بحسب الأصل، وهذا يبيح تواجد الجمهور بها، ويقتضي ذلك أن يكون للقاضي سلطة ضبط الجلسة، ومنع كل ما يخل بما يجب أن يتوافر فيها من هدوء وعدم إخلال بالنظام. وقد نصت المادة 74 من تنظيم الأعمال الإدارية أن ضبط الجلسة وإدارتها منوط بالحاكم، بحيث يكون له أن يخرج منها من يحصل منه تشويش يخل بنظامها وآدابها من الخصوم المترافعين فيها وغيرهم. فإن تمادى على فعله كان له حبسه فوراً لمدة لا تزيد عن أربع وعشرين ساعة، ومتى أمر بذلك أرسله إلى إدارة الشرطة لحبسه، وعلى إدارة الشرطة تنفيذ ذلك. وإذا اقتضى الأمر زيادة في المجازاة يرفع بذلك إلى رئاسة القضاة.

وأشير هنا أيضاً إلى ما قرره الأمر الملكي رقم أ/126 وتاريخ 1390/8/13هـ من أن وزير العدل يباشر الصلاحية المحددة لرئيس القضاة.

الاختصاص المحلي للمحاكم

سبق أن بينا الاختصاص النوعي للمحاكم، عند الكلام عن تشكيل المحاكم وترتيبها. وهناك نوع آخر من الاختصاص هو الاختصاص المحلي، ويقصد به تحديد المحكمة التي ترفع إليها الدعوى من بين المحاكم المختصة نوعياً بنظرها، والأصل أن الاختصاص المحلي بنظر الدعوى يكون للمحكمة التي يتبعها بلد المدعي عليه، إذ تنص المادة الخامسة من تنظيم الأعمال الإدارية على أن الدعوى لا تقام إلا في بلد المدعى عليه إذا كان في داخل المملكة.

وإذا كان للمدعى عليه مسكن في أكثر من بلد واحد فتقام الدعوى في بلد المدعي، فقد جاء في تعميم رئيس القضاة رقم 3/1707 في 1382/6/8هـ ما يأتي: بناء على المكاتبة الجارية بشأن الأشخاص الذين تقام ضدهم الدعوى، وهم يقيمون في أكثر من بلد والمنتهية بخطاب صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء رقم 2714 في 1382/5/1هـ فاعتمدوا أن الدعوى تقام في بلد المدعي إذا كان للمدعى عليه مسكن في أكثر من بلد واحد. وعليكم العمل بمقتضاه في المرافعات الشرعية.

وإذا تعدد المدعى عليهم فالعمل يجري في المحاكم الشرعية على أن الدعوى تقام في البلد الذي يوجد فيه أكثرهم.

وفي المواد الجزائية ترفع الدعوى أمام محكمة البلد الذي وقع الحادث في دائرتها، أو المحكمة التي بها بلد المدعى عليه. وقد رأت بعض المحاكم أن الدعوى لا تقام إلا في المحكمة التي بها بلد المدعى عليه، إعمالاً لنص المادة الخامسة من تنظيم الأعمال الإدارية. فأصدر وزير العدل تعميماً رقم 18/121/ت في 1396/6/17هـ أوضح أنه في قضايا الحوادث يجوز رفع الدعوى أمام المحكمة التي يتبعها محل الحادث وبين السند النظامي لذلك وهذا نصه:

(إشارة لخطابنا الموجه لفضيلة رئيس محكمة الخرج برقم 599 في 1396/5/20هـ. المعطوف على خطاب صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض رقم 1/2553 في 1396/4/5هـ. بشأن الأوراق المتعلقة بحادث تصادم السيارتين بمنطقة الخرج، الأولى قيادة (...... ......) والثانية قيادة (........ ....) الذي نجم عنه وفاة السائق الأخير، وما أشار إليه سموه من أنه بإحالة الأوراق إلى محكمة الخرج للنظر في القضية بالوجه

الشرعي لقاء الحقين العام والخاص، أعادها فضيلة القاضي بالمحكمة أكثر من مرة، طالباً إحالتها إلى بلد المدعى عليه بوادي الدواسر، تمشياً مع نص المادة الخامسة من تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية، وأنه كثيراً ما يحصل هذا، وطلب سموه تعميد المحكمة بالنظر في القضية، حيث إن حوادث السير تعتبر من القضايا التي تنظر في مكان حدوثها إلا إذا اتفق أطراف القضية على نقلها إلى محكمة ما... إلخ).

وحيث إنه سبق أن أحيل موضوع مماثل لما ذكر للهيئة القضائية العليا لدراسته فأصدرت قرارها رقم 262 في 1395/7/12هـ. المتضمن أن هذه القضية وأمثالها من قضايا الحوادث تقع في بلد غير بلد المدعى عليه، ويطلق المتهم فيها بالكفالة الحضورية، يكون المدعي فيها المدعى عليه، ولا فرق في ذلك بين أن تكون الدعوى بالحق الخاص والحق العام. فإذا اختار المدعي إقامتها في محكمة بلد الحادث فليس للمدعى عليه اعتراض على ذلك محتجاً بالمادة الخامسة من تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية المشار إليها، لان تقديمه للكفيل ينفي التزامه بالحضور لدى الدائرة التي وقع الحادث فيها إذ أنه لو لم يقدم كفيلاً لظل سجيناً وحوكم في البلد الذي سجن فيه، وقد تستوجب الإجراءات القضائية سماع شهادة شهود الحادث أو معاينة مكانه، وحينئذ تكون المحكمة التي وقع الحادث في دائرتها أقدر من غيرها على تحقيق العدالة. انتهى.

نأمل الاطلاع والتمشي بموجبه.

إذا نقل المتهم إلى سجن بلد غير بلد ارتكاب الجريمة فيكون الاختصاص للمحكمة التي يوجد بدائرتها سجن المتهم.

إجراءات رفع الدعوى

ترفع الدعوى بشكوى يقدمها المدعي إلى المحكمة المختصة، وعلى قاضي المحكمة أن يعين في يوم تقديم الدعوى إليه تاريخ الجلسة، مع مراعاة الترتيب في الأقضية، فإذا كان المدعي مسافراً أو امرأة في دعوى يسيرة، فيجب البت فيها بالسرعة الممكنة. (المادة 1 من نظام تنظيم الأعمال الإدارية) وكذلك قضايا المسجونين في تهم توجب التعزير أو الحد، تبادر المحكمة المختصة بالنظر فيها من حين وصول الأوراق إليها وإصدار الحكم بشأنها في أسرع وقت ممكن (المادة 75 من نظام تنظيم الأعمال الإدارية).

ويقضي الأمر الملكي رقم 20941 وتاريخ 1387/10/28هـ بأنه إذا كانت الدعوى مقامة على جهة حكومية، فلا تنظر المحاكم، قبل العرض على المقام الكريم. ونص تعميم وزارة العدل رقم 2/122/ت وتاريخ 1391/7/18هـ بأنه في حالة وجود قضية منظورة يشملها الأمر الملكي الكريم فإن على المحكمة أن ترفع عنها لوزارة العدل مباشرة لتتولى هي الرفع عن ذلك للأنظار السامية.

وترفع الدعوى على الخصم المطلوب صدور الحكم عليه - أما إذا كانت الدعوى مرفوعة على جهة حكومية، فقد نصت المادة 13 من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه: تقام الدعوى المرفوعة من الأفراد على الدوائر الرسمية، على رئيس الدائرة أو من يمثله. ونصت المادة 14 من هذا التنظيم على أنه: تعتبر الوكالة العامة بمذكرة رسمية من رئيس الدائرة للمحكمة التي تقام لديها تلك الدعوى.

كما تضمنت المادة 23 من تنظيم الأعمال الإدارية حكماً خاصاً بالدعوى المتعلقة بالديون التي على شخص توفى، إذا كانت التركة محجوزة لدى بيت المال، فقضت بأنه: تسمع دعوى الديون على المتوفى في مواجهة مأمور بيت المال إن كانت التركة محجوزة لديه ولو لم يكن تحت يده ما يفي بالمدعي به، على شرط حضور الوارث أو الوصي إن وجد في البلدة المقام بها تلك الدعوى.

إعلان الخصوم بتاريخ الجلسة

إذا حددت المحكمة للمدعي جلسة لسماع دعواه، فعلى قلم كتّاب المحكمة أن يأخذ توقيعه على نموذج (1) وإذا كان المدعي أمياً وليس له ختم، وجب على من يتولى إشعاره، بيان ذلك في الأصل، بحضور شاهدين يوقعان على الأصل، مع توقيع من يتولى الإشعار (المادتان 1، 6 من تنظيم الأعمال الإدارية).

وعلى المحكمة أن تشعر المدعى عليه بالحضور في الوقت المعين لسماع الدعوى عليه. وعلى المدعى عليه الحضور في الوقت الذي تحدده دون تأخير (المادة 3 من نظام تنظيم الأعمال الإدارية) ويتم إشعار المدعى عليه بأن تبعث المحكمة إليه ورقة جلب على نسختين نموذج رقم (2)، مع خلاصة الدعوى المقامة عليه (المادة 7 من تنظيم الأعمال الإدارية) وعلى المحضر أن يرجع إلى دائرة المحكمة قسيمة الإشعار موقعة من المدعى عليه بما يفيد تسلمه للإشعار (المادة 8 من تنظيم الأعمال الإدارية) وإذا امتنع المدعى عليه من التوقيع وكان لا يعرف الكتابة ولم يكن له ختم، وجب

على من يتولى إشعاره بيان ذلك في الأصل بحضور شاهدين يوقعان على الأصل مع توقيع من يتولى الإشعار ويكتفي بذلك (المادة 6 من تنظيم الأعمال الإدارية).

وعلى المحكمة أن تنظر في الدعوى المقدمة لها والتي لا تحتاج إلى تحقيق يتعلق بالحق العام دون وساطة الإمارة أو الشرطة. وعلى المحكمة إحضار الخصم بما لديها من إمكانات، ومن طريق الإمارة أو الشرطة عند الحاجة، وذلك لاختصار الإجراءات وراحة أرباب المصالح (موافقة جلالة الملك المعظم رقم 23512 في 1380/11/25هـ).

وإذا كان المدعى عليه غائباً خارج المملكة العربية السعودية، فعلى المحكمة إشعاره بخلاصة الدعوى المقامة عليه، وتعيين وقت للنظر فيها بواسطة المراجع المختصة، مراعية في تحديد الجلسة، مسافة ذهاب الإشعار ومجيء المدعى عليه أو وكيله (المادة 4 من تنظيم الأعمال الإدارية) وقد جاء في تعميم رئيس القضاء رقم 3/5816 في 1383/1/5هـ أنه عند إعلان الخصم المقيم في الخارج يكون ذلك من صورتين تسلم صورة للمطلوب إعلانه وتعاد الثانية موقعاً عليها منه، أو مؤشراً عليها بما يفيد التسلم أو الامتناع عنه ثم يجري اللازم شرعاً في القضية.

ونص تعميم وكيل وزارة العدل رقم 2/58/ب في 1390/5/2هـ على ما يأتي:

(نبلغكم من طيه نسخ من خطاب صاحب السمو الملكي وزير الداخلية التعميمي رقم 5437 في 1390/4/20هـ. حول موضوع تبليغ الأوراق القضائية، ونرغب الاطلاع والإحاطة بما جاء فيه:

في المكاتبة الدائرة بين وزارة الخارجية وقائمقام جدة بخصوص إبلاغ أوراق قضائية لاحظنا النقاط التالية:

1 – أنه ما كان يجب إلزام المبلغ بتوقيع الأوراق، طالما أن له عذراً قانونياً في عدم التوقيع كسبق رفع دعوى بنفس الموضوع أمام إحدى المحاكم في المملكة. بل يكتفي في هذه الحالة مطالبته بإبراز ما يثبت إدعاءه كاستصدار شهادة من المحكمة التي سجلت لديها الدعوى مدوناً موضوع الدعوى وتاريخ تسجيلها لديها أو صورة من الحكم إن صدر.

2 – كما أنه لا يجوز أيضاً إجبار المبلغ على توقيع الأوراق إذا بلغت له في وقت ضيق لا يستطيع معه حضور المحاكمة - وبالتالي أيضاً إذا كانت قد بلغت له بعد أن فات موعد الجلسة.

3 – لوحظ أن بعض المراد إبلاغهم، درجوا على استعمال الادعاء الذي ينص على أن الدعوى لا تقام إلا في بلد المدعى عليه، وذلك وقت إبلاغهم بالأوراق القضائية. وبالنظر إلى أن المملكة مشتركة باتفاقية الإعلانات والإنابة القضائية المعقودة بين دول الجامعة العربية، والتي يجوز بموجبها للمدعي أن يرفع دعواه في موطنه بموجب قانون دولته تسهلاً لإجراءات التقاضي بين رعايا دول الجامعة العربية، فإنه يلزم المبلغ بعد توقيعه الأوراق إما أن يذهب بنفسه إلى المحكمة التي صدرت منها الأوراق أو يوكل من يشاء، ولا يقبل منه إطلاقاً الدفع بأن الدعوى تقام في بلد المدعى عليه خاصة إذا كان قد وقع على الأوراق لأن ذلك يضيع عليه ماله من دفع في الدعوى المرفوعة عليه. لكن يجوز له الآخر كمدع رفع الدعوى في موطنه، ويبلغ المدعى عليه بموجب أوراق قضائية لحضور المحاكمة شريطة

ألا يكون الخصم قد سبق برفع الدعوى في موطنه وألا يكون بالتالي وقع على الأوراق المطلوب إبلاغها له.

4 - إن بعض الجهات المختصة التي تقوم بعملية إحضار المدعى عليه لإبلاغه بالأوراق، تلجأ إلى عملية إلزام المبلغ بالتوقيع على الأوراق، دون المبالاة بما لديه من دفوعات تكون مقبولة حسب إجراءات اتفاقية الإعلانات والإنابة القضائية، وبذلك يفوتون عليه طرقاً تكون في صالحه إذا كان معه حق فيها. ولذا يجب التنبيه والتأكيد عليها بمراعاة إعطاء الفرص للمدعى عليهم، شريطة ألا يكون ذلك على حساب الحق ومجريات العدالة. كما أن بعض تلك الجهات تنسى تسليم المبلغ صورة من أوراق التبليغ، ولا توضح اسم الموظف الذي قام بالتبليغ وتاريخ اليوم الذي بلغ فيه المدعى عليه بها.

لذا نأمل الإحاطة وسرعة تعميم ذلك وإفهامه للجهات التنفيذية المرتبطة بكم وملاحظة الرقابة على تلك الجهات بالتقيد بموجبه).

ورغم أن إعلان المدعى عليه بالدعوى واجب إلا أنه يجوز نظر الدعوى دون إعلانه إذا كان حاضراً، فقد نصت المادة (10) من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه: متى حضر خصمان أمام القاضي وطلبا رؤية قضيتهما والبت فيها لسهولتها، فعلى القاضي أن يسمعها في الحال إن لم يكن مشتغلاً في قضيا أخرى محدد لها ذلك الوقت، ويأمر أحد نوابه بسماعها ما لم يكن كذلك. فإن كان القاضي ونوابه مشتغلاً كل منهم بالنظر في قضية أخرى. فعلى القاضي أن يسمع الدعوى في آخر الجلسات في ذلك اليوم إن لم يجد فرصة لسماعها هو أو أحد نوابه في خلال الجلسات.

كما نصت المادة (11) منه على أنه: إذا عين القاضي أو نائبه جلسة لشخصين متداعيين ثم حضراً في غير الوقت المعين وطلبا منه رؤية قضيتهما، فعليه أن يجيب هذا الطلب إن كان غير مشتغل بالنظر في قضية أخرى محدد لها ذلك الوقت.

نظر الدعوى

عندما يتقدم المدعي بدعواه إلى المحكمة، يتعين إثباتها في سجلات المحكمة، ولا تسجل حرفياً وإنما يسجل اللازم منها. فقد نصت المادة (12) من تنظيم الأعمال الإدارية على أن عموم الدعاوى والجوابات وسائر الإفادات التي يقدمها الطرفان مطولة بالحشو وما لا طائل تحت في المحاكمة، على الحاكم تلخيص اللازم منه ودرجه بدفتر الضبط، والتوقيع عليه من قبله وحفظ الأصل بالإضبارة الخاصة بذلك، ولا يحق للقاضي رصد ذلك حرفياً بالضبط، ولا سؤال الخصم عما هو خارج عن الصدد.

وأوجبت المادة (15) من تنظيم الأعمال الإدارية، على الكاتب المختص، أن يعد قبل الجلسة، للقضية التي سينظر فيها ملفاً خاصاً بها نموذج (4) يوضح فيه ما يأتي:

1 – خلاصة الدعوى المرصودة بالضبط.

2 – المستندات التي يقدمها له أحد الخصوم.

3 – الإفادات التحريرية بعد أخذ توقيع مقدمها عليها، وعلى القاضي أن يوقع عليها كذلك.

وحتى يتسنى للقاضي سرعة إنجاز القضايا التي تعرض عليه والفصل فيها، فقد نصت المادة (41) من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه: على الحاكم أن يتأمل كل قضية قبل حلول وقت جلستها بيوم ليتمكن من فهمها، ويهيئ ما يتطلبه السير فيها، حتى إذا عقدت الجلسة لا يفوته شيء مما يلزم إجراؤه، بل يستوفي جميع الإجراءات اللازمة في نفس الجلسة دون تأخير أو تعطيل، ولا يؤجلها إلى جلسة أخرى إلا للضرورة. وعلى كاتب الضبط تقديم كشف له يومياً بالقضايا التي سينظر فيها في اليوم الثاني ليتأملها قبل جلساتها.

وتبدأ إجراءات سماع الدعوى بأن يسال الحاكم (القاضي) المدعي عما هو لازم لصحة دعواه حتى تصح عنده قبل استجواب المدعى عليه، وليس له ردها لتصحيحها، ولا السير فيها قبل ذلك (المادة 18 من تنظيم الأعمال الإدارية).

ثم يكلف الحاكم المدعى عليه بالجواب حالاً. فإذا كان الجواب يعسر عليه في المجلس، كاحتياج المدعى عليه لمراجعة دفاتره، أو استحضار وثائقه أو تحرير كشف حسابي، يمهل مدة كافية في نظر القاضي. وفي غير هذه الأحوال لا يمهل الخصم في الجواب. (المادة 19 من تنظيم الأعمال الإدارية).

وإذا امتنع المدعى عليه على الجواب كلياً، أو أجاب جواباً غير ملاق للدعوى، كرر عليه الحاكم طلب الجواب الصحيح ثلاثاً في نفس الجلسة. فإذا أصر على ذلك اعتبره ناكلا بعد إنذاره، وأجرى في حقه مقتضى المنصوص عليه شرعاً. (المادة 20 من تنظيم الأعمال الإدارية).

وإذا دفع أحد الطرفين بدفع صحيح، وطلب الجواب من الطرف الآخر فاستمهل لأجله لا يسمح له الحاكم إلا في الحالات التي يرى فيها ضرورة إمهاله (المادة 21 من تنظيم الأعمال الإدارية).

ولا يجوز تكرار المهلة لجواب واحد. (المادة 22 من تنظيم الأعمال الإدارية).

وإذا قدم أحد الخصوم مستندات إلى المحاكم، فعلى كاتب الضبط تسلمها بعد التحقيق من سلامتها، وقيدها في قسيمتي مجلد قائمة تسلم المستندات المطبوعة رسمياً، ويسلم إحدى القسيمتين لمقدم المستندات بعد توقيعه هو والحاكم ومقدم المستندات على كل من القسيمتين، ومتى رؤي في المستندات ما يوجب الاشتباه فيها، وجب بيان ذلك في القسيمتين بياناً لا يحتمل الشك في المستقبل، ولا يحق للكاتب أن يتسلم من أحد الخصوم مستندات إلا بحضور القاضي وأمره، وإذا كان المستند غير مسجل فلا بد من أخذ توقيع مقدمه على نفس المستند على أن هذا المستند هو المقدم منه. (المادة 16 من تنظيم الأعمال الإدارية).

ولا تسلم المستندات لمقدمها بعد الحكم إلا بأمر من القاضي، وتقديم سند التسليم الذي بيده، فإن ادعى فقده فلا يجوز تسليمها إلا بأمر القاضي أو رئيس المحكمة، مع أخذ سند عليه بالتسليم، وتقرير ذلك في ضبط القضية، في آخر ضبط المرافعة، وأخذ توقيعه عليه، كذلك لا تسلم المستندات قبل الحكم في الدعوى إلا بأمر القاضي أو رئيس المحكمة، سواء وجدت قائمة التسلم أو لم توجد، ولا يجوز الأمر بالتسليم إلا في حالة الضرورة الشديدة بعد أخذ توقيع بالتسلم. (المادة 17 من تنظيم الأعمال الإدارية).

ونصت المادة 72 من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه يجوز لكل من المتداعيين الاطلاع على مستندات وإفادات الطرف الآخر في المحكمة بأمر من القاضي دون إعطائه صورة من المستندات.

وبعد الفراغ في الدعوى والإجابة، يشرع حاكم القضية في توجيه الأسئلة على من تتوجه عليه من الخصمين، وتحرير الإجابات، وطلب البيانات، ورصد الشهادات ثم سؤال المشهود عليه عن حال الشهود، وتحرير ما لديه من طعن شرعي فيمن شهد عليه، وتكليفه بإحضار البينة على ذلك. وإذا لم يدل بطعن في الشهود وتمت تزكيتهم لدى الحاكم الشرعي، فعند ذلك يحرر القاضي حكمه بآخر القضية في الضبط، مدعماً بالحيثيات والمستندات التي استند عليها في حكمه، وكل من له شهادة أو نحوها محرر في الضبط يؤخذ توقيعه تحت ما كتب عنه مضافاً إلى ذلك توقيع حاكم القضية بجانبه (من خطاب رئيس القضاة برقم 1253/ 3 في 1381/3/2هـ بشأن طريقة سير الدعاوى في المحاكم الشرعية).

غياب المدعى عليه

يجب على القاضي أن يستمع إلى كل من المدعي والمدعى عليه، ولذلك أوجب النظام أن يكون كل منهما على علم بتاريخ الجلسة التي حددت لنظر الدعوى، ومن واجب الحكمة أن تطمئن إلى إعلان الخصوم بتاريخ الجلسة، فنصت المادة (171) من نظام تركيز مسؤوليات القضاء على أن من واجبات المحضر جلب الخصوم وإحضار كل من ترغب المحكمة في إحضاره، وتكرر هذا الحكم في المادة (174)، كما نصت المادة (172) منه على أن من واجبات المحضر القيام بإبلاغ أوراق الجلوب إلى الخصوم، وأخذ

توقيعهم على تبليغهم ذلك، وإعادة الجلب إلى المحكمة موقعاً من المجلوب. وإذا أفاد المحضر بأنه لم يعثر على الشخص المراد جلبه، فلا بد للمحكمة من التحقق عن إفادته هذه، وتعتبر الشخص المجلوب لم يصله التبليغ، ولا يسوغ للمحضر ترك ورقة الجلب عند أحد لا يبلغ الجلب للمجلوب.

وفضلاً عن ذلك فقد نصت المادة 24 من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه: يخصص في كل مدينة من المدن الكبار كمكة والمدينة وجدة والطائف مخفر شرطة، يكون مقره بالمحكمة أو قريباً منها، مشتمل على ضباط وعدة جنود تكون مهمته إجابة طلبات المحكمة وتنفيذ أوامرها في إحضار من تشعره المحكمة بإحضاره، في الأوقات التي تحددها المحكمة، سواء كان الطلب كتابياً أو شفهياً أو تليفونياً، على أن يكون بالمخفر المذكور تلفون ودراجات نارية بقدر الحاجة لتسهيل أمور الطلبات، مرتبطاً بالمحكمة رأساً في هذه الأعمال، وعليه تنفيذ طلبات المحكمة من غير رجوع إلى مرجعه، وفي غير المدن الكبار يكون المكلف بإحضار الخصوم وإجابة طلبات المحكمة على النحو المذكور مدير شرطة البلدة.

ونصت المادة 25 منه على أنه عند اقتضاء الحاجة للمحكمة إلى إحضار أشخاص بواسطة الشرطة، فعلى مديرية الأمن العام وجميع مخافر الشرطة إجابة الطلب المذكور وإحضار المطلوبين للمحكمة.

كما نصت المادة 28 منه على أنه: يجري إحضار العربان وتبليغهم الدعوى بواسطة القائمقام بالعاصمة، وفي الملحقات بواسطة الحكام الإداريين على النحو المذكور أعلاه، والقائمقام والحكام الإداريون مسؤولون عن إحضارهم في الأوقات المطلوب حضورهم فيها وعن تغيبهم.

غير أن غياب المدعى عليه عن الجلسة وعدم إمكان إحضاره إليها لا يحول دون نظر القاضي للدعوى، وسماعه طلبات المدعي، وبحث أسانيده في ادعائه، وبيّن تنظيم الأعمال الإدارية ما يجب على القاضي إتباعه في هذه الحالة، فقضى بأنه إذا حضر المدعي ولم يحضر المدعى عليه بمجلس الحكم في الوقت المحدد، ولم يقدم إلى المحكمة عذراً مقبولاً، فعلى الحاكم إحضاره في الحال بواسطة مخفر الشرطة المخصص للمحكمة حالاً، ويأمر المدعي بالانتظار ريثما يجري إحضار خصمه، ويستمر القاضي في النظر في القضايا الأخرى حتى يحضر الخصم المطلوب، وينظر في دعوى خصمه عليه، ولو في نهاية الجلسات. وإذا انتهى وقت الدوام بالمحكمة ولم يعثر عليه فعلى الحاكم أن يعين جلسة أخرى لا يتجاوز ميعادها الثلاثة الأيام، ويكلف الخفر بالبحث عن الخصم المتخلف بمساعدة عمدة المحلة وتبليغه وقت الجلسة الثانية، وإخطاره بأنه إذا لم يحضر فيها فسيستمر الحاكم في القضية ويحكم عليه غيابياً، ويؤخذ عليه محضر بذلك موقع من رئيس المخفر وشاهدين. هذا إذا كان المدعى عليه من المقيمين في البلدة بما فيهم الموظفون (المادة 26).

وإذا حضر في الجلسة الثانية المدعى عليه المتخلف في الجلسة الأولى فيها، وإلا فعلى الحاكم رصد المحضر بدفتر الضبط والسير في القضية وسماع البينة عليه غيابياً، مع إشعار المدعى عليه بذلك وبموعد الجلسة الثالثة فقط. (المادة 27).

وإذا ألزم الأمر إلى إحضار المدعى عليه لكونه ناظر وقف أو وصياً ونحوهما للمحاسبة على ما تحت يده، ولم يحضر بعد تطبيق الإجراءات المذكورة أعلاه، فعلى الحاكم منعه من التصرف في المدعي فيه، والحجز

عليــه من قبل مأمور بيت المال مؤقتاً، ثم يجري إحضــاره بالقوة التنفيذية (المادة 30).

وإذا توجه يمين على شــخص وامتنع عن الحضور يجلب بالقوة التنفيذية (المادة 31).

وتســمع شهادة الشهود في غيبة المشــهود له في قضايا الجنح والجنايات بشرط أن يكون المشهور عليه حاضراً (المادة 33).

وإذا اســتمهل أحد الخصوم لإحضــار بينته الغائبة عن المجلس أمهل أقل مــدة كافية في نظــر الحاكم، هذا إذا لم تكن غائبة في بلــد فيها قاض، وإلا فعلى الحاكم حينئذ أن يكتب لذلك القاضي عن هذه الدعوى ويطلب منه سماع البينة ويفهم صاحب البينة بأن يقم بينة لذلك الحاكم في مدة يعينها له. (المادة 34).

وإذا لم يحضر المستمهل شهوده في الجلسة المعينة، أو أحضر منهم فيها من لم تقبل شــهادتهم، يمهل ثانياً. فإذا لم يحضرهــم كلك أو أحضر من لم تقبل شــهادتهم، ينذر باعتباره عاجزاً. وإذا لم يحضرهم في الجلسة الثالثة يعتبره الحاكم عاجزاً ويفصــل في الخصــومة بعد توفر أسباب الحكم ما لم يكن له عذر كغيبة الشهود. (المادة 35).

ومتــى ذكر المدعــي أنه لا بينة له مطلقاً، أو غير من أحضر، أو ذكر تنازلاً عن دعواه أو إســقاط حقهــن فيكفي بتوقيعــه إن كان يكتب، وفي الحالة التي يعذر فيها بأميته أو جهله فلا يعتبر توقيعه ببصــمة إبهامه أو ختمه، إلا بشــهادة شــاهدين يوقعان على إفادته خوفاً من أن يدخل عليه ما لم يقله أو ما يجهل معناه (المادة 36).

وتقضي المادة 39 بأنه: إذا قدم الغائب قبل الحكم وعلم الحاكم بقدومه لم يحكم عليه حتى يحضر في مجلس الحكم، ويخبره الحاكم بالدعوى ويسمع ما لديه من دفوع وإثبات وجرح.

شطب القضية إذا تغيب الخصوم

تنص المادة 32 من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه: إذا لم يحضر المتداعيان ولا وكلاؤهما في الجلسة المحددة، ولم يتقدم من المدعي عذر مقبول في أقرب مدة ممكنة في نظر الحاكم، فعلى المحكمة شطب القضية، وله أن يستأنفها حسب الأصول مرة ثانية، وإذا تركها بغير عذر أيضاً تشطب ولا تسمع إلا بأمر عال صريح يصدر بسماعها.

وقد بين تعميم فضيلة نائب رئيس القضاة رقم 3/1067 في 1384/4/12هـ الأثر المترتب على شطب الدعوى فذكر أنه: لوحظ على بعض القضاة في حالة إذا تأخر المدعي عن موعد الجلسة لأسباب اضطرارية تشطب القضية، والمطالبة بالتقدم من جديد حين يريد استئناف القضية. ولما كان هذا الإجراء يضيع بعض المجهودات المبذولة في سبيل تلك القضية من قيودات وضبط وغير هذا، بالإضافة إلى ما ينال الخصوم من عناء ومشقة، وما يحول دون الاستمرار في إنهائها، فاعتمدوا أنه متى نظرت قضية من قبلكم وشطبت لتأخير المدعي أو المدعى عليه، ثم أعيدت مرة أخرى بأي طريق، فإنها لا تعتبر إلا قضية واحدة وتبنى على مجرياته السابقة.

الوكالات في الخصومة

ليس من الضروري أن يمثل الخصم بشخصه أمام القاضي إلا إذا تعين ذلك، كما إذا كان مطلوباً منه أن يحلف اليمين، ومتى كان حضور الخصم بشخصه غير واجب فإنه يجوز له أن يوكل عنه غيره في الحضور المحكمة، وقد بينت المواد 59 – 66 من تنظيم الأعمال الإدارية أحكام الوكالات. وهذه نصها:

مادة 59: لكل شخص حق التوكيل بلا تقييد.

مادة 60: تقبل وكالة أي شخص في قضية واحدة إلى ثلاث فإذا باشر ثلاث قضايا عن ثلاثة أشخاص متعددين لا تقبل وكالته، وله استمرار المباشرة عن موكليه الثلاثة المذكورين مهما تعددت قضاياهم.

مادة 61: لا يحق للموظفين التوكل عن الغير إلا عن قريب من النسب.

مادة 62: إجازات مهمة الوكالات تعطى من قبل هيئة علمية يجرى انتخباها من قبل القاضي في بلد طالب الإجازة.

مادة 63: لا تعطى إجازة التوكيل إلا لمن توفرت فيه الشروط الآتية:

أ – أن لا يقل عمره عن إحدى وعشرين سنة.

ب – أن يكون حسن السيرة والسلوك.

ج – أن يكون من رعايا حكومة جلالة الملك.

د – أن يكون من المتحصلين على الشهادة النهائية من المعهد السعودي أو القسم العالي من مدارس الفلاح أو على شهادات تعادل إحدى هاتين الشهادتين بقرار من مديرية المعارف.

هـ – الأشخاص الذين مارسوا القضاء أو تحصلوا على شهادة التدريس أو شهد لهم قاضي البلد أو عالم معتبر بأهليتهم للوكالة.

مادة 64: الأشخاص المجردون من الشهادات المنوه عنها في المادة (63) يجرى إثبات كفاءتهم عن طريق الاختبار في المسائل القضائية بواسطة الهيئة العلمية المذكورة.

مادة 65: يعمل بهذه الإجازات بعد تصديقها من قبل هيئة التدقيقات الشرعية.

مادة 66: يجوز للوكيل أن يطلب من فضيلة القاضي إمهاله بقصد الاستيضاح من موكله عما سئل عنه على أنه إذا ظهر للمحكمة من أحد الوكلاء كثرة استمهالات بحجة سؤال موكله بقصد المماطلة فلها حق طلب الموكل بالذات لإتمام المرافعة.

اعتزال الوكيل أو عزله

ماذا يكون الحكم إذا عزل الوكيل في الخصومة أثناء سير الدعوى وقبل الفصل فيها، أو عزله موكله؟ لقد عرضت لذلك المادة 95 من تنظيم الأعمال الإدارية وقضت بأن الوكيل في الخصومة والتبليغ إذا عزل نفسه أو عزله موكله، فإن كان الموكل بداخل البلاد كلف بالحضور لسماع دعواه، وإن كان غائباً عن البلدة مطلقاً حكم عليه غيابياً بالبينة، والغائب على دعواه إذا حضر.

الادعاء العام

إذا ارتكبت جريمة فإن المجني عليه لا يحق له أن يرفع الأمر إلى القضاء إلا إذا مست الجريمة حقاً خاصاً له، فإذا لم تمس الجريمة حقاً خاصاً لشخص من الأشخاص، فإنه يتعين أن يوجد من يطالب بالحق العام، ويرفع الأمر إلى القضاء لتوقيع العقوبة على الجاني في هذه الحالات، وكذلك إذا تنازل المجني عليه عن حقه الأصل ولم يبق إلا الحق العام. وقد بين قرار مجلس الشورى رقم 171 في 1352/8/1هـ المقترن بالصديق الملكي العالي رقم 813/1310 في 1353/4/6هـ الأحكام التي تتبع في الادعاء العام فنص على ما يأتي:

1 – على رئيس القسم العدلي بمكة أو من يقوم مقامه من مديري الشرطة في الملحقات أن يرفع الدعوى في الحقوق العامة بذاته، وفي حالة مرضه أو ضرورة طارئة يجوز له أن ينتدب عنه من موظفي دائرته من ينوب عنه في جميع قضايا الجنح والتعزيرات والجنايات ذات الحق العام التي ليس فيها مدع أصلاً، كقضية شرب الخمر أو فيها مدع تنازل عن دعواه.

2 – على جميع المحاكم المختصة بالنظر في القضايا ذات الحق العام، أن تشعر الجهات المختصة في إدارة الشرطة بإقامة الدعوى العامة في الدعوى التي تنازل أصحابها عن حقوقهم الشخصية أمامها وكانت ذات حق عام، حتى تنتدب تلك الجهة من يطالب بهذا الحق.

3 – إذا شطبت المحكمة قضية من القضايا ذات الحق العام لغياب المدعي (مثلاً) وجب عليها إخطار الجهة الخاصة برفع الدعوى العامة حتى تنتدب من يطالب بهذا الحق.

4 – علـى الجهـات المختصـة برفع الدعـوى، أن تعلـن المحكمة بعدد القضايا التي سترفع أمامها محددة الوقت المناسب قبل يومين على الأقل.

5 – يجـب علـى هـذه الجهات المختصـة أن تقـدم للمحكمـة جميع المستندات اللازمة التي تطلبها المحكمة من شهود ووثائق ونحوها.

6 – القسم العدلي مكلف بلزوم تقديم أوراق الدعوى العامة إلى المحكمة المختصة حالاً من حين انتهاء التحقيق اللازم حسبما يقتضيه النظام.

7 – يقوم مديرو الشرطة في الملحقات مقام القسـم العدلي في العاصـمة من جهة مباشرة الدعوى في القضايا العامة.

8 – على المحكمة تعيين يوم الجلسـة وتحديد وقت المرافعة وإشـعار رئيس القسم العدلي في العاصمة ومديري الشرطة في الملحقات بالحضور إليها لإقامة الدعوى وعلى هؤلاء المبادرة إلى إجابة طلب المحكمة في الوقت المحدد.

9 – على المحكمة المبادرة بتعيين وتحديد يوم المحاكمة في القضايا المشار إليها والتعجيل بإشعار الجهة المختصة بذلك.

تم صدور قرار مجلس الشورى رقم 210 وتاريخ 1358/11/6هـ. ويقضي بأن يمثل الإدعاء العام في المدن الحجازية الهامة مفوضو القسم العدلي.

أما حيث لا يوجد مفوض للقسـم العدلي فكان رئيس الشرطة هو الذي يتولى الادعاء أمام المحاكم.

وبعد نقل رئاسـة القضاء إلى الرياض انتقل القسم العدلي هو الآخر، إلى الرياض وألحق بوزارة الداخلية وصـار يتـولى الادعاء أمام جميع المحاكم في البلاد التي بها مراكز شرطة، أما البلاد التي ليس بها مراكز شرطة فيعين الحاكم الإداري أحد موظفيه ليقوم بمهمة الادعاء العام.

وأصدرت رئاسة القضاء تعميماً برقم 330/3/م وتاريخ 1386/1/17هـ، خاصاً ببيان من يمثل الادعاء العام في القضايا التي يجرى التحقيق فيها بمعرفة المباحث العامة وينص على ما يأتي:

1 – بالنسبة للقضايا التي تضبط في مديريات المباحث العامة في المناطق الشرقية والغربية والوسطى والجنوبية ويجرى التحقيق فيها من قبل المباحث العامة، بشخص ضابط من قبل هذه المديرية من ضباط التحقيق، كمدع عام في تلك القضية عندما تنظر لدى الحاكم الشرعي.

2 – أما بالنسبة لمراكز البحث الفرعية، فيتولى المدعي العام الذي ينظر مختلف القضايا العامة، النظر في قضايا المباحث كمدع عنها، ولا بأس من الاستعانة بضباط المباحث المحقق في تلك القضية فيما يحتاج إليه من توضيح أو أدلة إثبات.

الأحكام

وجوب صدور حكم في الدعوى

تنتهي الدعوى بحكم يصدره القاضي يبين فيه مدى أحقية المدعي فيما أدعاه، ولا يكفي أن يبدي القاضي رأيه في النزاع بل يجب أن يصدر فيه حكماً وقد أكد على ذلك تعميم وزير العدل رقم 2/11/ ت في 1391/1/13هـ الذي ينص على ما يأتي:

تلقينا خطاب صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم 4619/ ت في 1390/12/24هـ وفيما يلي نصه:

(وبعد، يحدث في بعض الأحيان عندما تحال بعض المعاملات إلى بعض المحاكم الشرعية، فإن القاضي بدلاً من أن يصدر فيها حكماً يكتفي بالإدلاء برأي في القضية، وتعاد المعاملة بهذا الرأي. وحيث إن المفروض أن تنتهي بحكم شرعي خاصة، إذا كانت قضية تتعلق بجريمة أخلاقية.

لذا نأمل التعميم على القضاء بمراعاة عدم الاكتفاء بالرأي، وإنما يصدر القاضي الحكم حتى يتسنى للسلطة التنفيذية القيام بإنفاذ هذا الحكم الشرعي.

وحيث إن مجرد إبداء الرأي على المعاملات من غير إصدار حكم شرعي فيها، يؤدي إلى تأخير معاملات السجناء وهو أمر لا مبرر له.

نرغب مراعاة ما أشار إليه سموه وعدم الاكتفاء بالرأي في القضية. بل ينبغي إصدار الحكم الشرعي في ذلك).

غير أن هناك حالات لا يلزم صدور حكم فيها، ومن ذلك ما نصت عليه (المادة 36 من تنظيم الأعمال الإدارية) من أنه: متى ذكر المدعي أنه لا بينة

له مطلقاً أو غير من أحضر أو ذكر تنازلاً عن دعواه أو إسقاط حق فيكتفي بتوقيعه إن كان يكتب، وفي الحالة التي يعذر فيها بأميته أو جهله فلا يعتبر توقيعه ببصمة إبهامه أو ختمه إلا بشهادة شاهدين يوقعان على إفادته خوفاً من أن يدخل عليه ما لم يقله أو ما يجهل معناه.

كما تنص المادة 68 من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه يحق للمحاكم الشرعية أن تضبط كل إقرار أو صلح يقع أثناء المرافعة. وعليها إصدار صك من قبلها بذلك. وتقضي بعض النظم بأن يقتصر دور القاضي على النظر في ثبوت التهمة ضد المتهم على أن تتولى جهة إدارية تحديد العقوبة التي توقع على الجاني. ومن ذلك ما نصت عليه المادة 205 من نظام المرور من أنه: تختص وزارة الداخلية – بعد نظر القضية شرعاً – بتوقيع العقوبات المترتبة على حوادث السير المنصوص عليها في المواد 199 و200 و201 من هذا النظام وما يتلازم معها من مخالفات، ويختص الحاكم الإداري بعد نظر القضية شرعاً بتوقيع العقوبات المترتبة على حوادث السير المنصوص عليها في المادتين 202 و203 من هذا النظام.

وهذه المواد الخمس التي أشارت إليها المادة 205 من نظام المرور تتعلق بالقتل الخطأ والإصابات الخطأ.

كما أن مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة أصدر قراراً بشأن موضوع حوادث السطو والاختطاف، أمر جلالة الملك باعتماده والتقيد به في رمضان 1402هـ.

وقد رأى العلماء أن جرائم الخطف والسطو لانتهاك حرمات المسلمين على سبيل المكابرة والمجاهرة من ضروب المحاربة والسعي في الأرض

فســاداً، المستحقة للعقاب الذي ذكره الله سبحانه في آية المائدة، سواء وقع ذلك في النفس أو المال أو العرض أو أحدث إخافة السبيل وقطع الطريق، ولا فرق في ذلك بين وقوعه في المدن والقرى، أو في الصحاري والقفار.

كمــا رأوا أن لفظــة (أو) الــواردة في آية المائــدة للتخيــير.. وأن الخيار المقصــود في الآية معني بــه الإمام ولي الأمر، وليس القاضــي، وأن الإمام مخــير في إيقــاع أي العقوبات الأربع شــاء، من قتل أو صــلب حتى الموت أو تقطيــع للأيــدي والأرجل من خلاف أو نفي مــن الأرض، بأن يحبس المحارب حتى يموت في ســجنه. وإسناد الاختيار إلى القضاة سوف يكون له آثار لا تخدم مصــلحة الأمة. ولا يحصل معها زجر المفسدين، وأن هذا الخيار للإمام في كافة أنواع الحرابة والفســاد المنصوص على حكمه في آية المائدة. ولا يســتثنى مــن ذلك كون المحارب قتل أحــداً أثناء حرابته. فإذا تحقق للإمام أن عدم قتله أعظم دفعاً للمفاســد وأكبر جلباً للمصالح فله أن يختار عقوبة غير القتل من العقوبات المنصوص عليها في الآية.

وطالب العلماء بأن يتولى نواب الإمام، وهم القضاة، إثبات نوع الجريمة والحكــم فيها. فإذا ثبت لديهم أنها من المحاربة لله ورســوله والســعي في الأرض فســاداً، فعليهم أن يقترحوا العقوبة التي يرونها مناســبة حســب اجتهادهم، مراعين واقع المجــرم وظروف الجريمة وأثرها في المجتمع وما يحقق المصــلحة العامة للإســلام والمســلمين. وللإمــام ولي الأمر أن يوفق على العقوبة التي اقترحها القضــاة، أو يختــار عقوبة غيرها من العقوبات المنصوص عليها في آية المائدة.

وأكـد العلماء أنه نظراً لأن جرائم الخطف والسـطو من القضـايا الهامة فتختص بنظرها المحاكم العامة، وتنظر من قبل ثلاثة قضـاة كما هو الحال في قضـايا القتل والرجم، وترفع للتمييز ثم لمجلس القضاء الأعلى لمراجعة الأحكام الصادرة بخصوصهم براءة للذمة واحتياطاً لسفك الدماء.

الهيئة التي تصدر الحكم

القاضـي الذي ينظر الدعوى هو الذي يصـدر الحكم فيها، ولا يغير من هـذا الحكم ما نصـت عليه المادة 46 مـن تنظيم الأعمـال الإدارية من أنه (إذا أشـكل على القاضي شيء قبل الحكم في القضية، فله أن يسأل مرجعه لأخذ رأيه لطلب الاسترشـاد في حل ما أشـكل عليه) لأن مرجع القاضي يرشده ولا يحكم في الدعوى.

وإذا كان في المحكمة حاكمان فأكثر، فكل حاكم أن يحكم في القضـية المحولة إليه بمفرده، مع بيان مستنده في الحكم (مادة 69 من تنظيم الأعمال الإداريـة) ورئيس المحكمـة هو المختص بالنظر في جميـع الدعاوى التي ترد إلى المحكمة، وتقسـيمها على قضاة المحكمة تقسيماً عادلاً، بما فيهم الرئيسـ المذكور، لينظر كل في قسـمه على حدة (مـادة 5 من نظام تركيز مسـؤوليات القضاء الشرعي) وطبقاً للمادة 78 من النظام المذكور للقاضي في الملحقات صلاحيات رئيس المحكمة في جميع المواد المنصوص عليها في هذا النظام.

وبينت المادة 71 من تنظيم الأعمال الإدارية الحكم إذا توفي القاضـي أو عزل من عمله قبل أن يحكم في القضـية، فنصـت على أن المعاملات التي

يعزل أو يتوفى حاكمها قبل البت فيها، فلخلفه من بعده تلاوة ما كتب بها بالضبط بالمحكمة، فإذا كان موقعاً بتوقيع القاضي السابق على توقيعات المترافعين والشهود، فلخلفه اعتماد ذلك والاستمرار في المرافعة، من الحد الذي وقفت فيه لدى حاكمها السابق، وإكمال واجب القضية الشرعي.

أما إذا توفى القاضي بعد صدور الحكم وقبل أن يسجل، فقد نصت (المادة 76 من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي) على أنه: ليس للقاضي أن يأمر بتسجيل صك أو معاملة في السجل لم تكن صادرة منه أو من نواب المحكمة ولا يسمح بذلك أصلاً. وإذا توفي قاض صدرت منه أحكام في ضبوطها ولم تسجل لا يسوغ لرئيس المحكمة تسجيلها، وله أن يسجلها بعد أن يتحقق لديه صحة الحكم بإقرار المتحاكمين، أو بينة تشهد بوقوع الحكم من القاضي المتوفى، أو لم ينكر الخصمان وقوع ذلك.

كما نصت المادة 77 من نفس النظام على أنه: إذا توفي قاض ولم يختم الوثائق التي جرت لديه في سجلاتها بعد تسجيلها، فليس للقاضي الجديد ختمها بختم القاضي المتوفى. وله التصديق عليها في السجل بعبارة تدل على ذلك، بعد مراجعة الضبط والتثبت التام من صحة الوثائق ووقوعها. وحينئذ تكون الوثائق المذكورة معمولاً بها.

ويجب أن يحضر جلسات النظر في القضية وجلسة إصدار الحكم العدد اللازم نظاماً من القضاة. وإذا لم يتوفر العدد اللازم فينذب من يكمل نصاب النظر، وتصدر الأحكام بالإجماع أو الأغلبية، وعلى المخالف توضيح مخالفته وأسبابها في ضبط القضية، وعلى الأكثرية أن توضح وجهة نظرها بالرد على مخالفة المخالف في سجل الضبط (مادة 34 من نظام القضاء). وقد

بينت هذه المادة أن الأصل هو أن يصدر الحكم بإجماع القضاة إذا تعددوا، فإن لم يتوافر الإجماع يصدر الحكم بالأغلبية، ولكن ما الحكم إذا لم يتم الإجماع ولم تتوافر أغلبية، ويحدث ذلك إذا كانت الدائرة مكونة من ثلاثة قضاة وكان لكل عضو رأي يختلف عن رأي الآخرين، أو كانت الدائرة مكونة من خمسة قضاة وكان اثنان من رأي واثنان من رأي آخر وللخامس رأي ثالث؟ ليس في نظام القضاة نص يبين كيفية إصدار الحكم في مثل هذه الحالة، وقد سبق أن استفسر وزير العدل من جلالة رئيس مجلس الوزراء في عام 1390هـ عن الحكم الواجب اتباعه في حالة اختلاف القضاة في الرأي. وقد عممت إجابة جلالته على المحاكم برقم 12/2/ت في 1391/1/14هـ.. وتضمنت الإجابة بيان الحكم في حالة تساوي الآراء وفيما يلي نص التعميم:

تلقينا خطاب صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء المعظم رقم 21774 في 1390/11/26هـ وفيما يلي نصه:

جواباً على كتابكم ذي الرقم 2227/ 1 والمؤرخ في 1390/10/9هـ. حول الاستفسار عن كيفية العمل في القضايا التي ينظر فيها القضاة بصورة مشتركة كالنظر في قضايا القتل والقطع والرجم، وما جاء في قول القضاة إن المادة (67) وكذلك الفقرة (د) من المادة (79) من تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي، لم تبينا كيفية العمل حين اختلاف القضاة بالرأي في حالة الانقسام إلى أكثرية وإلى أقلية، وكذلك في حالة التساوي، نلفت النظر إلى وجوب العمل بالقواعد والأحكام العامة، حين سكوت النصوص الخاصة كما هي الأصول الشرعية، ولما كانت مجموعة النظم (قسم القضاء الشرعي) في مادتها (17) من الفصل الثالث مما صدر به المرسوم الملكي في

4 صفر عام 1346هـ قد نصت في حالة الانقسام إلى أكثرية وأقلية أنه يجري الأخذ بحكم الأكثرية، ولما كان ذلك لا يزال معمولاً به ولم يصدر نظام يلغيه، كما أشرتم في كتابكم المذكور، لذلك يتوجب العمل بهذا النص من غير حاجة على نص جديد، يبين المجمل في المادتين (67)، (79) من تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي. أما في حالة التساوي بين الآراء فيترك الرأي إلى مجلس القضاء الأعلى. انتهى.

فترغب الإحاطة بذلك والاعتماد.

وهذا التوجيه السامي صدر في ظل نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي الذي كان معمولاً به قبل النظام الصادر برقم 109 وتاريخ 1374/1/24هـ والذي يحمل نفس المسمى والذي يحمل نفس المعنى.

والتوجيه السامي بين الإجراء الواجب إتباعه إذا اختلف القضاء في الرأي، وانقسموا إلى أكثرية وأقلية وكذلك في حالة التساوي. والواقع أن حالة التساوي لا يمكن أن تتوافر في ظل النظم المعمول بها، فالدوائر القضائية مكونة من عدد فردي، فهي إما من ثلاثة أعضاء أو من خمسة. ولا يمكن أن ينقسم هذا العدد من الأعضاء إلى قسمين متساويين، وهذا العدد إذا لم يجمع على رأي فإنه ينقسم إلى أغلبية وأقلية أو إلى ثلاثة أقسام لا تتوافر فيها أغلبية، فإذا كانت الدائرة مكونة من ثلاثة أعضاء وكان لكل عضو رأي فلا توجد أغلبية، والحكم كذلك، إذا كانت الدائرة مكونة من خمسة أعضاء ولم يتفق ثلاثة منهم على رأي واحد، بأن كان لكل اثنين رأي وللخامس رأي ثالث، والأمر يحتاج إلى نص خاص يبين كيف يمكن أن يصدر الحكم في مثل هذه الحالة.

علنية النطق بالحكم

يجب أن ينطق القاضي بالحكم الذي يصدره في الدعوى، ولا يكفي أن يكتبه بيده ويدونه في سجلات المحكمة، والنطق بالحكم يجب أن يتم في جلسة علنية. حتى ولو كانت الدعوى نظرت في جلسة سرية، فقد نصت المادة 33 من نظام القضاء على أن جلسات المحاكم علنية إلا إذا رأت المحكمة جعلها سرية مراعاة للآداب أو حرمة الأسرة أو محافظة على النظام العام، ويكون النطق بالحكم في جميع الأحوال في جلسة علنية.

تسبيب الحكم

يتعين أن يتضمن الحكم الأسباب التي بني عليها. والحكمة من ذلك ألاَّ يصدر القاضي حكمه إلا بعد أن يلم بجميع ما تضمنه ملفها من أوراق ومستندات، كما يعلم أطراف الدعوى مدى مطابقة هذه الأسباب للواقع ولحكم الشرع، فإذا وجد فيها ما يخالف ذلك طعن في الحكم وأورد الأسباب التي يستند إليها في ذلك، وقد نصت على وجوب تسبيب الحكم المادة 35 من نظام القضاء فقضت بأنه يجب أن تشتمل الأحكام على الأسباب التي بنيت عليها، وعلى بيان مستند الحكم، كما بينت المادة 42 من تنظيم الأعمال الإدارية ما يجب توافره في أسباب الحكم، فنصت على أنه بعد الحكم تصدر المحكمة إعلاماً مختصراً حاوياً لخلاصة الدعوى والجواب والدفع الصحيح وشهادة الشهود، بلفظها، وتزكيتها، وتحليف اليمين، وأسباب الحكم مع حذف الحشو والجمل المكررة والتي لا دخل لها ولا تأثير في الحكم.

وإذا لم يصـــدر الحكم بالإجماع فعلى المخالف توضيح خالفته وأسبابها في ضبط القضية، وعلى الأكثرية أن توضح وجهة نظرها بالرد على مخالفة المخالف في ســجل الضــبط، (مادة 34 من نظام القضاء). وتوضيح مخالفة المخالف وأسبابها والرد عليها يكتفي بإثباته في سجل الضبط ولا يثبت في أسباب الحكم لما في ذلك من إخلال بقاعدة سرية المداولة.

مراجع القضاء في الأحكام الشرعية

تطبــق المحاكــم في قضــائها الأنظمــة والتعليمــات التي يصــدرها ولي الأمر. وإذا لم يكن هناك نص في النظم أو التعليمات فإنها تســير وفق قرار الهيئة القضــائية عــدد 3 في 1347/1/7هـ المقترن بالتصــديق العالي بتاريخ 1347/3/24هـ والذي ينص على ما يأتي:

أ- أن يكون مجرى القضــاء في جميع المحاكــم منطبقاً على المفتى به من مذهب الإمام أحمد بن حنبل، نظراً لســهولة مراجعة كتبه والتزام المؤلفين على مذهبه ذكر الأدلة إثر مسائله.

ب- إذا صــار جريــان المحاكم الشرعية على التطبيــق على المفتى به من المذهب المذكور، ووجد القضــاة في تطبيقها على مسألة من مسائله مشقة ومخالفة لمصــلحة العموم، يجري النظر والبحث فيها من باقي المذاهب بما تقتضيه المصلحة ويقرر السير فيها على ذلك المذهب مراعاة لما ذكر.

ج- يكــون اعتماد المحاكم في ســيرها على مذهب الإمــام أحمد على الكتب الآتية:

1 - شرح المنتهى.

2- شرح الإقناع.

مـا اتفقا عليه أو انفرد به أحدهما فهو المتبـع، وما اختلفا فيه فالعمل بما في المنتهـى.. وإذا لم يوجد بالمحكمة الشرحان المذكوران يكون الحكم بما في شرحي الزاد أو الدليل إلى أن يحصل بها الشرحان. وإذا لم يجد القاضي نص القضـية في الشروح المذكورة طلب نصها في كتاب المذهب المذكور التي هي أبسط منها وقضى بالراجح.

وصدرت الإرادة الملكية بعدد 647 في 1349/3/20هـ. بأنه يجب العمل بما هو آت:

ما نصت عليه كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل يعمل به بدون حاجة على اجتماع أعضاء المحكمة. وما لم ينص عليه واستدعى الاجتهاد فيه فلا بد من اجتماع الأعضاء المذكورين.

غير أن هنـاك أموراً أجيز فيها عدم تطبيق مذهب الإمام أحمد بن حنبل فقد نصـت الإرادة السنية رقم 2/9/5 في 1353/7/13هـ على أن الأحكام التـي تتعلق بالمسـاقاة وإجازة النخيل، يحكم فيهـا على مذهب أهل البلد التي فيها الدعوى سواء أكانوا أحنافاً أم شوافع أم غيرهم.

كما قضت الإرادة الملكية رقم 4/9/5 في 1353/7/26هـ بما يأتي:

1 – العقد الجاري قبل منعه يجري على ما كان دون نقص له كبيع الوفاء.

2 – المسـائل الإرثيـة والأوقـاف تطبق فيهـا الإرادة الملكية رقم 2/9/5 وتاريخ 1353/7/13هـ (وهي السـابق ذكرها والتـي تنص على أنه يحكم فيها على مذهب أهل البلد التي فيها الدعوى).

إجراءات تمييز الأحكام الشرعية

سبق أن بينا عند الكلام عن اختصاصات محكمة التمييز، ما يقبل التمييز من الأحكام، ونذكر هنا الإجراءات التي تتبع في تمييز الأحكام، وهذه الإجراءات جاء بعضها في نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي، وجاء بعض آخر في تنظيم الأعمال الإدارية، ثم صدرت الموافقة السامية برقم 24836 في 1386/10/29هـ بلائحة تمييز الأحكام الشرعية. وقد بينت المواد من 5 – 28 من اللائحة إجراءات التمييز، ونصت المادة 35 من اللائحة على أنها تحل محل التعليمات السابقة.. وفيما يلي النصوص الإجرائية التي تضمنتها اللائحة.

5 – متى أنهى الحاكم القضية أفهم الخصمين بالحكم، وسأل المحكوم عليه من قناعته أو عدمها، وبدون إجابته في الضبط ويأخذ توقيعه عليها، وفي حالة عدم قناعة المحكوم عليه يسلم له الصك ويمهل عشرة أيام لا تحتسب منها العطل الرسمية يعد خلالها لائحته الاعتراضية على الحكم إن شاء الله، ويعلم القاضي المحكوم عليه بقدر المهلة المذكورة، وأنه إذا لم يقدم اعتراضاً إن كان لديه اعتراض ولم يعد الصك في خلالها، فإنه يفوت عليه حقه في طلب التمييز.

وقد صدر تعميم وكيل وزارة العدل رقم 1/184/ت في 1392/11/23هـ، مبيناً الإجراء الذي يتبع لإثبات اقتناع المحكوم عليه بالحكم أو عدم قناعته وموضحاً لما يبدو من تعارض بين ما تضمنته الفقرة ج من المادة 2 من اللائحة من أنه: لا يخضع للتمييز كل حكم مضى عليه أكثر من خمسة عشر يوماً لدى المحكوم عليه ولم يعده للقاضي، وبين ما جاء بالمادة الخامسة من أنه يمهل عشرة أيام – وهذا نص التعميم المنوه عنه:

(لا يخفـى بأن المادة (5) من تعليمات هيئـات التمييز تنص على أنه متى أنهى الحاكم القضية أفهم الخصمين بالحكم وسأل المحكوم عليه من قناعته أو عدمها، وبدون إجابته على الضبط ويأخذ توقيعه عليها. وفي حالة عدم قناعـة المحكوم عليه، يسـلم له الصـك ويمهل عشرة أيام لا تحتسـب منها العطل الرسـمية يعد خلالها لائحته الاعتراضـية على الحكم إن شاء ويعلم القاضي المحكوم عليه، بقدر المهلة المذكورة وأنه إذا لم يقدم الاعتراض، إن كان لديه اعتراض ولم يعد الصك في خلالها، فإنه يفوت عليه حقه في طلب التمييز مع ملاحظة أن مدة عشرة الأيام المشـار إليها كحد أدنى ينتهي بمدة خمسة عشر يوماً المشار إليها في الفقرة (ج) من المادة الثالثة من التعليمات غير أننا لاحظنا أن بعض أصـحاب الفضـيلة القضاة، لا يطبقون نص المادة المذكورة، بل يكتفـي بمجرد عدم طلب المحكوم عليه التمييز، ويعتبر ذلك اقتناعاً من المحكوم عليه ومسقطاً حقه في الاعتراض على الحكم).

(وحيـث إنـه لابد من تنفيـذ المادة المذكـورة حرفياً، لتنقطع شـكاوى أصحاب القضايا، فإننا نؤكد وجوب تطبيق ذلك. وإذا أبى المحكوم عليه أو المحكوم له عن التوقيع في الضـبط على القناعة أو عدمها، فيؤخذ عليه محضر بذلك ويسـقط حقه في تقديم الاعتراضـ على الحكم وترفع معاملة القضية وصورة ضبطها والصـك إلى هيئة التمييز لتدقيق الحكم فلاحظوا تطبيق ذلك بدقة).

6 – على حاكم القضية في حالة عدم القناعة، أن يرفع لهيئة التمييز صك الحكم وصورة ضبطه واللائحة مع جميع الوثائق المستند عليها في الحكم وملف القضية.

7 – إذا قـدم المحكوم عليه للهيئة اسـتدعاء أو مسـتندات، فعلى الهيئة دراسـة ما تقدم به، ومتـى وجدت أن فيها ما يؤثـر على الحكم المعروض للتمييـز، فعليها أن تعـد قراراً بذلـك وتبعثه مع المسـتندات إلى المحكمة الصادرة منها الحكم لإطلاع حاكم القضية وإبداء ما لديه.

8 – إذا كان المحكـوم عليـه ناظـر وقف، أو وصـياً أو مأمور بيت مال ونحوها، أو كان المحكوم عليه غائباً، فعلى المحكمة أن ترفع الحكم لهيئة التمييز لتدقيقه مهما كان موضوع الحكم.

9 – تـوزع المعامـلات الواردة إلى الهيئة بين الرئيس والأعضـاء بنسـبة عادلة.

10– على كل من الرئيس أو العضـو دراسـة ما يحال إليه دراسة وافية وإبـداء ملاحظاتـه على الحكم، ثـم يحيله لسـكرتير الهيئة لدراسـته من جميع الهيئة.

11 – إذا ظهر لدى تدقيق الحكم، لزوم الاستيضـاح من حاكم القضـية مـن نقاط تتعلـق بذلك الحكم، فعلـى الهيئة أن تعد قـراراً بذلك، ويتولى رئيس الهيئة بعثه إلى المحكمة التي صدر منها الحكم.

12– إذا لم يظهر للهيئة ما يلاحظ على الحكم، فعليها تصديقه وإعادته إلى المحكمة للتهميش على سـجله وتسـليمه للمحكوم له، مع إصدارها قراراً يتضمن خلاصة الحكم وتصديقه.

13– إذا تبين للهيئة أن الحكم قد خالف نصـاً من الكتاب أو السـنة أو الإجماع، فعليها أن تعد قراراً بذلك، مع بيان مسـتندها الشرعي، ويبعث هذا القرار من قبل الرئيس للمحكمة التي أصدرت الحكم.

14- إذا اطلع حاكم القضية على قرار الهيئة بما يوجب نقض الحكم واقتنع به نقض حكمه بنفسه ونظر القضية من جديد، وفي حالة عدم اقتناعه عليه إجابة الهيئة بوجهة نظره.

15- إذا أطلعت الهيئة على معارضة القاضي في نقض الحكم، واقتنعت بها فعليها تصديقه، وإذا لم تقنع بالمعارضة فعليها نقض الحكم مع ذكر المستند في ذلك، ثم بعث الصك للمحكمة للتهميش على جله وحفظه في ملفات المحكمة.

16- إذا تعين نقض الحكم وتعذر نقضه من قبل حاكمه لموت أو غيره فللهيئة نقضه مع ذكر الدليل الشرعي.

17- إذا لم يوافق القاضي على نقض حكمه بنفسه وتم نقضه من قبل الهيئة فيتولى النظر في القضية من جديد قاض آخر.

18- إذا لاحظت هيئة التمييز على الحكم نقصاً في بعض الإجراءات الإدارية كعدم سياق الدعوى والإجابة في الصك ونحو ذلك فعلى القاضي التجاوب مع الهيئة.

19- على القاضي ذكر الحيثيات التي يبني عليها حكمه.

20- تدقق الأحكام بحسب ورودها أولاً فأولاً مع مراعاة تقديم ما يأتي:

أ- القضايا المتعلقة بالمسجونين.

ب- الأحكام الصادرة في الجنح والتعزيرات والحدود.

ج- القضايا الزوجية والنفقات والحضانة ونحو ذلك.

21 – قرارات هيئة التمييز بالنقض والتصديق بالإجماع أو الأكثرية تعتبر منهية للقضية وعند التساوي يرجح رئيس القضاة أحد الجانبين.

22 – على العضو الذي يخالف الأكثرية تحرير مخالفته مع ذكر مستنده الشرعي ويحفظ مع صورة قرار الهيئة في المكتب.

23 – إذا كان لرئيس الهيئة أو أحد أعضائها أو لمن لا تقبل شهادته، له حكم معروض للتدقيق فلا يشترك في تدقيقه، ولا يحضر الجلسات، وليس له الاطلاع على ما يقرر في ذلك، وكذا إذا كان الحكم صادراً من الرئيس أو أحد الأعضاء. وفي حالة كون الحكم للرئيس أو صادراً منه يستنيب أحد الأعضاء في إدارة الجلسة.

24– إدارة جلسات الهيئة وضبطها وحفظ النظام فيها من اختصاص الرئيس، وله عند حصول شغب أو جدل غير لائق بأصول البحث والتدقيق، حل الجلسة وإسكان من يلزم إسكانه وعدم السماح بالكلام وعلى الهيئة طاعته.

25– لا يسمح لأحد بحضور جلسات الهيئة سوى من تدعو الحاجة لحضوره في نظر الرئيس.

26– في حالة غياب رئيس الهيئة، له أن ينيب أحد الأعضاء للقيام بعمله بعد موافقة سماحة رئيس القضاة.

27– ينبغي ألا تتجاوز مدة النظر في الحكم شهراً واحداً في حالة النقض أو التصديق أو الملاحظات.

28– إذا رأت الهيئة إرجاء البت في تدقيق حكم بسبب يستدعي التأجيل فعليها أن تقرر ذلك خطياً على المعاملة، معينة الأجل الذي يعاد فيه النظر مع ملاحظة عدم التأخير حسب الإمكان.

وذكرت المادة 49 من تنظيم الأعمال الإدارية الأثر المترتب على نقض الحكم أو جرحه بالتمييز. فنصت على أن: كل حكم جرى تمييزه طبق الأصول المنصوص عليها في هذا النظام فنقض الحكم أو جرحه بالتمييز لا يؤثر نقضه أو جرحه في عموم القضية، إنما يكون استئناف المرافعة والنظر فيها فيما كان النقض أو الجرح بسببه، إلا أن يكون ماساً بأصلها فحينئذ تعاد الإجراءات كلها المترتبة على ما كان النقض لأجله ما لم يكن ثمة مانع من ذلك.

تنفيذ الأحكام

الحكم الذي يصدر في الدعوى إذا لم ينفذه المحكوم عليه طوعاً احتاج المحكوم له إلى أن يلجأ إلى الجهة المختصة في الدولة لتعاونه في تنفيذ الحكم الصادر له. والأصل أن الأحكام لا تنفذ إلا إذا أصبحت نهائية. وقد نصت المادة 50 من تنظيم الأعمال الإدارية على أنه: إذا صدق الحكم من مرجعه اكتسب القطيعة ووجب تنفيذه وعلى جهات التنفيذ، حال مراجعة المحكوم له بالصك، تنفيذ الحكم وعدم قبول أي عذر أو مماطلة من المحكوم عليه.

التنفيذ المؤقت

وإذا كان الأصل أن الحكم لا ينفذ إلا إذا صار قطعياً، فإن هناك بعض أنواع من المنازعات يقتضي موضوعها سرعة تنفيذها بعد صدور الحكم فيها وقبل أن تصبح الحكم قطعياً، وقد بينت المواد 56، 57، 58 من تنظيم الأعمال الإدارية القضايا التي تنفذ أحكامها بصفة مؤقتة وقبل أن يصير الحكم قطعياً وشروط هذا التنفيذ، وفيما يلي نص هذه المواد:

مادة 56: يجب التنفيذ المؤقت بطلب المحكوم له حضورياً كان الحكم أو غيابياً قبل تصديقه في المواد الآتية:

أ- النفقات.

ب- أجرة الحضانة.

ج- أجرة الرضاعة والمسكن وتسليم الصغير والصغيرة للحاضنة وحفظ المرأة عند المحرم وضم الولد إلى الولي.

مادة 57: يشترط للتنفيذ المؤقت ما يأتي:

1- طلب المحكوم له.

2 – أمر الحاكم بذلك.

3 – تقديم كفيل مليء كفالة أداء وتسليم في الحقوق المالية وحضور في غيرها.

مادة 58: تنفيذ الحكم بتسليم الولد إلى وليه والمرأة إلى محرمها وبالتفريق بين الزوجين وتسليم الصغير والصغيرة للحاضنة يكون جبراً بصورة مستعجلة نظامية.

تنفيذ الأحكام الغيابية

لا تتم العدالة الاجتماعية إلا إذا سمع القاضي أقوال المدعي ودفاع المدعى عليه، ولكن يحدث أن يكون المدعى عليه غائباً أو لا يحضر الجلسة رغم إعلانه بها، وقد أجاز تنظيم الأعمال الإدارية السير في الدعوى رغم غياب المدعى عليه بعد اتخاذ الإجراءات الكفيلة بإعلانه بالدعوى.

وأجاز صدور حكم في الدعوى رغم غياب المدعى عليه، وهذا الحكم الصادر دون سماع أقوال المدعى عليه ودفاعه، يكون قابلاً لإعادة النظر فيه عند حضور الغائب. ولما كان المحكوم له يتضرر من عدم تنفيذ الحكم الغيابي فقد تضمن تنظيم الأعمال الإدارية نصوصاً تبين الأحكام المتعلقة بتنفيذ الأحكام الغيابية فنصت المادة (37) منه على أنه: (لا ينفذ أي حكم غيابي إلا بعد تصديق هيئة التمييز ولا يمنع التصديق قبول حجة المحكوم عليه غيابياً متى قدم).

وبينت المادة (38) الشروط الواجب توافرها حتى يجوز تنفيذ الأحكام الغيابية مؤقتاً فنصت على أن: للمحكوم له غيابياً طلب تنفيذه، مؤقتاً في حالة عدم العثور على المحكوم عليه ويجاب طلبه بالشروط الآتية:

أ - تصديق الحكم من مرجعه.

ب - وجود المحكوم به داخل المملكة العربية السعودية.

ج - تقديم كفيل مليء كفالة أداء وتسليم في الحقوق المالية عند ظهور ما يستوجب نقض الحكم بشرط أن يكون الكفيل من رعايا حكومة جلالة الملك.

وقضت المادة (40) أنه: على دوائر التنفيذ تسليم المحكوم به غيابياً بطلب المحكوم له بعد استيفاء الإجراءات المنصوص عليها في المادة (38).

الصيغة التنفيذية للحكم

إذا لم يقم المحكوم عليه بتنفيذ الحكم الصادر ضده طواعية، فإن للمحكوم له أن يلجأ إلى السلطة العامة لمساعدته في الحصول على حقه بتنفيذ ما تضمنه الحكم الصادر له. ولما كانت هذه الجهات لا تساعد

في التنفيـذ إلا إذا كان الحكـم جائز التنفيذ نظامـاً، وكان تقدير هذا الأمر ليس من اختصاصـها، فإنه يجب علـى المحكمة أن تذيل الحكم الواجب التنفيذ بالصيغة التنفيذية لتكون الجهات المعنية على بينة من ذلك. والصيغة التنفيذية التي تذيل بها الأحكام هي:

(يطلب من كافة الدوائر والمصـالح الحكومية المختصة العمل على تنفيذ هذا الحكم القضـائي بجميع الوسـائل النظامية المتبعة ولـو أدى ذلك إلى استعمال القوة الجبرية عن طريق الشرطة).

ديوان المظالم

- تطور ولاية المظالم في المملكة
- تشكيل الديوان واختصاصاته
- نظام أعضاء الديوان



تطور ولاية المظالم

إن تخصيص قضاء لنظر المظالم ليس فكرة مستوحاة من النظم الأوروبية، فقد عرف نظام الحكم في الإسلام تنظيماً أطلق عليه (ولاية المظالم) وأول من تكلم عن ولاية المظالم بتفصيل أبو الحسن البصري الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية). فقد أفرد فصلاً خاصاً لأحكام هذه الولاية ومما جاء فيه:

(ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين.. فقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله عنه ورجل من الأنصار فحضره بنفسه، فقال للزبير: اسق أنت يا زبير ثم الأنصاري. فقال الأنصاري: إنه لابن عمتك يا رسول الله. فغضب من قوله وقال: يا زبير أجره على بطنه حتى يبلغ الماء إلى الكعبين. وإنما قال أجره على بطنه أدباً له لجرأته عليه. واختلف لم أمره بإجراء الماء إلى الكعبين، هل كان حقاً بينه لهما حكماً، أو كان مباحاً فأمره به زاجراً، على جوابين. ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد لأنهم في الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم، بين من يقوده التناصف إلى الحق، أو يزجره الوعظ عن الظلم. وإنما كانت المنازعات تجري بينهم في أمور مشتبهة يوضحها حكم القضاء، فإن تجور من جفاة أعرابهم

متجور ثناه الوعظ أن يدبر، وقاده العنف أن يحسن، فاقتصر خلفاء السلف على التشاجر بينهم بالحكم والقضاء تعييناً للحق في جهته لانقيادهم إلى التزامه، واحتاج علي رضي الله عنه، حين تأخرت إمامته واختلط الناس فيها وتجوزوا، إلى فضل صرامة في السياسة وزيادة تيقظ في الوصول إلى غوامض الأحكام، فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ولم يخرج فيها إلى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه.. وقال في المنبرية صار ثمنها تسعاً وقضى في القارصة والقامصة والواقصة بالدية أثلاثاً وقضى في ولد تنازعته امرأتان بما أدى إلى فصل القضاء ثم انتشر الأمر بعده، حتى تجاهر الناس بالظلم والتغالب، ولم يكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب، فاحتاجوا في ردع المتغلبين وإنصاف المغلوبين إلى نظر المظالم الذي يمتزج به قوة السلطنة بنصفة القضاء. فكان أول من أفرد للظلامات يوماً يتصفح فيه قصص المتظلمين، من غير مباشرة للنظر، عبدالملك بن مروان. فكان إذا وقف منها على مشكل أو احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضية أبي إدريس الأودي فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبدالملك بن مروان في علمه بالحال ووقوفه على السبب فكان أبو إدريس هو المباشر وعبدالملك هو الآمر.. ثم زاد من جور الولاة وظلم العتاة ما لم يكفهم عنه إلا أقوى الأيدي وأنفذ الأوامر فكان عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - ألو من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها، وراعى السنن العادلة وأعادها، ورد مظالم بني أمية على أهلها، حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها وأغلظ: إنا نخاف عليك من ردها العواقب فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته.. ثم جلس لها من خلفاء بني العباس جماعة فكان أول

من جلس لها المهدي ثم الهادي ثم الرشـيد ثم المأمون فآخر من جلس لها المهتدي حتى عادت الأملاك إلى مستحقيها).

وأورد الماوردي أن مما يختص به والي المظالم:

1 – النظـر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسـف في السـيرة فهـذا من لوازم النظر في المظالم الـذي لا يقف على ظلامة متظلم، فيكون لسـيرة الولاة متصـفحاً، وعن أحوالهم مستكشـفاً، ليقويهم إن أنصفوا، ويكفهم إن عسفوا، ويستبدل بهم إن لم ينصفوا.

2 – جور العمال فيما يجبونه من الأموال فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواويـن الأئمـة فيحمل الناس عليهـا، ويأخذ العمال بهـا وينظر فيما استزادوه فإن رفعوه إلى بيت المال أرم برده وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه.

3 – كتّـاب الدواويـن لأنهم أمناء المسـلمين على ثبـوت أموالهم فيما يستوفونه له ويوفونه منه.

4 – تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم وإجحاف النظر بهـم فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العـادل فيجريهم عليه، ونظر فيما نقصـوه أو منعوه من قبل فـإن أخذه ولاة أمورهـم اسـترجعه منهم وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال.

5 – رد الغصـوب، وهي ضربان: أحدهما غصـوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضـة عن أربابها، إما لرغبة فيها وإما لتعد على أهلها.. والضرب الثاني من الغصـوب، ما تغلـب عليها ذوو الأيدي القوية وتصرفوا فيه تصرف الملاك بالقهر والغلبة.

وإن المملكة العربية السعودية، وقد نشأت نشأة إسلامية، عملت على إرساء قواعد العدالة بالنسبة للمواطنين كافة، واقتضى ذلك الاهتمام بولاية المظالم حيث جعل المغفور له الملك عبدالعزيز بابه مفتوحاً لأصحاب المظالم، ودعا الناس أن يأتوه بمطالبهم وأن يضعوا شكاواهم في صندوق الشكايات المعلق على دار الحكومة.

فقد نشرت صحيفة أم القرى في عددها الصادر في 26 ذي الحجة سنة 1344هـ الإعلان الآتي:

(إن صاحب الجلالة يعلن للناس كافة أن من كان له ظلامة على كائن من كان، موظفاً أو غيره كبيراً أو صغيراً، ثم يخفي ظلامته، فإنما إثمه على نفسه. وإن من كان له شكاية فقد وضع على باب دار الحكومة صندوق للشكاوى، مفتاحه لدى جلالة الملك. فليضع صاحب الشكاية شكايته في ذلك الصندوق، وليثق الجميع أنه لا يمكن أن يلحق المشتكي أي أذى بسبب شكايته المحقة من أي موظف كان، ويجب أن يراعى في الشكايات ما يأتي:

1 – ينبغي تجنب الكذب في الشكاية ومن ادعى دعوى كاذبة جوزي بكذبه.

2 – لا تقبل الشكاية المغفلة من الإمضاء، ومن فعل ذلك عوقب على عمله.

وليعلم الناس كافة أن باب العدل مفتوح للجميع على السواء، والناس كلهم كبيرهم وصغيرهم أمامه واحد، حتى يبلغ الحق مستقره والسلام).

ومع اتساع الدولة وتشعب المصالح وتعدد المرافق العامة التي خصصت

لأداء الخدمات لأفراد المجتمع خطت المملكة خطوة جديدة لتطوير نظام ولاية المظالم فنص نظام مجلس الوزراء الصادر سنة 1373هـ في المادة (17) منه على أن (يشكل بديوان مجلس الوزراء إدارة عامة باسم ديوان المظالم، ويشرف على هذه الإدارة رئيس يعين بمرسوم ملكي وهو مسؤول أمام جلالة الملك، وجلالته المرجع الأعلى له). ثم صدر نظام ديوان المظالم بالمرسوم رقم 8759/13/2 وتاريخ 1374/9/17هـ وقضت المادة الأولى منه على أن (يشكل ديوان مستقل باسم ديوان المظالم ويقوم بإدارة هذا الديوان رئيس من درجة وزير يعين بمرسوم ملكي وهو المسؤول أمام جلالة الملك وجلالته المرجع الأعلى له).

ونصت المادة الثالثة منه على أنه يعين بالديوان عدد كاف من المستشارين والموظفين المكلفين بالتحقيق والموظفين الإداريين والكتّاب.

اختصاصات الديوان

نصت المادة الثانية على أن ديوان المظالم يختص بما يلي:

أ - تسجيل جميع الشكاوى المقدمة إليه.

ب - التحقيق في كل شكوى تقدم أو تحال إليه وإعداد تقرير عنها يتضمن وقائعها وما أسفر عنه التحقيق فيها، أو الإجراء الذي يقترح الديوان اتخاذه بشأنها والأسباب التي يقوم عليها الإجراء المقترح.

ج - إرسال هذا التقرير إلى الوزير أو الرئيس المختص، مع إرسال صورة منه إلى جلالة الملك، وصورة أخرى إلى ديوان رئيس مجلس الوزراء. وعلى الوزير أو الرئيس المختص خلال أسبوعين من استلامه التقرير، أن يبلغ

الديوان بتنفيذ الإجراء المقترح أو بمعارضته له. وفي هذه الحالة يتعين إبداء أسباب معارضته. وعند ذلك يرفع رئيس الديوان تقريره إلى جلالة الملك ليصدر أمره العالي في موضوع التقرير.

ولا يجوز للديوان أن يقترح على وزير أو رئيس مختص فرض عقوبة أو اتخاذ إجراء غير منصوص عليه في النظم القائمة، إلا بأمر من جلالة الملك، وإذا كانت الشكوى موجهة إلى وزير أو رئيس مسؤول، يرفع رئيس الديوان الأمر إلى جلالة الملك ليصدر أمره بما يرى اتخاذه بشأنها.

وأوجبت المادة الرابعة على رئيس الديوان أن يرفع إلى جلالة الملك كل ستة أشهر تقريراً مفصلاً عن أعمال الديوان خلال هذه المدة، متضمناً ما أسفرت عنه التحقيقات من مسؤوليات على الجهات الحكومية المختلفة وموظفيها، وما يقترحه الديوان من إجراءات كفيلة بتقديم الأمور.

وخولت المادة الخامسة لرئيس الديوان ومن ينتدبهم من موظفي الديوان الصلاحيات الكاملة، في البحث والتعقيب في الوزارات والمصالح المختلفة، لتحديد المسؤولية والمسؤولين، وكذا في سؤال الوزارات والمصالح في هذا الشأن واستدعاء الموظفين المسؤولين للتحقيق معهم، وعند اللزوم والاقتضاء تفتيشهم وتفتيش منازلهم شريطة أن يراعى في تفتيش المنازل، ما قضت به الأنظمة القائمة بالنسبة لحرمة المساكن، وعليه في كل حالة إخطار الوزير أو الرئيس الذي ينتسبون إليه، وعلى الجهات الرسمية والأهلية معاونة الديوان في الإجراءات التي يرى أنها كفيلة لإظهار الحقيقة وتحديد المسؤولية.

ومما يختص الديوان بالتحقيق فيه:

1 - التظلمات الخاصة التي يقدمها أصحاب المرتبات والمعاشات والمكافآت المستحقة للموظفين أو لورثتهم.

2 - التظلمات التي يقدمها ذوو الشأن بالطعن في القرارات الإدارية الصادرة بالتعيين في الوظائف العامة أو الترقية أو منح العلاوات.

3 - التظلمات التي يقدمها الموظفون بإلغاء القرارات الإدارية بإحالتهم إلى المعاش أو الاستيداع أو فصلهم بغير الطريق التأديبي أو الإداري.

4 - التظلمات التي يقدمها ذوو العلاقة بإلغاء القرارات الإدارية الأخرى النهائية.

والشعبة القضائية في الديوان تضم ثلاثة أقسام، هي:

1 - لجنة تدقيق القضايا، وتشكل من نائب رئيس الديوان، والمستشار الشرعي، والمستشار النظامي - وتدرس هذه اللجنة التقارير الصادرة من جميع المحققين بالديوان التي تحال إليها من رئيس الديوان، ولها تصديق ما تراه مستوفياً الشروط الشرعية والنظامية، وفسخ ما ليس مستوفياً لها، كما أن لها إعادة التقارير التي فيها نقص في التحقيق لاستكمالها.

2 - الهيئة الاستشارية، وتتألف من المستشار الشرعي والمستشار النظامي، ويقوم كل منهما بما يكلفه به الرئيس من أعمال، ويجيب عن الاستيضاحات التي توجه إليه من الرئيس أو نائبه، ويساعد المحققين في الأمور العلمية والفنية المتصلة باختصاصه.

3 - هيئة التحقيق، وتتألف من محققين شرعيين ومحققين إداريين ومحققين ماليين ومحقق طبي ومحقق هندسي - ويقوم كل بالتحقيق في القضايا التي تحال إليه حسب اختصاصه.

وقد أخذ اختصاص الديوان في الازدياد، فأسند إليه الفصل في موضوعات جديدة كان من أهمها التحقيق والحكم في قضايا الرشوة والتزوير.

ونظراً لتعدد الأنظمة والقرارات التي أضافت اختصاصات جديدة إلى الديوان منذ نشأته، ولكي تكون اختصاصات ديوان المظالم محددة وواضحة، وكذلك الإجراءات الواجب إتباعها للفصل في القضايا التي يختص بنظرها، ولتوقع إضافة اختصاصات جديدة إلى الديوان، مصاحبة لتنفيذ الخطط الطموحة للمملكة، أصبح من الضروري العمل على إصدار نظام متكامل لديوان المظالم يشمل تحديد الاختصاصات، وبياناً بالإجراءات الواجبة الإتباع للفصل في القضايا التي يختص الديوان بنظرها، ولم يخف هذا الأمر على ولاة الأمر حيث أشاروا بإعداد مشروع نظام جديد لتطوير الديوان، حيث يساير التقدم الذي حققته المملكة في جميع الاتجاهات، وذلك لأن تقدم الدولة يصاحبه دائماً زيادة في عدد المرافق العامة، التي تدار بواسطة عدد من الموظفين العموميين، ويكون على رأس كل مرفق رئيس مسؤول عن تسييره ورعاية موظفيه، ليؤدي كل عمله وفق ما يقتضيه الصالح العام، والنظم التي تضعها الدولة، لتسيير تلك المرافق، ويلزم عادة لتسيير المرفق العام إصدار قرارات إدارية والتعاقد لتنفيذ ما يلزم المرفق من منشآت أو توريد ما يلزمه من أدوات أو مواد حسب الخدمة التي يؤديها المرفق، وقد تصدر قرارات مخالفة للنظم والتعليمات من المسؤولين في الجهة الإدارية التي تدير المرفق العام، أو ينشأ نزاع بسبب تنفيذ العقود الإدارية التي تكون هي طرفاً فيها، ولذلك كان

لا بد أن يعهد صراحة إلى ديوان المظالم بالفصل في المنازعات التي تثور بين الجهات الإدارية والأفراد.

وقد جاء مشروع نظام الديوان الجديد بأحكام تحقق الغرض من الدعوة إلى تطويره، ليساير نظام الحكم واتساع مجالات النشاط الإداري بالمملكة، وما ترتب على ذلك من كثرة وقوع المنازعات المتعلقة بالقرارات والعقود الإدارية.

وصدر نظام الديوان الجديد بالمرسوم الملكي رقم م/51 وتاريخ 1402/7/17هـ ونشر في صحيفة أم القرى بتاريخ 1402/8/5هـ ونصت المادة السابعة من مرسوم الإصدار على أنه يعمل به بعد سنة من تاريخ نشره.

ونعرض فيما يلي أحكام النظام الجديد لديوان المظالم.



تشكيل الديوان واختصاصاته

- تشكيل الديوان
- اختصاصات الديوان



تشكيل الديوان

تنص المادة الأولى من نظام ديوان المظالم على أن ديوان المظالم هيئة قضائية إدارية مستقلة ترتبط مباشرة بجلالة الملك، ويكون مقره مدينة الرياض، ويجوز بقرار من رئيس الديوان إنشاء فروع له حسب الحاجة.

وتنص المادة الثانية من نظام الديوان على أن ديوان المظالم يتألف من رئيس بمرتبة وزير ونائب رئيس أو أكثر وعدد من النواب المساعدين والأعضاء ذوي التخصص في الشريعة والأنظمة، ويلحق به العدد الكافي من الموظفين الفنيين والإداريين.

ونبين فيما يلي أحكام السلطات والهيئات التي يتكون منها الديوان:

رئيس الديوان

يعين رئيس الديوان وتنتهي خدماته بأمر ملكي وهو مسؤول مباشرة أمام جلالة الملك (مادة 1/3).

ومع عدم الإخلال بالأحكام المنصوص عليها في نظام الديوان يتولى رئيس الديوان سلطة واختصاصات الوزير المنصوص عليها في الأنظمة والقرارات المنفذة لها، وذلك بالنسبة لجميع أعضاء وموظفي الديوان ومستخدميه، وهو المرجع فيما يصدر من الديوان إلى مختلف الوزارات والجهات الأخرى مع إشرافه على إدارة الديوان وفروعه وأقسامه وسير العمل فيه (مادة 44).

ويرفع رئيس الديوان في نهاية كل عام إلى جلالة الملك تقريراً شاملاً عن أعمال الديوان، متضمناً ملاحظاته ومقترحاته.

كمـا يقـوم في نهاية كل عام بتصـنيف الأحـكام التي أصـدرتها دوائر الديـوان، ومن ثم طبعها ونشرهـا في مجموعات، ويرفق نسـخة منها مع التقرير (مادة 47).

ولرئيس الديوان صلاحيات أخرى يأتي ذكرها في مكانها المناسب.

نواب الرئيس

يعـين نواب رئيس الديوان وتنتهي خدماتهم بأمر ملكي بناء على اقتراح رئيس الديوان (المادة 2/3).

ونائب الرئيس ينوب عن الرئيس في حالة غيابه، ويسـاعده في الأعمال التي يكلفه بها (المادة 46).

لجنة الشؤون الإدارية

يقضـي نظام الديوان بتأليف لجنة تسمى (لجنة الشؤون الإدارية لأعضاء الديوان) وتتكون من رئيس الديوان أو من ينيبه وستة أعضاء لا تقل درجة كل منهم عن درجة مستشار (ب) يختارهم رئيس الديوان (المادة 4).

وتنعقد لجنة الشـؤون الإدارية لأعضاء الديوان برئاسة رئيس الديوان أو من ينيبه، ولا يكون انعقادها صـحيحاً إلا بحضـور جميع الأعضاء، وفي حالة غياب أحدهم بسـبب نظر اللجنة مسـألة تتعلق به أو له فيها مصلحة مباشـرة، أو لغير ذلك من الأسـباب يحل محله من يرشـحه رئيس الديوان ممن تتوافر فيهم شروط العضـوية، وتصدر قرارات اللجنة بالأغلبية المطلقة لأعضائها (المادة 5).

وللجنة الشؤون الإدارية بالنسبة لأعضاء الديوان نفس الاختصاصات المقررة لمجلس القضاء الأعلى بالنسبة للسلك القضائي في خصوص التعيين والترقية والندب والإعارة (المادتان 17، 19).

وتضمن النظام اختصاصات أخرى لهذه اللجنة نصت عليها المواد 14، 15، 20، 27، 41، 43 وسنعرض لها في موضعها.

الهيئة العامة للديوان

تنص المادة السابعة من نظام الديوان على أن يكون لديوان المظالم هيئة عامة تتكون من رئيس الديوان وجميع الأعضاء العاملين فيه، ويحدد اختصاصها وإجراءاتها بقرار من مجلس الوزراء. وعللت المذكرة الإيضاحية للنظام عدم تضمن النظام اختصاص وإجراءات الهيئة العامة، وترك ذلك لمجلس الوزراء، بأنه يسمح بالمرونة الكافية لإجراء التعديلات على اختصاصات تلك الهيئة، بما يكفل معالجة جميع الأمور والقضايا والمشكلات التي تتعلق بالديوان ومباشرة اختصاصه.

الدوائر القضائية

الدوائر القضائية هي الهيئات التي يباشر الديوان اختصاصاته القضائية عن طريقها، ويحدد عدد هذه الدوائر وتشكيلها واختصاصها النوعي والمكاني بقرار من رئيس الديوان (مادة 6).

فروع الديوان

ديوان المظالم مقره الرياض، ويجوز بقرار من رئيس الديوان إنشاء فروع له حسب الحاجة (مادة 1).

ويختار رئيس الديوان رؤساء الفروع من بين أعضاء الديوان مع مراعاة درجات العاملين في الفرع (مادة 3/3).

ويحدد رئيس الديوان بقرار منه صلاحيات واختصاصات رؤساء الفروع (مادة 4).

الموظفون الفنيون والإداريون وغيرهم

نصت الفقرة الأخيرة من المادة الثانية من نظام الديوان، على أنه يلحق به العدد الكافي من الموظفين الفنيين والإداريين وغيرهم.

وقضت المادة 49 من النظام المذكور بأنه: مع مراعاة ما ورد في المادة (16) من النظام تسري على موظفي الديوان من غير الأعضاء نظم الخدمة المدنية ولوائحها.

اختصاصات الديوان

الديوان هيئة قضائية

ديوان المظالم - كما ينص عليه صدر المادة الأولى من نظامه - هيئة قضاء إداري. وإذ صار الديوان هيئة قضاء، فإن ذلك يستلزم أن تتولى التحقيق جهة أخرى غير الديوان، حتى لا تجمع جهة واحدة بين التحقيق والقضاء. ولما كان الديوان مختصاً طبقاً للنظام الصادر بالمرسوم الملكي رقم 1979/13/2 في 1374/9/17هـ بالتحقيق في الشكاوى التي تقدم إليه، كما أنه يختص بتحقيق قضاياه، فقد تضمن النظام بيان الجهة التي يعهد إليها بالتحقيق، وأحال إليها القضايا التي تحت التحقيق في الديوان، فنصت المادة الثانية من مرسوم الإصدار على أنه: (تتولى هيئة الرقابة والتحقيق بالإضافة إلى الاختصاصات المسندة إليها، التحقيق في جرائم الرشوة والتزوير والجرائم المنصوص عليها في المرسوم الملكي رقم 43 وتاريخ 1377/11/29هـ).

كما نصت المادة الثالثة من مرسوم الإصدار على أنه: (تحال إلى هيئة الرقابة والتحقيق، القضايا التي تحت التحقيق لدى ديوان المظالم، وتلك التي اكتمل فيها التحقيق ولم تقدم لهيئات الحكم، لمباشرة اختصاصها بشأنها. وبنقل المحققون الذين يباشرون هذا العمل بديوان المظالم بوظائفهم واعتماداتهم إلى هيئة الرقابة والتحقيق، ويتم تحديد المحققين الذين ينقلون بالاتفاق بين رئيس الديوان ورئيس الهيئة).

واستدعى هذا التعديل في الاختصاصات أن نصت المادة السادسة من مرسوم الإصدار على أن تدمج ميزانية هيئة التأديب في ميزانية ديوان المظالم، وينقل أعضاء مجالس الحكم وجميع الموظفين والمستخدمين، والعمال في الهيئة بوظائفهم واعتماداتهم إلى ديوان المظالم، كما نصت الفقرات 9، 10، 11، من ديباجة قرار مجلس الوزراء بالموافقة على النظام على ما يأتي:

9 – تشكل لجنة من رئيس ديوان المظالم ومندوب من وزارة المالية والاقتصاد الوطني ومندوب من الديوان العام للخدمة المدنية ومندوب من هيئة الرقابة والتحقيق للقيام بما يلي:

(أ) نقل المستشارين والمحققين العاملين في ديوان المظالم والمعينين على درجات السلك القضائي إلى الدرجات المقابلة لها في نظام ديوان المظالم عند نفاذه.

(ب) وضع قواعد لتصنيف المعينين على سلم رواتب نظام الخدمة المدنية من المستشارين والمحققين العاملين في ديوان المظالم وأعضاء مجالس الحكم العاملين في هيئة التأديب، ونقلهم إلى درجات أعضاء الديوان ورفعها إلى مجلس الخدمة المدنية لإصدار قرار بشأنها قبل نفاذ نظام ديوان المظالم.

10 – على رئيس ديوان المظالم ورئيس هيئة الرقابة والتحقيق وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ ما ورد في الفقرات الثالثة والرابعة والخامسة من هذا القرار.

11 – يعمل بما ورد في الفقرتين التاسعة والعاشرة اعتباراً من تاريخ صدور هذا القرار.

الديوان هيئة قضاء إداري

ديوان المظالم – كما ينص عليه صدر المادة الأولى من نظامه – هيئة قضاء إداري، ومن ثم فهو الجهة التي تختص بالفصل في المنازعات الإدارية، ولكن لما كان الديوان في وضعه السابق على إصدار هذا النظام يختص بمنازعات أخرى لا تمت بصلة إلى المنازعات الإدارية؛ فقد احتفظ النظام للديوان بهذه الصلاحيات على أن يقتصر اختصاصه على المنازعات الإدارية في وقت لاحق.

ونعرض فيما يلي بإيجاز لصلاحيات الديوان المختلفة:

أولاً: المنازعات التي تكون الإدارة طرفاً فيها

نصت الفقرات أ، ب، ج، د من المادة الثامنة على اختصاص الديوان بالمنازعات التي تكون الإدارة طرفاً فيها، وهذا نصها:

يختص ديوان المظالم بالفصل فيما يأتي:

أ- الدعاوى المتعلقة بالحقوق المقررة في نظم الخدمة المدنية والتقاعد لموظفي ومستخدمي الحكومة والأجهزة ذوات الشخصية المعنوية العامة المستقلة أو ورثتهم والمستحقين عنهم.

ب- الدعاوى المقدمة من ذوي الشأن بالطعن في القرارات الإدارية، متى كان مرجع الطعن عدم الاختصاص أو وجود عيب في الشكل، أو مخالفة النظم واللوائح، أو الخطأ في تطبيقها، أو تأويلها، أو إساءة استعمال السلطة.

ويعتبر في حكم القرار الإداري رفض السلطة الإدارية أو امتناعها عن اتخاذ قرار كان من الواجب عليها اتخاذه طبقاً للأنظمة واللوائح.

ج- دعاوى التعويض الموجهة من ذوي الشأن إلى الحكومة والأشخاص ذوي الشخصية العامة المستقلة بسبب أعمالها.

د- الدعاوى المقدمة من ذوي الشأن في المنازعات المتعلقة بالعقود التي تكون الحكومة أو الأشخاص المعنوية العامة طرفاً فيها.

وقد جاء في المذكرة الإيضاحية عن هذا النوع من الاختصاص ما يأتي:

(يلاحظ أن الاختصاصات التي نص عليها النظام جاءت من الشمول بحيث أصبح لديوان المظالم الاختصاص العام للفصل في المنازعات التي تكون الإدارة طرفاً فيها، سواء كان مثارها قراراً أم عقداً أم واقعة (الفقرات أ، ب، ج، د من المادة الثامنة)، ويجب التنبيه هنا إلى أن القرارات الإدارية التي تصدر في قضايا يتم نظرها من قبل لجان مشكلة بموجب نص نظامي أو قرار من مجلس الوزراء أو أمر سام، وينص قرار تنظيمها على أن قراراتها نهائية، تبقى نهائية إلا إذا عدلت بما يجعل النظر في التظلم منها من اختصاص ديوان المظالم، كما ينبه إلى أن المراد بالعقد هو العقد مطلقاً سواء كان عقداً إدارياً بالمعنى القانوني أم عقداً خاصاً بما في ذلك عقود العمل).

ثانيا: الدعاوى التأديبية

تنص الفقرة أ/ هـ من المادة الثامنة من نظام ديوان المظالم على اختصاصه بنظر الدعاوى التأديبية التي ترفع من هيئة الرقابة والتحقيق. وكانت هذه الدعاوى من اختصاص هيئة التأديب المنشأة بالمرسوم الملكي رقم م/7 وتاريخ 1391/2/1هـ الخاص بنظام تأديب الموظفين.

وقد نصت المادة الرابعة من مرسوم إصدار نظام ديوان المظالم على أنه: تؤول اختصاصات هيئة التأديب المنصوص عليها في نظام تأديب الموظفين وقرارات مجلس الوزراء إلى ديوان المظالم، وتحال إليه جميع القضايا التأديبية.

ونصت المادة الخامسة منه على أنه: تدمج ميزانية هيئة التأديب في ميزانية ديوان المظالم، وينقل أعضاء مجالس الحكم وجميع الموظفين والمستخدمين والعمال في الهيئة بوظائفهم واعتماداتهم إلى ديوان المظالم.

كما نصت المادة 50 من نظام الديوان على إلغاء المواد من 14 إلى 30 من نظام تأديب الموظفين. ولما كانت المواد من 1 على 13 من نظام تأديب الموظفين خاصة بهيئة الرقابة والتحقيق، والمواد 31 وما بعدها خاصة بأصول التحقيق والتأديب وبأحكام عامة، فإننا نورد فيما يلي النصوص المتعلقة بالتأديب لأنه سيعمل بها أمام ديوان المظالم.

مادة 31: يعاقب تأديبياً كل موظف ثبت ارتكابه مخالفة مالية أو إدارية وذلك مع عدم الإخلال برفع الدعوى العامة أو دعوى التعويض.

مادة 32: العقوبات التأديبية التي يجوز أن توقع على الموظف هي:

أولاً: بالنسبة لموظفي المرتبة العاشرة فما دون أو ما يعادلها:

1 – الإنذار.

2 – اللوم.

3 – الحسم من الراتب بما لا يتجاوز صافي راتب ثلاثة أشهر على ألا يتجاوز المحسوم شهرياً ثلث صافي الراتب الشهري.

4 – الحرمان من علاوة دورية واحدة.

5 – الفصل.

ثانياً: بالنســبة للموظفين الذين يشغلون المرتبة الحادية عشرة فما فوق أو ما يعادلها:

1 – اللوم.

2 – الحرمان من علاوة دورية واحدة.

3 – الفصل.

مــادة 33: لا يمنع انتهــاء خدمة الموظف من البــدء في اتخاذ الإجراءات التأديبيــة أو الاســتمرار فيهــا. ويعاقب الموظف الذي انتهــت خدمته قبل توقيــع العقوبة عليه بغرامــة لا تزيد على ما يعادل ثلاثة أمثال صــافي آخر راتــب كان يتقاضــاه، أو بالحرمان مــن العودة للخدمة مــدة لا تزيد على خمس سنوات أو بالعقوبتين معاً.

مــادة 34: يراعــى في توقيع العقوبــة التأديبية أن يكون اختيــار العقوبة متناسباً مع درجة المخالفة، مع اعتبار السوابق والظروف المخففة والمشددة الملابسة للمخالفة، وذلك في حدود العقوبات المقررة في هذا النظام.

ويعفى الموظف من العقوبة بالنسبة للمخالفات العادية الإدارية أو المالية، إذا ثبــت أن ارتكابــه للمخالفة كان تنفيــذاً لأمر مكتوب صــادر إليه من رئيسه المختص، بالرغم من مصارحة الموظف له كتابة بأن الفعل المرتكب يكون مخالفة.

مادة 35: يجوز للوزير المختص أن يوقع العقوبات المنصــوص عليها في المادة (32) عدا الفصــل. ولا يجوز توقيع عقوبــة تأديبية على الموظف إلا بعــد التحقيــق معه كتابة وســماع أقواله وتحقيق دفاعــه، وإثبات ذلك في القرار الصادر بالعقاب أو في محضر مرفق به.

مادة 36: يجوز لمجلس المحاكمة أن يوقع العقوبات المنصوص عليها في المادتين (32، 33).

مـادة 37: يجب أن يتضـمن قرار هيئة الرقابة والتحقيـق بالإحالة لهيئة التأديب بيان الأفعال المنسوبة إلى المتهم على وجه التحديد.

مـادة 38: مع مراعاة أحكام المـواد (36، 40، 41) إذا رأت هيئة الرقابة والتحقيق أن المخالفة لا تسـتوجب عقوبة الفصل تحيل الأوراق إلى الوزير المختص، مع بيان الأفعال المنسـوبة إلى المتهم على وجه التحديد، واقتراح العقوبة المناسبة.

وللوزير المختصـ توقيع هذه العقوبة، أو اختيـار عقوبة ملائمة من بين العقوبات التي تدخل ضمن اختصاصه.

مادة 40: إذا ارتكب الموظف مخالفة في جهة غير التي يعمل فيها، يحال الموظف إلى هيئة الرقابة والتحقيق، فإذا رأت الهيئة أن الأفعال المنسوبة إلى المتهم تستوجب توقيع العقوبة تحيل الدعوة إلى مجلس التأديب.

مـادة 41: يحال الموظفـون المتهمون بارتكاب مخالفـة أو مخالفات مرتبط بعضـها ببعض إلى هيئة الرقابة والتحقيق إذا كانـوا عند ارتكاب المخالفة أو المخالفـات أو عند اكتشـافها تابعين لأكثر من جهة. فـإذا رأت هيئة الرقابة والتحقيق أن الوقائع تستوجب توقيع العقوبة تحيل الدعوى إلى هيئة التأديب.

مادة 42: تسقط الدعوى التأديبية بمضي عشر سنوات من تاريخ وقوعها، وتنقطع هذه المـدة بأي إجراء من إجراءات التحقيق، أو التأديب. وتسري المدة من جديد ابتداء من آخر إجراء، وإذا تعدد المتهمون فإن انقطاع المدة بالنسبة إلى أحدهم يترتب عليه انقطاعها بالنسبة للباقين.

مـادة 45: للموظـف أن يطلب محو العقوبات التأديبيـة الموقعة عليه بعد مضـي ثلاث سـنوات من تاريخ صـدور القرار بمعاقبته، ويتم محو العقوبة بقرار من الوزير المختص.

ويتعـين إيضـاح أن المادة 48 من نظـام تأديب الموظفين إذ نصـت على أن هذا النظام يسري على جميع الموظفين في الدولة عدا أعضـاء السـلك القضـائي. فإن الاسـتثناء الخاص بأعضـاء السلك القضـائي يمتد ليشمل أعضـاء الديوان. فقد صار الديوان هيئة قضائية. كما أن المادة 16 من نظام الديـوان تقضـي بأنه مع عدم الإخلال بما يقتضـيه هذا النظـام من أحكام يتمتع أعضـاء الديوان بالحقوق والضمانات المقررة للقضاة، فضلاً عن أن نظام الديوان تضمن أحكاماً خاصة بتأديب أعضائه.

ثالثاً: الدعاوى الجزائية

تنص المادة 26 من نظام القضـاء علـى أن المحاكم (المحاكـم الشرعية) تختص بالفصـل في كافة المنازعـات والجرائم إلا ما يسـتثنى بنظام. وقد أخرجت الفقرة (و) من المـادة الثامنة من نظام ديوان المظالم بعض الجرائم مـن ولايـة المحاكم وعهدت بالفصـل فيها إلى ديوان المظالم، فقد قضـت الفقرة المذكورة بان ديوان المظـالم يختص بنظر الدعاوى الجزائية الموجهة ضـد المتهمين بارتكاب جرائم التزوير المنصـوص عليها نظاماً، والجرائم المنصـوص عليهـا في نظـام مكافحة الرشـوة والجرائم المنصـوص عليها في المرسـوم الملكي رقـم 43 وتاريخ 1337/11/29هـ والجرائم المنصـوص عليهـا في نظام مباشرة الأموال العامة الصـادرة بالمرسـوم الملكي رقم 77

وتاريخ 1395/10/23هـ. وكذلك الدعاوى الجزائية الموجهة ضد المتهمين بارتكاب الجرائم والمخالفات المنصوص عليها في الأنظمة إذا صدر أمر من رئيس الوزراء إلى الديوان بنظرها.

ونظراً لأن الاختصاص بنظر الدعاوى الجزائية هو أصلاً للمحاكم، ولا يتفق إعطاء هذا الاختصاص للديوان، مع ما نصت عليه المادة الأولى من نظام الديوان من أنه هيئة قضائية إدارية، فقد جاء في المذكرة الإيضاحية لنظام الديوان أنه بما أن الديوان جهة قضاء إداري فإن اختصاصاته الجزائية مؤقتة إلى حين عمل الترتيبات اللازمة لقيام المحاكم بالفصل في تلك القضايا وفقاً لنظام القضاء.

الادعاء أمام دوائر الديوان

تنص المادة العاشرة من نظام الديوان على أن تتولى هيئة الرقابة والتحقيق الادعاء أمام الدائرة المختصة في الجرائم والمخالفات التي تتولى الهيئة التحقيق فيها.

والجرائم والمخالفات التي قد تتولى هيئة الرقابة والتحقيق تحقيقها قد تكون تأديبية أو جزائية.

رابعاً: طلبات تنفيذ الأحكام الأجنبية

تصــدر أحياناً محاكم إحدى الدول أحكاماً يســتلزم تنفيذها أن يتم ذلك في دولة أخرى، وهذه الأحكام لا تنفذ في دولة أخرى لمجرد أنها صارت واجبــة التنفيذ في الدولة التي أصــدرت محاكمها الحكــم، بل لا بد لتنفيذ الأحكام في دولة أخرى من توافر شروط تحددها الدولة المراد تنفيذ الحكم فيهــا، وتعــين هذه الدولة عــادة إحدى جهاتهــا القضــائية لتعرض عليها الأحــكام الأجنبية المراد تنفيذها فيها لتقــرر جواز هذا التنفيذ، بعد التأكد من توافر الشروط التي يجوز معها تنفيذ الحكم الأجنبي، وقد رأت المملكة أن يعهــد بذلك إلى ديوان المظالم فنصــت الفقرة (ز) من المــادة الثامنة من نظــام الديوان على أن الديوان يختص بالفصــل في طلبات تنفيذ الأحكام الأجنبية، وهذه الفقرة لم تصف للديوان اختصاصاً جديداً إذ كان النظر في طلب تنفيذ الأحكام الأجنبية من صلاحيات الديوان.

خامساً: الدعاوى التي من اختصاص الديوان بموجب نصوص نظامية خاصة

تضمنت بعض المراسيم والأوامر الملكية وقرارات مجلس الوزراء والأوامر الســامية نصوصاً خاصة عهدت إلى ديوان المظالم بالفصل في الموضوعات التي نصــت عليها. وقــد جاءت الفقــرة (ح) من المادة الثامنــة لتقرر بقاء الاختصــاص بنظــر هــذه الموضــوعات لديــوان المظالم. ومــن ذلك نظر القضــايا الناشئة عن مخالفة نظام مقاطعة إسرائيل، والقضايا المتعلقة بشرعية الأعذار التي يتقدم بها الموظفون لتأخر مطالبتهم ببدل الانتداب عن الستة

أشهر، وقد نص قرار مجلس الوزراء رقم 818 وتاريخ 1396/5/17هـ على اختصاص الديوان بالفصل بصفة نهائية في طلبات التعويض المقدمة من المقاولين المتعاقدين مع جهات حكومية، في الحالات التي يستند فيها المقاولون على حدود تقصير من الجهة الحكومية، ينتج عنه إلحاق خسارة أو ضرر بالمقاول، كما قضى المرسوم رقم م/4 وتاريخ 1399/2/2هـ الخاص باستثمار رأس المال الأجنبي باختصاص الديوان بنظر التظلم من قرار الوزير سحب الرخصة الممنوحة للمنشأة أو تصفيتها، أو حرمان المنشأة من كل أو بعض المزايا المنصوص عليها في النظام، وحكم الديوان في التظلم بات نهائياً.

وبالإضافة إلى ما تقدم هناك اختصاصات أخرى يباشرها الديوان بالاشتراك مع هيئات أخرى.

سادساً: المواضيع والقضايا التي يحيلها مجلس الوزراء للديوان

تنص الفقرة (2) من المادة الثامنة على أنه مع مراعاة قواعد الاختصاص المقررة نظاماً، يجوز لمجلس الوزراء إحالة ما يراه من مواضيع وقضايا لديوان المظالم لنظرها.

عدم اختصاص الديوان بنظر الطلبات المتعلقة بأعمال السيادة أو الاعتراض على الهيئات القضائية

إذا كان نظام الديوان من الشمول بحيث صار مختصاً بنظر الدعاوى التي تكون الدولة طرفاً فيها، فإن المادة التاسعة من النظام حظرت على

الديوان نظر الدعاوى المتعلقة بأعمال السـيادة، أو الاعتراض على أحكام المحاضر وغيرها من الهيئات القضائية، فهي تنص على أن: لا يجوز لديوان المظالم النظر في الطلبات المتعلقة بأعمال السيادة، أو النظر في الاعتراضات المقدمة من الأفراد على ما تصدره المحاكم أو الهيئات القضائية، من أحكام أو قرارات داخلة في ولايتها.

نظام أعضاء الديوان

- شروط التعيين
- درجات أعضاء الديوان وشروط شغلها
- ضمانات أعضاء الديوان
- واجبات أعضاء الديوان
- تأديب أعضاء الديوان



شروط التعيين

أعضاء الديوان يقومون بعمل قضائي هو الفصل في القضايا الإدارية، وبعض القضايا الجنائية التي احتفظ الديوان بنظرها حتى يتم نقلها إلى المحاكم.

وهؤلاء الأعضاء هم قضاة، ولما كان لا يصلح كل شخص لأداء هذا العمل، فقد بينت المادة الحادية عشرة الشروط الواجب توافرها فيمن يجوز أن يشغل وظيفة عضو في الديوان، فنصت على أنه:

يشترط فيمن يعين عضواً في الديوان:

أ) أن يكون سعودي الجنسية.

ب) أن يكون حسن السيرة والسلوك.

ج) أن يكون متمتعاً بالأهلية الكاملة لتولي الأعمال القضائية.

د) أن يكون حاصلاً على شهادة من إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية أو شهادة جامعية أخرى معادلة.

هـ) ألا يقل عمره عن اثنين وعشرين عاماً.

و) أن يكون لائقاً صحياً للخدمة.

ز) ألا يكون قد حكم عليه بحد أو تعزير أو في جرم مخل بالشرف أو صدر بحقه قرار تأديبي بالفصل من وظيفة عامة، ولو كان قد رد إليه اعتباره.

وهذه الشروط تماثل الشروط التي استلزمت المادة 37 من نظام القضاء توافرها فيمن يتولى القضاء، وقد سبق أن بينا المقصود بالأهلية الكاملة لتولي الأعمال القضائية، أثناء بيان شروط تولي القضاء، ونحيل هنا إلى ما بيناه هناك.

درجات أعضاء الديوان وشروط شغلها

درجات أعضاء الديوان

نصت المادة 12 من نظام الديوان على أن درجات أعضاء الديوان هي:

- ملازم بدرجة ملازم قضائي.
- مستشار مساعد (ج) بدرجة قاضي (ج).
- مستشار مساعد (ب) بدرجة قاضي (ب).
- مستشار مساعد (أ) بدرجة قاضي (أ).
- مستشار (د) بدرجة وكيل محكمة (ب).
- مستشار (ج) بدرجة وكيل محكمة (أ).
- مستشار (ب) بدرجة رئيس محكمة (ب).
- مستشار (أ) بدرجة رئيس محكمة (أ).
- نائب مساعد بدرجة قاضي تمييز.
- نائب رئيس بدرجة رئيس تمييز.

شروط شغل الدرجات

وعرضت المادة 13 لشروط شغل درجات أعضاء الديوان، قضت بأنه: يشترط لشغل درجات أعضاء الديوان، توافر المؤهلات المحددة للدرجات المقابلة لها في نظام القضاء مع مراعاة ما يلي:

أ) تعتبر كل من الماجستير في مجال العمل، ودبلوم دراسات الأنظمة بمعهد الإدارة العامة، معادلة للاشتغال بأعمال قضائية نظيرة مدة أربع سنوات.

ب) تعتبر درجة الدكتوراه في طبيعة العمل، معادلة للاشتغال بأعمال قضائية نظيرة مدة ست سنوات.

ج) يعتبر الاشتغال بأعمال التحقيق والقضاء والاستشارات في مجال العمل، اشتغالاً في أعمال قضائية نظيرة.

ولما كانت الفقرة الأولى من المادة 13 قد أحالت في بيان مؤهلات من يشغل درجات أعضاء الديوان إلى ما يقابلها في نظام القضاء، فإني أورد فيما يلي المؤهلات التي تطلبها نظام القضاء لشغل الدرجات المقابلة لدرجات أعضاء الديوان:

– درجة ملازم قضائي وهي بنفس المسمى في نظام القضاء.

ويشترط فيمن يشغلها بالإضافة إلى ما ورد في المادة (37) أن يكون قد حصل على الشهادة العالية بتقدير عام لا يقل عن جيد وبتقدير جيد جداً في مادتي الفقه وأصوله (مادة 39).

والشروط المنصوص عليها في المادة 37 من نظام القضاء تماثل الشروط المنصوص عليها في المادة 11 من نظام الديوان.

– درجة مستشار مساعد (ج) ويقابلها في نظام القضاء درجة قاضي (ج).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد أمضى في درجة ملازم قضائي ثلاث سنوات على الأقل (مادة 40).

– درجة مستشار مساعد (ب) ويقابلها في نظام القضاء درجة قاضي (ب).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى سنة على الأقل في درجة قاضي (ج)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة أربع سنوات على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة

بالمملكة العربية السعودية لمدة أربع سنوات على الأقل، أو أن يكون من خريجي المعهد العالي للقضاء (مادة 41).

– درجة مستشار (أ) ويقابلها في نظام القضاء درجة قاضي (أ).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى أربع سنوات على الأقل في درجة قاضي (ب)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة ست سنوات على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية لمدة سبع سنوات على الأقل (مادة 42).

– درجة مستشار (د) ويقابلها في نظام القضاء درجة وكيل محكمة (ب).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى ثلاث سنوات على الأقل في درجة قاضي (أ) أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة عشر سنوات على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية لمدة عشر سنوات على الأقل (مادة 43).

– درجة مستشار (ج) ويقابلها في نظام القضاء درجة وكيل محكمة (أ).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة وكيل محكمة (ب)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة اثنتي عشرة سنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية لمدة اثنتي عشرة سنة على الأقل (مادة 44).

– درجة مستشار (ب) ويقابلها في نظام القضاء درجة رئيس محكمة (ب).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة وكيل محكمة (أ)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة أربع عشرة سنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى

كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية لمدة أربع عشرة سنة على الأقل (مادة 45).

– درجة مستشار (أ) ويقابلها في نظام القضاء درجة رئيس محكمة (أ).

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى سنتين على الأقل في درجة رئيس محكمة (ب)، أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة ست عشرة سنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله في إحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية لمدة ست عشرة سنة على الأقل (مادة 46).

– درجة نائب مساعد ويقابلها في نظام القضاء درجة قاضي تمييز.

ويشترط فيمن يشغلها أن يكون قد قضى سنتين على الأقل، في درجة رئيس محكمة (أ) أو أن يكون قد اشتغل بأعمال قضائية نظيرة لمدة ثماني عشرة سنة على الأقل، أو قام بتدريس مواد الفقه وأصوله بإحدى كليات الشريعة بالمملكة العربية السعودية لمدة ثماني عشرة سنة على الأقل (مادة 47).

– درجة نائب رئيس ويقابلها في نظام القضاء درجة رئيس تمييز.

وهو يختار من بين قضاة التمييز حسب ترتيب الأقدمية المطلقة (مادة 49).

ولما كانت المادة السابقة قد تحدثت عن الاشتغال بأعمال قضائية نظيرة فقد نصت المادة 48 من نظام القضاء على أنه: يحدد مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير العدل المقصود بالأعمال القضائية النظيرة، وتعتبر شهادة المعهد العالي للقضاء معادلة لخدمة أربع سنوات في أعمال قضائية نظيرة.

ضمانات أعضاء الديوان

تنص المادة (16) من نظام الديوان على أنه: مع عدم الإخلال بما يقتضيه هذا النظام من أحكام، يتمتع أعضاء الديوان بالحقوق والضمانات المقررة للقضاة، ويلتزمون بما يلتزم به القضاة من واجبات، وجاء في المذكرة الإيضاحية لنظام الديوان أنه بهذا النص قضى النظام على التفرقة الحالية الموجودة بين أعضاء الديوان، وكفل الحصانة اللازمة لعضو الديوان، لكي يفصل فيما ينظره من منازعات بوحي من ضميره، وفقاً للنظم الموضوعة التي لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

ولم يكتف نظام الديوان بما جاء في المادة 16 من إحالة على الضمانات المقررة للقضاة، وإنما تضمن بعض نصوص تتعلق بالضمانات مماثلة لتلك التي نص عليها نظام القضاء.

ونعرض فيما يلي بإيجاز لهذه الضمانات

أولاً: عدم القابلية للعزل

تنص المادة 15 من نظام الديوان على أنه: فيما عدا الملازم، لا يكون عضو الديوان قابلاً للعزل، ولكن يحال إلى التقاعد حتماً إذا بلغ سن السبعين، على أنه إذا فقد أحد الأعضاء الثقة والاعتبار اللذين تتطلبهما الوظيفة، يحال إلى التقاعد بأمر ملكي بناء على اقتراح من لجنة الشؤون الإدارية لأعضاء الديوان.

ولكن، لا يتمتع أعضاء الديوان، مثلهم في ذلك مثل رجال القضاء بهذا الضمان إلا بعد مضي سنة يقضيها العضو تحت التجربة، بعد بدء

التعيين، فقد نصت المادة (14) من نظام الديوان على أنه: يكون من يعين من الأعضاء ابتداء تحت التجربة لمدة عام، وتصدر لجنة الشؤون الإدارية لأعضاء الديوان، بعد نهاية مدة التجربة وثبوت صلاحية المعين قراراً بتثبيته.

ويجوز قبل صدور هذا القرار الاستغناء عنه بقرار من لجنة الشؤون الإدارية لأعضاء الديوان، وهاتان المادتان تتفقان في أحكامهما مع أحكام المادتين 51 – 50 من نظام القضاء.

كما نصت المادة 21 من نظام الديوان على أنه: إذا لم يستطع العضو بسبب مرضه، مباشرة عمله بعد انقضاء الإجازة المرضية التي حددتها المادة 20، أو ثبت في أي وقت أنه لا يستطيع لأسباب صحية القيام بوظيفته على الوجه اللائق، فيحال على التقاعد.

وتقضي المادة 26 بأنه إذا حصل العضو على تقدير أقل من المتوسط في تقرير الكفاية ثلاث مرات متواليات فيحال إلى التقاعد، بأمر ملكي، بناء على اقتراح لجنة الشؤون الإدارية.

وطبقاً لأحكام المادتين 39، 40 يحال على التقاعد من يصدر عليه حكم بذلك من لجنة التأديب، ويصدر أمر ملكي بتنفيذ عقوبة الإحالة على التقاعد.

وقد تضمنت المادة السادسة من مرسوم الإصدار، نصاً مؤقتاً، يقضي بأنه يجوز استثناءً خلال خمس السنوات التالية لنفاذ النظام أن تقوم لجنة الشؤون الإدارية لأعضاء الديوان بالنظر في إحالة من ترى عدم صلاحيته لعضوية الديوان على التقاعد، ويصدر قرار الإحالة على التقاعد في هذه الحالة بأمر ملكي.

ثانياً: النقل والندب والإعارة

لم يتضمن نظام ديوان المظالم نصوصاً خاصة تبين أحكام نقل وندب وإعارة أعضاء الديوان، واكتفى بالإحالة إلى أحكام نظام القضاء، وقرر سريانها على أعضاء الديوان، فنصت المادة 15 من نظام الديوان على أنه: يتم نقل أعضاء الديوان وندبهم وإعارتهم وفقاً للإجراءات المقررة لنقل أعضاء السلك القضائي وندبهم وإعارتهم، وفي هذا الخصوص يكون للجنة الشؤون الإدارية بالنسبة لأعضاء الديوان نفس الاختصاصات المقررة لمجلس القضاء الأعلى بالنسبة لأعضاء السلك القضائي، كما يكون لرئيس الديوان في هذا الخصوص وبالنسبة لأعضاء الديوان نفس الاختصاصات المقررة لوزير العدل بالنسبة لأعضاء السلك القضائي.

وقد بينت المادة 55 من نظام القضاء أحكام النقل والندب والإعارة فنصت على أنه: لا يجوز نقل أعضاء السلك القضائي أو ندبهم داخل السلك القضائي، إلا بقرار من مجلس القضاء الأعلى، كما لا يجوز نقل أعضاء السلك القضائي أو ندبهم أو إعارتهم خارج السلك القضائي، إلا بأمر ملكي، بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى، تحدد فيه المكافأة المستحقة للقاضي المندوب أو المعار، وتكون مدة الندب أو الإعارة سنة واحدة قابلة للتجديد لسنة أخرى، على أنه يجوز لوزير العدل في الحالات الاستثنائية، أن يندب أحد أعضاء السلك القضائي داخل السلك أو خارجه لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر في العام الواحد.

وإذا كانت المادة 19 من نظام الديوان قد أحالت فقط على إجراءات النقل والندب والإعارة وهي التي تضمنتها المادة 55 فإن ذلك لا يمنع

سريان المادة الثالثة من نظام القضاء على أعضاء الديوان وهي التي تنص على أنه: مع عدم الإخلال بحكم المادة (55) لا ينقل القضاة إلى وظائف أخرى إلا برضاهم أو بسبب ترقيتهم، لأن الحكم الذي تضمنته المادة الثالثة من نظام القضاء يعتبر ضماناً لهم ويسري على أعضاء الديوان تطبيقاً نص المادة 16 من نظام الديوان التي كفلت لهم التمتع بضمانات القضاة.

ثالثاً: الترقية

يسوي نظام ديوان المظالم بين أعضائه وبين القضاة في التعيين والترقية فنصت المادة 18 من نظام الديوان على أنه: يجري التعيين والترقية في درجات أعضاء الديوان وفقاً للإجراءات المقررة للتعيين والترقية في درجات السلك القضائي، وفي هذا الخصوص يكون للجنة الشؤون الإدارية لأعضاء الديوان بالنسبة لأعضاء الديوان، نفس الاختصاصات المقررة لمجلس القضاء الأعلى بالنسبة لأعضاء السلك القضائي.

وقد بينت إجراءات تعيين وترقية القضاة المادة 53 من نظام القضاء فنصت على أنه: يجري التعيين والترقية في درجات السلك القضائي بأمر ملكي بناء على قرار من مجلس القضاء الأعلى، يوضح فيه توفر الشروط النظامية في كل حالة على حدة، ويراعي المجلس في الترقية ترتيب الأقدمية المطلقة، وعند التساوي يقدم الأكفأ بموجب تقارير الكفاءة، وعند التساوي أو انعدام تقارير الكفاءة، يقدم الأكبر سناً. ولا يجوز أن يرقى عضو السلك القضائي من درجة رئيس محكمة (ب) فما دون إلا إذا كان قد جرى التفتيش عليه مرتين على الأقل في الدرجة المراد الترقية منها وثبت في التقريرين الأخيرين

السابقين على الترقية أن درجة كفاءته لا تقل عن المتوسط.

وهذا النص ضمن لأعضاء الديوان أن تكون ترقيتهم بالأقدمية المطلقة، وعند التساوي في الأقدمية يقدم الأكفأ وعند التساوي أو انعدام تقارير الكفاية يقدم الأكبر سناً.

التفتيش على أعضاء الديوان

أعضاء الديوان مثلهم مثل قضاة المحاكم يخضعون للتفتيش على أعمالهم حتى يرقى من يستحق الترقية، ويبعد من عضوية الديوان من يثبت أنه غير أهل لذلك، وقد تضمن نظام الديوان قواعد هذا التفتيش فنص على أنه: يتم التفتيش على أعمال أعضاء الديوان من درجة مستشار (ب) فما دون، بأن يعهد رئيس الديوان إلى عضو أو أكثر من أعضاء الديوان القيام بعملية التفتيش الذي يجب إجراؤه مرة على الأقل ومرتين على الأكثر كل سنة.

ويجب أن يقوم بالتفتيش عضو بدرجة أعلى من درجة المفتش عليه في الأقدمية إن كانا في درجة واحدة.

ويكون تقدير كفاءة العضو بإحدى الدرجات التالية:

كفؤ – فوق المتوسط – متوسط – أقل من المتوسط (المادة 22).

وترسل صور من الملاحظات دون تقدير الكفاية إلى العضو صاحب الشأن للاطلاع وإبداء اعتراضه حولها خلال ثلاثين يوماً. (المادة 23).

ويشكل رئيس الديوان لجنة من ثلاثة من أعضاء الديوان، لفحص الملاحظات، ثم الاعتراضات التي يبديها العضو المعني، وما تعتمده اللجنة من هذه الملاحظات يودع في ملف العضو مع الاعتراض، وما لا يعتمد يرفع

من التقرير ويحفظ ويبلغ العضو بتقدير كفايته المعتمد من اللجنة (المادة 24).

ويجوز للعضو الذي حصل على تقدير يثبت فيه أن درجته أقل من المتوسط، أن يتظلم إلى لجنة الشؤون الإدارية خلال ثلاثين يوماً، من تاريخ إخطاره بمضمون التقدير، ويكون قرار اللجنة في هذا الشأن نهائياً. (المادة 25).

وإذا حصل العضو على تقدير أقل من المتوسط في تقرير الكفاية ثلاث مرات متواليات، فيحال إلى التقاعد بأمر ملكي بناء على اقتراح من لجنة الشؤون الإدارية. (المادة 26).

وقضت المادة 27 بأنه: تصدر لائحة بقرار من رئيس ديوان المظالم بعد موافقة لجنة الشؤون الإدارية تبين قواعد وإجراءات التفتيش.

واجبات أعضاء الديوان

نصت المادة 16 من نظام الديوان على أن أعضاء الديوان يتمتعون بالحقوق والضمانات المقررة للقضاة ويلتزمون بما يلتزم به القضاة من واجبات. وقد تكلمنا فيما تقدم عن ضمانات القضاة. ونذكر فيما يلي الواجبات التي يلتزم بها القضاة وتسري على أعضاء الديوان طبقاً لنص المادة 16 من نظام الديوان.

عدم الجمع بين القضاء ووظيفة أخرى

لا يجوز الجمع بين وظيفة القضاء ومزاولة التجارة أو أية وظيفة أو عمل لا يتفق مع استقلال القضاء وكرامته. ويجوز لمجلس القضاء الأعلى أن يقرر منع القاضي مباشرة أي عمل يرى أن القيام به يتعارض مع واجبات الوظيفة وحسن أدائها. (المادة 58 من نظام القضاء).

عدم إفشاء سر المداولة

لا يجوز للقضاة إفشاء سر المداولات (المادة 59 من نظام القضاء).

الإقامة في البلد الذي به مقر عمله

يجب أن يقيم القاضي في البلد الذي به مقر عمله، ويجوز لمجلس القضاء الأعلى لظروف استثنائية، أن يرخص للقاضي في الإقامة مؤقتاً في بلد آخر قريب من مقر عمله. (المادة 60 من نظام القضاء).

عدم التغيب عن محل العمل

لا يجوز للقاضي أن يتغيب عن مقر عمله، ولا أن ينقطع عن عمله، لسبب غير مفاجئ، قبل أن يرخص له في ذلك كتابة. فإذا أخل القاضي بهذا الواجب نبه إلى ذلك كتابة. فإذا تكرر منه ذلك وجب رفع الأمر على مجلس القضاء الأعلى للنظر في أمر محاكمته تأديبياً. (المادة 61 من نظام القضاء).

الالتزام بالواجبات المنصوص عليها في نظام الموظفين

تنص المادة 52 من نظام القضاء على أنه: مع عدم الإخلال بما يقتضيه نظام القضاء من أحكام يلتزم القضاء بما نص عليه نظام الموظفين العام من واجبات لا تتعارض مع طبيعة الوظيفة. وهذا النص يسري حكمه على أعضاء الديوان إعمالاً للمادة 16 من نظام الديوان.

ونحيل في بيان هذه الواجبات على ما ذكرناه عند بيان واجبات رجال القضاء.

تأديب أعضاء الديوان

أعضـــاء الديوان – مثلهم مثل القضـــاة – يخضعون للإشراف والمؤاخذة التأديبية إذا وقع منهم ما يستوجب ذلك.

الإشراف على الأعضاء

خول نظـام الديوان رئيسـ الديوان حق الإشراف علـى جميع الدوائر والأعضـــاء كما خول ذلك لرؤســاء الدوائر – قضــت المـادة 28 من نظام الديوان على أنه: مع عدم الإخلال بما لأعضاء الديوان من حياد واستقلال، يكــون لرئيس الديــوان حق الإشـراف على جميــع الدوائر والأعضـــاء، ولرئيس كل دائرة حق الإشراف على الأعضاء التابعين لها.

كما نصــت المادة 29 على أن لرئيس الدائرة حق تنبيه الأعضاء التابعين لها إلى كل من يقع مخالفاً لواجباتهم أو مقتضيات وظائفهم، بعد سماع أقوالهم، ويكون التنبيه مشافهة أو كتابة، وفي الحالة الأخيرة تبلغ صورة منه للديوان، وللعضــو في حالة اعتراضه على التنبيه الصــادر إليه كتابة من رئيس الدائرة، أن يطلب خلال أسـبوعين من تاريخ تبليغه إياه، إجراء تحقيق عن الواقعة التي كانت سبباً للتنبيه، وتؤلف للغرض المذكور بقرار من رئيس الديوان لجنة من ثلاثة من المستشــارين، ولهذه اللجنة، بعد ســماع أقوال العضو أن تعهد إلى أحد أعضائها بإجراء التحقيق، إن وجدت وجهاً لذلك، ولها أن تؤيد التنبيه أو أن تعتبره كأن لم يكن، وتبلغ قرارها لرئيس الديوان. وإذا تكررت المخالفة أو استمرت بعد تأييد التنبيه من قبل اللجنة، رفعت الدعوى التأديبية.

وإذا وقع من الأعضاء ما يستوجب المؤاخذة التأديبية فقد جعل نظام الديوان تأديب الأعضاء من اختصاص لجنة تشكل بقرار من رئيس الديوان، من خمسة أعضاء من لجنة الشؤون الإدارية، وبينت المواد من 30 – 40 ما يتعلق بتأديب الأعضاء وهذا نصها:

الجهة المختصة بالتأديب

تأديب الأعضاء يكون من اختصاص لجنة تشكل بقرار من رئيس الديوان من خمسة من أعضاء لجنة الشؤون الإدارية، يرأسها أعلاهم درجة، فإن تساووا فأقدمهم في الخدمة، وإذا كان العضو المقدم إلى المحاكمة عضواً في لجنة الشؤون الإدارية، أو قام بأحدهم مانع يمنعه من الاشتراك في لجنة التأديب يندب رئيس الديوان أحد أعضاء الديوان الذين تتوافر فيهم شروط عضوية لجنة الشؤون الإدارية، ليحل محله.

ولا يكون انعقاد لجنة التأديب صحيحاً إلا بحضور جميع أعضائها، وتتخذ قراراتها بالأغلبية المطلقة لأعضائها. (المادة 30).

رفع الدعوى التأديبية

ترفع الدعوى التأديبية بطلب من رئيس الديوان من تلقاء نفسه، أو بناءً على اقتراح رئيس الدائرة التي يتبعها العضو.

ولا يقدم هذا الطلب إلا بناء على تحقيق جزائي أو بناءً على تحقيق إداري يتولاه أحد المستشارين يندبه رئيس الديوان (المادة31).

ترفع الدعوى التأديبية بمذكرة تشتمل على التهمة والأدلة المؤيدة لها، وتقدم للجنة التأديب لتصدر قرارها بدعوة المتهم للحضور أمامها (المادة32).

إجراءات الدعوى التأديبية

يجــوز للجنة التأديــب أن تجري ما تراه لازماً مــن التحقيقات، ولها أن تندب أحد أعضائها للقيام بذلك. (المادة 33).

إذا رأت لجنة التأديب وجهاً للسير في إجراءات المحاكمة، عن جميع التهم أو بعضها كلف المتهم بالحضور في ميعاد لاحق. ويجب أن يشتمل التكليف بالحضور على بيان كاف لموضوع الدعوى وأدلة الاتهام. (المادة 34).

ويجوز للجنة التأديب عند تقرير الســير في إجراءات المحاكمة وأن تأمر بوقف المتهم عن مباشرة أعمال وظيفته، وللجنة في أي وقت أن تعيد النظر في أمر الوقف. (المادة 35).

وتكون جلســات لجنة التأديب سرية، وتحكم لجنة التأديب بعد ســماع دفاع العضــو المرفوعة عليه الدعوى، وله أن يقدم دفاعه كتابة، وأن ينيب في الدفــاع عنه غــيره. وللجنة دائماً الحق في طلب حضــوره بشخصــه، وإذا لم يحضــر ولم ينب أحداً، جاز الحكم في غيبته بعد التحقق من صــحة الدعوى. (المادة 37).

الحكم في الدعوى التأديبية

يجب أن يشتمل الحكم الصادر في الدعوى التأديبية على الأسباب التي بني عليها، وأن تتلى أســبابه عند النطق به في جلسة سرية، وتكون أحكام لجنة التأديب نهائية غير قابلة للطعن. (المادة 38).

والعقوبات التأديبية التي يجوز توقيعها على العضو هي: اللوم والإحالة على التقاعد (المادة 39).

وتبلغ أحكام لجنة التأديب إلى رئيس الديوان، ويصــدر أمر ملكي بتنفيذ عقوبــة الإحالة على التقاعد، وقرار من رئيس الديوان بتنفيذ عقوبة اللوم. (المادة 40).

انقضاء الدعوى التأديبية

تنص المادة 36 على أنه: تنقضــي الدعوى التأديبية باســتقالة العضو. ولا تأثير للدعوى التأديبية على الدعوى الجزائية أو المدنية الناشئة عنها.

اتهام عضو الديوان بارتكاب جريمة

وبينــت المادة 41 ما يتبع في حالة اتهام عضــو الديــوان بارتكاب جريمة من الجرائم فنصت على أنه: في حالات التلبس بالجريمة يجب عند القبض على العضــو وحبســه، أن يرفع الأمــر إلى لجنة الشــؤون الإدارية في مدة الأربع والعشرين ساعة التالية، ولها أن تقرر إما استمرار الحبس أو الإفراج بكفالة أو بغير كفالة، وللعضــو أن يطلب ســماع أقواله أمــام اللجنة عند عرض الأمر عليها.

وتحدد اللجنة مدة الحبس في القرار الذي يصدر بالحبس، أو باستمراره، وتراعى الإجراءات السالفة الذكر كل ما رؤي استمرار الحبس الاحتياطي، بعــد انقضــاء المدة التي قررتها اللجنة، وفيما عــدا ما ذكر لا يجوز القبض على العضو أو اتخاذ أي إجراء من إجراءات التحقيق معه أو رفع الدعوى الجزائية عليه، إلا بإذن من اللجنة المذكورة، ويجري حبس الأعضاء وتنفيذ العقوبات المقيدة للحرية بالنسبة لهم في أماكن مستقلة.

قواعد المرافعات والإجراءات

لم يتضــمن نظام الديوان أحــكام المرافعات والإجــراءات أمام الديوان، ونصــت المادة 49 من نظام الديوان على أن قواعد المرافعات والإجراءات أمام الديوان تصدر بقرار من مجلس الوزراء. ولم يصدر هذا القرار بعد.

ونظراً لأن ديوان المظالم صار جهة قضاء ولم يعد جهة تحقيق لم نر داعياً لبيان الإجراءات المعمول بها حالياً أمام الديوان لأنها في طريقها إلى تعديل شامل.



المرأة
كيف عاملها الإسلام

الطبعة الأولى
1406 هـ / 1986

الطبعة الثانية
1435هـ / 2014



وفي البدء كلمة

النســاء شقائق الرجال، والمرأة والرجل هما جناحا المجتمع، يطير بهما في آفاق الحياة الرحيبة، ولكل منهما رسالته التي يؤديها بما يكفل استقرار المجتمع ونماءه وتماسكه، ولقد كفل الإسلام للمرأة حقوقها وكرَّمها بمساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات، يقول الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل آية 97. وحسبها أن (الجنة تحت أقدام الأمهات)، بينما المرأة الغربية لم تصل إلى ما وصلت إليه المرأة المسلمة، فهي مع ما أتيح لها من الحرية المنفلتة التي جعلت منها ألعوبة بيد الرجل ورقيقاً أبيض مستباحاً فهي ما زالت حتى الآن تأخذ اسم زوجها وتلغي عائلتها متى ما تزوجت. وبفضل الله لم يعرف المسلمون وجود إشكالية بين المرأة والرجل، بل تحوطهما المحبة والتعاون المشترك لما فيه صالحهما وصالح المجتمع. ومحاولة إثارة هذه المسألة في المجتمع المسلم بدعوى نصرة المرأة، وادعاء أخذها لحقوقها، ذات أهداف مشبوهة، مكشوفة أبعادها، ومفضوحة غاياتها، ويمكن الاطلاع على هذه الدعاوى في كثير من الدراسات العلمية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر (موسوعة الأسرة المسلمة للدكتور عبد الكريم زيدان).

ولقد سعدنا بإرسال معالي الدكتور عبد العزيز الخويطر نص محاضرة فضيلة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ، وهي (المرأة وكيف كرمها الإسلام)[1]، مقترحاً أن تكون ضمن كتيبات (المجلة العربية)، فوجدناها

(1) ألقيت في النادي الأدبي بجدة في عام 1405هـ وطبعت طبعة محدودة.

مناســبة وقيمة، فقــد بينت مكانة المرأة المســلمة، وكيف كرمها الإســلام بأسلوب سهل وطرح علمي، وقد قمنا بتوثيق نصوصها وتحقيق شواهدها.

وســيجد فيها القارئ عامــة والقارئات خاصــة توجيهاً صــادقاً وفكراً رشيداً عرف عن كاتبها - رحمه الله - في كل كتبه ومؤلفاته وما فيها من التحذير من الانزلاق في دعاوى المبطلين وعدم الاعتزاز بزخرف أقوالهم.

المجلة العربية

تمهيد

موضــوع حديثــي هذا هو التعرف علــى كيفية معاملة ديننا الإســلامي العظيم للمرأة.. هل هو ظالم لها ومحطم لطموحها وحاجز لها من الإسهام في حياتها والتأثير فيها؟

أم هو معلٍ لمنزلتها، وحافظٌ لكرامتها، وصائنٌ لها عن الابتذال والتردي؟

وهذا الموضــوع كما تعلمون واســع الأبعاد طويلها.. لكنني ســأحاول الاختصــار والإيجاز ضــناً بوقتكم، وراغباً إلى غيري ممن هو أقدر مني أن يتحدث عنه بأوســع مما فعلت لأنه يستحق الإعادة، ويحتاج إلى الشمول وينبغي أن يكون أمره واضحاً لكل الناسين أو الغافلين أو المخدوعين.



المرأة في العصور القديمة

لم تكن المرأة في عصر من عصــور التاريخ الســحيقة في المكانة التي تليق بها، وكانت الأمم تتفاوت في درجة تجاهلها لها وإهدارها حقوقها وآخرها أمــة العــرب قبل الإســلام حيث كانوا يئــدون البنات خشــية العار، ولئلا يطعمن معهم، وذاك أمر شــديد القسوة، أن يعمد الأب إلى دفن ابنته حية، وحيث تقضي نحبها تحت أنقاض الرمال المتداعية بفعل أقرب الناس إليها.

قــال تعالى عن ذلك: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْــوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ × يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) النحل، آية (58 و59).

وبعث الله سيدنا محمداً – عليه أفضل الصلاة والسلام – بدعوته العظيمة الإصلاحية فأوقف سلســلة المظالم التي تواجهها المرأة، وحدد لها مكانها الطبيعــي، وأعلــن أنهــا والرجل في دين الله ســواء، وأنــزل الله عليه كتابه العظيم الذي يعلن في وضــوح وفي أكثر من موضــع هذه الحقيقة المشرقة. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) النساء آية (1).

والخطاب للناس (خطاب) لذكورهم وإناثهم.

وقال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل آية (97).

ويوم القيامة ينادى الرجال وزوجاتهم من الصالحين: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ). الزخرف الآية (70)، وبعد أن كانت سنة العرب قبل

الإســلام ألا يؤول إلى النســاء من ميراث الرجال شيء وكانوا يقولون: (لا يرثنا إلا من يحمل الســيف ويحمي البيضــة)، فإذا مات الرجل ورثه ابنه، فإن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه، أباً كان أو أخاً أو عماً.

جاء الإســلام فرفع هذا الظلم عن النساء، قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) النساء آية (7).

ثــم تتالت المواقــف الإنســانية الراحمــة من نبــي الأمة بالمــرأة في كل مراحلها.. حدث الإمام البخاري عن سعد بن أبي وقاص قوله: (مرضت بمكة مرضــاً أشــفيت منه على الموت فأتاني النبي – صــلى الله عليه وسلم – يعودني، فقلت: يا رســول الله، إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلا ابنتي أفأتصــدق بثلثي مالي؟ قال لا، قلت فالشــطر؟ قال لا: قلت الثلث؟ قال: الثلــث والثلث كثير، إنك إن تركت ولــدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففــون الناس، وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى اللقمة رفعها إلى في امرأتك)[1].

وقال تعــالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). البقــرة (228) وهي درجة الرعاية والقوامة والحماية. لا يتجــاوز بها جحود حقهــا أو إهدار كرامتها، وفي حديث مســلم عن أسماء بنت يزيد الأنصارية: أنها أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله. أنا وافدة النساء إليك، إن الله عــزَّ وجلَّ بعثك إلى الرجال والنســاء كافة، فآمنا بــك وبإلهك، إنا

(1) رواه الجماعة الإمام أحمد والأئمة الستة (انظر نيل الأوطار) للشوكاني 6 / 37.

معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشاركم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: (افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفكِ من النساء إن حسن تبتلِ المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله).

فانصرفت المرأة وهي تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففرحن وآمن جميعهن[1].

وسئلت عائشة - رضي الله عنها - ما كان عمل النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته؟ فقالت: (كان في مهنة أهله حتى يخرج إلى الصلاة)[2].

تريد أنه يعاونهن ويعمل معهن.

وكانت فضليات الصحابة يخرجن في رفقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى غزواته يداوين المرضى، ويأسون الجرحى ويسقين الماء، منهن

(1) رواه ابن حجر العسقلاني في مجمع الزوائد 4 / 308 والمنذري في الترغيب والترهيب 3 / 53.

(2) الحديث روته عائشة - رضي الله عنها - حينما سئلت ماذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعمل في بيته، فقالت: (كان يكون في مهنة أهله)؛ أي في خدمتهم.

أمية بنت قيس الغفارية التي قالت: أتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نسوة من بني غفار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا – وهو يسير إلى خيبر – فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: (على بركة الله). وأم سنان الأسلمية جاءت إلى رسول الله وهو خارج إلى خيبر فقالت: يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا، أخرز السقاء، وأداوي المريض والجريح. إن كانت جراح – ولا تكون – وأبصر الرحل فقال – صلى الله عليه وسلم – : اخرجي على بركة الله، فإن لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهنَّ من قومكِ ومن غيرهم، إن شئت فمع قومكِ، وإن شئت فمعنا، فقلت: معك. قال فكوني مع أم سلمة زوجتي فكنت معها – ولكثير غيرهن[1].

وكانت المرأة في الإسلام – كما كانت في الجاهلية – تجير الخائف وتفك العاني، فقد أجارت أم هانئ بنت أبي طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل، وفي ذلك تقول:

(لما نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأعلى مكة فرّ إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، فدخل عليّ علي بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟

فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال عليه الصلاة والسلام: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)[2].

(1) أحاديث غزو النساء المسلمات ومشاركتهن في الجهاد توضحها الأحاديث الصحيحة، انظر صحيح البخاري. كتاب الجهاد باب مداواة النساء الجرحى في الغزو الحديث 2882 وصحيح مسلم وشرحه للنووي حديث 18822.

(2) البخاري حديث 430 ومسلم الحديث 719.

وصان الإسلام سيرة المرأة، وحمى عرضها كأكمل ما تكون الصيانة والحماية، حيث قال تعالى في حق قاذفي المحصنات: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور آية (4)، فجعل جلَّ شأنه للقاذف عقوبات ثلاث: (الجلد، ثم اطراح شهادته وعدم قبولها أبداً)، والثانية هي (إلحاق صفة الفسق به) وهي شر الصفات وأبشعها، وفي الآية يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ × يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ × يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) سورة النور آية (22- 24).

وجعل لها الحرية في أمرين، هما أهم أمورها لديها، وهما: الزواج والمال، ليس لأحد أن يجبرها على زواج من تكره.. ولها أن ترفض ما لا ترضى.. وقد أشار إلى ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن)[1].

وأبطل النبي – صلى الله عليه وسلم – زواجاً أُكرهت فيه فتاة بكر على الزواج بأمر أبيها لمصلحة له في زواجها بابن أخيه.

حدثت عائشة – رضي الله عنها – فيما رواه النسائي: (أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته وأنا كارهة، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل

(1) رواه مسلم في كتاب النكاح باب (استئذان الثيب في النكاح).

الأمر إليها، فقالت يا رسول الله: قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء)[1].

وقصة (بريرة) وهي جارية من جواري الحبشة ملكها عتبة بن أبي لهب وزوجها عبداً من عبيد المغيرة ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها، فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشترتها وأعتقتها، فقال لها رسول الله: ملكت نفسك فاختاري، وكان زوجها يمشي خلفها ويبكي وهي تأباه، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له، ثم قال لها: اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك، فقالت: أتأمرني؟ قال: لا إنما أنا شافع، فقالت: إذاً فلا حاجة لي إليه[2].

ولها مطلق الحرية في مالها دون نزاع أو تسلط، وكان من شأن العرب في جاهليتهم أن الرجل إذا مات عمد أخص أوليائه وأقرب ورثته فوضع ثوبه على امرأته، وقال: أنا أحق بها، ثم إن شاء تزوجها وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها لتفتدي نفسها بما ورثت عن زوجها، فجاء الإسلام محرماً لذلك، ومنصفاً للمرأة ومطلقاً لحريتها في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا) النساء آية (19). وقال تعالى مخاطباً الأزواج في معرض منحه حرية المرأة لها: (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ). فأصبح حراماً على الرجل أن يستبقيها على كره منها، وإعنات منه لتفتدي نفسها بما بقي من صداقها إلا إذا أتت بفاحشة مبينة، فتلك ليس لها حق تطالب به ولا تتنازل عنه.

(1) رواه الإمام أحمد والنسائي

(2) رواه البخاري في كتاب (الطلاق) باب شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – في زواج بريرة ج11، ص328، ولابن حجر في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) كلام نفيس حول القصة ج11، ص334 – 435.

مفهوم العناية الصادقة بالمرأة

إن الحديث عن عناية الإسلام بالمرأة وإنزالها مكانتها التي تليق بها حديث لا ينتهي أبداً، ولا يمكن أن يتجاهله من له أدنى بصيرة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام – ولو أردت المضي في إيضاح الدلائل والشواهد لشققت عليكم، لكني سأعود فيما يشبه الإيجاز إلى جمع شتات هذا الأمر الذي يحتاج إلى طرقه من جميع جوانبه، عناية بدين الله المحتوي على الفضائل، ودفعنا لأبنائنا وأحفادنا على الثقة بدينهم، والفخر بالانتساب إليه، والقدرة على الدفاع عنه، فهو قد احتفى بالمرأة وحمى واقعها في كل أدوار حياتها.. احتفى بها في بداية حياتها وهي (ابنة) فعاب وحرم الوأد للبنات في قوله تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) الأنعام آية (13).

وكان قيس بن عاصم المنقري يتحدث بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ضحاياه من الموءودات وأنه ذهب باثنتي عشرة منهن، فقال – عليه الصلاة والسلام – : (من لا يرحم لا يرحم)[1]. وأمره أن يعتق بكل واحدة جارية مؤمنة.

وكان العرب يأنفون أن يداعب الرجل وليدته أو يسمح لها أن تمرح بين يديه، ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يداعب الولائد من بناته وبنات أصحابه، فقد حدث البخاري عن أبي قتادة قال: (خرج

(1) ورد حديث (من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء). أخرجه الطبراني في الكثير 2 / 407، وقال المنذري قوي جداً في الترغيب والترهيب.

علينا النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها)[1].

وقالت عائشة – رضي الله عنها – : جاءتني امرأة معها ابنتاها تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي – صلى الله عليه وسلم – فحدثته فقال: (من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار)[2]. وقال عن ابنته فاطمة – رضي الله عنها – . (فاطمة بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها) وقال الزهي: (كانوا - يريد أصحاب رسول الله - لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهاداً لحاجتهن إليه وشغله بهن، والعناية بتربيتهن).

واحتفى الإسلام بالمرأة وأكرمها (زوجة). قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم آية (21). وأوضح نوعية التلاقي بين الزوجين، حيث يقول تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) سورة النساء آية (19).

وقال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[3]. وأذن عليه الصلاة والسلام لفتيان الحبشة فلعبوا بحرابهم بين يديه في المسجد، ودعا عائشة – رضي الله عنها – فوطأ لها عاتقه، وحاط وجهها بيده، ومكنها من مشاهدتهم حتى سئمت). وروى ابن عبد ربه عن عائشة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها فقال:

(1) صحيح البخاري كتاب (الصلاة) باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة ج3، ص 137.
(2) البخاري حديث 101.
(3) رواه الطحاوي في (مشكل الآثار) 3 / 211 من حديث ابن عباس وانظر آداب الزفاف للألباني.

(أهديتم الفتاة إلى بعلها؟ قالت نعم، قال: فبعثتم معها من يغني؟ قالت: لا، قال: أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل، ألا بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم

فحيونا نحييكم

ولولا الحبة السمراء

لم نحلل بواديكم[1])

وحدث البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت: جاء النبي – صلى الله عليه وسلم – فدخل حين بنى علي، فجلس على فراش، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف، حتى قالت إحداهن. وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: (دعي هذا وقولي بالذي تقولين)[2].

ونظَّم الخالق تعالى الصلة بين الزوجين في قوله عزَّ شأنه: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) النساء آية (19).

وهي كما ترون تحدد في جلاء الإطار الرائع الذي يجب أن يحتوي واقع الزوجين في الإسلام ومدى التزام كل منهما بالآخر، وأن الحب وحده ليس هو مبرر استمرار الزوجية.

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لرجل طلق امرأته: (لم طلقتها؟ قال: لا أحبها، فقال: أكل البيوت بنيت على الحب؟ أين الرعاية والذمم؟)[3].

---

(1) رواه البخاري ومسلم وأبو داوود، انظر (آداب الزفاف) للعلامة الألباني، حيث ساق الروايات وخرجها.

(2) رواه الطبراني (1 / 197 / 1) وسكت عنه وفيه ضعف.

(3) رواه البخاري 2 / 352 . 9 / 166 – 167.

واعتنى الإسلام بها أماً، فقرن القرآن الكريم بين حق الله تعالى وحق الوالدين في قوله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) سورة لقمان آية (14).

وقال تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الأنعام آية (6).

وقوله - صلى الله عليه وسلم - لرجل جاء إليه فقال: يا رسول الله من أحق بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أبوك[1]، وكان صحابة رسول الله والتابعون لهم بإحسان لا ينفكون مطيعين لأمهاتهم، محسنين إليهن، اتباعاً لأوامر الله ورسوله، ومن ذلك حديث عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - . وذلك بعد أن دان لعبد الله بن الزبير العراق والحجاز واليمن، ثم أخذ عبد الملك بن مروان يقاومه، فغلبه على العراق، ثم جهز له الحجاج بن يوسف الذي أخذ يغلبه على أمره حتى انتهى إلى مكة المكرمة فطوّقها ونصب المجانيق على الكعبة المشرفة، وأهوى بالحجارة عليها، وفي الكعبة يومئذ أسماء بنت أبي بكر، وكان عبد الله يقاتل جند الحجاج مسنداً ظهره إلى الكعبة وليس حوله إلا القليل من رجاله، والحجاج يرسل له من يمينه الخير ويعده بالأمان لو بسط يده بالبيعة.

ودخل عبد الله بن الزبير في اثر ذلك على أمه، فقال: يا أماه خذلني الناس حتى أهلي وولدي، ولم يبق معي إلا اليسير، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار.

(1) أثر مروي عن الصحابي الجليل عمر بن الخطاب. انظر (أخبار عمر) للشيخ علي الطنطاوي.

وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ قالت: الله الله يا بني إن كنـت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامضِ فيه ولا تمكن من رقبتك غلمان بنـي أمية فيلعبوا بـك، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسـك ومـن معـك، وإن قلت إني كنت علـى حق فلما وهن أصـحابي ضـعفت نيتـي فليس هذا فعـل الأحرار ولا من فيه خـير، كم خلودك في الدنيا، القتل أحسـن ما يقع بك يا ابن الزبير.. والله لضربة بالسيف في عزٍّ أحب إليَّ من ضربة بالسوط في ذل.

فقال: يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشـام أن يمثلوا بي ويصلبوني، قالت: يا بني إن الشـاة لا يضرها السلخ بعد الذبح، فامضِ على بصيرتك واستعن بالله، فقبَّل رأسها وقال لها: هذا والله رأيي. والذي قمت به داعياً إلى الله، والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله عزَّ وجلَّ أن تهتك محارمه، ولكني أحببت أن أطَّلع على رأيك فيزيدني قوة وبصـيرة مع قوتي وبصيرتي، والله ما تعمدت إتيان منكر، ولا عملاً بفاحشة، ولم أجر في حكم، ولم أغدر في أمـان ولم يبلغني عن عمالي حيف فرضـيت به، بل أنكرت ذلك، ولم يكن شيء عندي آثر من رضا ربي، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني.

فقالت: والله إني لأرجو عزائي فيك جميلاً، إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك، اخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك؟

ثـم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليـل الطويل، وذاك النحيب والظمـأ في هواجر مكـة والمدينة، وبـره بأمه.. اللهم إني قد سـلمت فيه لأمرك ورضيت فيه بقضائك فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين.

قـال: يا أماه لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده. فقالت: لن أدعه فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، فتناول يدها ليقبلها، وقال: جئت مودعاً لأني أرى هـذا آخر أيامي من الدنيا. قالت امضِ على بصـيرتك، وادن مني حتـى أودعك. فدنا منها فعانقته وقبلته، فوقعت يدها على الدرع، فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد، فقال: ما لبستها إلا لأشد متنك.

قالت إنها لا تشـد متني فنزعها ثم درج لمته، وشدَّ قميصه وجبته، وخرج وقـال لأصـحابه: احملوا علـى بركة الله وليشـغل كل منكـم رجلاً، ولا يلهينكم السؤال عني فإني على الرعيل الأول، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون، وهناك رماه رجل من أهل الشـام بحجر فأصـاب وجهه فأخذته منه رعدة فدخل شعباً من شعاب مكة يستدمي، فبصرت به مولاة له فقالت: وا أمير المؤمنين فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك وقتلوه وصـلبه الحجاج وأقام جثمانه على الجذع، حتى إذا أمر عبد الملك بإنزاله أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه ثم كفنته وصلت عليه ودفنته). رحمه الله ورحمنا[1].

---

(1) رواه البخاري حديثه 5971.

المساواة كما يراها الإسلام

لا تـزال هناك أمور يحسـن بحثها، وربما كان في لقـاء آخر – بإذن الله – لكنني سـأتعرض وبسرعة لأمـر طالما تحدث عنه الناس، وطالما خدع بعضهم البعض الآخر بتمويه وجه الحقيقة فيه، ذلكم هو المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة.. وهو مطلب عادل إن كانت المسـاواة المطالب بها هي المساواة في دين الله، ذلك المبدأ الأزلي العظيم الذي يقتضي توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على سـبيل التكافؤ، أو المماثلة الواضحة في قول الله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عَلَيْهِنَّ) البقرة آية (228). وما أوضحه القـرآن الكريم مـن تقرير أن الرجل مـن المرأة والمرأة مـن الرجل في قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) آل عمران آية (195). أما حينما تتخذ المطالبة بالمساواة المزعومة مظهر التجاهل التام للفروق الواضـحة بين الجنسـين، في الخلق، والتكوين، والموهبة، والاسـتعداد فهي الخداع الواضح، والقول المردود، فالله تعالى أعلم وأحكم بخلقه من خلقه.

سـاوى بينهم في عقيدتهم إذا أخلصـوها لله، وساوى بينهم في الثواب على أعمالهم الصـالحة إذا تسـاووا في حجم الطاعـة والإيمان بالله، لكنه تعالى اختص كل جنس بمواهب خاصة وقدرات معينة لا يقدر عليها غيره، لتتـم عمارة الكون، ويمضـي أمـر الله في خلقه كمـا أراد ويريد. وكانت الإجابـة القاطعة في ذلك فيما روى أن أم سـلمة زوج النبي – صـلى الله عليه وسـلم – ومعها نسـوة قالت: ليت الله كتب علينـا الجهاد كما كتبه

علـى الرجـال فيكون لنا مـن الأجر مثل مـا لهم[1]. فنزل قوله سـبحانه: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) النساء آية (32). وختام هذه الآية تأكيد واضح لما هو متقرر وراسخ من شمول علم الله بكل شيء.

فهـو العالم بعباده، والمطلع على قدراتهم ونوازع نفوسـهم، وهو بعلمه الشامل الذي لا يشذ عنه شيء، خلق الرجال ومنحهم ما يتلاءم مع دورهم في الحيـاة، وخلق النسـاء ومنحهن ما يتلاءم مع دورهـن، وكلا الدورين يمضيان قدماً بالإنسانية إلى مسيرتها في نظام بديع متقن، ولا تستقيم حياة النـاس دون الاعـتراف بالحكمة الواضـحة في كل ما تقـع عليه العين من مخلوقات الله بشراً أو جماداً أو حيواناً.

(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) سـورة الملك آية (14)، بلى فهو يعلـم مـن خلق قبل خلقـه وبعد خلقه، يعلمـه ويعلم ما يقيـم حياته، وما توسوس به نفسه.

والقائلون إن المسـاواة يجب أن تتم بين الجنسـين في كل أمر، حتى في القـدرات والأعمال، إنمـا يقولون ما لا دليل عليه مـن تكوين الفطرة ولا حتى من تجارب الأمم ولا من حكم المشاهدة والبداهة، بل قام الدليل على نقيضه في جميع هذه الاعتبارات، ولم تتجاهل الأمم فوارق الجنسين إلا كان تجاهلها لها من قبيل تجاهل الطبيعة التي تضطر من يتجاهلها إلى الاعتراف

(1) انظر قصة حركة ابن الزبير في (البداية والنهاية لابن كثير) ج6، ص105، وما بعدها تحقيق الأستاذ صدقي العطار، نشر دار الفكر – بيروت، وانظر مسألة الخروج على الأئمة وبيان الترجيح بعدم الخروج في كتاب (الإمامة العظمى عند أهل السنة) تأليف د. عبد الله الدميجي.

بهــا بعد حين، ولــو من قبيل الاعتراف بتقييم العمل بين جنســين لم يخلقا مختلفين عبثاً بعد أن غبرت عليهما ألوف الســنين، وأحرى أن يكون طول الزمن مع تطور الأحوال الاجتماعية سـبباً لاختصــاص كل منهما بوظيفة غير وظيفة الجنس الآخر، ولاسـيما في الخصــائص التــي تفترق فيها لغاية الحيــاة البيئية، وكفاية الحياة الخارجة، فإن طول الزمن لا يلغي الفوارق بل يزيدها، ويجعل لكل منها موضعاً لا يشابه سواه.

والأمثلة لا تحصــى، منها احتفاظ الرجل بالقدرة على بقاء وظيفة النسل به طليقة ما صــلحت بنيته حتى المراحــل الأخيرة من عمره، بينما هي غير ذلك في المرأة، حيث يندر أن تبقى لها تلك القدرة على التناســل بعد ســن الخمســين، وحتى في الأعمال التي انقطعــت المرأة لها في غالب الأحوال كالطبخ، وعمل الأزياء وصــناعة التجميل ورثــاء العزيز من الموتى، وهي أمــور يبــدو أنها مما تختص به المــرأة، لكن الرجل تغلــب عليها من حيث القدرة على أدائها والبراعة في ذلك.

والقوامة التي وهبها الله للرجل على المرأة في قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) النساء آية (34)، لا تعني تفضيل معــدن الرجل على معدن المرأة، فهما شــقيقان ينحدران من نفس واحدة، وهو تفضــيل لا يغض من قدر إنســانية المرأة، لأنه ناشــئ من تفرقة عضوية بينهــا وبين الرجل لا من تفرقة في الجوهر والمعــدن.. ومثل هذه التفرقة لا تســتوجب الأســى عليها، فإن فضــل الله معقود بتزكية النفوس، لا بتفرقة عضــوية اقتضتها حكمة الله لضــمان اســتدامة حياة البشر وتكاملها. وفي الشــبيه من ذلك قول الله تعالى: (وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ)

النحل آية (71)، فهل هذا التفضيل الإلهي النابع من الحكمة – التي قد يجهلها الكثيرون – هل هذا التفضيل يؤدي إلى انتقاص قدر المفضول في الرزق عند الله إذا أخلص له وعمل من أجله؟ اللهم لا. لكن من حكمته أن يخدم الناس بعضهم بعضاً، وهكذا فالرجل يذهب في المجتمع ليحقق ما أراده الله من إنجازات ومهام.. والمرأة تذهب في المجتمع لتحقق ما أراده الله لها من أعمال ومهام.. وهل هناك أعظم أو أسمى من دور المرأة في تربية أطفالها وإعدادهم إعداداً متكاملاً لخوض معركة الحياة، فالأطفال هم الشباب غداً وهم الرجال بعد غد.. إذا لم يجدوا بجوارهم أماً تحنو عليهم وتسبغ عليهم من عطفها وحمايتها ورعايتها مما هم بحاجة إليه، فإنهم يتحولون إلى ما يشبه الدمى وتتكون عاداتهم وطبائعهم بعيداً عن القلوب التي تخفق بحبهم، وتعمل من أجل تكوينهم والمتناقضات التي يحياها شباب اليوم في كل مكان، أليس من المعتقد أن من الأسباب وراءها أن أولئك عاشوا حياتهم بعيدين عن أحضان أمهاتهم وصدورهن المليئة بالحب.. قضوها في دور الحضانة، أو لدى مربيات يمارسن عملهن كما يمارس الموظف عملاً يعتبره وسيلة لكسب عيشه دون أن يشعر بمتعة ممارسته له.. وكثيراً ما كنت أسائل نفسي: هل احتياج الأطفال ينحصر في إعطائهم قدراً من الحليب، ووضع الملابس على أجسامهم؟ وهل يكفي ذلك ليكون الطفل سوياً متكامل المشاعر؟ وأجد الإجابة واضحة، في السلوك الماثل في واقع الأطفال الذين يحيون بين أحضان أمهاتهم وآبائهم وينعمون بحنانهم وحبهم.. وأولئك الذين حرموا من تلك النعمة، وبالتالي لا يصعب على المرء أن يلحظ ما يكتنفهم من اضطراب، وما يشمل حياتهم من شذوذ.

إن رسالة المرأة هي بناء الأسرة وإدارة المنزل حتى تعيش مع أسرتها في جو هادئ مريح يبعث على النشاط المطلوب لاستمرار عمل الحياة ولا يمنع من ذلـك أن تعمل في حال احتياجها أو رغبتهـا في المجالات التي يمكنها أن تؤديها بلا مخالفة لطبيعة تكوينها، وواقع استعدادها والتي يمكنها أن تنجح في أدائها لاتفاقها مع إمكاناتها.

إن أي خـروج علـى الطبيعة التي خلقها الله لنا، وأودع فينا الاسـتجابة لانطلاقتهـا يعـد تعطيلاً لحكمـة الله في الخلق، وسـبباً للكثـير من الآلام النفسـية والحسـية، ومؤدياً للكثير من المتاعب التي يعيشـها الناس[1]، ولا سـبيل إلى عودة السعادة وهناء الحياة وسـكينتها، إلا بالإذعان لحكمة الله وبديع خلقه، وممارسة الحياة كما أرادها الله ويسرها[2].

جعلنا الله جميعاً من العاملين من أجله، المحققين لرسالته، ولا حرمنا من التعرف على جليل حكمته، وبديع صنعه.

---

(1) مسـألة المسـاواة بين الرجل والمرأة التي يدعو لها بعض المغرضـين لا تتفق والعلم الحديث، فهذا العالم الأمريكي المشـهور (ألكسـيس كاريل) في كتابه لقيم (الإنسـان ذلك المجهول)، يرفض هذه الدعوة قائلاً: (إن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها.. إلى أن يقول: فعلى النساء أن يؤسسن أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يلجأن إلى تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضـارة أسـمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة ص 109 من الكتاب المذكور.

(2) مسـألة عمل المرأة كتب فيها كثيرون من العلماء والمختصـين برؤية رشيدة منهم (د. محمد علي البار في كتابه عمل المرأة في الميزان) ود. عبد الرب تواب الدين في كتابه (عمل المرأة وموقف الإسـلام منه) والأسـتاذ سالم بن عبد العزيز السالم في كتابه (عمل المرأة) ضمن سلسلة (قضايا نسائية معاصرة).



خطوات على
الطريق الطويل

الطبعة الأولى
1412هـ / 1991م

الطبعة الثانية
1435هـ / 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد،،

يحوي هذا الكتاب مقالات شهرية كان قد كتبها والدنا – رحمه الله وأسكنه فسيح جناته – ونشرها في (المجلة العربية) في الفترة من شهر ربيع الثاني 1401هـ، وحتى شهر شعبان 1408هـ تحت عنوان (خطوة على الطريق الطويل)، وقد كانت رغبته – رحمه الله – أن يصل عددها إلى مائة خطوة قبل أن ينشرها في كتاب، لكن مشيئة الله وقضاءه فوق كل شيء فتوقفت عند ثمان وثمانين خطوة، علماً بأن الأربع عشرة خطوة الأخيرة قد تم نشرها بعد وفاته، حيث سبق أن بعث بها إلى (المجلة العربية).

وتحقيقاً لرغبته – رحمه الله – ونزولاً عند إلحاح الكثير من محبيه، قررنا جمعها وطبعها في هذا الكتاب، مع العلم أنه (تسهيلاً للفهرسة) فقد تم وضع عنوان منفصل لكل خطوة.

داعين الله العلي القدير أن ينفع بها الإسلام وأن يكتب لوالدنا بها الأجر وأن يحقق له – رحمه الله – ما كان يرجو من وراء كتابتها، إنه سبحانه سميع مجيب. كما نود أن نشكر كل من ساهم معنا في جمعها ونشرها، ونخص بالذكر الأخ الكريم الأستاذ حمد القاضي رئيس تحرير (المجلة العربية). والله ولي التوفيق.

أبناء المؤلف



نور رغم الظلمات

عجبت لمن يتخذ الإخلاص منهجاً، والشرف رفيقاً، ثم لا يوطن النفس على قبول الشدائد ومواجهة الصعاب، كأنما هو دافع بنفسه في مسالك الجبناء، ومنعطفات الفاشلين، فهو يريدها مطواعة ممهدة ينحدر في منحنياتها كما تنحدر (الكرة) يتخلى عنها ممسكها من عَل فتهوي متهالكة، (فالأعمال الكبيرة) – تحتنكها دائماً المتاعب والمشاق، ولولاها لما تميز بالخير (فاعل)، ولا عرف بالإقدام (بطل) تماماً كما قال الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهمو

الجود يفقر والإقدام قتال

وهي ضريبة (الأمجاد) يبذلها العباقرة والرواد في طواعية ولذة.

فتضيء في صفحات المجد أسماؤهم، وتردد الدنيا بطولاتهم.

ويعقب أولئك (رجال) رسموا أهدافاً لواقعهم على يقين بصعوبة المسلك إليها لكنهم قطعوا بها على – عزائمهم – عهداً حتى لا تضعف بهم أو تلين.. فهم مع واقعهم في نزاع، ومع محيطهم في كفاح، تشتد وطأة الأحداث عليهم، وتتردد بهم – خطاهم – في مواجهة المكاسب والمغانم (الآثمة) يلتهمها مجرمون وخونة، لا لشيء إلا لأنهم تنكبوا طرق الخير وامتدت أيديهم إلى ما ليس لهم، وخانوا أمانة الله.

ويتضاعف الصراع، وتشتد وطأته، وتنتصر المبادئ بأصحابها رغم كل ما يلقون من المصاعب، ويبقى أهل الوحل – في أدرانهم – يلغون كما تلغ (الكلاب المسعورة) لا يشبع نهمها شيء.. مثلهم كمثل شارب ماء البحر

يزداد ظمأ كلما ازداد شرباً.

والمكارم والمفاخر يصنعها (رجال) مثلي ومثلك، لا تختلف بهم عنا (خلق) ولا ينفرد بهم من بيننا تركيب، لكنهم استشعروا عمق مسؤولياتهم، وتمثلوا سمو مبادئهم فاندفعوا بغية الوصول إليها، يرون في المشقة الملازمة لمسعاهم (وقوداً) يدفع بعزائمهم إلى الانطلاقة الكبرى، ويشعرون بالمتاعب وقسوة واقعهم، كفترة انتقال- تسلمهم إلى غيرها، حيث تلتقي بهم ثمرات كفاحهم ونضالهم.

يا أخي المخلص: يا من تتمسك اليوم بمبادئ دينك أمام كل إغراء منحرف، أو تأثير ماكر.

ويا من تحافظ في كل حياتك على الفضيلة والصدق تتخذهما صفتين لازمتين لك ولمن تملك أمره عن رغبة واقتناع.

ويا من سموت بنفسك عن - الضعف- فلم تدنسها بالخيانة أو الرشوة أو الاختلاس رغم حاجتك واستطاعتك.

ويا من تراقب الله في عملك فتؤديه بكل طاقتك، فلا يهدأ لك بال حتى ترى نتائج جهودك تضيء الطريق لك.

ويا من تغالب مع مطلع كل يوم جديد متاعب احتياجك ووطأة مطالبك، لتجعل من دخلك (المشروع) وحده السبيل إلى تحقيق الممكن منها.

لك يا أخي أقول: أنت على حق - وإن لقيك الناس بالمقاومة.

وعلى نور - وإن أطفأوا كل مضيء في طريقك.

وعلى فوز - وإن أرجفوا بك وعليك، فتقدم في طريقك دون يأس أو

تخاذل. فأنت أسعد من الأغنياء، وأكبر من الطغاة، وأقوى من المتكبرين، لأن الله معك، ولأن للحق في لسانك وقلبك قوة ومضاء، هما سلاح - الأقوياء - لا يرهبهم ظلم، ولا يضعف إقدامهم يأس، ولا يطئ بسيرهم فشل.

وأنتم يا من - لم تتبينوا النور في دروبكم فشملكم ظلامها.. ولم تتلمسوا الكرامة في ضمائركم فاستولت عليكم هزيمتها.

وانطلقتم في طرق مجرمة ملتوية.. عودوا إلى الحق، وهلمّوا إلى النور، فليس بمغن عنكم باطل الدنيا شيئاً من واقع نهايتكم عندما لا تملكون لها تأجيلاً أو رداً.

وإن استطعتم خديعة الناس حيناً فلستم بمستطيعيها أبداً.. (والويل) لمن أمات ضميره، وأعمى قلبه، وأغلق عن هواتف الخير أذنيه.

اللهم فاشهد.

ربيع الثاني 1401هـ

المؤتمر الإسلامي الثالث

(المؤتمـر الإسـلامي الثالـث) الذي شرفـه الله بأن جمع شـمله في مكة المكرمة، وبدأ جلسـاته بجوار بيته الحرام، جاء فيما يشـبه (المفاجأة) لكل أعـداء الإسـلام.. لأنهم ربما غفلوا أو تغافلوا عـن التأثير الروحي للمكان على المجتمعين، ووقوفهم على ضـعفهم، وهوانهم، أمام خالقهم وتصور قدرته عليهم.

ولـو كان هناك (جهاز آلي) يرسـم الأفكار – أفكار الزعماء في جلسـة الافتتـاح – لأبدى عجباً.. لأنه صـور كل زعيم أمام مسـؤولياته، وربه، ودينه.

وكل إنسـان مهما أوغل بعداً عن الله، فإن مثل هذا الموقف يشعره حتماً بخطئه فيما سلف، وربما يشعره بالعمل الجاد لما يستقبل من أيام.

وعجيب تعلق الناس بأن جعلوا مصـير الإسلام في يد (زعماء المسلمين) مهمـا كانوا قرباً من الإسـلام، أو بعداً عنه، ومهمـا طبقوه في حياتهم أو حاربوه، فالإسـلام دين الله تعهد بنصره، ونصر المؤمنين الذين يعملون من أجله، وليس بالضرورة أن يكون منهم كل زعماء الدول الإسـلامية في أي زمان ومكان.

علـى أن إجماعهـم بتلبية الدعـوة لهـذا الاجتماع المبـارك دليل على (انتصـار) خـوف الله في واقعهـم، وبداية العـودة إليه، ينبغـي أن يعقبها استذكار لقدرة الله وعظيم سلطانه، حتى تتمكن الأمم الإسلامية من العمل لاستعادة أمجادها.

ومـن الخطـأ أن نحكم على أمة إسـلامية بتصـرف (زعمائها) لأنهم لا يمثلون إلا أنفسـهم، ولأن نور الله في الأرض يضعه في قلوب المؤمنين من عباده وهم (الذين لا حصر لهم) ربما لا يسمع العالم لهم اليوم صوتاً لكنهم عند الله في المقام الكريم.

جعل الله الخير والبركة في مسـعى ولاة الأمر في هذه البلاد المقدسة التي شـاء الله أن يجعل أمانة الإسلام وتطبيقه في يديها، وهيأ لها بمنّه وكرمه من الرجال والأعمال ما يقربها إليه، ويجعلها مستحقة لرضوانه الذي اختص به أولياءه.

جمادى الأولى 1401هـ

وللمجلة العربية قصة

وشاء ربك أن تكون لـ(المجلة العربية) قصة.

أتحدث عنها في مستهل السنة الخامسة لصدورها حديث المحب المشفق.

وفكرتها بدأت قبل أكثر من سبعة أعوام، عندما زرت السودان الشقيق بدعوة رسمية، للمشاركة في احتفالاتهم بعيد العلم الثالث.

وفي مطار الخرطوم والشمس تجنح للمغيب:

قال لي سفيرنا هناك أخي الأستاذ (عبد الله الملحوق) يجب أن تستعد للسفر فجر الغد.. فقلت: إلى أين؟

قال: إلى (الدلنج) إحدى مناطق السودان النائية عن الخرطوم، التي اختاروها لتكون مكاناً لعيد العلم الثالث.. ووجمت لأنني لم أكن أعلم أن رحلة أخرى بانتظاري.

وقطع وجومي أخي السفير ليقول لي: إن الرحلة الوحيدة الباقية هي لطائرة رئيس الجمهورية، الذي رحب بسفري معه.

وفي منطق الشخص الذي لم يعد لديه مجال للتصرف قلت له: على بركة الله.

وقبل أذان الفجر جاءني صوت أخي السفير على الهاتف، يقول: يجب أن نغادر حالاً إلى المطار، وكان ذلك.

وفي المطار، والليل ما زال يمسح وجه الكون بخيوطه السوداء لقينا الرئيس (جعفر نميري) ودعاني لمرافقته في الرحلة، وتكرم فدعاني أيضاً إلى الجلوس في الزاوية المخصصة له وبجواره، وبدأ الحديث، والطائرة تأخذ

طريقها.. وكانت مفاجأة اكتشفت من خلالها شخصية الرئيس (محمد جعفر نميري)، ولست في حل من سرد وقائع الأحاديث التي دارت بيننا خلال الرحلة، ربما لعدم اعتقادي باهتمام القراء بها لكن الذي يعنيه، أنه قال لي في حماس مخلص: (إن شبابنا المسلم والعربي محتاج إلى من يملأ فراغه، ويعزز نوازع الإيمان في نفسه، ويقوي ثقته بدينه وتقاليده، وأكثر المجلات التي يجدها شبابنا في متناوله اليوم تسيء إلى دينهم وتقاليدهم، وتسهم في ضياعهم، وليست هناك دولة مهيأة لملء هذا الفراغ والإسهام في تطوير مفاهيم الشباب المسلم إلا المملكة العربية السعودية).

وطلب مني أن أنقل لجلالة الملك الشهيد (فيصل بن عبد العزيز) - رحمه الله وغفر له- هذه الرغبة لتتولى المملكة فكرة إصدار مجلة، تعين الشباب على إثراء ثقافتهم، وعلى مواجهة التحديات المنحرفة.

وفي مكتب الإمام الشهيد (فيصل بن عبد العزيز) وبعد أن فرغ من قراءة التقرير الذي تشرفت برفعه إليه عن زيارتي، وعن رغبة رئيس الجمهورية السودانية، حول المجلة قال لي (رحمه الله): (إنني موافق على فكرة المجلة، وأعهد إليك بالإشراف عليها). وكانت مفاجأة لم أكن أتوقعها.

وفي غمرة الثقة وحرج المسؤولية بدأت أولى خطوات هذه المجلة، وبدأت معها المتاعب التي لم تكن متوقعة، ولم نستطع طباعتها داخل المملكة لأسباب كثيرة، وتمت طباعتها ببيروت، ثم توالت أحداث لبنان المؤسفة، واضطربت معها مواعيد المجلة في الصدور والتوزيع، ومررنا بفترات حرجة وصعبة، وكان أخي معالي الدكتور (منير العجلاني) رئيس تحريرها يبذل كل ما في وسعه لانتظام صدورها، وتحسين إخراجها، ثم

بدأنـا نفكر في طباعتهـا داخل المملكة، ومررنا بتجـارب دقيقة ليس من المهم أن يعرفها القارئ، لكننا - بفضل من الله - استطعنا التغلب على كل العقبات، وصـدرت من المملكة بتعاون مخلص فريد من مطابع الأصفهاني بجـدة، وبجهود كريمـة من إخوة نبلاء بذلوا، ولا يزالـون يبذلون جهوداً رائعة وكبيرة في سبيل إخراجها، وإيصالها إلى القارئ في كل مكان، وفي مطلع كل شهر.

وهـا هي مجلتكم (المجلة العربية) توالي صـدورها، وتحـاول جاهدة أن تحقق الهدف الذي أنشـئت من أجله، وتعمل بإخلاص لملء الفراغ الذي يعاني منه شـبابنا في كل مكان، ولن أقول: إنها نجحت في تحقيق أهدافها، لكنها اسـتطاعت - بحمد الله - أن تصـل إلى أقطـار عربية وغير عربية، ووجدت من الإقبال عليها ما شـجع على مضاعفة المطبوع من أعدادها، وسـتظل - بإذن الله- في مسـيرتها الهادفة معترفة بالجميل والفضل -بعد الله- لجلالـة الملك (الوالد خالد بن عبد العزيز)، وسـمو ولي عهده الموفق الأمين، اللذين تحظى المجلة بدعمهما وتأييدهما.

وعلى الله اتكالنا ومنه نستلهم العون والتوفيق.

جمادى الآخرة 1401هـ

حرب ضروس

الأقـوال وحدها لا تبني حتى (كوخاً) يقي شـمس النهار، أو برد الليل يوماً واحداً.

ولكن (خطـوة واحدة) نحو ترجمة تلك الأقـوال إلى عمل هي (بداية الانتصـار).. انتصار الإنسـان على نفسـه، وعلى تردده، وعلى خوفه.. ولـولا الإقـدام علـى الأعمال لما قامت (دول)، ولا سـطرت (شـعوب) انتصاراتها على جبين التاريخ.

والمنطلق هو: هل نسـتطيع تحويل ما نقول إلى عمل؟ ولاسـيما إذا كان ذلك يتفق مع رسالتنا في الحياة كمسلمين، ومع تعاليمنا السامية المخلصة؟

(الأعـداء) يجتمعون ويتـزاورون ويخططـون ويعملون بـكل قواهم لإحاطـة تحركاتهـم بالسرية الكاملـة، ومبادراتهـم بالـذكاء والطموح، وينتقلـون مـن مرحلة التخطيط إلى التنفيذ في صـمت وتنسـيق ودأب.. ويصـيبنا الذهول عندما نلتقي بنتائج مخططاتهم – ونظل نتسـاءل: كيف اسـتطاعوا الوصـول إلى ما وصـلوا إليه؟ ومتى كانت البداية؟ وتلك هي الحكمة والخدعة في الحروب، والبراعة في رسم المخططات، والصبر على مشاكل تنفيذها!! وهي ما ليست وقفاً على الأداء وحدهم.

لقد أصبح من تحصيل الحاصل أن نقول: إن (حرباً ضروساً) طاحنة تواجه الإسلام وأهله.. صليبية وملحدة.. والمتعصبون من أبناء الملل الأخرى، أو الفرق المخالفة هم شركاء للملحدين في محاربة نور الإسلام في الأرض..

ولقد قلناها مراراً في المذياع، والتلفاز، والمجلات، والمنابر، والجامعات، وغيرها!!

ولكن!! هل فعلنا كمسلمين خطة – ولو مرتجلة – للمواجهة الذكية البارعة الصامتة؟

أخشى أن أقول: (نعم)! فأخدع نفسي – وهو ما لم أعودها عليه، وأخشى أن أقول: (لا)! فيسيء بن الظن من كان يحسنه بي.

لكني أقول: لا خيار أمامنا.. إلا بالاعتماد على الله، ثم على العمل الصامت المتزن الذكي الذي يحسب لكل (احتمال) حسابه، ويضع لكل (مفاجأة) ما يواجهها.

هذا سبيل النصر، ولا ضير علينا أن نستفيد من وسائل أعدائنا في حربهم معنا.

رجب 1401هـ

إشراقة الحياة

على كثرة تجاربنا وعدم قدرتنا على الاستفادة منها والاعتبار من نتائجها، لم نستطع أن نجرب (المحبة) رغم أن ديننا الحنيف يأمر بها، ويدعو إليها.

والمحبة تعني (قمة) الانتصار على نوازع النفس وأطماعها، لأنك عندما تحب (نفسك) تبتعد بها عن مواطن الضعف والفشل والانحراف.

وعندما تحب (وطنك) تعمل بكل طاقاتك على إعلاء شأنه وإثبات وجوده والدفاع عن سمعته.

وعندما تحب (ابنك) تعمل على إعطائه القدوة الصالحة من نفسك فلا تنهاه عما تفعل، ولا تدفع به لما تكره.

وعندما تحب (عملك) تسعى بكل جهدك إلى تطويره وتحسين أدائك له

وعندما تحب (ولاة أمرك) تعمل على غرس مودتهم في قلب كل من تلقى. وتتحدث عن محاسنهم، وتدافع عن غير المقصود من أخطائهم، وتعينهم على مسؤولياتهم، تنصح لهم باطناً وظاهراً.

وعندما تحب (صديقك) تعمل على إسعاده، ومشاركته همومه وأحزانه، وتعينه بما تستطيع على نوائب الدهر.

وعندما تحب (جارك) تمتنع عن الإساءة إليه، وتشعر بمسؤوليتك عنه ومشاركته آلامه، واحترام جواره.

وعندما تحب (رئيسك) تتفانى في تحقيق أهدافه، وتبذل ما تستطيع لمعاونته ودفع الأذى عنه.

وعندما تحب (خادمك) تدفع به إلى إجادة عمله من أجلك.

(تسلســل عجيب) فيه إشراقة الحياة وبهجــة الأمل.. يحتاج منا في كل وقت ومكان الاقتناع بجدواه، وتطبيقه بإيثار ورجولة.. فهل نفعل؟

شعبان 1401هـ

عودة إلى الله

كان يحدثني وهو ممتلئ القلب بالإيمان عن حكمة مشروعية الصوم في الإسلام، وكأنه يتلمس بما يقول مواطن الحكمة في حذر ولهفة، واستمعت إليه إعجاباً بحماسه وغيرته، وقال فيما قال:

الصوم تعويد للنفس على الصبر، (والصبر) مطلب تحف به المشقة من كل جانب.. لأنه يعني حرمان النفس مما ألفت وأحبت.

وتذكرت وهو يحدثني أشياء كثيرة عن الصوم.. أهمها: أن المرء عندما يمتنع بإرادته عن أمر يرغبه ويهواه، إنما يمارس إحدى التجارب الفريدة والرائعة، لأنه قد ألف طاعة نفسه، والاستجابة لمطالبها، وعندما يرفض الاستجابة لها من موقع القدرة يكون قد خاض في بسالة معركة من أبرز معارك التحدي، وحقق نجاحه في جولة المقاومة التي لا تهدأ.

لذلك جعل الله تعالى ثواب الصيام أجزل من كل العبادات في قوله تعالى في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به).

والمهم ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ولكن أن يعيش المسلم حقيقة العبادة، بالابتعاد عما يُسيء إليها، أو ينقص ثوابها من قول أو عمل، وأن يحيا قادراً وبقناعة على خوض معارك التحدي للنفس البشرية (الأمارة بالسوء).

وقبل ذلك، وبعده، هي فرصة العودة الصادقة إلى الله بإنابة وخشية قبل أن يفوت أوانها، وتتلاشى مناسبتها، ثم لا ينفع الندم، وتظل الدائرة اللاهية منطلقة إلى غايتها دونما توقف حتى يأتي أمر الله.

رمضان 1401هـ

فترة الانتقال

عندما تزمع القيام برحلة داخل وطنك أو خارجه تبدأ في إعداد ما تحتاج إليه خلال رحلتك وربما أخذت ما لا تحتاج إليه.

وأنت في رحلة (العمر) تمضي بها أو تمضي بك دون أن تضع في حسبانك الاستعداد لما تحتاجه لها.. ثم تلتقي في نهاية المسيرة (بالندم والأسى) ولا وزن لهما عندما تنعدم القدرة على إبدالهما بما يقابلهما من الحيطة والعمل.

(الآباء والأمهات) ما هو دورهم في توجيه مسيرة أبنائهم وبناتهم؟ ربما قال القارئ لا جدوى من هذا التساؤل لأن دورهم من (الوضوح) بحيث لا يخفى على أحد لكنني على افتراض صحة ذلك أقول.. وهل كل دور واضح يجد من يحسن أداءه والنهوض بتبعاته؟

(فالمظاهر الشاذة والمخالفة) التي نشهدها من شبابنا العربي المسلم في كل مكان ما هو السبب في تواجدها وكيف نعالجها؟ لا أدعي لنفسي القدرة على الإجابة الصحيحة عن هذا التساؤل لعدم اختصاصي، لكنني أقول: إن فترة الانتقال التي نعيشها (كعرب وكمسلمين) تحتاج منا إلى الكثير من (مواقف) الحزم الهادف، والمزيد من القدرة على ضبط النفس وتوجيه نوازعها إلى الخير، ووضع (شبابنا) في مواجهة مسؤولياتهم وإشعارهم بأن الحكم لهم أو عليهم يكمن في مدى قدرتهم على (الصمود) وحفاظهم على (المثل)، وإدراكهم (لمسؤولية القيادة)، التي اختارهم الله لها واختارها لهم؟

شوال 1401هـ

وربك الفعال

ليس مهماً أن تجعل لك (هدفاً) تسعى للوصول إليه ولكن المهم أن تحسن اختيار ذلك (الهدف) وتطمئن إلى استحقاقه لمشقة الوصول غليه وبلوغه..

(وحتى الأهداف الشريرة) يعمل أصحابها ما في وسعهم لتحقيقها وإيذاء الغير بها وربما كانوا تحت وهم (شرعيتها) أو ضرورة القيام بها.. وإلا فماذا تعني هذه الأحداث (المجرمة الآثمة) التي نسمع عنها بين كل حين وآخر من الإرهاب والاغتيال والتدمير ونسف المساكن والمتاجر وإراقة دماء الأبرياء؟.

ولم يعد الأمر قاصراً على ملاحقة المجرمين لكنه بدأ يهدد الأبرياء والشرفاء ويتم ذلك تحت سمع العالم وبصره.

وتقف هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الذي يعمل لكل شيء إلا للأمن والاستقرار في الغالب من المواقف.

تقف هذه المؤسسات وغيرها والتي أنشئت أساساً لإقرار العدالة، وحماية الأمن وردع المعتدي (عاجزة) حتى عن ممارسة الردع الكلامي.. (ومشلولة) أمام كل الجرائم التي يتعرض لها العالم المنتمي إليها.. وتفقد فاعليتها وقدرتها على حماية قراراتها وتعود (شريعة الغاب) التي تفرض سلطان القوة على كل عدل وحق لتكون (هي الغالبة والقادرة) على فرض وجودها وسلطانها رغم أنف العدالة والنظم والدساتير.

لا لشيء إلا لأنها وجدت من يقررها ويسطر موادها ويشرح أهدافها، لكنها لم تجد بعد (القادر) على حمايتها، وربك الفعال لما يريد.

ذو القعدة 1401هـ

إنه التناقض

هـذا التناقض العجيب الـذي تحياه أمتنا العربية والمسـلمة بـين أقوالها وأفعالهـا.. متـى ينتهي، ومتى تعود تلك الشـعوب إلى رشـدها؟ وتدرك مصالحها، وتعمل بوحي من إيمانها بالله وشعور بقدرته وعظيم سلطانه؟.

ربمـا تحتاج الإجابة على هذه التسـاؤلات إلى مزيد مـن الوقت والجهد والمصـابرة.. لكن الأمر في الواقع غير ذلك، فـالأمم مطالبة ولأجل بقائها بالبحث عن الأصلح دائماً.

ولكن هل يتاح لها ذلك عندما تريد؟

وكيـف تصـنع إذا كانـت مغلوبة على أمرهـا، ولا تملك من شـأنها ما تسـتطيع به أن تعيد المنحرف من قادتها إلى صوابه، أو الضال من زعمائها إلى رشـده؟ وهو (واقع) لا نتخيله أو نفترض إمكان وجوده، لكنه يفرض نفسـه فيمـا نرى ونسـمع في هذا العـالم العجيب المحيط بنـا، وحتى في الحالات الفردية، وعندما تنعدم الرؤية لا يملك (قائد) الطائرة قدرة الهبوط بها بسلام لضآلة فرصة الاختيار لديه.

ولكن عندما تشعر (شـعوب مسلمة) بانعدام قدرتها على الرؤية، فإنها (مع ذلك) وفي كثير من الأحيان تظل حبيسـة مغلولة الأيدي، وربما يجد الجديرون بالريادة أنفسـهم (أقفاص الاتهام)، لا لأنهم عملوا ما يشـين، ولكن لأنهم ثبتوا وصمدوا.. والله وحده يعلم السر وأخفى.

ذو الحجة 1401هـ

إيمان الرجال.. وحنان الآباء

النفوس البشرية تتقاضى بشريتها - كما يقول العلماء - وليس في مقدور إنسان أن يفارق مقومات تكوينه، أو يتجاهل نوازعه وأهواءه.. لكن المؤمن بالله يستطيع- بتوفيق من خالقه - توجيه تلك النوازع، وتذليل تلك الأهواء، (ومراحل العمر) التي يمر بها الإنسان تضع بصماتها على تصرفاته سلباً وإيجاباً.

ومن يتجاهل تلك التأثيرات، أو يتناسى ضغوطها وإرهاصاتها هو كمن يحاول أن يضع اللون الذي يريد على عينيه ليرى الدنيا كلها مشمولة باللون الذي اختاره، ويتناسى الحقائق الماثلة أمامه والتي تفرض وجودها دونما استئذان.

ولكي نقلّص من الأخطاء، ونمهد لتدني نسبة الانحرافات، لابد لنا أن ندرس الظواهر الطبيعية التي تصاحب كل مرحلة في مسيرة العمر الطويلة والقصيرة معاً.. ونجتهد بذكاء وصبر وبصيرة أن (نفتح) لها القنوات بدلاً من مقاومتها، وأن نضع لها الحلول بدلاً من التهجم عليها.

وقبل كل ذلك يجب أن ندرس كل المؤثرات التي تحيط بالمرء في مراحل حياته، ومدى قدرتها على التأثير عليه وإضعاف مقاومته، ثم نضع العلاج على ضوء تلك الدراسة بعيداً عن الانفعالات والتشنجات، واضعين في حسباننا مدى (المعاناة) التي يحتاجها الفرد لمقاومة نوازعه وإغراءات مجتمعة، ثم نفتح قلوبنا وصدورنا لما قد يتواجد من هفوات واندفاعات بحيث لا نعطيها أكبر من حجمها، ولا ندع أبناءنا فريسة لها دونما توجيه

حان، وصدر رحب، وودّ يضيّق الفجوة، ويشجع نوازع الخير والأمر مع كل ذلك محتاج إلى إيمان الرجال، وحنان الآباء، وكلمة المخلصين قبل أن يفت الأوان، وتضيع من بين أيدينا فرص العمر.

محرم 1402هـ

الإخلاص.. والوفاء

كل الناس يدّعون الإخلاص والوفاء، لكن الذي يفعل ذلك منهم قلائل.. لأن (الادعاء) شيء (والممارسة) شيء آخر.. والمخلص والوفي حينما يفعل ما اتصف به، إنما يؤدي دوره الذي أراده الله له.. وفي غالب الأحيان لا ينتظر الجزاء على ما يفعل، لأنه يعمل بوحي من قناعته.

والذي يفعل الخير ولا ينتظر ثوابه إلا من ربه لا يأسى على ما فاته، فهو قد وطّن نفسه على الإيثار، وعودها على العطاء، وليس مهماً أن يلقى ثواب عمله عاجلاً، ولذلك كانت هناك (صفوة) من الرجال تعمل بإخلاص ووفاء، وتعطي المثل لغيرها من نفسها، وتقاسي في سبيل مبدئها ما تقاسي في بسالة عجيبة، واقتناع رائع.

وتمضي الحياة بهم وبغيرهم لكن ملامح الإشعاع في واقعهم، والأصالة في طباعهم تبقى مضيئة لامعة.. يستعيد بها اليائسون ثقتهم، وتعمل من طرف آخر على إبراز الوجه (المعاكس) لنهجهم قاتماً كئيباً، يملأ الأجواء ظلمة وألماً، وتبقى حصيلة ذلك كله (السكينة) في قلوب الأوفياء رغم قسوة واقعهم، (والقلق) في واقع الجاحدين رغم سطوتهم، والفارق بين الفريقين لا يخفى على أحد.

صفر 1402هـ

سؤال..؟

من نحن ومن نكون؟ سؤال ينبغي أن نطرحه على أنفسنا دائماً حتى نتبين مواضع أقدامنا، ونتأكد من سلامة انطلاقتنا.. وعلى الصعيد الإسلامي الكبير ينبغي أن يظل هذا السؤال (واضحاً وملحوظاً).

فالدولة الإسلامية لا تتعدى على أحد ولا تظلم غيرها، ولا تتجاوز حدودها، وتحترم كرامة الفرد المسلم وتعمل على إسعاده.

والذي نراه في كثير من المجتمعات التي تدعي الإسلام ولا تطبقه هو النتيجة الحتمية لعدم سلامة التطبيق لما تدعيه ولجرأتها على مخالفة ما يتعارض مع أطماعها ومظالمها.

وتبقى (وسائل الإعلام) المنحرفة تلهث وراء تبرير كل المظالم والأخطاء والتعديات، وتستغل في سبيل هذا الانحراف كل وسائل التقنية الحديثة، وقد تخدع الكثير، لكنها لا تستطيع أن تخدع كل الناس. ويلجأ المؤمنون إلى ربهم لكشف الغمة المنتشرة في واقعهم وهو القادر على كل شيء.

لكنه لحكمة لا يعلمها إلا هو قد يؤجل الفرج المنتظر ليزيد في رصيد الصابرين المعذبين من رضوانه ورحمته يوم يلقونه.

ربيع الأول 1402هـ

صراع لا تطاحن

يدور الجدل دائماً وخاصة (في الدول النامية) عن أهمية (المؤهل العلمي العالي) وضرورة الحصول عليها.

وربما تعتقد كثير من تلك الدول أنها لا تحقق التقدم إلا عندما تسند مراكزها القيادية لأصحاب المؤهلات العليا.

وفي الجانب الآخر يقبع المئات من الجنود المجهولين الذين أثبتوا أن باستطاعتهم تقديم أفضل الخدمات لوطنهم ومجتمعهم، انطلاقاً من تجاربهم، وممارستهم الفعلية لمسؤولياتهم.

ويظل الصراع واضح المعالم، شديد الإصرار، ويتحزب كل فريق لفكرته ومبدئه.

(والصراع) في حد ذاته ظاهرة صحية لا غبار عليها، لكنها تتحول إلى تطاحن مؤذ عندما يتعصب كل فريق لرأيه، وتتساقط الضحايا من كلا الجانبين ضحية هذا الصراع المفتقر إلى البصيرة وسعة الأفق والتعرف على المطالب الأساسية لأي مجتمع نام يريد أن يثبت وجوده تحت الشمس، ومن الصعب على العاقل الانحياز لفريق دون آخر، لأن المهم والمطلوب هو بذل أقصى غاية الجهد في سبيل البناء والتقويم، وبذل كافة التضحيات، مع ضرورة الإنكار الكامل (للذات) وهو النهج الذي سلكه ويسلكه أعداؤنا في كل زمان ومكان.

ربيع الآخر 1402هـ

أبلغ إساءة

أعظم اكتشاف أن تكتشف شخصيتك، ودور وطنك لأنك عندما توفق لذلك تبدأ خطوات الممارسة الحقيقية لرسالتك، وتتصرف على ضوء من وحيها.. وتستطيع أن تحقق الكثير مما لم يستطع تحقيقه غيرك.. لا لأنك أكثر قدرة منه، ولكن لأنك تربط دائماً بين تصرفاتك، ودورك، وهو السر الذي يكمن وراء الكثير من ملامح النجاح في واقع الأمم والأفراد.

وعندما تتلاشى تلك الرؤية، أو تنعدم تبدو كل (المتناقضات) وتتباعد الفجوة بين الأمم وأهدافها، ويصبح الإنسان عبئاً على وطنه ومبادئه ومصدراً للإساءة إليها.. وهل هناك أبلغ إهانة للوطن من أن يكون المواطن مصدر إساءة له، أو منطلقاً لتحقيره؟

والأمر أبعد من ذلك بكثير، فالإساءات التي تتحملها الأوطان باهظة الثمن، وعميقة التأثير، ربما لا يشعر بها فاعلوها، لكنها تبقى ردحاً من الزمن تاركة بصماتها السوداء في حياة الأمم، وتأثيرها المؤذي في واقعهم، والعصمة ليست للبشر لكنهم مطالبون قبل كل تصرف أن يتصوروا مدى تأثير تصرفهم على غيرهم (والقلائل) من الرجال هم الذين يفعلون ذلك.

جمادى الأولى 1402هـ

خطر يتفاقم

في غمـرة الأحـداث والمفاجآت التـي نلقاها في هـذه المرحلة الحرجة والحسّاسة من دنيانا، يبرز سؤال هام، يجب أن نتعرف على الإجابة عليه، وهو: هل لنا شخصية؟ وإذا كان كذلك فهل حافظنا عليها؟

والإجابـة دقيقـة ومتشـعبة.. فالإسـلام قد منـح أتباعـه كل مقومات الشخصـية المثالية.. لكـن أتباعه ومعتنقيه كثيراً ما يبتعـد بهم واقعهم عن تلك المقومات، وليس ذلك فقط بل ربما عملوا على هدمها والتنكر لها.

وهو واقع مرير مؤلم يقض دائماً مضاجع المخلصين الغيورين على دينهم وأخلاقهـم وتقاليـد مجتمعهم – ولكنهـم في كثير من المواقـف يفتقدون القدرة على تغييره واستبداله..

والمسببات لهذا (التحول) كثيرة لا تخفى على المسلم الغيور.. فالحرب التي يخوضها ديننا الإسلامي مع أعدائه لا يجهلها أحدٌ فهي حرب سافرة ومسـتترة، جنّد الأعداء لها كل الأسلحة والوسائل وطوعوا من أجلها كل مهاراتهم في سبيل إغراء المسلمين بها وتحسينها لهم.

وبمرور الزمن يتضـاءل الوازع الديني في النفوس، وبتأثير تلك الأسلحة المجرمة يفقد الكثيرون حماسـهم لدينهم، أو التصاقهم بتقاليدهم، وليس ذلك فحسـب، لكنهم يتعشـقون البدائل التي يفرضـها الأعـداء عليهم، ويجدون في تقليدهم بها أمراً محبباً.

وتمضـي السـنون، ويتفاقم الخطر، ويجد الآباء والموجهون أنفسهم في موقـف العاجز عن مواجهـة الواقع المؤلم والمدمـر.. ويحاولون، لكن من

منطقـة (الدفـاع) والذي كثـيراً ما يتراجع أمـام الزحف الماكـر.. ويبقى الهجوم والغزو هما سلاح أعدائنا، ونجد الضحية ديننا ومجتمعنا وتقاليدنا وفلذات أكبادنا، ويشـتد الصراع، ويشعر الغيارى والمخلصون بأنهم فيما يشـبه المأزق، فهم لا يرضـون بما انتهت إليه الأمـور في الكثير من بلادنا الإسلامية الشاسعة، وهم من ذلك لا يستطيعون عمل شيء واضح. وتبقى المسـؤولية بعيدة عن ممارسـتها، وعند ذلك لا نسـتغرب مـا يحدث لأننا مهّدنا، وساعدنا على استفحاله.. والله وحده المستعان والمؤيد.

جمادى الآخرة 1402هـ

أهمية التوجيه

عندما يفقد الشباب المسلم صلتهم بتراثهم وتاريخهم وسير أبطالهم يعيشون مرحلة (الضياع) الرهيبة.. لأنهم غير مدركين للقيمة الفعلية لما يمتلكون ويصعب عليهم اكتساب ثقتهم بواقعهم أو انتمائهم الطوعي له.. ولا يبقى أمامهم سوى (الفراغ) الذي يملأه هذا الطوفان المجرم من العادات والتقاليد التي تتخذ كل أشكال الإثارة والإغراء.

وتداعب الغرائز والأحاسيس، ويبقى الشباب أمامها حيارى بين ما افتقدوه، وبين ما هو متاح لهم من الانحراف والباطل والفجور.. والقليل منهم من يستطيع تحكيم عقله والقدرة على تمييز دوره ورسالته، ويتهاوى الكثيرون لا لانحراف كامن في تكوينهم، ولكن لفقد التوجيه الذي يستطيع أن يؤثر ويفرض وجوده أمام التيار المعاكس الذي يحمل كل أسلحة التأثير والإغراء والإثارة.

وليس الذي يعنينا (كمسلمين) اختار الله لنا الإسلام ديناً، ورضيه أن نحدد المسؤولية فيما نعيشه لكن الذي يجب علينا: هو العمل وبسرعة على إعداد الخطة العلمية المدروسة التي نستطيع بتوفيق الله أن نعيد بها الثقة والانتماء لكل القلوب التي تبحث عن هذه المقومات.. وهو أمر ليس بسهولة الحديث عنه، لكنه يستحق كل ما يبذل من أجله.

رجب 1402هـ

عندما تكون الحقيقة ضحية

حينما أمتدح رجلاً بما ليس فيه أرتكب خطأين:

أولهما: خديعته والاستهانة به.

والثاني: دفعه إلى الغرور عندما يصدّق بما ليس فيه، ثم يعتقد وجوده.. والجريمة (وأعتذر عن تسميتها هكذا) - لعلمي بخطرها على المجتمع المسلم - الجريمة لا يقتصر ضررها على قائلها، ولا على من قيلت له، لكنها تتجاوزهم إلى غيرهم، وتتخذ أشكالاً كثيرة (والضحية) هي الحقيقة، وهي المصلحة، وهي كلمة الحق.

وعندما تقول عني ما ليس فيّ، أو تبالغ في تهويل ما أفعل، إنما تمارس (الاستهانة الواضحة) لواقعي.. لأنني أعلم ذلك الواقع وأعيشه، والأعمال هي التي تتحدث عن نفسها.. (والزعماء والمصلحون والقادة) في كل عصور التاريخ لم تصحبهم (طبول) المهرّجين، ولا (أكاذيب) المنافقين، لأنهم كانوا على ثقة بربهم، وإيمان بمبادئهم، واستعداد للتضحية في سبيل ذلك بأرواحهم، وبكل ما يملكون، وتلك هي قيمة المبادئ وضريبة الإخلاص لها.. يعمل لها (الرجال) لا يهمهم أن يعلم بما عملوا (أحدٌ)، ولا يعنيهم أن يتحدث عن صنيعهم (متحدث) لأنهم يعملون لله وحده، وهو وحده يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

شعبان 1402هـ

ورحل.. خالد بن عبد العزيز

وشاء الله أن يطوي صفحة هذا الإمام العظيم، (خالد بن عبد العزيز) بعد كفاح طويل في سبيل نصرة دين الله، وعون عباده المسلمين المستضعفين في الأرض، الذين يواجهون شراسة الأعداء، الظالمين المغتصبين، وتلك إرادة الله!

تلك التي لا بد أن تتم، وسنته تعالى في الحياة والأحياء، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وعملاً بالحديث النبوي الشريف الذي يأمر بذكر محاسن الموتى، فإنه تغمده الله برحمته، كان رجلاً صالحاً، طيب القلب، يحب الخير لمواطنيه ولكل مسلم، صادقاً لا يعرف الالتواء أو المداورة، يقول ما يعتقد، ويجبر عثرات الكرام.

وجاء رحيله – رحمه الله – في أحرج ساعة يجتازها العالم الإسلامي، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، وجعله في مقاعد الشهداء عنده.. وأعان خلفه الكريم جلالة الملك فهد وأمده بعونه الإلهي، وشد أزره بإخوته وبمواطنيه، ويسّر الله لهم كل خير.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رمضان 1402هـ

عقدة الخوف

(عقدة الخوف).. هل هي العقدة التي تعاني منها الدول الإسلامية والشعوب المسلمة مع ما تعاني من الكثير من الآلام والمشاكل؟

وهل هي مشكلة المسلم كفرد والدولة الإسلامية ككيان؟ سؤال ينبغي ألا نتسرع في الإجابة عنه دون دراسة الأسباب والخلفيات والجذور.

فالأمة الإسلامية أكرمها الله بأكمل شريعة ورضيها لها. وتعاليم الإسلام واضحة لا سبيل للغموض ولا للالتواء إليها؛ (حقيقة) لا تقبل الجدل، ولكن لماذا نرى الكثير من الدول المسلمة تخاف من تطبيق تعاليم شريعة الله، وتتهرب وتنتحل ما يخطر لها من الأقوال والتعليلات حتى تظل في منأى عن ممارسة التطبيق الفعلي لما تدين به؟ والفرد المسلم لماذا يظل هكذا بين (متساهل) لا يبالي بدينه، وبين (متعصب) يعكس الصورة الصلبة المغالية التي يأباها ديننا وينهى عنها ويوصي بالبديل عنها بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؟ (طرفا نقيض) لا لقاء لهما، إفراط وتفريط ويبقى جوهر الدعوة الإسلامية (مجهولاً مظلوماً) يسيء إليه الكثير من المنتسبين له، ويحمّله غيرهم ما لا يحتمل دون تقصّ صريح وجريء للمشاكل التي تواجه (القضية الكبرى) التي يدّعيها الكثير ولا يمثلها على حقيقتها إلا القليل.

وتتوالى الأحداث في كل مكان باسم الإسلام وهو منها براء، ويبقى (المعتدلون) ضمن دائرة الخوف من الالتزام الصادق بتعاليم دينهم، إما لجهلهم بها.. أو انخداعهم بمدلولها.. ودين الله واضح وبسيط،

ويخاطب الفطرة المسلمة وهو بكل ما يملك ليس بحاجة إلى من يخجل من الانتساب إليه، ويبرأ من كل من يستخدمه (كشعار) ليخفي وراءه أطماعه وأهدافه.. والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

شوال 1402هـ

وكفى بالله نصيراً

النصيحة الصادقة، والخداع الزائف: بينهما ما بين المشرق والمغرب، وتبعاً لَمَدّ الحياة وجزْرها نجد انتشار إحداهما وتقلص الآخر، ولكلٍ منها تأثير وأثره.

ويوم تنحسر موجة النصح الصادق بشروطه، وكل اعتبارات تواجده، يجد الناس أنفسهم في مواجهة الطوفان العارم من النفاق والكذب والافتراء.

وهي مواجهة مؤلمة وشديدة الواقع على أعدائها ونابذيها والمنكرين لوجودها، ولكن ذلك كله لا يمنع من تواجدها، والتمهيد لباطلها، والدفاع عن كذبها.

ويبقى (الرجال) في عالمنا العربي والإسلامي الكبير فيما يشبه الحيّرة بين ما يريدون وما يواجهون.

ويشتد الصراع، ويعلو صراخ أنصار الباطل، لا لثقتهم بما ينتهجون من سبل، لكن لقناعتهم بما يعود عليهم من مردودها مالاً وجاهاً ومكانة.

ويبقى الحريصون على مبادئهم حيارى بين صعوبة الحفاظ على ما اقتنعوا به، وضراوة الحرب التي تواجههم، والتي تتخذ الكثير من الأشكال والوسائل، وربما كانوا في مواقع الاتهام والريبة مما يشكل مزيداً من المتاعب لهم.

وتنطلق القافلة بخيرها وشرّها، وربما يفوز بالجولة العابرة في انطلاقها المخادعون الكاذبون.

لكن فوزهم قريب الأجل وسريع الزوال، لأن الله قد تعهد بالنصر لمن يعمل من أجله، وكفى به نصيراً.

ذو القعدة 1402هـ

ماذا نريد؟

ماذا نريد؟

سؤالٌ ربما ظنّ الكثير سهولة الإجابة عنه، لكنه في محيط الشعوب والأمم يظل بارزاً وعملاقاً، لأن الكثير بين متجاهلٍ له، أو جاهلٍ بمدلوله.

نعم ماذا نريد؟

نحن كمسلمين ما هي برامجنا التي نقتبسها من تعاليم ديننا السمح الكريم؟ وماذا نستطيع أن نعمل، وهل في استطاعتنا أن نعمل؟

أنا لا أضع أسئلة بلا إجابة، لكنني أقول لكل مسلم يشهد: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أقول له من مركز الاعتراف بالتقصير والضعف والخطأ: هل فكرت لحظة فيما تريد تحقيقه كمسلم، وإذا تم ذلك فهل عملت لتحقيق ما فكرت فيه؟ لأنك بتوالي الأيام من عمرك إنما تسرع الخطو إلى مثواك، وكلنا نعلمه (صدع من الأرض) بلا مؤنس أو سمير، ثم بعد ذلك من بعده عذاب وسؤال وعقاب.

والدنيا بكلِّ مفاخرها وزينتها تتلاشى عندما تضع باختيارك من تحب في صدع من الأرض ثم تولي الأدبار عنه، لا جفاء له، ولكن بعجزك عن مقاومة إرادة الله الواحد الأحد.

وماذا نريد؟

سيظل السؤال الذي ينتظر الإجابة ممن يملكها ويقدّرها.

ذو الحجة 1402هـ

بين الوفاء والجحود

في غمـرة ما نلقى ونشـاهد ربما نميل إلى الرأي القائل بـأن الجُحود هو (آفة العصر الحديث)، فالجاحد لا يظلم من وقف بجانبه وبذل له ما في اسـتطاعته من عوامل العون والنجاة من واقعه بقدر ما يظلم نفسه.

والمجتمع الإسـلامي المتماسـك الملتزم لا يعترف بالجحود ولا النكران، بل يكرم الوفاء والأوفياء.

وعندمـا نـرى.. (طغيان) الجحـود (وتجاهـل) المواقف الإنسـانية في أي مجتمـع نسـتطيع أن نقول: إنه بقدر مـا يُمْعِنُ في هذه الرذائل إنمـا يبتعد تلقائياً عن المقومات الأساسية للمجتمع المسـلم، وربما كان أصحاب المواقف النبيلة يفعلون ذلك على حساب راحتهم وصحتهم ومسؤولياتهم، لكنهم يصدمون حتماً عندما يرون مواقفهم وإنجازاتهـم في موقع (التجاهل والجحود)، وربما كان ذلك لا يسـيء إليهم، بقدر إسـاءته إلى الفريق الآخر الذي يعتقد مخطئاً أن ما يحصل عليه من حقه وملك له.

ويـوم يطغى (الفريق الجاحد) يجب أن نتأكد من ثبات خطانا نحو المسـيرة التـي نتجـه إليها، ويجـب كذلك أن نتخـذ كل المواقف الإيجابيـة والحازمة لإيقاف (هذا المد المنحرف) حتى نضمن -بمشيئة الله تعالى - ردعهم وسلامة اتجاه الأغلبية التي تشعر بالولاء والوفاء لمن أعانها ووقف بجانبها - والتي نعلق عليها - بعد الله كل الآمال في بناء كياننا وصيانة أهدافه.

فإذا رأيتَ جاحداً لا يعترف بالجميل، ولا يتأثر بالمواقف الإنسانية الإسلامية، فاحذره، فإنه عدوٌ لنفسه ولمجتمعه، وحسبه سوء واقعه رغم تجاهله لما يلقاه.

محرم 1403هـ

القيادة الأمينة

وللدول قصصها، ربما تقترب من الخيال تماماً، كما للناس (قَصَصُهُمْ) وهم يعبرون جسر حياتهم بكل الآمال والآلام، يقترب البعض من ربهم برحمته فتمضي بهم مسيرتهم، وهم صابرون صامدون، ثقة منهم في عفو ربهم وشمول مغفرته، ويعيش غيرهم حياة المعتمد على ما يملك، ثم يجد نفسه فجأة عاجزاً عن التصرف فيما جَمَعَ، ومطالباً بالحساب العسير لأجله.

والمملكة العربية السعودية اليوم (بقيادتها العريقة والأصيلة) إنما تواجه - فيما تواجه - كل أعداء الإسلام، لأنها تحتكم إلى شريعة الله، وتتشرف بخدمة بيته ومثوى نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ولأنها تحتضن في إخاء إسلامي منقطع النظير أولئك الفارين بدينهم، والمعذبين من أجله، تحتضنهم وتهيئ لهم كل وسائل العيش الكريم، لا يخالجه منّ ولا يفسد أهدافه أطماع ولأنها تبذل في طواعية كل ما يمكنها، لكي يظل المسلم مهما نأت به داره، أو شطح به مسقط رأسه، عزيزاً واثقاً بنصر الله مستعداً لمواجهة كل الاحتمالات العسيرة والمؤلمة.

والقادة الأشاوس من (آل سعود) وقد شاء الله أن يصنع على أيديهم وبقيادتهم هذه الوحدة الكبرى على أرض الجزيرة المباركة، يبذلون كل ثانية ما لا يطيق البشر من جهد، حتى تظل كلمة الله هي العليا، وحتى يبقى المواطن السعودي موضع التقدير والترحيب، لا يخشى إلا الله تعالى، ولا تزعجه الأحداث التي تتوالى من حوله، لأنه وضع أمانته بعد ربه في أيد

أمينة مخلصــة، لا تعرف الجوْرَ، ولا تعــترف للمواطن بغير الكرامة طريقاً، والناس يتخطفون مــن حوله، وهو في واقعه المشرق محتاج إلى الكثير جداً من الثناء الصادق على الله، والولاء المخلص (لولاة أمرنا).

جعلهم الله أنصاراً للحق في كل أرض، وتحت كل سماء.

صفر 1403هـ

لماذا لا نتخلص من هذه المظاهر؟

تحديد المشكلة أسرع وسيلة إلى علاجها وحصرها، وطالما نادى الكتّاب الغيورون بضرورة غلاء المهور، وفي معرض بحث هذه المشكلة، قال أناسٌ لا ينقصهم الإخلاص:

إن الأمر يتعلق بحجم المهور، لكنه يندرج تحت مظلة الإسراف في مظاهر الزواج، وربما كان ذلك نتيجة للتنافس (غير الشريف) بين من يرى أن في تلك المظاهر تعبيراً عن مكانته ووزنه وبين غيره، وهو خطأ كبير يقع فيه كثير من الناس، ربما لانخداعهم بتأثيره، أو لخضوعهم لتأثير غيرهم عليهم.

وتمضي القافلة، ويتحدث المخلصون عن أحلامهم وآمالهم، وتأتي الوقائع لتسحق تلك الآمال والأحلام، وتبقى (المشكلة) ماثلة دون حل، رغم فداحتها وإحساس الناس بضرورة مواجهتها.

ويتدخل غالباً العنصر النسائي ليفرض رأيه، رغم عدم وضوح صوابه، ويبقى (الرجال) في أعنف معركة مع مبادئهم، كثيراً ما تتلاشى مقاومتهم أمام الضغوط التي تواجههم مع عدم قناعتهم بما عملوا.

ونظل نقول: لماذا لا نتخلص من هذه المظاهر؟ ونعلم قسوة المقاومة لما نريد، (والرجل) هو الذي يستطيع أن يفرض ما هو صالح ومفيد ونافع، وعليه أن يتحمل نتائج ممارسته لمبادئه.

ربيع الأول 1403هـ

بين المبادئ.. والمنافع

(ظاهرة الحقد) لا تخفى على أحد، وتتخذ كل الأشـكال والمواقف، لا ليخدم بها صاحبها قضية، ولكن ليمارس جريمة الحقد المظلم، وفي سبيلها لا يتورع عن استخدام كل الوسائل (المشروعة وغير المشروعة) للانتقام ممن يحقد عليه، وليسـت هذه هي المشكلة، ولكنها تكمن في عدم استحقاق المحقـود عليه لما يواجهه، لأنه لم يفعل في الحقيقة ما يسـتحق أن يواجه ما يلقـى، بل ربما لم يحقق مطلبـاً غير ممكن لمن يحقد عليـه، أو لم يطاوع في الانحدار لمسلكٍ تأباه رجولته، وتستعصي عليه مبادئه.

ويبقـى الصراع كما هو دائماً بين الخير والشر، (وبين أصـحاب المبادئ وأصـحاب المنافع) وتظل المشـكلة التي تؤلم، وهي أن يسـتغل أصـحاب بعض منابـر التوجيه مراكزهـم في تجاهل أو الإسـاءة لمن لا يلبي رغباتهم، أو يقبل السـيئ من احتياجاتهم وتأبى كرامة (الرجال) أن يفتحوا جبهات الصراع مع غيرهـم ممن لا يكافئهم وتبقى الحقيقـة (مجهولة مظلومة) لأن الناس تعلم ما تقرأ، وما تشاهد، ولا تعلم غيب الله.

ومهما اشـتدت حُمّى الصراع فإن النصر دائماً لأصحاب المبادئ الذين يؤمنون بالله ويثقون بعاجل وعده، وبالغ وعيده.

وسـتظل (الأقزام) مهما توافرت لها وسـائل التعبـير في مكانها حقيرة تافهة (لا تعدو قدْرها) والله هو الموفق والمعين.

ربيع الآخر 1403هـ

لا تغضب

عندمـــا تغضـــب تعمل بكل قواك علـــى الدفاع عن نفســـك، أو تبرير ما تفعل، أو الانتصـــار لفكرة اقتنعت بها، ربما كنت على صواب من رغبتك في تحقيق ما تهدف إليه، لكنك لســـت على صواب بالوسيلة التي سلكتها للتعبير عن تلك الرغبة، فالغضـــب وسيلة سلبية لا يقتصر أثرها على الموجّه إليه، بل هي تعمل على إيصال الأذى لمصدرها.

والوصـــية النبوية العظيمة التي أوصـــى بها ســـيد الخلق من ســـأله بقوله: أوصني يا رسول الله!!

قال له صـــلى الله عليه وسلم: لا تغضـــب، كرَّرها مراراً قال لا تَغْضَبْ، وقوله صـــلى الله عليه وســـلم: (ليس الشـــديد بالصرعة، ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب).

ولكن هل حاولنا كبح جماح الغضب في نفوسنا وتصرفاتنا؟

وهل كل غضـــبنا يســـتحق تلك الانفعالات المدمرة لأعصابنا، والإساءة إلى واقعنا؟

رُبمـــا لا نملـــك التحكم في مشـــاعرنا، لكننـــا بالاقتناع بضـــرر ما نفعل، وبالتعويد الطوعي على الصبر والتحمل، الذي أمر الله به في تسعين موضعاً مـــن كتابه الكريم، نجـــد الملجأ الوحيـــد إلى الله من ظُلم خَلْقِهِ، وقســـوتهم وجفاف الرحمة من واقعهم.

والله وحده القادر على تطمين الصابرين وعقاب المعتدين.

جمادى الأولى 1403هـ

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

كل انطلاقه ومسيرة تعتريها نوبات ركود وضعف، لكنها ما تلبث أن تستعيد حويتها وإقدامها بتأثير حماس القائمين على أمرها، وإيمانهم بما رسموه لأنفسهم، وصبرهم على ما يلقون من الصعاب في سبيل ذلك.

(الرجال) هم الذين يستطيعون بتوفيق الله لهم الصمود والتصدي ومقاومة كل الصعاب والتحديات والصبر على ما يواجههم.

(والمملكة العربية السعودية) اليوم وهي تخوض في تضحية نادرة المقال معارك عدة في الداخل والخارج، إنما تترجم فيما تصنع (أصالة مبادئها)، (وكفاءة) قادتها، وتلاحم قاعدتها مع القمة في ملحمة الصراع المذهل بين بناء الدولة المتطورة والمحافظة من خلال انطلاقتها على قيمها وأخلاقها وتقاليدها، وتبذل كل ما تستطيعه لجمع الشمل العربي والقضاء على التناحرات والحزازات التي يكتوي بنارها الشعب العربي، ولا يستفيد منها سوى الأعداء لله ولرسوله.

وهي على خير فيما تفعل مهما كانت نتائج مسعاها، لأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وجولة الباطل مهما دام بها الزمن فهي إلى نهاية، والبقاء للحق وللعدل وللخير، وهو ما تسعى بلادنا بكل جهودها إلى تحقيقه.

جمادى الآخرة 1403هـ

محسنون ومنحرفون

(نظرية الثواب والجزاء) عندما يتم تطبيقها بعدالة وموضوعية تستطيع الأمم أن تحقق ما لا يحصى من الإجازات، وأن تحول دون حدوث الكثير من المتناقضات، وهو أمر لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والإبانة لأنه يبدو ماثلاً لكل إنسان على المستوى الفردي ومستوى الأمة.

(فالمحسن) إذا وجد أن صنيعه لا يلقى ما كان ينتظره من ترحيب وتشجيع فإنه يشعر بمرارة لا حد لها، لا لأنه كان يسعى إلى تشجيعه والترحيب بما عمل كهدف يسعى لبلوغه، لكنه كان يحتاج ذلك ليستطيع مواصلة عطائه، ويوم يفقد ما كان ينتظر يظل بين الألم والحيرة، وهما شر أدواء المجتمع المتطور.

و(المنحرف) إذا فقد الرقابة على واقعه، أو التوجيه لما يجب أن يعمله، يظل سادراً في غيِّه، بعيداً عن أداء دوره، والأمر لا يقف عند هذا الحد رغم قسوته وسوء أثره، لكنه يتحول إلى ما يشبه (الانهيار) التام لكل المثل والمبادئ عندما يجد المستقيمون المخلصون أن غيرهم من المنحرفين والفاشلين يلقون الرعاية والتساهل، وأن باطلهم لا يجد من يردعه، وهي (المهزلة) التي تتواجد في كل زمان ومكان، وتترك بصماتها المؤلمة في واقع الشرف والشرفاء، وهم رغم الحرب التي تواجههم لا يزالون على قدرٍ كبيرٍ من الصبر والاحتساب والصمود.

رجب 1403هـ

حوار حول الكرامة

الاحتفاظ بالكرامة لكل إنسان – أمرٌ مهمٌ وحساسٌ، ودافعٌ جيدٌ للمزيد من الإنتاج الرائع، وعامل نفسي يعمل على راحة البال الذي يسهم في كمية الأداء ونوعه.

وهو أمر قد يجهل الكثيرون أثره رغم قدرتهم على ممارسته وأدائه، والأمر مع كل ذلك في غاية البساطة، فالإنسان – أي إنسان – له كرامته وشخصيته رغم احتياجه واضطراره للعمل تحت أسوأ الظروف وفيما لا يعتقد الكثيرون أهميته أو يرون تفاهته، لأن الحياة حينما تشتد مطالبها تدفع بالأحياء إلى كسب العيش.

والشاعر العربي يقول:

وحُبُّ العَيْش أعبد كُلَّ حرٍّ

وعَلَّم ساغِباً أكْلَ المَرَار

وحينما تثني على عمل أنجزه أي إنسان، أو تعتذر له عن خطأ غير مقصود، فإنك تدفع به إلى مزيد من الإنتاج فيما يُسمى بحب العمل والحماس له.

(والعباقرة) في الكثير من الأحيان يقف وراء إنجازاتهم (رجالٌ) رُبما لا يمتلكون الرصيد العلمي، لكنهم يملكون الإخلاص والنية الحسنة (والأعمال بالنيات).

وإلى الله يعود الناس في يوم لا يُمْكِنُهُمْ تجاوزه أو تأجيله.

شعبان 1403هـ

من تجارب الحياة

لا تيأس فـ(إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).. ولا تفعل ما تعتقد خطأه، وإن أرضاك موقعه، واعمل الخير لذاته لا لثوابه تكن خير الناس، واقبل النصيحة ممن تعتقد صدقه، ولا تحتقر أحداً لمركزه أو عمله أو مظهره، فكل المظاهر التي تراها تتساوى في صعيد من الثّرى، ثم تعرض الأعمال على الله.

واحرص على أن تقول الخير، وأن تعين عليه، وأن تنصر مظلوماً، أو تعين طالب حق على بلوغ مطلبه، واحذر أن تستمع للمديح الزائف، فهو السم الزعاف، لأن الذي يمتدحك بما ليس فيك، يخدعك ويستهين بفعلك، واجعل لك من نفسك فارقاً بين صاحب الحق والمتسلط عليه، وقاوم كل نزعات الخوف والضعف في نفسك، وقِفْ في شموخ الجبال، وصلابة القمم في وجه كل الإغراءات التي تحاول أن تنال من مبادئك وكرامتك.

واحذر أن تضعف وإن كَثُر (الضعفاء) حولك، لأن المبادئ تستحق أن يقف الناس أمامها في رجولة وكبرياء مهما كانت التضحيات، ومهما تضاعفت الضغوط.

(الرجال) هُم الذين يستطيعون بتوفيق الله لهم أن يقفوا في بسالة مع مبادئهم وكرامتهم وتقاليدهم.

(والمعركة ضارية) في كل مجتمع، وكل دولة، وقد لا يسمع الناس دائماً أصوات الأبطال، لكنهم قد كسبوا بما صنعوا رضا الله، ثم هدوء ضمائرهم، وهما أثمن ما يحرص المسلم عليه، ويسعى لتحقيقه.

رمضان 1403هـ

التوعية والقدوة

مــن أهم مشــاكلنا الاجتماعية مغــالاة البعض في المهــور، وقيام البعض الآخــر القــادر بدفع مبالــغ كبيرة لهذا الغرضــ عند إرادتهــم الزواج، ثم الإســراف في إقامة حفلات الزفاف وإعداد الولائم - الأمر الذي يشــكل العديد من المآسي ويدفع بالكثير إلى أمرين: أحلاهما مُر.

إما الاســتدانة والارتباط بديون كبيرة تعكر على الشــاب وأهله صــفو حياتهم وهناء عيشــهم، أو اســتبعاد فكرة الزواج من الداخل لتبدأ مرحلة الــزواج من الخارج بمــا في ذلك من تبايــن العادات ومصــير الأولاد عند الافــتراق، وحرمانهم في حال حدوثه من الحنان المزدوج من الأم والأب، أو الامتنــاع كليــة عن الزواج ليبقى الشــباب فيما يشــبه الحرمان من كلا الطرفين، وكثير من المخلصــين كتبوا عن هذه الموضوعات وطالبوا بوضع الحلــول العملية لها، لكنها لا تزال (رغم بعض الحــالات الفردية النادرة) تفرض واقعها القائم في مجتمعنا، وتحتاج إلى من يخضــعها لدراســة علمية هادفة، ويضع لها الحلول التي يمكن الأخذ بها وتطبيقها، مع ضرورة القيام بحملــة توعية ذكية توضــح كل الجوانب الســلبية لما يجــري، والجوانب الإيجابيــة لمــا ينبغي أن يكــون، ثم يجــب أن تتكاثر (القــدرة) وأن تحاط كل خطواتها بما تســتحق من إشــادة واهتمام، ولا أدعي القدرة حتى على المشــاركة مع المختصين لكنني وددت أن أسهم بما أملك في سبيل إصلاح هذه المظاهر البعيدة عن تقاليدنا الإسلامية وتعاليم ديننا الحنيف.

شوال 1403هـ

ذلك هو السر

يعجب الكثيرون وربما يدهشون لمدى قدرة مجتمعنا السعودي المسلم على التماسك والتكافل، لا يتصور ذلك من لا يعلمه لكثرة ما يعيش ويلقى من الانحرافات والشذوذ وفقدان الالتزام العائلي وانعدام الشعور بمسؤولية المرء إلا عن نفسه وحجب هذه المسؤولية في كثير من الأحيان عن أبنائه وإخوانه وأقاربه متذرعاً تارة بصعوبة الحياة وأخرى ببلوغ سن معينة، حددتها القوانين الوضعية تنتهي مع بلوغها مسؤوليته عمن يعول.

ونظل نسمع ونشاهد الكثير من المظاهر التي لا ترضي كنتيجة حتمية لشعور المراهق أو المراهقة في أنه يصبح منبوذاً يواجه الحياة بلا سلاح، ويصارع الذئاب بلا حماية في حين أن ديننا الإسلامي العظيم لم يربط مسؤوليته عمن يعول بسن معينة أو أمد محدود، فهو دائم المسؤولية بدافع من التزامه الديني وغيرته الأصيلة وقيمه المشرفة حتى وإن انتقلت مسؤوليته مؤقتاً بزواج إحدى قريباته فهو يظل ضمن دائرة المسؤولية، وبمجرد فشل الزواج، أو زوال السبب تعود مسؤوليته كاملة غير منقوصة.

هذه هي إحدى مفاخر ديننا الذي ارتضاه الله لنا التي نباهي بها شعوب الأرض، وهي الربط الوحيد للتساؤل عن السر في ارتباط الشباب السعودي بدينه ووطنه وقادته، واستعجاله العدة للإسهام في النهوض بمجتمعه رغم ما يوجد من نقيض لذلك فيما لا يحصى من الأمم والشعوب.

ذو القعدة 1403هـ

المشكلة الكبرى

في الوقت الذي تشتد فيه الحاجة إلى تنسيق الجهود وتوحيد المواقف والإذعان للصائب من الرأي، والراشد من الأمر، نجد أن الأمة الإسلامية التي تملك الكثير من الإمكانات المادية والمعنوية والإستراتيجية تعيش في أسوأ وضع من التفرق والنزاعات الجانبية متجاهلة (دورهم الكبير) في عالم اليوم كأمة أكرمها الله تعالى باختيار الإسلام ديناً لها، وجَمْعِهِ لكلمتهم على هُدى رسالته السماوية.

وتختلف التفسيرات لما نشهد من واقع متناقض فمن قائل: عن جهل الأكثرية منهم بمواطن العزة في دينهم يقف وراء واقعهم، وآخر يقول: إن الدول العربية بما تعيشه من واقع مؤلم، وبما تشغل أجهزتها به من نزاع وتواطؤ حتى لو كان ذلك على حساب دينهم الذي ينتسبون إليه، وبتأثير من (قوى خارجية) استطاعت أن توجههم وفق أهدافها ومطامعها، وثالث يقول: إن الكثير من الدول الإسلامية يحكمها (رجال) ليست لديهم المعرفة الكاملة بمفاخر دينهم الإسلامي، وقد عزز ذلك الاتجاه نوعية الدراسة التي تلقوها ومكانها، ورابعٌ يقول: إن القوى المعادية للدين الإسلامي تعمل ضمن مخططاتها على تشجيع واحتضان الفئة من الأقلية غير المسلمة لتعدّها للقيادة وتضمن بذلك تحقيق هدفين:

الأول: ضمان الولاء لها وإنفاذ مخططاتها.

والثاني: اضطهاد وحرمان المسلمين من فرص العمل والتحصيل وحجب الوظائف القيادية عنهم.

والعالم الإسـلامي على مستوى الشعوب يشعر بهذه المشكلة، ويحاول المخلصون منهم العمل على صعيدين: داخلي وخارجي لعلاجها، وكثيراً ما تلقى محاولاتهم القمع والإرهاب، وشراسة المقاومة.

وتبقـى (المشـكلة الكبرى) وهي أننا كمسـلمين نشـعر بواقعنـا، لكننا لا نسـتطيع أن نعمل شـيئاً من أجل مقاومته، ثم نتباكى عند أي هجمة ينتهزها الأعداء ضد ديننا ومبادئنا، ولا أدّعي لنفسي القدرة على وضع الحلول، لكنني أذكّر كل مسلم بقول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ).

ذو الحجة 1403هـ

دعوة

الاعتراف بالنعمة وشكرها سبيل لاستدامتها، وعدم انقطاعها، بل هو الوسيلة لزيادتها - ونعمُ الله تعالى على العباد لا تُحصى، وفي مقدمتها التزامهم بدينهم الذي رضيه وفضّله، ثم فيما أفاء به من الخير الذي لا يحصى.

(والأمن) الذي يجعل لون الحياة أكثر إشراقاً، ويحقق الفرص الكاملة لاستمتاع المرء بما يملك، واطمئنانه إلى استمراره.

وهو النتيجة للتطبيق الواعي للشريعة الإسلامية في واقع الأحياء - وهي مكاسب لا حد لها، وتحتاج إلى الإدراك الكامل لحجمها، والعمل الصادق لشكرها، لأنها لا تقوى على البقاء دون شكرها والإحساس بقيمتها.

(وبلادنا الحبيبة) وهي تعيش مرحلة الإنجازات التي لا تنتهي، وتنعم بالأمن الذي يفتقده الكثيرون، وتحظى بقيادة أمينة مخلصة، تعطي ولا تأخذ، وتواسي ولا تقطع، وتجمع ولا تفرق، تحتاج من أبنائها ومواطنيها أن يتعرفوا على إشراق واقعهم، وحجم النعمة التي هيأها الله تعالى لهم، فيعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ويحمدوه - جل جلاله - على ما أنعم به وتفضل، ويستشعروا ضخامة العبء الملقى على عواتقهم، ويتدارسوا أحوال المحيطين بهم، حتى يتبين لهم الفارق الكبير بين ما يحفل به واقعهم من إشراقات لامعة، وما يعيشه غيرهم من واقع مضطرب يفتقر إلى الشعور بالانتماء والأمن والكرامة.

ولست في حاجة إلى إيراد الأمثلة فهي معلومة وواضحة، ويتساقط ضحاياها كل يوم تحت سطوة الظلم والقسوة والأنانية.

وصدق الله العظيم حيث يقول: (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).

محرم 1404هـ

القائد والشباب

رغم كل المشاغل والمسؤوليات التي تواجه ولي الأمر جلالة الفهد الحبيب داخل المملكة وخارجها، ترى ما الذي يدفع به إلى زيارة أبنائه أساتذة الجامعات وطلابها؟

سؤال كبير: يحتاج إلى كثير من الدقة للإجابة عنه؛ فالمليك الغالي يدرك بثاقب نظره وواسع إدراكه أن شباب هذه الأمة هم أملها - بعد الله - وموضع ثقتها، وهم بإدراكهم الذي لا ينتهي لدور قيادتهم في مواجهة كل الأحداث، وفي السعي الدائب لجمع الشمل لكل المسلمين والعرب، وفي دفع حركة الإعمار والبناء والتشييد لكل شبر فوق أرضنا المباركة، لكل ذلك وللكثير مما يعلمون، يواصلون جهودهم للانصهار في مرحلة التكوين الواعي بكل طاقاتهم، للاستعداد لخوض معركة البناء بكفاءة وثقة.

والمليك - أدام الله عليه التوفيق - يرى فيهم ملامح المستقبل المشرق، وأضواء الغد اللامع الذي يليق بقدسية هذه البقاع، ودور أبنائها، لهذا فهو لا يكتفي بالتقائهم به عبر الإنجازات العملاقة التي تبرز كل حين من خلال ما يبذل ورجاله المخلصون من دأب وجهد وبناء، لا يكتفي بذلك، بل يقتحم عليهم محاريب العلم ليناقش معهم كل جوانب الواقع الكريم الذي أكرمنا الله ببلوغه، ليطمئن على سلامة المسيرة ووضوح الأهداف.

يحاورهم في حنان الأب، ورعاية القائد ليذكرهم بعبء المسؤولية وضخامة التبعة، ليقول لهم نحن معكم وننتظر أداءكم لدوركم، ولن تباعد بيننا الأعباء والمشاغل، فأنتم في قائمة أرصدتنا التي تشحذ عزائمها

بخوض معركة التحدي التي نواجهها في إيمان كامل بالله وثقة في كريم عونه، ولن تخيب – بإذن الله – آماله فينا وفي هذه الجموع المخلصة من الشباب، ولن يفتقدهم عندما يحتاج إلى كفاحهم، فهم أحفاد أولئك الأماجد الذين ازدانت بسيرهم صفحات التاريخ الذي لا يكذب، وهم – قبل ذلك وبعده – أبناء الفهد الحبيب الذي أكرمهم فأجزل كرامتهم.

صفر 1404هـ

نصيحة لا وصاية

المشــكلة ليســت في فقد المصــلحين، ولكنها في غرورهم وشــذوذهم واعتقادهم أنهم هم وحدهم القادرون على الإصــلاح، وأنه وقف عليهم دون غيرهم، وأن طريقتهم لتحقيقه هي الطريقة المثلى، وأن من يعارضهم أو يحاول تصحيح مسلكهم متهم، وعدو، ومحاربٌ للدين.

وهــي (مشــكلة) ربما لا يســتطيع الكثــيرون التعرض لهــا لخوفهم من ملابســات الاتهام لهم مما قد يكونون منه أبرياء، لكنها تظل قائمة وملحة ومحتاجــة للمواجهة الصريحة، فدين الله ليس وقفاً على أحد، ولا على أمة دون أمة، وليس لأحد أن يدعي الاختصاص به والحديث عنه إلا (العلماء) في اختصاصهم، وهو سبيل المسلمين في كل زمان ومكان.

قد تضعف جذوته في زمان معين، أو من شخص بعينه، لكنه يظل (متألقاً لامعــاً) في قلوب المخلصــين المؤمنين، وهم بحمد الله في تزايد مســتمر، وليســوا في علاقتهم بالله بحاجة إلى (وصاية) بقدر حاجتهم ككل مسلم إلى (النصــيحة) الشرعية (المرنة) التي تعيد الشــارد إلى سربه، والقاصي إلى عشيرته، وهي الحكمة التي قال الله تعالى لنبيه عنها:

(ادْعُ إِلِى سَــبِيلِ رَبِّــكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَــنَةِ وَجَادِلْهُــم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَــنُ) والتي خاطب بمدلولها أفضل خلقه في أسمى توجيه لأمته حيث قال: (وَلَــوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّــواْ مِنْ حَوْلِكَ) وهي المســالك الآمنة، لكنها قد تخلو في كثير من الأوقات من المنتسبين إلى دين الله تعالى، وهم بذلك يخدمون أعداء الدين بنفس القدر الذي يسيئون فيه إلى محبيه.

ربيع الأول 1404هـ

السواسية في النهاية

الحديث القدسيّ الذي يقول: (الكبرياء إزاري، والعظمة ردائي، فمن نازعني في شيء منهما قصمته ولا أبالي)، حديث يضع المعالم الواضحة للواقع الإنساني المتكامل الذي لا يتجاوز حدوده، ولا يطغى عليها أو يتعداها.

(فالمتكبر) تافه لأنه يعطي لنفسه ما لا يستحق، (وظالم) لأنه يتجاهل غيره، و(جبان) لأنه يستسلم لأهواء نفسه وغرورها.

ومهما كانت الإمكانات موجودة ومتوافرة فيه لا تبرر أبداً أن يتجاوز الإنسان قدره أو يظلم غيره، أو يتجاهل واقعه، ثم لو علم المتكبر أثر صنيعه في غيره هزءاً به، وكراهية له، واحتقاراً لنهجه، لعدل عما فعل.

(والمناصب والأموال وكل الفرص المتاحة للأحياء) لا تبرر أبداً أن يعلو إنسان بما يملك على غيره، أو يتجاهل الكرامة الواجبة لغيره مهما تضاءل رصيده المادي، أو فقد وجاهة المنصب وفوائده.

الأمر يعدو ذلك كله ليؤكد كرامة الإنسان المسلم مهما ساءت به الظروف، أو ضاقت به مسالك العيش، فربما كان أجدر من غيره ممن هم في بحبوحة العيش وسعة الرزق، بل ربما كان واقعهم مع التزامهم سبيلاً إلى بلوغ أفضل المستويات عند خالقهم، يوم يلقونه، وربما وجدوه هدوءاً في حياتهم، وقناعة في طموحاتهم وطمأنينة في عيشهم.

ويتســاوى كل الأحياء في (المصير)، المفرط في الغنى والموغل في الفقر، ولا يتفاضــلون أبــداً إلا بمقدار تقواهم لله تعالى، وحرصــهم على طاعته، والتزامهم بأوامره.

ومســاكين هم (الأحياء) عندما يتناسون السواسية في النهاية، وهي آتية بلا ريب.

ربيع الآخر 1404هـ

النعيم المقيم

هـذه الهجمـات التي لا تهـدأ ولا تلين على الذين يدينـون لربهم بدين (الإسـلام) بـكل سـهامها المنظورة والمسـتترة، وبكل أسـاليبها الحسـية والنفسية، تُرى هل هي وليدة المصادفة؟

يخطـئ من يظـن ذلك، فهي تنطلق من عداء دفين لدين الإسـلام أجمع عليه غير المسـلمين، واختاروا الممارسة أدوارهم كل الوسائل التي تختلف بين العاجلة وطويلة الأمد.

ولكن! كيف، وماذا يجب على المسلمين أن يفعلوا؟

عليهـم أولاً: أن يدركـوا بما لا يدع مجالاً للشـك أن هذه هي (الحقيقة) الأزلية التي لا يمكن أن تتغيّر.

ثم عليهم أن يدركوا: أن حكمة الله اقتضـت هذا الصراع ليمتحن صبر عباده وإيمانهم وعظيم مقاومتهم.

ثم بعد ذلك عليهم أن يبدأوا دون إبطاء بـ(إعداد) أنفسهم لما يواجههم، وذلـك بالاعتماد علـى الله تعالى وحده، ثم على أنفسـهم، فيبتعدوا على الاختـلاف على الأمور التافهة التي لا تشـكل إلا جزئيـات لا وزن لها، ويتقاربـوا هدفاً وجهداً وتخطيطاً من منطلق المظلة التي تجمعهم تحت لواء العقيـدة الكريمة التي اختارها الله خاتمة لكل رسـالاته، وأكرمهم بالانتماء إليها، عليهم أن يتعلموا من وسائل أعدائهم ما يمكنهم من مواجهتها، وأن يهيئـوا أنفسـهم لشرف الانتماء إلى دين الله، وفضـيلة العمـل على نشره، والدفاع عنه، وإعلاء رايته.

يستوي في ذلك الفرد والأمة، غير عابئين بالصعاب والتحديات، لأن الثمن لما طولبوا به، ولما يجب عليهم، أثمن من الدنيا العابرة بكل آلامها ومتناقضاتها.

ثم ذلك هو (النعيم المقيم) لمن رضي الله قوله، وقبل عمله، وجعل ما يعمل خالصاً لوجه الله وحده لا شريك له.

جمادى الأولى 1404هـ

صورة صادقة

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يُعانيها

بيت من الشعر يفيض بعمق الواقعية اللامحدودة، فالذي يخلو واقعه من الشعور بالإحساس بالشيء لا يمكنه الحديث عنه، أو تصويره أو إدراك عمق الحاجة إليه.

(والمجلة العربية) هذا المنبر الذي استطاع بفضل الله، ثم بدعم ولاة الأمر في بلادنا الغالية، أن يأخذ طريقه باطمئنان وثقة، رغم العقبات والعراقيل التي تواجه كل عمل هادفٍ في إطار مراحل التنمية الشاملة التي لا تهدأ.

هذه المجلة استطاعت - بحمد الله - أن تستقطب العديد من رجال العلم والفكر والأدب في بلادنا الحبيبة، وكل البلاد العربية والإسلامية ليجعلوا من لقائهم عبرها - (وجهاً) واضح المعالم نقيَّ الصورة، بعيداً عن التشنج والحقد، نائباً عن المكائد واقتناص المكاسب الرخيصة، جريئاً في الحق، مخلصاً في النصيحة، وهي تسعى ضمن مسيرتها لتحقيق أهداف كبيرة تحقق بعضها، ولا تزال - بإذن الله - جادة السير لتحقيق ما تبقى منها، مؤمنة أن البقاء للأصلح دائماً، تحقيقاً لقول الله تعالى: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ).

وهي مع ذلك لا تحاول أن تدافع عن نفسها إلا إذا كانت على حق، ولا يدفع بها سمو أهدافها إلى الحقد على من يحاول إعطاء غير الصورة الصادقة عن واقعها، لأنها مهتمة كل الاهتمام بإعطاء (صورة صادقة) عن

أدبنا الواضــح وضــوح مجتمعنا وفكرنا الملتزم التزامه، ثم هي تريد أن تملأ هذا (الفراغ) الرهيب الذي يعيشــه الشباب العربي المسلم اليوم، والخالي إلا من السموم، والتناقضات، والانحرافات التي لا تنتهي.

ولســت هنا أجامل المجلة لأنني أحد العاملين بها، لكنني أتحدث بنعمة الله امتثــالاً، وأدعو كل (قلم) مخلص هــادف أن يؤدي من خلالها الالتزام المطلــوب، والمتعين من (أمــةٍ) أراد الله أن يكون قدرها هــو إعطاء القدوة الحسنة، وحمل الناس على الحق، وعونهم على ارتياد مسالكه.

جمادى الآخرة 1404هـ

أتفه الأدوار

ربما كان من مهازل الحياة المعاصرة أن الكذب أصبح (سلعة رائجة) على مستوى الدول والحكومات والأفراد.

فالكثير يقول ما لا يفعل، ويفعل غير ما يقول، في تناحر عجيب لا أثر فيه للقيم أو المثل أو الأخلاق، (المنتصر) فيه أخسر الخاسرين، لأنه يعادي دينه وأصالته وتقاليده، والمنهزم فيه ضعيف لأنه لا يقوى على مقاومة الباطل الزاحف.

وتستمر دورة الحياة بالأحياء غير عابئة بالناجح في دوامتها أو الفاشل، لأنها ماضية إلى نهايتها، والأحياء هم الذين يضعون بما يقدمون الملامح الواضحة لأدوارهم في الحياة اللاهثة التي لا تتوقف أبداً.

والذين يكذبون إنما يمارسون أتفه أدوارهم في كل مراحلهم، فهم يخدعون أنفسهم، ويطمسون من خلال انفعالاتهم ملامح الضوء في واقعهم، ويظلمون أنفسهم بإرغامها على مخالفة الحقيقة، ومحاربة الفطرة، وربما لظروف معينة ينالهم بعض المصلحة رغم سوء واقعهم، لكنهم يلتقون حتماً بسوء المصير الذي ينتظر كل كاذب مختلق، وهي النهاية الحتمية لمثل هذا النوع من الناس رغم ما قد ينالهم من كسب زائل، والموعدُ الله.

رجب 1404هـ

إننا لم ننس صنيعكم

كنّا ونحن في المراحل الثانوية في مسيرة العلم التي لا تقف، نؤدي ما يشبه (العمل الشاق) المتعب صباح كل يوم ومنتصفه، وقد يقول لي قائل، كيف ذلك؟، وله أقول: كنا ندرس في أعلى مبنى لأحد (جبال) مكة المكرمة في قلعة نسلك لها أكثر من طريق، لا نكاد نشعر بمشقة الطلوع إلا بعد أن نراها ماثلة أمامنا، وأصوات الزملاء تدوي بداخلها.

وكان (اللقاء) يتجدد بين الكثير من الإخوة في تلك الأيام الحالمة رغم عدم توافر أي إمكانات يتمتع بها (طالب اليوم)، كنا كل يوم نكسب صديقاً نتعرف منه على واقعه، وخلجات نفسه، تخرجنا إلى ردهة المبنى صفارة انتهاء الدرس، لنعود إلى آخر بعد دقائق، لم أجد يوماً أن (طالباً) شكا واقعه، أو حاول الاعتراض عليه.

كنا لفرط العفوية التي نحياها، نشعر أننا نمارس ما حُرم منه الكثيرون من متعة تلقي العلم.

وكان أساتذتنا – وهم كثيرون – يعاملون كل طالب منا كما يعملون أبناءهم، لم نسمع منهم (كلمة جارحة)، أو (قدحاً مشيناً)، كانوا رحم الله من واجه منهم ربه، وأطال عُمر من بقي – كانوا (رجالاً) كافحوا وصمدوا وتحملوا، كنا نتألم، وعندما يقبل أحدهم، تتبدل شكوانا فرحاً به، ورغبة في لقائه، كانوا يكافحون في (بطولة) كل التحديات، ليجعلوا شباب هذا البلد – رجالاً – يمكن بعد الله تعالى الاعتماد عليهم، وكنا

ننســى ما نلقى عندما نرى البســمة لا تفارق شـفاههم، وكلمات الحنان وهي تصدر من حناجرهم.

واليوم، وقد باعدت الدنيا بيننا، أتمنى لو ألقى أي إنسان ساهم في إيصال المعرفة لي ولزملائي لأقول له: إننا لم ننس صـنيعكم، وإن الله تعالى يحفظ لكم ما بذلتم أمناً، وعلماً، وطول عمر بمنّه وكرمه.

وليت كل (أستاذ أو زميل) يسمع هذه (الكلمة) التي طالما دعتني نفسي إلى البوح بها عّذْراً، واعترافاً، وشكراً.

والله تعالى وحده هو القادر على مثوبتهم، وإسـباغ الحياة السعيدة على من بقي حتى يلقى ونلقى وجه ربّنا (الذي كتب على نفسه الرحمة).

شعبان 1404هـ

الفتنة الكبرى

المتأمل في واقع المسلمين اليوم يشعر بالكثير من المرارة والأسى، فهم قد باعدوا بينه وبين ما يدعوهم دينهم إليه، دعاهم إلى الاعتصام بحبله، فركنوا - عدا من قل - إلى غيره، وأمرهم بعدم التفرق والاختلاف، وهم - فيما نرى - يتناحرون ويكيد بعضهم لبعض، بل ويحتربون، وتنهمر دماء ضحاياهم على أديم جبهات معاركهم التي لا تهدأ، وتتراكم جثث ضحاياهم في كل مكان بفعل وسائل الدمار الفتاكة، ويشخص الوسطاء ليضعوا حداً لألم هذا الواقع ومرارته، لكنهم يعودون من حيث أتوا بلا حصيلة، لأن احتكام المتحاربين لم يعد يخضع لشرع الله تعالى الذي حرّم القتل إلا بالحق، بل جعلوا الفصل فيما يتنازعون فيه للغرائز الظالمة الخالية من الرحمة.

أما خوف الله تعالى، وتحكيم العقول التي جعلها الله تعالى وسيلة لسلوك أحسن السبل وأنجحها، فلا مكان لتأثيرها، فكأنما آذانهم بها وقرٌ يحول بينها وبين السمع، وقلوبهم كأنما تملكها الهوى والظلم، فلم تعد تدرك فداحة ما اندفعت إليه، أو سوء ما تصنع، والأعداء يعيشون فرحة التشفي من الجموع المسلمة، وهي تقتل بعضها بعضاً، وتمتص من أموالهم الكثير ثمناً لما يدفعون به إليهم من وسائل المحق والدمار.

سمعت صديقاً يتحدث بحماس عما يجري في عالمنا الإسلامي، ويتساءل: لماذا لا يتحاكم الناس اليوم إلى عقولهم، فأجابه أخٌ كان يصغي

إليــه بقوله: وهل بقي لهم عقول؟ وهي إجابة تفيض بالواقعية، فالإســلام ينهــى عن الاعتداء، ويشــجب الإرهــاب، وإزهــاق أرواح الأبرياء، وما يحدث كل يوم يؤكد تواجد كل هذه المشــاهد المؤلمة رغم الانتســاب إلى الإسلام.

إن على كل مســلم – مهما كان موقعــه – أن يراجع وبدقة كل تصرفاته ليكبح الظالم منها، ويضاعف ما يدعو إلى الخير، وإلا فهي (الفتنة الكبرى) التي لا تدع يابساً أو أخضر، وهو التناقض الصارخ بين ما ندّعي ونأتي.

نحتــاج إلى أوبةٍ سريعــة إلى الله تعالى وشرعه، وإلى فرار عاجل إلى رحابه التي وسعت كل شيء، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

رمضان 1404هـ

عقدة التخلف

كيف نتمكن من التخلص من عقدة التخلف؟

سؤال يجب أن يطرحه كل مخلص، ويجب أن يتعرف على الإجابة الصادقة له، هل نحن نعاني حقاً من ذلك؟.. ولماذا وكيف استسلمنا لهذا الوهم الكبير؟.. فالتخلف لا وجود له في عالم العزيمة والبناء، وهو الوهم الذي عمل من أجل ترسيخه أعداؤنا حتى نظل في عجز عن بلوغ المستوى الأفضل.

والحقيقة هي أن كل أمة تستطيع أن تحقق كل الإنجازات متى توافرت لها الإمكانات والعزيمة الصادقة من أبنائها، والعمل الدائب للوصول إلى الهدف مع إنكار الذات.

وهذه أمور لا تخفى على أي مخلص.

ثم هناك الحرب التي لا تهدأ ضد كل مسلم في أي بقعة من أرض الله تعالى، وهي حرب شرسة يجب أن يتنبه لها المسلمون في كل مكان ويعملوا لمواجهتها بالعمل لا بالقوة، والمهم أن نستبعد من أذهاننا فكرة التخلف وأن نشعر أننا – بإذن الله – في مركز القيادة روحياً وعلمياً، وأننا لا ينقصنا أبداً بعد الإيمان بالله إلا التصميم والثقة بالنفس والصبر على ما نواجهه من مصاعب والإصرار على بلوغ ما نهدف إليه، وهي وسائل النجاح لكل شعب يريد أن يثبت وجوده.

شوال 1404هـ

ذلك هو المهم

يدهش الكثيرون من غير المسلمين عندما يرون ما يتميز به مجتمعنا المسلم (بحمد الله) من التعاطف والروابط الوثيقة، وما يشد المسلم إلى أخيه، والعائلة إلى بعضها، والآباء بأبنائهم، والأبناء بوالديهم لأنهم قد فقدوا مثل تلك الصلات والروابط بتأثير مادية الحياة وبالصراع الذي لا ينتهي للحصول على ما يتوهمونه السبيل الوحيدة للسعادة.

فلم تعد لديهم العاطفة التي تحتاجها المجتمعات لتشعر بالطمأنينة ولم يعودوا يقيمون لأي نوع من الصلات ما يستحق من تعهد ورعاية إلا من خلال منظورهم إلى مادية الحياة المعن في الانفلاق والبؤس.. وكنتيجة حتمية لهذا الواقع القائم تتبدد كل الآمال من واقع الأحياء، وتتلاشى مقاومتهم لما يلقون من أحداث فتتكاثر الانتحارات وتتخذ الجرائم العديد من الصور والمظاهر، وتمتلئ المصحات العقلية بالآلاف من ضحايا هذا الواقع المقفر من فضيلة التعاون، والخالي من وشائج المجتمعات المحتاجة إليها.. ويبقى ديننا العظيم (عملاقاً) يحث على المزيد من التقارب والود والتعاون، ويشعر أتباعه بلذة الانتماء، وينمي فيهم فضيلة الإيثار والعون، ويؤكد في واقعهم روح الجماعة - والأسرة، ويجمعهم في التحام نادر ومذهل بكل من يشاركهم دينهم، وإن تباعدت بهم مواطنهم، لأن الإخاء في بوتقة الإيمان المطلق بالله يجعلك قوياً وإن لم يكن معك من يعينك، وصابراً وإن ادلهمت كل المسالك أمام ناظريك وراضياً وإن فقدت الكثير مما تحب.

وبقــدر قناعة المســلمين بإشراق واقعهــم تقوى في حياتهــم القدرة على مقاومة كل سلبيات الحضارات الزائفة وآثارها المؤلمة. وليس المهم أن يعيشوا واقعهم كما لو كان جزءاً من حياة عاشــوها ونعموا بفضــائلها فحســب.. ولكــن المهم أن (يحافظوا) على كل هــذه المنجزات والمفاخر ويعملوا بكل قواهم على ترسيخها وتعميق أثرها. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ذو القعدة 1404هـ

العلاقة النادرة

من أكبر الأخطاء التي وقع فيها الكثيرون من المفكرين والمراقبين تصورهم الناقص والمبتور (للعلاقة بين شعب المملكة العربية السعودية وقادته).. إذ هم يقيسونها بما يتواجد في واقعهم من علاقات واهية الأساس، ويصدرون ما لا يحصى من الأحكام حيالها.. وهي الغلطة التي لولا أهمية الكشف عنها لما استحقت الاهتمام بها.

فالعلاقة بين قادة الشعب السعودي وبينه (علاقة إسلامية، راسخة الجذور، عميقة الأثر والتأثير).

والجزيرة العربية، ومن مفاخرها أنها استعصت على الاستعمار أن يبسط عليها ظله، لأنها تحوي شعباً شديد الإيمان بالله، قوي الثقة بوعده، وهو يرى في قادته الكفاءة والقدرة لمواجهة الأحداث التي يواجهها، لأنه علم أي نوع من الجهاد خاضه الأبطال من هذه الأسرة دفاعاً عن دين الله، وأي نوع من البلاء تعرضوا له نتيجة إصرارهم على ما آمنوا به.

فهم ليسوا (نكرات) تفرضهم أوامر منع التجول، أو يتم تعيينهم داخل الأخبية، ليعلنها (بيانهم الأول وما يليه): لم يخترهم أحد، وربما لا يعرفهم أحد، لكنهم بوسائلهم فرضوا وجودهم، ثم بدؤوا الحملة التي يؤمنون بها، تفرضها قوة السلاح، وتمنع معارضتها صرامة الرقابة، ثم تنجح هذه النكرات لتدعي أنها تحمل مسؤولية الأمة، وربما كان ماضيها يصرخ مكذباً لما تدّعي به.

أما المملكة، فهي جزء لا يتجزأ (الحاكم والمحكوم فيها تصهرهم بوتقة واحدة): هي العمل لإعلاء كلمة الله، والسعي لإسعاد المواطن، وتمكينه من العيش الشريف في أرضه ووطنه.

هو على صلة بهم وهم على صلة به، لا تفرضها هيبة حكم، ولا دوافع بقاء، ولكن (مسؤولية الحاكم أمام الله وتعاون المواطن مع قادته لتحقيق أهدافه).

ولهذا السبب وحده، نجد أن كل الأصوات المشبوهة التي تنعق لإفساد هذه العلاقة النادرة في عالم اليوم تتهاوى لأنها تصطدم بجدار الحقيقة التي تتحدث عن نفسها، (ويحتقرها كل مواطن سعودي) لأنها تعني اتهامه في أقدس أمانته، وهي بيعة الإسلام في عنقه.

ذو الحجة 1404هـ

إنه الولاء لله

كيف يتم إعداد المواطن ليكون عامر القلب بالولاء والود؟

سؤال له أبعاده الكبيرة، وتكثر أنواع الإجابة عنه، لكنها تبقى في معظمها بعيدة عن الحقيقة، ومفتقرة إلى المزيد من التحديد.

فالولاء يجب أن يكون لله، وكل التصرفات يجب أن تكون خاضعة لهذا (المفهوم الكبير).

والولاء لله يقتضي الوفاء لبيعة (ولي الأمر) وعونه، والدعاء له، وبذل كل جهد في سبيل تحقيق أهداف الأمة التي نذر لها نفسه.

والولاء لله يقتضي أن يكون المواطن حريصاً على أهداف أمته، وساعياً بما يملك لتحقيقها.

والولاء لله يقتضي أن يكون المواطن أميناً في واقعه، ونقي الذيل من كل ما يشينه.

والولاء لله يقتضي أن يكون المواطن أميناً في مسؤوليته بعيداً عن الاختلاس والرشوة.

والولاء لله يقتضي أن يكون المواطن في قمة الإيجابية من خلال مسؤولياته، فلا يعبث بها أو يخونها.. لكنه يراقب الله في كل ما يأتي أو يذر.. لا يظلم أحداً، ويعمل بما يستطيع على حجب الظلم عما عداه.

والولاء لله يقتضي عمق الثقة به والتوكل عليه والرضا بما يقدر من الخير أو الشر.

والولاء لله يجعل من المواطن عامل بناء وتشييد وأمانة.

ويوم تنعدم كل هذه الإيجابيات فإن ذلك يحكي ضعف ذلك الولاء، أو انعدامه، ولا تسأل عما يحدث آنذاك.

محرم 1405هـ

تصرف خاطئ

تطالعنـا الصـحف بين حـين وآخر عن المهـازل التي تحـدث من بعض السـياح العـرب في أوروبا وأمريكا، وربما بشـكل واضـح في لندن، إذ يتدافـع الكثـيرون منهم للشراء من المتاجـر اليهودية، رغـم ارتفاع أثمان معروضـاتها، وتواجد الكثير غيرها مما يحتوي على ما تحتوي عليه، وربما أفضل من مناسبة القيمة.

وجهل بعضـهم بأصـحاب تلك المتاجر، وما يمارسـونه من تطرف في دعم الكيان الصـهيوني، ورغبة في التشـهير بالعرب، واتهامهم بالسرقة، وإقامة الدعاوى ضدهم (لا يبرر إقدامهم على تفضيل الشراء منهم).

فمن الوجهة الإسلامية لا يجوز لك أن تُعين أعداء المسلمين عليهم، ومن منطلق الانتماء للعروبة فأنت مطالب بأن تقف بجانب العرب والمسلمين، فلا تعطـي أعداءهم المزيد من الدعم لتزداد قوتهـم على باطلهم.. ومهما كانت النتائج، فالمواطن المسـلم يجب أن يغادر مرحلة الحديث إلى ميدان العمـل، فالأحاديث لا تدنيك من حقك، ولا تسـتطيع رد الباطل عنك، وأعـداؤك يعملـون للإيقاع بك، وتشـويه واقعك، وسـلب حقوقك في صمت وتخطيط ودأب.

والعجيب الذي لا يستطيع المرء فهمه أن تتناسى (بعض صحف الخليج) كل الروابـط التي تجمع بين عرب الخليج، لتنشر على صـفحاتها بعض ما يلقـى العرب هنـاك من تهم، وكأنهـا تتحدث عمن لا يعنيهـا أمرهم، أو تحسـبها تشارك في التشهير بضـحايا الإثم الكاذب من إخوانهم، دون أن

تحمل نفسها مهمة التعليق عن دوافع هذا الظلم، أو توضح الوسائل لعدم الوقوع في شباكه.

وربما كانت خطوات العلاج الجادة ممكنة الإيجاب فعالة في الأثر.. ولا أدري عن مدى إمكان (وضع ورقة داخل جواز كل مسافر) تتضمن تذكيره بأهم تلك المتاجر، وأهداف المالكين لها، وضرورة مقاطعتها امتثالاً لأمر الله، وتضامناً مع حتمية الاستعداد للأعداء ومواجهتهم، وهي فكرة ربما بدت لأول وهلة أنها تفتقر إلى المزيد من الفعالية، لكنها ستكون بمثابة المنبه الأمين لكل مسافر حتى لا يقع فريسة لأعداء دينه، وحتى لا يعصي الله بعونه لمن غضب الله عليهم، وستكون النتائج في نهاية الأمر أكثر من مشجعة، وربما كانت موضع دراسة من (أجهزة الأمن في خليجنا العربي) المحاط بما لا يُحصى من الأعداء.

صفر 1405هـ

اختلاف لا حقد

كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة لا يرضيه إلا زوالها.

هذه الحكمة تؤكد الأحداث والأيام صدقها، وتصويرها الدقيق لجوانب لا حصر لها من مجتمعنا.

ولو تأملنا مدلولها لاستطعنا أن نتحمل وطأة سلبياتها ولو بشكل نسبي، وربما نستطيع أن نقاوم ضراوة واقعها إدراكاً منا لكل الآثار التي تنسحب على واقع الحياة والأحياء.

فاختلاف الرأي لا يؤلم، ولكن أن تحقد عليَّ هو المؤلم والمؤسف.. والحياة بكل آلامها وآمالها لا تستحق الحقد واللؤم والظلم.. والشاعر العربي يقول وهو صادق:

ومُرادُ النفوسِ أصغرُ من أن
نتعادَى فيهِ وأن نتفانى

(والحقد) نزعة شريرة حاقدة، تغير صفو الحياة، وتقاوم نصاعتها، والحاقد يتلظى بنار حقده، لكنه يصر انطلاقاً من نزعة الانحراف في ذاته على إيصال الأذى بغيره، وتعكير نقاء حياته لأنه يمارس بما يفعل لذة الرضا (بأذى الناس) وهي أحقر لذة في دنيا العلاقات، وأتفه نهج في سلوكهم.. والدنيا مليئة بمثل هذه الزواحف الشريرة، لكنها تحترق بما تفعل، ولا تستطيع البقاء في ضوء الإخاء الصادق في الله ومن أجله، وإن جالت في غفلةٍ من الدعاة الصادقين، لكنها إلى اضمحلال.

والنصيحة تساق إلى كل مؤمن مخلص: أن يعمل بوحي من إيمانه ومبادئه، وأن يســتعين بالله وحده على هذه الظلمات التي سرعان ما تتلاشى عندما ينتصر حزب الله.

ربيع الأول 1405هـ

تجربة عمر

شـيخٌ كبير في مسيرة عمره وفي خلقه، تغمر الهيبة محياه، وتطفح بالبشر أساريرُ وجهه.

لقيني في أمر يخص أحد أبنائه.. وشـعرتُ منذ اللحظة الأولى للقائنا أن شيئاً ما يشـدّني إليه، ويدفعني إلى استباقه وسماع أحاديثه التي كان يلقيها بدون إعـداد أو تكلف، وتؤكد صـدقه فيما يتحدث به قسـمات وجهه الباسـم التي تعكس اهتمامه وانفعاله بما يقـول، وطلبت إليه أن يبقى معي بعض الوقت لأسـمع منه بعض تجاربه التي حنكتْها خبرته وكثرة مواجهته للمواقف والأحداث.

قلـت له: يا والدي ما هي نظرتك إلى مسـيرة الحياة الزاحفة، ووسـائل النجاة من شرورها، والسلامة من أحداثها؟

وبدا لي أنه لم يكن ينتظر مثل هذا السؤال مني..

فقال: إن غيريَ أقدر مني على الإجابة: كما ترى، قد اعتزلتُ الكثير مما كنت أمارس وكأني في خلوة أو عزلة.

فقلـت لـه: إنك لم تبدأ اختيار ما أشرتُ إليـه إلا بعد مواجهات لا حصر لها مع الحياة والأحياء مما أكسبك الكثير من الخبرة الصادقة، وهو ما أتطلع إلى معرفته وسماعه.

فأطرق إلى الأرض ثم قال، ونبرات صوته لا تخلو من التأثر.. يا بنيّ! الحياة هي الحياة، لا تتغير أبداً، ولكن الأحياء هُمُ الذين يتغيّرون، وهم الذين يشوّهون في كثير من الأحيان المشرق من معالمها، يستوي في ذلك الأمم والأفراد.

فقلت له وأنا أكثر شوقاً إلى معرفة الكثير مما لديه: ولكن ما المخرج مما نلقى؟

فقال لي: بالاعتصام بالله، والقناعة بعطائه، وترويض النفس على مواجهة الجحود والنكران، وانعدام الوفاء، مع استصحاب الصبر والثبات على ما يحسن من المواقف النبيلة، ولو تنكر لها كل الناس.. ثم صمت وأطرق.

فبادرته بسؤال آخر: وهل يستشعر اللؤماء والناكرون والحاقدون لذّة فيما اختاروه لأنفسهم؟

فقال وهو منفعل: لا لا تصدق من يقول لك ذلك.. فاللؤم يمزّق صاحبه، والنكران والحقد يجعلان واسع المسالك أشد ما تكون ضيقاً ووحشة.. وإياك أن تنخدع بالضجيج الذي قد يحلو لبعضهم إضفاءه على واقعهم وأعمالهم.. فهم يمارسون بذلك رقصة الذبيح.. والمنتصر دائماً هو المؤمن بالله، الصابر على ما يلقى، والمحتسب فيما يواجه مما لا يرضى.. والشواهد من كثرتها لا تخفى على أحد.

وغادرني مسرعاً، وأنا أحاول البحث عن عمق تجربته من صادق حديثه.

ربيع الآخر 1405هـ

امتلاك القدرة

كل حادث ينطوي على إيجابيات وسلبيات.. حتى القادم عليك في دارك، ربما طغت سلبياته على إيجابياته، فأصبح عبئاً مثيراً للكثير من متاعبك.. وربما كانت الأخرى، فأسعدك بقدومه، واطمأنت إليه نفسك، وتمنيت ألا تفارقه.

فالخير يصارعه الشر في كل زمان ومكان. ليس هناك أمرٌ كله خير إلا في اتباع ما أمر الله به ورسوله، وإن بدا لك أن في التزامك به ما يشبه الحرمان من بعض ما تهوى.

وفي مجال العائلة الواحدة ربما كان (ابن) سبباً لإفساد هناء والده، ومصدراً لإزعاجه وقلقه، وربما كان ذلك الابن أو غيره مصدرَ هدوء وارتياح له، ووسيلة لتخفيف الأعباء عنه وأسرته.

ولا توجد قوة خارقة نستطيع بها التعرف على السلبيات قبل مواجهتها، فنتحاشى البغيض من آثارها، والعكس بالعكس، لكننا نستطيع إن أردنا أن نتوقع النقيضين، وأن نواجه كل حاجة بما يمكننا من التغلب عليها والاستفادة منها.

والمرء محتاج في ذلك إلى أمور كثيرة، في مقدمتها الصبر، والاحتساب، والفطنة، ونبذ اليأس، بعد الاعتماد على ربه الذي يملك حمايته، وترسيخ أقدامه في مواجهة الصعاب والتناقضات والآلام، ثم تأتي بعد ذلك ميزة أخرى قد لا تتاح لكثير من الناس، وهي: القدرة على تحويل أكثر السلبيات إلى إيجابيات.

والوسـائل لا تحصـى.. ولكن المهم، بعد توفيق الله، امتلاك القدرة على استخدام تلك الوسـائل في براعة وصـمود وصـبر، ولعل ذلك جزء من واقع الحياة التي نعيشـها، والتي تحتاج إلى الكثير، وتسـتحق أن تلقى عند الناجحين ما هم جديرون به من بسالة، وإيمان، وثبات، حتى يأتي أمر الله.

جمادى الأولى 1405هـ

لا تسرف ولو كنت على نهر

ظاهـرة الإسراف تكاد تحتـوي كل جوانب الحيـاة في المجتمع العربي، وهي تبدو واضـحة المعالم في مجتمعنا، ربما كان المسبب لها فقدان التوعية الصـادقة لمحاربة رذيلة الإسراف التي أصبحت الطابع المميز لكل جوانب الحياة.. يستوي في ذلك الأغنياء والمتوسطون وحتى محدودو الدخل، لأنه يعني في مفاهيمهم جزءاً لا يتجزأ من حياة رب الأسرة.. يجد أن من العيب عليه ألا يجاري غيره، ولو على حساب دخله وسمعته.. وحتى (العاملون بالدولة) ترى أن ظاهرة الإهمال والاستهانة بمصاريفها تسيطر على الكثير من واقعهم.. فالمياه، والكهرباء، والأوراق، والأوقات، والإنجازات: ربما كانت لا تحظى بما تستحق من الأهمية والعناية.

والدين الإسلامي العظيم يأمر بالاقتصاد، وينهى عن التبذير، وفي كتاب الله تعـالى أعلى توجيه وأحكمه.. في قوله جل وعـلا: (كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُـواْ)، وفي قوله تعـالى: (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُـواْ إِخْوَانَ الشَّـيَاطِينِ وَكَانَ الشَّـيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً).. وما وجه به نبي الهدى من (كراهية الإسراف في الماء، ولو كان الإنسان على نهر جار).

والأمر يحتاج إلى قناعة، وإلى مقاومة، وإلى إيمان، بهذا النهج الإسلامي العظيـم في كل مكان يحتوينا، وأن ننقل هذا التوجيـه إلى أبنائنا، وأسرنا، والمحيطـين به، لنحقق انتماءنـا لديننا العظيم، ولنكون بمـا نفعل خير أمة أخرجـت للناس، وكل الظروف المحيطة لا تدع الخيار لنا إلا في سـلوك هذا السبيل الواضح.

نحــن علــى موعد من فضــل الله، إذا التزمنا بأوامره، وســنكون كذلك بإذن الله.

جمادى الآخرة 1405هـ

كيف نواجه أعداء ديننا؟

أمـر قد يفكر فيـه كل مخلص، لكنه ربما يتحاشـى الإعـلان عنه.. رغم أهميته وعمق تأثيره.. ولست أحاول تبرير هذا التحاشي أو أهاجمه، فهو أمـر يرجع إلى الظروف المحيطة بالقائل والسـامع وإلى ظروف أخرى قد نجهلها.. وربما لو علمناها لقدرناها.

وعندما تتحدث إلى أخ (يعمر الإخلاص قلبه) تجده يقول: إن أسـاليب الموعظة والنصـيحة بحاجة إلى دراسـة مسـتديمة حتى تضـمن استقطاب الكثيريـن والتأثير في حياتهم بأسـلوب العصر الذي يعيشـونه.. فكما أن دعاة الباطل والرذيلة والانحلال يسـلكون لإيصـال سمومهم كل السبل المتاحة بما تحتويه من دراسـات سيكولوجية تمهد لاسـتقبالها والتأثر بها.. فيجب أن تخضـع أساليب المواعظ والنصائح لنفس المؤثرات حتى نضمن قدراتها على التشويق والاهتمام والتأثير.

وفي كل مـرة عندما نجـد أن أعداءنا قد نجحـوا في اقتحام إحدى قلاع الإسـلام، نظل نتحدث، وقد ندهش لما اسـتطاعوا الوصـول إليه، ثم ربما صـدرت ردود أفعالنـا بأشـكال (هجومية أو متشـنجة) لا تؤثر في ردع الباطل، ولا صرف المتأثر به عنه.

والأمر يحتاج إلى دراسـة، لأن كل عصر يستخدم أسلحة ربما كانت غير الأسلحة التي كان يستخدمها من سبقه.. ولا تنجح أبداً في مقاومة عدوك إن لم تكـن على دراية (بنوعية السـلاح) الذي يهاجمك به، والأسـلوب الكفيل بردعه وإيقافه.

هــي بديهية لا بد منها إذا كنــا نريد أن نواجه أعــداء ديننا، ونحتاج إلى وضــع مخططات واعية من (أمناء) يخشــون الله، ويعيشــون واقعهم بكل انفعالاته، ويدركون أهمية الصراع الذي بدأ يزداد ضراوة كل يوم.

وبصراحــة يجــب أن نحارب أعداءنا بســلاحهم، وبكل ســلاح نافذ، ويجب أن نبذل كل ما في وســعنا لحصانة شــبابنا وأخلاقنا وتقاليدنا التي نفخر بها ونعتز.

يجــب أن نعمل فالقول لا يجدي بدون عمــل، (والأعداء) قد اختاروا معركتهم، فيجب أن نهيئ لها رجالاً على مستوى المسؤولية، وأولئك هم في ذمة الله، وقد تعهد الله بعونهم وهدايتهم لســبله التي يعلمها، والمهم أن نقتنــع بالأمر ونعمل بإخلاص لإنفاذه، وهو من الأولويات الملحة، في بلد الله الأمين، وكل بلد تشرق شمس الإسلام على ربوعه.

رجب 1405هـ

إنها الوسطية

(أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما).

(أسلوب عجيب) في التعامل الإنساني.. يعطيك الحق في أن تحب أو تكره، ولكن دون (مستوى القطيعة).. لأنك لا تعلم ما يجري بعد ذلك.. فربما عاد العدو صديقاً، وانقلب الصديق عدواً.. وأنت وحدك الخاسر في الحالتين.. هي إذاً.. (الوسطيّة) التي أرادها الله لهذه الأمة، لكي تكون معتدلة في تصرفاتها، فالغلو مذموم، والتحلل مستهجن، وأنت تعيش واقعك، كما أرادك الله يوم جعلك وسطاً في أمة لتكون شهيدة على الناس، ويكون الرسول عليها شهيداً.. فالخاتمة دائماً في علم الله، ربما لا تنتظرها، وتأتيك بغير ما كنت تتوقع.. ولا تشطط في البعد.. فأنت بين يدي ربك، يوجهك حيث يريد وحيث تجهل الحكمة من إرادته، لكنك لا تملك مخالفتها.

لاحظوا؛ (الوسطية) سمة هذه الأمة، فمن حاد عنها التزاماً، أو تحللاً، فقد خالف ما أراده الله له، وهو العليم به وبقدراته، وما سيلقي في عمره الزاحف به.

ويوم يتناسى الناس تفضيل ربهم لهم بهذه الوسطية الرائعة تتواجد كل المتناقضات والمشاكل والحزازات، وينشغل الناس بها، وهم بحاجة إلى التجمع حول الجواهر التي لا بد من الحفاظ عليها والاهتمام بها.

وكثيراً ما يتناسى الإنسان (عقله) عندما يتيقن أن الصواب معه، لأنه

يتجاهــل غيره، ويتمادى في تصرفه الموجه، والذي كثيراً ما يكون مصــدر إيذاء له ولمن معه.

والله وحــده هو القادر على هداية الناس وصــلاح نهاياتهم، ولو ملأوا كل الأجواء ضجيجاً، فالحق دائماً هو ضالة المؤمن.

شعبان 1405هـ

الأمارة بالسوء

(حســاب النفس) كلمة يرددها الناس في أكثر من مناسـبة، دون أن يعي الكثير منهم مدلولها وحقيقتها.. فحســاب النفـس يعني مواجهتها بكل واقعها، ونقلها من اللامبالاة إلى التعقل، ومن الفوضى إلى الانضباط الذي لا تستقيم الحياة بدونه.

وحتى أكون على مقربة من إيضـاح ما أعني، أعيد إلى الأذهان الوصف الإلهي الكريم للنفس البشرية، في قوله تعالى: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) هذه حقيقة راسخة، لا تقبل تعليلاً ولا تأويلاً.

النفس، بحكم ضـعفها أمـام كل الانحرافات والفـتن والمواقف، تأمر بعكس ما يصلح الإنسان.

ولنتأمـل قوله تعالى (أمّارة) فهي تأمر، والذي يأمر يحرص على تلبية ما يأمر به بخلاف من يسهّل أو يشير.. إذ فنحن أمام هذه الحقيقة الخالدة؛ إما أن نطيعها فيما أمرت به ونواجه جزاء المسـيئين البعيدين عن طاعة ربهم، أو نحجزها عن التأثير فينا، ونرفع راية العصيان في وجهها ونحكّم عقولنا التي شرفنا الله بها في كل ما نفعل.

(أمران) لا ثالث لهما: إما أن ندرك عداءها فلا نطيعها فيما يغضب الله، أو نستجيب لنوازع السوء فيما تأمر فنلقى جزاء المسيئين.

(والمؤمن الصـادق) هو الذي يستديم جهاد نفسه، فلا يدع لتأثيرها غير السوي مجالاً إليه، بل يظل في يقظة وانتباه لما يريده منه خالقه، ويظل على صلة به يسأله الرشد والعون، والثبات حتى يلقاه.

رمضان 1405هـ

الوفاء

(الوفـاء) أغلى صـفة في علاقـات الأحياء ببعضـهم لأنها تعني سـوية النفس، وصـفاء الروح، والسـلامة من الحقد والانحراف.. فأنت حينما تكون (وفياً) لمن أعانك، أو أسـهم في الاسـتجابة للمشروع من رغباتك، إنما تبرهن بوفائك على (صفاء) نفسك وإشراق (النبل) في واقعك.

ولكن هل تحفل الحياة دائماً بالأوفياء؟ أجيب عن هذا السؤال بنعم ولا..

(نعم) إنها لا تخلو منهم و(لا) لأنها لا تحفل بهم. والوقائع التي يتلقاها المـرء كل يوم وليلة تؤكد هذه الحقيقة.. فكلما أمعن الناس في مادية الحياة نراهم يفتقدون في مقابل ذلك (المشاعر الفطرية) التي فطرهم الله عليها.

فالأمر الطبيعي أن تكون شاكراً لمن أعانك، أو وقف بجانبك في أزمة أو مشـكلة.. ولكن عندما لا تفعل ذلك فإنما تأخذ (الاتجاه العكسي) لفطرة الله في ذاتك.. وربما تجعل من واقعك القدوة السيئة لغيرك، بل قد تدفع بمن أعانك إلى كراهية العون، وهجر الجميل..

والوفـاء مع ذلك كله يبدو في القليل من البشر (صـفة لازمة) وتكلفهم الكثير من الجهد والكثـير من العناء، لكنهم على ثبات من مبدئهم، وعلى وضـوح من مسـلكهم، ولا يهمهـم أن يجدوا المقابل لمـا عملوا، لكنهم ينشدون ثواب الله، ثم سكينة ضمائرهم، وهي في حد ذاتها (أعظم عزاء) لمن شاء الله لهم أن يواجهوا الجحود والنكران.

وكل إناء ينضح بما فيه.. والله هو المستعان والهادي إلى سواء السبيل.

شوال 1405هـ

المواجهة لا التجاهل

والحديث عــن جدوى القراءة الحرة يجب أن يظــل متجدداً تجدد العلم الذي لا يقف عند حد.. فالشــاب ينتهي من مراحل دراسته وينال شهادته وينقطع عن ممارســة إنمــاء مداركه وذوقه ومعارفــه.. ولا يدري أنه بذلك يحكم بالفشــل على واقعــه، والفراغ في محيط ما يعلم، (فالشــهادات) لم تكــن يوماً نهاية المرحلة العلمية لكنها هــي بدايتها والعبرة بما يؤديه حامل الشــهادة من إنتاج وتضــحية وإصــلاح.. وتظل المكتبة هي الجامعة الأم يبتدئ المرء بها مرحلته العلمية الحقة اطلاعاً وشمولاً وإدراكاً.

والنماذج التي تشهدها المجتمعات لعجز الكفاءات عن العطاء إنما يعود لأمرين: أولهما الغرور بما وصل إليه الدارس من مرحلة والثاني عجزه عن مواصلة الاطلاع والبحث.. ولا أزال أتذكر الحكمة البليغة القائلة:

(لا يزال الإنسـان عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل)، هذه هي الحقيقــة وإن وجدها البعض (مُرة) ولكن مواجهة الحقائق أجدى من تجاهلها.

والرجال وحدهم هم المرشحون لتحقيق أماني أوطانهم.

ذو القعدة 1405هـ

المطلب الأسمى

شيء اسمه (الحقيقة).. لا يزال مجهولاً أو مظلوماً أو متجاهلاً.. والوقائع في أكثر أنحاء العالم الإسلامي تحكي ذلك عملاً لا قولاً.. فالأقوياء يفترسون من هم أقل منهم قوة.. والصراع الديني والمذهبي في ذروة الحماس للصراع لكي يكسب الجولة، والضحية في كل ذلك هم المسلمون.. وهم الذي أسهموا بشكل أو بآخر في الانتهاء إلى واقعهم الذي لا يحسدهم عليه أحد، صراع لا ينتهي ومؤامرات تبذل لإعدادها أموال لا حصر لها وانحرافات في الأهداف والسلوك لا تخفى على أحد.. وتبقى الصفقة الخاسرة (للأبرياء) الذين لا ناقة لهم ولا جمل.. بل عليهم شؤم ما فعله غيرهم من المنحرفين.

والأمر من الأهمية بحيث لا يمضي بمثل هذه السهولة لأن الهدف هو العمل الصادق المخلص لإعلاء كلمة الله، وتشجيع العناصر المؤمنة القادرة على أداء دورها الكبير وفتح الصدور للشباب رغم كل نزوات المراهقة التي يجتازونها لكي نساعدهم على تكثيف المقاومة في أخلاقهم وإيمانهم.. وحتى نجعلهم في موقع الثقة بما يدينون به، والقوة فيما يجب أن يدافعوا عنه.. وهي مهمة رائعة وجسيمة، وتحتاج إلى الكثير من الصبر والجهد والمثابرة وتستحق كل ما يعمل من أجل تحقيقها، لأن نجاحها يعني تغيير الواقع الذي نعيشه ونشكو منه.. وتؤكد القدرة على تغلب الحق الواضح على الباطل المظلم.. وهو المطلب الأسمى لدى كل مؤمن مخلص.

ذو الحجة 1405هـ

خيوط دقيقة

بين أن تكون مواطناً صالحاً في ركب العاملين، أو تبقى خارج ميدان العمل، أو عاملاً لإيقاف مسيرة البناء (خيوط دقيقة).. قد يدهش المرء حينما يُعمل فكره فيها ومدى تداخلها.. فالحياة تزحف بالأحياء إلى مصيرهم المحتوم، وهم في مسيرتهم تلك بين (مؤمن) بالله، ومؤمل في عفوه وعونه، وبين (مغرور) بما أفاء الله عليه من مال وصحة.

(والغرور) الإنساني لا أمد له، فالذي يتقمصه ربما يجد من نفسه القدرة على ما لا يستطيع، أو الجرأة على ما لا يملك. والنفس الأمارة بالسوء تستجيب – عدا من هدى الله – لكل نوازع الشر والفتنة والظلم، والأمر الأكثر عجباً فيما نسمع ونشاهد أن إنساناً لم يقل يوماً إنه غير (متكامل القوى العقلية) رغم أن المكان الجدير به هو مصحات الأمراض العقلية، فهو يعتقد كمال عقله، وسداد رأيه، لكن قد يتحدث عن ضآلة دخله أو سوء معاملة الغير له، (والإنصاف) من النفس من شيم العقلاء.. لا يستطيعه إلا هم، وهم قلائل، وتبقى المسؤولية أو (المعاناة) مؤملة إلى حد القسوة لكل قادر على التوجيه.

الآباء، المدرسون، القائمون على توجيه المجتمع، ثم قبل ذلك وبعده (ولاة الأمر) الذين كثيراً ما نطالبهم بما هو فوق طاقة الاحتمال البشري، ونحن نعلم أي مركب صعب ندفع بهم إليه، وأي عقبات نضيفها إلى ما يلقون من مثيلاتها.. إذاً نحن أمام عملية متكاملة لا بد أن تتضافر جهود الجميع لتحقيق النجاح لها، وما لم يتم ذلك.. فسنظل نواجه الكثير من

التناقضــات والمشــاكل التي تختفي أحياناً لكنها لا تلبث أن تعود مندفعة جامحة، لا لقوتها ولكن لأنها لم تواجه بدراسة علمية وتخطيط واضح.

أقــول لك مع اعترافي بعجزي عــن القيام بمفردي بما دعوت إليه، لكنني لا أســتطيع إسكات صــوت ضــميري الذي يدفع بي إلى عرض ما أعتقد جدواه، رغم عدم قدرتي على تطبيقه، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

محرم 1406هـ

بذل النصيحة

وحتى تظل القافلة منطلقة إلى أهدافها المرسومة، وحتى نأمن من مخاوف الانتكاسات المؤلمة، يجب أن نكون (أمناء) في بذل النصيحة الواجبة بشروطها حتى لا يستمر الانحراف، وحتى تطغى روح الشعور بالواجب.

(والنصح ثقيل) لكننا يجب أن نعتاد قبوله والالتزام بالصادق منه، لأننا إن لم نفعل ذلك نظل في الغفلة الزاحفة، نعتقد سلامة خطونا ولا نسمع الرأي الآخر، والحياة بكل آمالها وآلامها تمضي في سرعة عجيبة، وقد يتجاوزها الخاطئون دون مساءلة، لكنهم لم يتجاوزوا المساءلة في الدار الآخرة.

وهي الرقابة التي اختص الله بها المسلم، إذ يشعر بانحصاره رغم كل الهالات التي تحيط به أمام قدرة الله التي لا يحيط بها أحد.

والأمر يحتاج إلى مقاومة وكفاح، ولا شيء أصعب منهما على المرء، لكنه من واقعه المسلم محتاج إلى ذلك.

ويجب أن يتحمل في سبيل تبعات الالتزام التي لا يتحملها إلا الرجال، وسيلقي أولئك النتيجة العاجلة، وهي راحة الضمير في الدنيا، ونعيم الآخرة بعد لقاء الله لمن شاء الله له ذلك.

صفر 1406هـ

جهاد النفس

الإثبات مقدّم على النفي، قاعدة فقهية يتعامل الناس على أساس مفهومها، فلكي تحقق إيمانك لا بد من عمل الخير وطاعة الله، ولكي تؤكد صدقك يجب أن تتحاشى أن تكذب، ولكي تنهى أسرتك عما لا تريد لا تحاول أبداً أن يجدوك متلبساً بما تنهى عنه، ولكي تكون رجلاً ناجحاً يجب أن تلتزم بكل وسائل النجاح، وتحافظ على إثبات ذلك، لله أولاً، ثم لكل من تلقى.. فبلوغ القمم يحتاج إلى مثابرة وعزيمة، وإيلاء الجميل يحتاج إلى تضحية ومعاناة، وتحقيق الأهداف المشرقة يتطلب الدأب والعزيمة التي لا تعرف الملل.

وجهاد النفس بإلزامها ما يصلحها، والبعد بها عما يسيء إلى واقعها (تجربة حرجة) لا يملك تجاوزها إلا أصحاب المبادئ الذين يتعشقون الأذى في سبيل الحفاظ عليها.. وهو أمر آخر لا علاقة له بالادعاءات الكاذبة، والأوهام الجوفاء.

ويوم تلتقي بجلائل الأعمال وضروب التضحيات تأكد أن وراء تحقيقها (رجالاً) صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلا تحرم نفسك من مجاراتهم، والعمل على شاكلتهم، وإلا فكن على ثقة أنك تعيش هامش حياتك لا واقعها.

ربيع الأول 1406هـ

الحل موجود

شباب الأمة هم معقد رجائها بعد الله بقدر ما يقدمونه من جهود وتضحيات تقترب الأمم من أهدافها، لأنهم شباب اليوم ورجال الغد، وبقدر استشعارهم للمسؤولية، وإحساسهم بأهمية دورهم تحقق بلادهم أفضل النتائج، وتستطيع أن تعطي من نفسها مثلاً يحتذيه الغير ويغبطونها عليه.

والسؤال هو: كيف تتم مرحلة إعداد الشباب، لتلقي مسؤولياتهم وأدائها بكفاءة وثقة؟ وهو سؤال يحتاج للإجابة عنه إلى الكثير من الأفكار والنظريات والتجارب. ولست بصدد تحديد ذلك المنهاج أو بطلان ما يخالفه لكنني أقولها كلمة صادقة، أبتغي بها وجه الله: إن شباب الأمة هم ثروتها الحقيقية، وكل جهد يبذل في سبيل إعدادهم وتوجيههم وتعميق الشعور بالمسؤولية لديهم، هو واجب إسلامي، قبل أن يكون واجباً وطنياً.. يجب العمل لتحقيقه وتكريس الجهود من أجله، إذا كنا نريد ممارسة دورنا القيادي، الذي أراده الله لنا، غير مبالين في سبيل ما نرجو بما نقدم من تضحيات، لأن الأهداف الكبيرة تستحق البذل والعطاء من أجل تحقيقها.

وعندما تتضح الصورة، وترسم الأهداف، ويتوافر على تنفيذها الأمناء المخلصون فإن (النتائج) ستكون واضحة وضوح الأهداف الموضوعة لتحقيقها.

وكل الظواهر الشاذة التي يشهدها أناس في أي مجتمع تعلن في صراحة عمق الحاجة إلى دراستها، وتقصي أسبابها، وإيجاد الحلول الناجحة

المؤدية للقضـاء عليها تماماً كما يسري المرض في جسـم الإنسان، لا بد له من تشـخيص وعلاج ورقابة، والإسـلام بما يحمل من خير وسعادة، ومما يحتـوي من علاج ناجح لكل مشـاكل الأحياء، لن يعجـز أبداً عن إيجاد الحل الملائم لكل مشكلة، والتوجيه الناجح لكل انحراف.

ونحن بحمد الله نعيش في مرحلة التطبيق الواعي لشريعة الله، والاحتكام إلى هديه.

ربيع الآخر 1406هـ

الكلمة رسالة

أقبل عليّ والحماسة تعلو قسماته، وهو يقول: من هي الجهة التي تملك تقييم ما يكتبه الكثيرون في صفحنا ومجلاتنا.. وهل غدت (الحرية) ملكاً لكل من يكتب، بصرف النظر عما يكتب، أو الآثار التي ستترتب على كتابته.. يستوي في ذلك ما يتعرض به للأفراد، أو الشخصيات الاعتبارية أو الهيئات الرسمية المسؤولة؟

وعملت على التخفيف من حدة انفعاله دون جدوى.. فبدأ يطرح أمامي الكثير من المواقف التي تستوجب المؤاخذة.. بل العقاب.. وقال لي: هل تعتبر التجاوز عنها إقراراً لها، واعترافاً بها؟.. وإذا كان الحال كذلك، فما هو دور الناقد المخلص الذي لا يرضى لصحافة بلده إلا المستوى الذي يتلاءم مع دورها القيادي الكبير؟

وترددت في الإجابة عن تساؤله، لا جبناً عن مواجهة الحقيقة، ولكن رغبة في تقريب وجهات النظر.. ووعدته أن أجيبه في هذه الزاوية الشهرية في (المجلة العربية)، وعسى أن أكون قد تمكنت من الوفاء بما وعدت.. والكلمة رسالة قبل أن تكون مهمة.. وتموت الكلمات حينما تصبح احترافاً.. والكاتب يتحمل حتماً كامل المسؤولية عن كل ما سطره قلمه، وعدم مساءلته لا ينفي تحمله لها.. وله إن أراد إغماد قلمه وإراحة نفسه، لكنه بعد أن يكتب يصبح إنتاجه ملكاً للقارئ وحده، وعليه هو غُنْمُه وغُرْمُه.

وكــم كنت أود من كل متهيئ للكتابة في صــحف بلادي أن يستشــعر قبل أن يكتب مســؤوليته أمام الله أولاً.. ثم أمام قادة بلاده ومجتمعه وقرائه ثانياً.. وهو حينما يفعل ذلك، سـيظل في دائرة الالتزام الطوعي للمبادئ والقيم المتعارف عليها.

ولكن!! هل الواقع المائل يعكس في أكثر صوره مثل هذا الالتزام؟..

لا أود أن أقــول: لا. فأغمط بقولي الكثير من الأقلام المخلصــة الملتزمة، ولا أريد أن أقول: نعم. لأبرر ما لا يحصى من الأفكار المفتقرة إلى النضج والالتزام.

والعزاء في كل هذه المشــاكل – بعد الله – قدرة القارئ الســعودي على التمييز بين الطيب والرديء، والخير والشر.. وعند الله تجتمع الخصوم.

جمادى الأولى 1406هـ

فليسعد النطق

والمجلة العربية تدخل سنتها العاشرة، أجدها (مناسبة) لا يمكن أن تمر دون الاحتفاء بها.. بالاتجاه أولاً إلى الله بالحمد والشكر على ما أولانا من عونه وتوفيقه، ثم لولاة الأمر في وطننا الحبيب لما يولونه هذه المجلة من دعم وتشجيع مادي ومعنوي، كان لهما أكبر الأثر في دعم مسيرتها.. وبعد ذلك لكل كاتب وأديب ومفكر، داخل بلادنا وخارجها، لاحتفائهم المتزايد بالمجلة، وثنائهم عليها وتزويدها بإنتاجهم، الأمر الذي جعلها تعيش من خلال كل عدد فرحة لقاء كبرى بالمواهب والتجارب، والحب الكبير الذي تسعى دائماً إلى استدامته، وتوسيع دائرته، لأنه أكبر أهداف المجلة التي أنشئت من أجلها.

والكلمات لا تستطيع أن تعبر عن المشاعر لكنها هي (قدرة) المرء التي يصورها قول الشاعر العربي:

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ

فليُسْعِد النطقُ إن لم يُسْعِد الحال

وأرجو أن يكون النطق معبراً، لأن مرتبة الإسعاد سامقة، لا يصلها إلا الموهوبون، ولست منهم.

مرة أخرى أحمد الله، وأدعو لولي الأمر بدوام العون والتوفيق في مواجهة ما لا يحصى من مسؤولياته، ولكل محب لهذه المجلة، ومتعاطف معها، ومتعاون لتحقيق أهدافها.

لهم جميعاً الحب والثناء والشكر (والوعد) أن تظل بإذن الله أمينة على المبدأ، حريصة على الهدف، معتزة بما تلقى من التعاطف والثناء.

جمادى الآخرة 1406هـ

مواجهة المد

أي مجتمع في أي أمة، وفي كل زمان معرض للكثير من الضغوط والتحولات والتجاوزات، تختلف أسبابها ومسبباتها، لكن نتائجها تأتي في الغالب واحدة، وتستهدف فيما تستهدف قيم الأمة وأخلاقها وتقاليدها، وقد تنجح في تحقيق أهدافها عندما تجد المجال لها خالياً، ووسائل المقاومة إما معدومة أو شبه معدومة، ويتحدث المخلصون فيما يتحدثون (محذرين ومنذرين) لكنهم لا يستطيعون المواجهة الكاملة لما يلقون من انحراف وشذوذ، وربما كانت النتيجة كذلك لأنهم لم يسلكوا من خلال مقاومتهم الطرق الصحيحة التي تدنيهم من هدفهم، وتساعدهم على بلوغ غايتهم، ويزداد اندفاع الشر لضعف المقاومة وقدرة أصحابه على اتخاذ كل الوسائل الكفيلة بتحسينه وقبوله، وتبقى المحاولات المضادة لاهثة عاجزة عن مواجهة الطوفان الظالم المدمر، ويبقى السؤال المؤثر والمعبر هو:

(كيف نستطيع مواجهة هذا المد الزاحف من الشر والانحراف، وما هي الوسائل المعينة على ذلك؟).

ولا أدعي لنفسي القدرة على إيجاد الوسائل الكفيلة بمقاومة الشرور وتنمية كل النواحي الإيجابية في المجتمع، لكنني أجد من واجبي الإسلامي الذي لا يستثني أحداً أن أتحدث عن وجوب العمل الصادق على إيجاد الحلول لما يتوقع حدوثه من مشكلات حتى لا نفاجأ بحدوثها قبل إيجاد العلاج الصالح لمقاومتها. وفيما يفرض نفسه من مشكلات تبعاً

لمسيرة الحياة التي لا تتوقف، فالأمر يستدعي العلاج العلمي المتزن بالطرق المباشرة وغير المباشرة، دون اللجوء إلى أسلوب المواجهة المتشنجة، فالطبيعة البشريـة لا تتغير أبداً ووسـائل التعامل معها ثابتة تحتـاج إلى من يؤمن بها، ويخلص في تنفيذها وهي قضـية (الشعوب النامية) في كل زمان ومكان، وتتأثر فيما تتأثر به بتقاليد الأمم المسلمة وأخلاقياتها والصدق في تعاملها.

رجب 1406هـ

دعاة استصلاح

في هـذا الوقت الـذي يتكالب فيه الباطل وأهله، على أصـحاب الحق، ويكيـدون المكائد لهـم، ويطمسـون بأكاذيبهـم ما أشرق مـن واقعهم، ويحاولـون الإسـاءة إلى كل جهـد مخلص نبيـل، ويضـعون الدسـائس والمؤامرات للمخلصين للتشـكيك في مسالكهم وأهدافهم، ويطل الحقد حاسراً عن أنيابه ليعرقل مسيرة الخير أو يدنسها.

في هذا الوقت الدقيق، نحتاج (كأمة إسـلامية) إلى نوع فريد من الدعاة إلى الله، يستشـعرون مقومات الداعي وأسـلوب الدعوة، ولهم رصيدهم من التحمل والصـبر، ومعهم مواهبهم من سعة الأفق، وبعد النظر، ونفاذ البصـيرة.. حتى نسـتطيع بعون الله، ثم بجهودهم الهادئـة المتزنة أن نعيد الشارد، ونوقظ النائم، ونرشد الجاهل، في حب وود وحنان.

نريدهـم دعاة (استصـلاح) لا أدوات بتر.. نريدهم بأفعالهم المخلصـة يزيلـون في رفق كل الحواجز التي تفصـل بينهم وبـين الآخرين، نريدهم يدعـون إلى الله والبسـمة تعلـو وجوههـم، والحنـان يغمـر حركاتهـم، والاستصلاح يسيطر على كل تصرفاتهم، نريدهم الحراص على (احتضان) الفاريـن واللاهين والغافلين، والتدرج بهم، ومعهم، حتى يصـلوا بهم في النهاية إلى شاطئ الأمان، نريدهم مبشرين لا منفرين، وميسرين لا معسرين، ومرشـدين لا معنفين، ويوم تتكاثر هذه النوعية في كل مجتمع مسـلم، نجد أن العائدين إلى الله أضعاف اللاهين عن أوامره.

وبكل اختصــار نريد للأمة الإســلامية (دعــاة) إلى الله من نوع جديد، وجّه الله تعالى نبيه الكريم عن منهجهم بقوله تعالى: (ادْعُ إِلِى سَــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

ولن تعدم أمتنا الإسلامية - بإذن الله - هذا النوع من الرجال!

شعبان 1406هـ

ويتساءل العقلاء

يأتي على المرء حين من الدهر يشعر أن كل شيء في هذه الحياة الدنيا قد فقد بهجته ونضارته، وأن بياض المرئيات بدأ يتحول إلى سواد وظلمة، وأن الحق لا نصير له أمام غلبة الباطل والظلم، وأن الناس فقدوا مواهبهم ما عدا سطوة بعضهم على البعض الآخر، وظلمهم لهم، وانتزاعهم حقهم والتشهير بهم والانتقام منهم، وأن التراحم والتعاطف قد أقلعا إلى غير رجعة، وأن الحق للقوة فقط رغم وضوح عائديته للضعيف المغلوب على أمره، وأن الظلم والبطش أصبحا سمة العصر الحديث. وكل (المؤسسات) التي أوجدت لحماية الحق وردع المعتدي لم تعد تستطيع حتى أن تصرح برأيها فضلاً عن حماية ذلك الرأي وفرضه، وهو واقع نشهده كل ساعة فيما نرى ونسمع.

ويتساءل العقلاء عن الأسباب والحلول.. والأسباب كثيرة، وفي مقدمتها: (ضعف التأثير الديني) الذي يجعل المرء بعيداً عن الظلم، محباً لغيره، مراقباً لله فيما يفعل.

والحلول لا تكون إلا بالعودة إلى ما افتقدناه حتى نعمق الوازع الديني في نفوسنا قولاً وعملاً. وحتى نستحضر عظمة الله وقوته حينما تنازعنا نفوسنا إلى ظلم غيرنا، وأن نتمثل عبورنا للحياة كما دخلناها، دون استصحاب أي شيء مما نملك إلا ما قدمناه بين أيدينا، ويوم نفلح في ذلك، ويبدو واقعاً لا يمكن تجاهله أو التنكر له، هناك نستطيع أن نشهد انحسار الباطل وأهله، أمام مواكب الإيمان المخلصة.

رمضان 1406هـ

مزالق مظلمة

بين أن يكون المرء (أميناً) تعصمه مخافة الله، وتحميه نوازع الخير في نفسه، وبين أن يكون (خائناً) محتالاً، ما يماثل (الخيط الدقيق) الممعن في الدقة.

فالخيانة قبل أن تكون رقماً، أو حجماً - إنما هي تجاهل لمبدأ.. فالذي يسمح لنفسه بتجاوز مبدأ الالتزام به إنما يدفع بها إلى نقيضه.. يستوي في ذلك حجم خيانته كثرة وقلة، وسواء كان - وهو يصنع ما صنع - في مأمن من المساءلة، أو في ضمان لعدم التعرض لها في حياته، لأنه سيجد نفسه بعدها وحيداً إلا من عمله، وعاجل العقوبة له قبل كل ذلك الخوف من اكتشاف ما صنع، وضعفه أمام شركائه في خيانته، وقلقه الذي لا يفارقه مهما حاول التظاهر بغيره، ثم هو سيمضي بعد ذلك حثيثاً إلى صادق المساءلة، يوم لا ينفع مال ولا بنون.

(مزالق مظلمة) تلتهم الكثير من الأحياء، كأنهم لم يسمعوا التحذير أو الوعيد، أو كأنهم على يقين من نجاتهم.

وكلما اشتد (تطاحن) الخونة وصراعهم تزداد حاجة الأمناء الملتزمين إلى المزيد من الصبر والتحمل، وهم في ذلك على خير كبير في عاجل أمرهم (بالبراءة)، تعكس إشراقها في واقعهم، وآجله يوم لقاء الله الذي لا يتخلف.

نسأل الله، وهو القادر على ذلك، المزيد من الثبات، والعصمة، والعون على نوازع النفس وشرورها، إنه سميع الدعاء.

شوال 1406هـ

نوازع الخير

أتألم كثيراً حينما أجد المزيد من التجاهل لمبدأ (الاستصلاح)، لأنني أعلم جدواه في الكثير والغالب من المواقف والأحداث، ولأنني أشهد النتائج (السلبية) التي تبرز من خلال عدم الاهتمام به، فأنت عندما تستصلح نفسك، إنما تعمل على إبعادها عن كل ما يسيء إليها، وتحاول أن تعيد لكل ملامح الإيجابية المفطورة عليها قوتها وقدرتها على التفاعل.. وعندما تستصلح (المخطئ) من أبنائك، أو أصدقائك، أو من يهمك شأنه، إنما تعين بذلك نوازع الخير في نفسه لتظل قادرة على البقاء والتأثير.. وفي محيط العلاقات العامة، وحتى علاقات الأمم ببعضها، لا بد من العناية بهذا المبدأ ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً.. فالتجارب تؤكد نجاح تأثيره في الكثير من جوانب استعماله بحكمة وصدق، أما حينما نتجاهله فكأنما نعين (الخارج على واقعه) على المزيد من التشبث بما اختار، وننسف كل الجسور التي يمكن أن تكون وسيلة الأوبة له من انطلاقته.. وحتى حينما يثبت عدم نجاح استعماله بعد أخذ كل السبل المؤدية به إلى النجاح (وهذا ممكن الحدوث) فإنه يعطي العزاء للمحاولين، ويرفع عنهم الكثير من الحرج والتأنيب، ويعطيهم قدراً يريحهم من رضا ضمائرهم، والمهم أن نقتنع بجدوى ما نصنع، ونوطن النفس على قسوة المحاولة ويومها نجد أن (وجه) المجتمعات التي تمارس هذا الإنجاز الرائع أكثر إشراقاً، (وروابط) الأحياء أكثر تلاقياً ومتانة، (والمآسي) التي كانت وشيكة الحدوث أقل أثراً، وأضعف تأثيراً، والله وحده المعين على كل شأن والموفق لكل خير!

ذو القعدة 1406هـ

تلك هي الخسارة

ليست الخسارة فقدان جاه أو مال، لكنها تتجلى بأقسى مظاهرها حينما يفقد المرء إيمانه بربه.. ويبتعد بواقعه عن مصدر القوة العظمى وواهب العون لكل مخلوقاته، إنه وهو يفعل ذلك يفقد كل مقوماته وملكاته وقدراته على التماسك ومواجهة الأحداث، ويظل يلقى كل أزماته وحيداً فاقد الطمأنينة، محطم النفس، ينهار أمام أبسط الكوارث، ويتلاشى في مواجهة أقل التحديات، إن لم تعصف به الأحداث سقط تحت كابوس الفراغ الذي لا يرحم، دائم القلق، ضيق النفس، يسيء الظن بنفسه وبغيره، ويضمر الحقد لمن يكره ومن لا يكره.. ومن كانت تلك حياته كان عدمها خيراً له من استمرارها.. وفقدانها أجدى له من استدامتها، ولن يستقيم به حال حتى يعوّد النفس على الاعتماد على الله وحده، وأن ما شاء كان وما لم يشأن لم يكن، وأن كل قدرات الأحياء وانفعالاتهم وأعمالهم إنما هي (أسباب) أمرهم الله بها، ولكنه وحده الذي يأذن بنجاحها ويعين على تحقيق أهدافها، وأن الدنيا كلها بمن فيها لا تستطيع حجب ما قدره الله أو إجراء ما منعه، وأن في صادق التوكل عليه سبحانه، ذروة الإحساس بالأمل والطمأنينة والرجاء، وفي الصبر على ما يقدر، الخير كل الخير في عاجل الأمر وآجله، والدنيا تمضي بمن فيها نحو نهايتهم المحتومة، لكن مسيرتها بالصابرين المعتمدين على ربهم تبدو (قليلة الآلام، عامرة بالأمن والسكينة، وعلى العكس من أولئك من فقدوا صلتهم بخالقهم، فهم مع انطلاقهم إلى المصير الذي لا يتخلف (يتعذبون) بالخوف والقلق، وبما لا ينتهي من الآلام، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً!

ذو الحجة 1406هـ

رسالة لا وظيفة

الفارق كبير بين الرسالة والوظيفة، فالرسالة جزء من كيانك تعمل لأجل إنجاحها، مهما لقيت في سبيل ذلك من مشاق، والوظيفة لا يربط الموظف بها في كثير من الأحيان إلا حاجته إلى دخله منها، لذا فهو لا يعنيه في شيء مستوى أدائه لها، طالما أنه ضامن لما يعود عليه منها. (والأعمال الكبيرة) التي تملأ الدنيا بريقاً، وتترك بصماتها واضحة ملموسة، هي الأعمال التي تؤدى كرسالة، لأنها تؤدى بمنجاة من تأثير الحاجة أو طلب الثواب.

والرسالة لا يمكن أن يؤديها كما يجب إلا من يؤمن بفكرتها، ويدرك مسؤوليته تجاهها، وكل ما نشاهد من الأعمال يجب أن نرجعه إلى هذين العاملين.

(والرسالة) دائماً لا يتحمل مسؤولية إبلاغها وأدائها إلا النخبة القليلة من الرجال، يرونها جزءاً من واجبهم الديني، ويزداد رصيدهم من الأمل في نجاحها عند كل مقاومة تواجههم.. وربما كان الأمر واضحاً عند المجاهدين إذا كانوا يدافعون عن عقيدتهم، فإن إقدامهم يتضاعف، وقوتهم في المجالدة تزداد كلما ازدادت ضراوة المعركة التي يواجهونها.

وبلادنا الغالية – حينما رفعت لواء الدعوة إلى تضامن المسلمين واتحاد كلمتهم – كانت تعلم سلفاً صعوبة ما تدعو إليه، وقلة المتعاطفين معها لتحقيقه.. لكنها لم تضعف، وظلت تواصل وبإصرار مقاومة كل جموع الشر وجحافل الباطل، وتحملت في صبر كل التضحيات التي فرضت نفسها عليها، ثقة منها بصادق وعد الله، وعاجل نصره.. وقال من قال:

لماذا لا ندع هذا الأمر، ونعمل ضمن دائرتنا المحدودة حتى لا نظل هدفاً للأعداء؟ وكيف نرضى بذلك وقد شاء الله أن يجعل قدرنا هو الدفاع عن دين الله، ومناصرة المؤمنين به، وإشعارهم بأننا معهم ما داموا على حق.. وليكن بعد ذلك ما يكون؟.. فالعمل الصادق في ذات الله هو الذي أمرنا به، وهو القادر على منحنا الثبات على ما نلقى في سبيله، ومن قال إن الدعوة إلى الله ميسورة السبل سهلة المسالك؟

إنها تعني المقاومة الصادقة لكل خروج على الدين، أو عداء له، أو إقلال من شأنه، وهي تعني تذكير المسلمين أن دورهم لا ينحصر في انتسابهم للإسلام ودونما عمل من أجله، وتطبيق لتعاليمه، والمسلمون الذين يوجدون على أديم هذه الأرض إلى متى وهم بين مضطهد لطموحاتهم، أو حائل بينهم وبين دينهم، أو معذب لهم لمطالبتهم بتحكيمه؟

إن الله قادر على نصرهم، لكنه جعل النتائج تتلو الأخذ بأسبابها، وعلمنا كيف يحافظ المسلم على دينه، وكيف يدعو إليه، لم يجعل (العنف) وحده وسيلة لبلوغ أهدافهم، ولم يرض عمن جعل الدعوة إليه سبحانه (ستاراً) يخفي وراءه الداعية أطماعه وأهواء نفسه.

ونحن بحمد الله نشهد إحساساً بضرورة العودة إلى الله، وهذا خير كبير، ولكن يجب أن نختار الهدف الهادئ الذي يوصلنا إلى ما نريد، فالعنف وحده يسيء إلى الدعاة، إما بالانتقام منهم، أو كراهيتهم، وربما ممن يشاركهم مشاعرهم. (والدائرة) تظل تطل بوجهها الكالح في كثير من الحالات بين إفراط منفر، وتفريط متجاهل، والعلماء والدعاة بحاجة إلى إعادة النظر في أساليبهم، والعمل وبسرعة على الأخذ بمبدأ الاستصلاح

حتـى لا تنقرض بالأحياء أعمارهـم، وهم بين حافتـي التطرف الذي لا يخـدم الرسـالة الكبرى التي نرجو عون الله على تحقيقها، وجميل صـبره على ما نلقى في سبيلها.

محرم 1407هـ

دعوة لكل صاحب حاجة

بيت رائع من أبيات الشاعر المتنبي، وما أكثرها يقول فيه:

ومن جهلت نفسُهُ قَدْرَهُ

رأى غيرُه منه ما لا يرى

والدنيا كلها تواجهنا بمثل هذه (المواقف كل يوم).. وإلا فمن هو الإنسان حتى يسمح لنفسه بالاستعلاء؟ وطلب ما لا يستحق، ومهاجمة من حالت ظروفه دون تحقيق رغباته، وكيل المديح لمن أعانه على باطله؟

كلنا نشاهد الكثير من الأمثلة، ونحار في وسائل مواجهتها، وقد يكون (الموقف) أقوى من المقاومة، فيختفي أصحاب (المبادئ) لأنهم لا يستطيعون مواجهة ما يلقونه.. وقد تكون (المقاومة) أقوى. ويومها نسمع ونرى ونشاهد ما نعجب منه وله.

(صراع لاهث) لا ينتهي بين بني الإنسان.. يتحدثون عن المثل والتضحيات، فيعجبك قولهم، ثم تلقاهم عند حاجاتهم أكثر الناس تنكراً لما حبذوه وتحدثوا عنه.. وتمر الحياة بأهلها بين ظالم متجن، وبريء يسمع عن نفسه الكثير من النعوت.. ويظل يفكر في خلفيات ما يلقى، فلا يجد إلا أنه حاول أن يكون حريصاً أميناً، ولم يجد من يشجع فيه ما يحاول.. وإلا فكيف نعلم دوافع الحب أو الكراهية في مجتمع يدّعي كل امرئ فيه أنه على حق؟..

وما هو مصير المبادئ إذا لم تجد من يحتضن الصالح منها فلا يتركه (لقمة سائغة) لمن أراده أو طمع في الوصول إليه؟

(ســؤال كبير) يحتاج إلى نظرات تأمــل ربما تطرأ بين حين وآخر، لكنها كثيراً ما تتخذ (الحقيقة) وجهاً لتخفي وراءه كل الأكاذيب.

وهي دعوة لكل (صــاحب حاجة) أن يتأكد من اســتحقاقه لها، وأنه لم ينتزع ما أراد عن ضعف من المعطي، أو تجاهل منه لما صنع.. ودعوة أقوى منها وأوقع (وهي ألا يســاوم) أحد على مبادئه وتقاليده وأصــالة الخير في نفسه، وإن لقي في سبيل ذلك ما يكره، لأنه سيكون الرجل، كلما استطاع مواجهة التحديات التي لا تنتهي.

صفر 1407هـ

بئس المديح

صنفان من الناس يتجسد من خلال تعاملهما مع غيرهما ما يؤذي السمع والبصر..

الأول: من يمتدح غيره بمناسبة وبدونها، وكأنه يسعى بما يفعل إلى إعجاب الناس به، وبالتالي إلى حصوله على ما يريد، حتى وإن لم يكن ذلك من حقه، أو يتأكد من قدرة من طمع فيه وأغراه على بذله.

فهو يسمح لنفسه بكيل المديح جزافاً لمن يريد في (تفاهة) مؤلمة، (وانحدار) مرير، وينسب إلى محدثه من الأعمال والإنجازات ما لا صلة له بها، وتكون النتيجة لنهجه السيئ كشف تفاهة واقعه، وجرأة لسانه على الكذب. وقد يلقى من يقول له (كفى).. لكنه لا يكتفي، وربما يدفع ببعض من ينسب إليهم غير واقعهم إلى تصديق ما يسمعون، فيصدق عليهم قول الله تعالى: (لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

والثاني: من يبالغ في مديح غيره، ويمارس لتحقيق ما يريد كل ما يتوافر له من وسائل، ويؤذي بذلك ممدوحيه، لأنه يسخر بهم، ويفترض فيهم تصديق ما يؤذيهم سماعه، لا يردعه عن ذلك خوف الله، أو شماتة خلقه، أو أذى ممدوحه، ويبدو في استرساله المذموم كمن يتقيأ ليظهر أسوأ ما لديه.. فينطبق عليه قول نبينا صلوات الله وسلامه عليه: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب).

والواجب المتعين بديلاً عن هذا الســوء المؤذي أن نثني على المحســن بما يفعل تذكيراً له بوجوب شكر الله على توفيقه وعونه له على تحقيقه، وحتى نشــجع فيه نوازع الخير والأمانة والإخلاص، ونتجه إلى المخطئ والمقصر بالنصــيحة المشروعة بشروطها رغبة في تذكيره بما يجب عليه، وما يحسن به سلوكه.

وبين ما يحدث وما يجب أن نفعل (يتألم) المســلمون ويعانون، وربما لا تكون لهم القدرة على تصويب المسيرة حتى يأتي أمر الله.

ربيع الأول 1407هـ

ظاهرة مؤلمة

من الظواهر المؤدية للقلق في الكثير من الدول النامية ظاهرة (إهمال) - الطبقة المتخصصة - مجال تخصصها، وانشغالها بغيره، ومهما كانت مبررات هذا التصرف أو دوافعه فهو يؤدي فيما يؤديه إلى إعاقة الأمم عن الوصول إلى أهدافها، وإيجاد الكثير من الإرباك لما تخططه من طموحات وبرامج، لأن المتعين على كل متخصص أن يتعمق فيما يتعلق بعمله، وينمي ما حصل عليه بالممارسة الواعية، ومتابعة التطورات التي تفرضها الانطلاقة التي لا تقف لمسيرة البحث العلمي، حتى يتمكن من نقل خبراته، واستخدامها فيما يعود بالخير على وطنه، والنهوض بمجتمعه.

أما أن يهمل تخصصه، ويشغل بغيره نفسه، فهو الضياع.. وهي (الكارثة) التي تحفر بصماتها الباهتة على مسيرة الأمم، وتباعد بينها وبين الوصول إلى ما تهدف إليه وتريده، والمدهش في هذا (الجنوح) أن أصحابه يفقدون مع الأيام صلتهم بما علموا.. وبما هم مطالبون به، ثم هم أبعد الناس عن الإبداع فيما دفعوا بأنفسهم إليه.

والسؤال الذي يبرز من خلال هذه المعاناة التي تعيشها الكثير من المجتمعات المعاصرة.. هل من حق مواطن أريد منه التعمق في أحد فروع المعرفة، التحول عما هو موجه إليه والانشغال عنه بغيره؟

وإذا كانت الإجابة بالنفي - وهو ما أعتقده - فمن الذي يستطيع التصدي لهذا الخلل ومواجهته؟

لا أدعي لنفسـي القدرة علـى الإجابة.. لكنني بما أكتـب اليوم أحاول مخلصاً الإسهام في تعرية هذه المشكلة، وجلب الانتباه إلى عواقبها المذمومة، وأطالب كل مثقف ببناء نفسـه من خلال تدعيم علمه بتخصصه، ومتابعة كل الإنجـازات.. والتجارب التي تنمي قدراتـه، وتعطيه القدرة على نقل أفضل ما لديه لوطنه ولأمته.

وإن لم يفعل، فهو كالمنبتّ، لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى..

ربيع الآخر 1407هـ

ضراوة التحدي

الظاهرة الواضحة وضوح الشمس أن الأكثرية العربية لم تستطع بعد أن تستفيد من الوسائل والسبل التي يسلكها أعداؤهم للنيل منهم، ولتعبئة كل القوى ضدهم.. فالأعداء – وهم لا حصر لهم – يرسمون أهدافهم، ثم بعد اطمئنانهم إلى وضوحها وإمكان تحقيقها، ينتقلون إلى المرحلة التي تليها وهي (وضع الوسائل) التي تدنيهم من تلك الأهداف، وبعدها تبتدئ مراحل التنفيذ لكل ما رسموه ورغبوا تحقيقه، (والعرب) وهم يخرجون من كمين إلى آخر، ومن مكيدة إلى أختها، نراهم يجنحون للسعي لبلوغ ما يريدون دون سابق وضوح في الرؤية، أو تقدير للاحتمالات، أو اطمئنان لجدوى ما يختارون من وسائل.

ولست هنا أتحدث عن شعب بعينه، أو قيادة بذاتها، كما أنني لست مهتماً بالحديث عن (الأدوار) المؤلمة التي تكاد تفقد العقلاء اتزانهم، لكونها تعكس في الكثير الغالب التنفيذ الأمين لمخططات أعدائهم بواسطتهم، واستخدام من يمكنهم توجيهه إما لضمان استدامة مسؤوليته، أو نظير (أحقاد) تفيض بها نفسه الشريرة، وقبوله لما يملي عليه ممن هم أحرص الناس على تمزيق شمل قومه.. وإضعاف قدراتهم.. فالحديث عن أولئك يطول ولا ينقطع.. ثم هو باعث للأسى والحيرة ولما لا يحصى من الألم، لدى كل مؤمن بالله يرجو عونه، وينشد نصره.

لكني أود أن أدلل على ما أوضحت بظاهرة عجيبة يبدو أن العرب غافلون عن سيئ تأثيره وهي (الإفصاح الدائم) عن قراراتهم، والحديث

عما يودون تحقيقه، في سطحية غبية ربما كانت نتيجة دفع أعدائهم لهم للقناعة بها فهم يتحدثون عما لديهم وعما يهدفون له، وربما كان في شؤون يحسن أن تظل (سراً) لا يعلمه إلا المختصون والقادرون على سلامة أعداده والتأكد من فعاليته وتأثيره.. (والأعداء) بعكس ذلك تماماً، فهم يرسمون سياساتهم، ويحشدون لها كل الوسائل المعينة على بلوغها في صمت ذكي، وسرية ملتزم بها، والأدلة على عكس ما ذكرت واضحة ودائمة التكرار، ولا يعلم إلا الله ما يترتب على القناعة بها مما نشاهد من سلبيات قائمة ومريرة.

والأحداث التي توالي انطلاقتها، وضراوة التحدي الذي أصبح مفروضاً على أصحاب الحق المشروع تقتضيهم أن يعيدوا النظر في واقعهم، وأن يدركوا أن وسيلة الإعلان عما لديهم أو ما يريدون، لا يجديهم أمام أعدائهم إلا ضمن نطاق (الحرب النفسية) التي تتم ممارستها بحذر، وفي الحدود التي لا يحسن تجاوزها، والله وحده هو القادر على النصر، والمعين على سلوك كل السبل التي تؤدي إليه.

جمادى الأولى 1407هـ

وعند الله تجتمع الخصوم

ليس البخيل الذي يبخل بماله فقط، لكنه الذي يبخل بإبداء مشاعر الشكر لمن أعانه أو أسدى إليه معروفاً، أو وقف بجانبه في لحظة احتياجه وضعفه، فالناس ليسوا جميعاً بحاجة إلى النقود لكنهم يحتاجون في كثير من المواقف لابتسامة رضا، وكلمة عرفان، ومشاعر نبل.

يحتاج من قام بواجبه أن تقول له أحسنت بما فعلت، ويحتاج الكثير من الجنود المجهولين في معركة الحياة الذين تعودت نفوسهم على الوفاء والشهامة أن يقال لهم وبصوت مرتفع: أحسنتم.. حتى الشخص الذي كان نصيبه خدمتك يحتاج إلى أن تقول له بين الحين والآخر: إنك تقدر إخلاصه وجهوده وتعتذر عن إزعاجه.

هي (كلمات) لا تكلف قائلها شيئاً، لكنها تفعل فعل السحر في غيره وتدفع به إلى مزيد من العطاء والبذل والإخلاص، (فالمناصب، والمال، والبروز) كثيراً ما تصبح عبئاً على صاحبها إن لم يواكبها إحساس صادق بالجهود المبذولة، وعرفان تام بما يقدم له، ورغبة ملحة لتقديم التشجيع والثناء لمن يستحقه.

وأشد قبحاً من كل ما مضى من يتنكر لمن أسدى إليه عوناً كان يحتاجه، أو دافع عنه في لحظة ضعفه، أو أخذ بيده وهو يتهاوى.. إن من يفعل ذلك يكرس الجحود الممقوت، والتعالي المذموم، ويصور للناس أسوأ مظهر للتعامل.. والحياة تمتلئ بالنماذج المشرقة إلى جانب امتلائها بالمظلم القاتم منها، وأرزاق العباد قد كفلها موجدهم من العدم، لكن غرور الناس

وطغيانهم أوجد في سـيئ ما نرى هذا النوع مـن التعامل الظالم، والنتيجة التي قلما تختلف أن المدركين لدورهم الإنسـاني يحيون حياتهم دون آلام أو أسى، وغيرهم يعيش قلقاً لا يجد الاطمئنان سبيلاً إلى نفسه، ولا الهدوء طريقاً إلى واقعه، وعند الله تجتمع الخصوم.

رجب 1407هـ

التكافل والتعاون

التكافـل والتعـاون هما وجهان مـن الوجوه المشرقة التي لا تحصـى في مسيرة ديننا الإسلامي الحنيف فهو دين رحمة، ودين سلام، لا يدع معتنقه ينفرد بنفسه، ويتناسى إخوته في العقيدة، فهو منهم، وهم منه.

وإذا خالـف عامـداً هـذا النهج، فإنه يحكـم على نفسـه بانتزاعها من جماعة المسلمين، ونبينا صلوات الله وسلامه عليه كان يقصد هذه الظاهرة بكل وضـوح في قوله: (من لم يهتم بأمر المسـلمين فليس منهم) لا يكفيه انعزاله وشـذوذ مسلكه لكنه لم يعد بفعله مسـلماً.. فأخوة الإسلام رائعة الأثر وبعيدة التأثير، لأنها تشدك لمن عرفت ومن لم تعرف، ما دام قد انتظم في جماعة المسلمين، وآمن بمبادئهم، والتزم بتعاليم دينه، وربما كان (السر) الـذي يختفي وراء كل الحملات الحاقدة والظالمة التي توجه للإسـلام من أعدائـه مع غيرها من الأسـباب هو (دهشـتهم) لقـدرة الدين على جمع القلوب والتقائهـا رغم تباعد الديار، وتباين اللغـات، ولأنهم يرفعون ما لا يحصـى من الشعارات، ويؤلفون الكثير من الرسائل، ويشكلون الكثير من التنظيمات والهيئات والأحزاب، يريدونها مظلة للالتقاء في أجوائها، ويعملون لنشرها وإشـاعتها، ثم يتبين لهم بعد مـرور زمن يطول أو يقصر أنهـم لم يحققوا ما عملوا من أجله، ويشـهدوا في مقابل ظلام محيطهم أن عقيدة الإسـلام تنتشر بعناية الله، تحمل وضوحها وبساطتها وشدة التقائها بفطرة الإنسـان التـي فطرها الله عليها.. وتشـتد ضـراوة أحقادهم على الإسـلام وأهله، وتبقى الصـلة في الله، والعمل من أجله، راسخة الجذور،

صـلبة المراس، يتحطم أعداؤها على سفحها الشامخ العملاق، وهي تنشر الخير والأمن والعدل والإسلام.. وصدق الله العظيم حيث يقول: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون) (سورة الصف الآية 8).

وعندما يتحلى المسلم بالصبر وتوطين النفس على ما يلقى في سبيل عقيدته، ويعلم أن (الفتنة) هي التي تجلو معادن الرجال، فمن صبر لها واستعان بالله على شرورها، فهو الصادق مع الله الواثق بتأييده.. ومن ضعفت نفسه فساوم في دينه، أو رضي الدنية فيه، فلن يضر الله شيئاً، وستظل القافلة منطلقة بأمر الله شامخة دينها، صلبة صلابة مبادئها، تحمل للدنيا كلها ما هي بحاجة إليه من الأمن والاستقرار والطمأنينة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

شعبان 1407هـ

هل كل قلب يتسع للوفاء؟

قال لي وهو يكاد يتفجر غيظاً (كيف يستطيع المرء أن يواجه أصدقاءه وأعداءه في آن واحد؟) ولم أفهم تساؤله إلا بعد أن قال لي: (إنه يلقى مر الجحود من عشيرته والقريبين منه)، وأنه أصبح (قلقاً) لكثرة ما يواجهه من مكائدهم، فقلت له: وقد كنت أعايش بعض مشكلته.. لا تحزن يا أخي فإن كنت كما تقول فكأنما تسقيهم الملل، وهل كل قلب يتسع للوفاء؟ أو يحفظ المواقف الرائعة؟ لو كان البشر كذلك لتلاشى الكثير من آلامهم ومشاكلهم، لكنهم غير ذلك فهم في (غمرة البحث) عن مطالبهم قد تلهيهم تلك المطالب عمن كان يقف بجوارهم، ويقوي بعد الله تعالى صمودهم، وبعضهم لا يكتفي بنسيان ما بقي، لكنه قد يلجأ إلى رد فعل جبان عندما يسيء إلى من أعانه يوماً، أو وقف بجانبه، وكأنه بصنيعه يحاول نسف كل الجسور التي كان يتوكأ عليها وهو يبدأ رحلة عمره.. ولا يجد أولئك من يرشدهم ويقف أمام باطلهم، لأنهم جعلوه لهم نهج حياة رضوها ورضوا عنها، وترمقهم (العيون التي قد تغفل لكنها لا تخطئ)، وتحاول أن تربط بين ماضيهم وحاضرها فلا تجد ما يمكن أن يحكم الرابط بينهما لأنهما متناقضان، والمتناقضان لا يستطيع جمعهما إلا خالقهما وحده، والدنيا لها بريق يغشي الكثير من الأعين فلا ترى إلا ما ترغب، ولا تسمع إلا ما تريد، ويجد أولئك بجوارهم من يؤيد نهجهم، ويطري مسلكهم، ثم عندما يتضاءل البريق الذي لا يدوم يجد المرء نفسه وحيداً إلا من (هموم) مسيرته التي اختارها، ووحيداً إلا من

(نظـرة الحقـد الجاحد) التي تمـلأ كل الأجواء حوله.. نكـذب إن قلنا إن (مجتمعـاً يخلو من هؤلاء وأولئك، لكننـا نعجب لمن يتجاهل المشروع من النصيحة، ليبدلها بالسـيئ من التشجيع، ويومها فقط يتبين من صدق ممن ادعى الصـدق، ومن عمل ومن يحاول أن يبرز نفسه من خلال ما يعمل، والخالق جلّ وعلا يرصد كل خواطر الناس وخلجات أنفسهم، ويمنح كل (مجحود) من الطمأنينة ما تهدأ به نفسه (ولضميره) من الراحة ما يرضيه.

رمضان 1407هـ

هل تخلو الحياة من الهموم؟

يتساءل الناس كثيراً: هل تخلو الحياة من الهموم والصراعات والمكائد، ومتى يكون ذلك؟ ولا يجدون من يجيبهم بما يشبع فضولهم، ويظل التساؤل قائماً، (والإجابات) لا تقوى على الإقناع.. والمؤمن بالله وحده هو القادر على الإجابة، فالدنيا لديه (دار عبور)، ينتقل الأحياء منها إلى الدار الآخرة، وهناك لمن شمله عفو الله ورحمته يجد الحياة (الخالية مما يكره).

والأحداث والكوارث لماذا نتجاهل وجودها؟ وهي تعيد الصواب للطائشين، وتقول لكل مخلوق.. أنت أضعف مما تتصور، وقدرة الخالق فوق كل التصور جلّ وعلا.. والحياة الخالية من الهموم (تافهة) لأنها تعطل كل مقومات التحدي والصمود في واقع الأحياء، فهم في صراع عليها، لا تمتلئ أرصدتهم من نتائجها حتى يحلو لهم أن يصنعوا لأنفسهم مثلها.. وكأنهم ينسون أو يتناسون أن الله لا تخفى عليه خافية، وأنه يعلم السر وأخفى، وأنه يأمر بما يريد، ولا يملك إنسان مهما عظم شأنه إيقاف قدر الله أو تجنب مواجهته.

(واللحظات) التي تصفو فيها قلوب بعضنا نجد أنها تواجه فيما تواجهه اللوم والتقريع، وتمني زوال نعمة الله عنهم، ويظل الصراع على أشده، لا ينجو من هجماته إلا من غمر الله تعالى بالإيمان قلبه، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه ضعيف كل الضعف أمام قدرة الله وشمول علمه.. ومع كل هذه الحقائق نجد أن الدنيا تكاد تمتلئ (بالقتلة والعتاة وفاقدي الرحمة).. ثم يبدو لهم سوء فعلهم عندما يقترب موعد رحيلهم إلى الله الذي بدأ خلقهم وعودتهم.

(والإيمـان) وحـده بعد توفيـق الله هو وسـيلة النجاة لم أرادهـا، ونجد أن الكثيرين يتجاهلون كل هذه الأمور، ويشهد المؤمن صراعهم ثم كأنما يشاهد بضميره نهايتهم ويظل يسأل ربه عونه وتثبيته حتى يلقاه.

شوال 1407هـ

اللهيب الظالم

الذي يمعن بصره في واقع المسـلمين والعرب اليوم يرتد إليه بصره حسيراً كليماً دامعاً..

(فالأمة المسـلمة) تشـكل جموعاً من البشر، وبأرضها ما لا يحصى من الخير، ماء ونباتاً ونفطاً، والكثير من وسـائل الحياة الكريمة.. لكن واقعهم الفعلي الذي يعيشـونه يشكل أكبر (انتصـار) للباطل على الحق، والرذيلة على الفضيلة، والاضطراب على السكينة، والتشنج على الطمأنينة.

وإذا تجـاوز المرء دائرة الدول المسـلمة إلى الدائرة الأخرى التي تحتويها، وتشـاركها الكثير من المعوقـات والروابط وهي: (الدائـرة العربية) فماذا يرى؟ صـراع لا ينتهي، ومكائـد لا تبرح ولا تزول، ومؤامرات يضـعها البعض منهم ضد البعض الآخر، وخلافات لا مسبب لها، وحروب تصل أحياناً إلى إشهار السلاح وتساقط الضحايا.

(ظلمات) بعضها فوق بعض، إذا أمعن المتأمل المنصف النظر إلى بواعثها وجدها مصـطنعة ودخيلة، فهي تأتي من (حاكم) لا يسـعى إلا لاستمرار سـلطته ونفوذه، وفي سـبيل هدفه يعمـل كل ما يتعارض مـع تعاليم دينه الذي يأمـره بالتناصر، ونبذ الخلاف، وبذل العـون لمن يحتاجه، وتوحيد الأهداف والدفاع عنها، أو من (حاكم).. لم يدْنه من السـلطة اختيار حرّ ضمن الشروط التي وضـعها الإسلام لمن يلي أمر المسلمين، فهو قد فرض سـلطته، ومسـتعد للتعاون مع أي فريق يضمن استدامتها له، أو عونه على سـحق كل مقاومة تأباها، وبين (ولاة) حالـت ثقافاتهم البعيدة عن روح

الإســلام وهديه دون معرفة دورهم وحقوق مواطنيهـم، (وقلة) تحاول أن تلتزم بنهج واضح، لكنها لا تعدم بين حين وآخر من ينعتها بأسوأ النعوت، ويشــوه خطوات الإيمان في مســيرتها، ويســتعين على باطلــه (بالأبواق الإعلامية) التي أريد لها في كثير من الأحيان أن تكون مدافعة عن الباطل، ومبررة لاســتمراره، وســلاحاً لا يهدأ في مسيرة الأكاذيب، وتأليه القادة، وتبرير كل انحرافاتهم.

(والقوى المعادية للإســلام) تعمل بكل وســائلها على إذكاء هذا اللهيب الظــالم، والدفاع عــن كل باطَل يصــنعه الموالون لهــم، ويمعنون في جعل المعركة على أشــدها.. ويظل المســلم حائراً بين ما يعتقد ويؤمل ويشاهد، ويقــول (الرجال): متى نصر الله؟ قل: (عســى أن يكــون قريباً). ولماذا لا تكــون هي (الفتنة) التي ذكر الله تلازمها مع الإيمان ليبرز من خلال آلامها صــفاؤه وصــدق اليقين به؟ إذا فالسلاح الماضي (هو العمل) لإعلاء كلمة الله، والصبر على ما يلقى المسلم في سبيل ذلك حتى يأتي أمر الله.

ذو القعدة 1407هـ

إلى شباب بلادي

الكلمة اليوم أسوقها إلى (شبابنا الغالي)، والذي أراد الله تعالى له أن يكون في مركز القيادة الروحية لكل مسلم على وجه الأرض.. وهي المسؤولية الكبرى تختلف نظرة الأمم إليها، لكنها عندما تكون (قدراً) لأمة في الأرض فإنها تعني أعنف تجربة رائعة يخوضها (رجال) على مسار التاريخ الطويل.. هي عنيفة لأنها تتطلب النوعية العالية التي تستوعب كل التزامات القيادة.. منعكسة على الواقع والتعامل والإدراك.. ثم هي مسؤولية الريادة التي تستهدف فيما تستهدف الصبر والطموح والعزيمة.. وكل أمة تتنكر لدورها تظل تائهة حيرى، فهو ليس من صنعها وربما لم تكن تحلم بشرف الصلة به.. لكنه تقدير الله تعالى وأمره ولا راد لأمره ولا لتدبيره.. أقول لكل شاب في بلادي إنك مع الشرف على موعد، ومع النجاح على لقاء، إن كنت قادراً على أداء دورك الذي أراده الله تعالى لك، ورسالتك التي هيأك لحملها.. فالباطل في صراع لا ينتهي مع الحق، وأعداء الإسلام لا يتركون فرصة للتهجم عليه ومحاولة إضعاف أثره الفعال في النفوس، (الشيطان) يعين دائماً عوامل التخاذل واللامبالاة، والعالم الإسلامي يصارع كل قوى الشر وبالوسائل التي لا حصر لها، والأساليب الخادعة التي ترتاح لها الكثير من النفوس الماكرة والمعارك لا تهدأ.. والأحداث تتوالى، وربما تساءل المسلم متى ينتهي هذا العدوان الظالم على الإسلام؟ لكنه يتجاهل من خلال تساؤله مسؤوليته الفردية كمسلم.. فالإسلام دعوة لكل العالمين تحمل لهم البشر والخير والعدالة

والمساواة.. ولا يمكن أن ينطلق أثرها بدون أن يعتمد على تأثر معتنقيه به.. فهـو مطالب بأن يطبق تعاليم دينه في كل مكان وزمان، ومطالب أن يرفع رأسه افتخاراً بانتسابه إلى دينه الذي رضيه الله تعالى واختاره له، ومطالب أن ينقل سـماحة هذا الدين لمن يلقى، ويدافع عن سـاحته مكائد أعدائه.. وهي المعركة الحاسـمة يؤيدها الله تعالى، وينطلق لإبراز كل وجوه الكفاح بها بإذن الله تعالى (الشـباب) في هذه البلاد المسلمة الكريمة وغيرها، وهم على خير لأن حياة البشر محدودة، والآخرة هي المنتهى لو كانوا يعقلون.

ذو الحجة 1407هـ

قلوب تخفق بالكراهية

هل صـــحيح أن هناك (قلوبـــاً) لا تخفق إلا بالكراهيـــة والحقد واحتقار الكفاءات، وحجب كل إيجابياتها، وتسليط الأضواء على مواطن الضعف منها؟.. هذا الســـؤال كثيراً مـــا راودني فيما لقيت مـــن النماذج وتعاملت معهم؟.. تميل نفسي إلى افتراض ذلك، ولكن كيف للحاقد أن يرى واقعه؟ ولمـــاذا يكره غيره؟ وهل للكراهية طعم يلذّ له استســـاغته؟.. وأقول أحياناً يستحيل ذلك، لأن الحاقد الكاره يعيش لنفسه فقط، ويفقد بسلوكه (حب أقرب الناس إلى قلبه) ثم ماذا؟.. ما هي نتيجة مشواره؟.. قال الإخوة: إنه يعود في نهاية المطاف إلى كراهية نفسه وواقعه، ويومها سوف يلقى نتيجة انحراف ســـلوكه، واختلال توازن المثل في تفكيره، (والكاره لنفســـه) لا يتورع أن يلقي بها في أقذر الأوحال، وأبشع المواقف، وكأنه بما يفعل ينتقم لنفســـه من نفســـه، ويظل مطوياً (بدائرة الظلام) التي تغمر كل الفاشلين، (والناجحـــون) تتابع بهم مواقف النبل والرجولة يتجاوزونه، ولا يكادون يرونه لأنه فقد رؤية نفسه على واقعها، واختار لها المكان الأظلم والأسوأ والأحقر.. ومن يرضـــى مشـــاركته سوء واقعه؟.. لا أحد، لن يجد معه في النهاية إلا (تـــلالاً) من الحقد، والنقمة، والكراهية تغمر كل الدنيا المحيطة به وتغمره معها، فلا يســـتطيع أحد معايشته، ولا يستطيع العيش مع أحد، وتتجـــاوزه كل (الإيجابيات) بإشراقها وهو ذليل النفس، محطم المشـــاعر، حتى تنتهي به رحلة الحياة (تافهاً) كما بدأها مختاراً بالتفاهة.

ولكـــن هـــل تواجد مثل هؤلاء ضـــرورة لا بد منهـــا في كل مجتمع؟.. لن أجيب لأنني أثق في ذكاء القارئ وبُعد نظره.

محرم 1408هـ

الكارثة

هـذه (الجفوة) التي تزداد عمقاً ورسوخاً بين علمائنا ومفكرينا وبين الشباب المتطلع إلى ملامح مستقبله.. إنها تبعث الحيرة والأسى في نفوس المخلصين، لأنها تعني في حالة ازديادها تباعد المفاهيم، وتسمح (للعابثين) بأن ينقلوا لكل فريق ما يزيده بعداً ونفوراً عن الفريق الآخر.. وهي (كارثة) – وأسمح لنفسي بإطلاق هذا اللقب عليها – فالشباب هم (أبنائي وأبناؤك) إن لم يجدوا منا قلوباً رحيمة، ومعالجة بصيرة، وتعرفاً على واقعهم وأحداثه، ولم نعمل على تحبيب الشباب بمد الجسور إليهم، وتشجيع نوازع الخير في نفوسهم، إن لم نفعل ذلك فسيظل كل فريق يعمل منفرداً، ويعطي الدور للعابثين لكي يعملوا على إضعاف الرابطة الرائعة التي يجب أن تسود علاقتهما، (والشباب) لا يريدون – (من حصيلة المتواضع من تجاربي) – إلا البشر وتعميق الأمل في نجاحهم، وإعطاءهم القدوة الصادقة من غيرهم، ولعل أكثر المشاكل التي تواجه الكثير من البلاد المسلمة بدأت أول ما بدأت بهذه (الظاهرة)، ثم لم يستطيعوا كسب الجولة لأنها انتقلت بهم إلى مرحلة التحدي الذي لا يعطي سوى المزيد من الكراهية.. وشبابنا ينطلقون بحمد الله من (بيئات مسلمة)، وبيوت عامرة بالتقوى، لذا فاستجابتهم شبه مؤكدة.. أما أن يتعالى المنتسبون إلى العلم ويطلقون ما يحلو لهم من النعوت على كل تصرف لا يرضونه دون سعي إلى إزالته، أو يقولون بألسنتهم ما تنافيه أفعالهم، فهم بذلك يعملون على إيجاد الفجوة التي نرجو ألا تصل بنا إلى ما وصلت بغيرنا.. إن (شبابنا)

يمتاز (بشــهادة الأعداء) بالرجولة واحترام الغير وسرعة العودة إلى الحق، لا أعني بذلك عصــمتهم (فهم بشر) يلقون من المكائــد والمغريات ما لم يلقه أســلافهم، فهم أجدر بمن يقف بجانبهم موجهــاً لا مؤنباً، ومحباً لا ناقماً، ويوم يتــم ذلك نجد تلقائياً أن الكثير من المظاهر (الشــاذة) المنقولة تنحسر تلقائياً لأنها لا تجد التربة الصالحة لنموها واستمرارها.

وهي دعوة مخلصة يعلم الله مدى اهتمامي بها، وقلقي من عدم الإحساس بدورها.

صفر 1408هـ

كتابة التاريخ أمانة

(الناقد بصير)، كلمة سمعتها كثيراً ولم أعرها بادئ الأمر اهتماماً ربما لعدم إدراكي لما ترمز له.. وربما لأنني كنت قبل أية مسؤولية يحلو لي أن أنتقد غيري، وحتى لو لم أجد في عمله ما يُعاب عليه فلن أعدم ضعفاً يبرز منه في حركة أو إجابة أو تصرف.. لم أكن أقصد الإساءة إلى من أنقده بقدر ما كنت أحاول أن أبرز قدرتي على ترجمة ما أشاهد بما أعتقد، ويتحدث الناس معنا، ويسرف الكثير منهم في إبراز أية سلبية طارئة ليجعل منها (حكماً عاماً)، يحجب كل ما كان أو يكون من إيجابيات.. وتظل الحقيقة مجهولة لعدم قدرة أحد على الدفاع عن غيره إن لم يكن على صلة به.. وربما حفلت (كتب التاريخ) على مر العصور بآراء فردية بناها المؤرخ على مواقف تخصه وحده، لكنه بإبرازها يجعلها مشاعة للعموم، لا يهمه المصدق لها أو المخالف لأنه يشعر أنه أزاح عن نفسه ثقل الكتمان.. ولم يدرك خطر مسؤولية التعميم.. وكم امتدت الأيدي الظالمة الحاقدة لتحيل كل محاسن القوم إلى مساوئ، ولتبرز لسلبياتهم التي لا يخلو منها مجتمع على أنها هي الأسلوب المتميز الذي عاشوه وعملوا على استدامته.. والمؤرخ إذا لم يكن على صلة بربه فهو قد يختلق ما لم يحدث أو يشوه القصد مما يجري لهوى في نفسه.. ويتقاضى الناس حقوقهم (يوم الجزاء) عند الله حيث لا يمكن لإنسان أن ينفي ما أضمره أو عمد إلى إبرازه.. وكنت عندما أسمع الثناء على مؤرخ أتخوف أن أعيش واقعه الذي أراد فأشاركه في ظلم غيره.. وربما كنت وأنا أقرأ أكثر الناس حرصاً على تحري

الحقائق، وكثيراً ما تكون محجوبة أو متوارية.. ويوم أفرغ مما قرأت أتوجه إلى الله ألا يجعلني شريكاً لما قيل فيمن قرأت عنه فهو قد لقي وجه ربه، ونبينا صلى الله عليه وسلم يأمرنا (بذكر محاسن موتانا)، ولست هنا أريد أن أوجه أحداً فأنا أحوج الناس إلى من يوجهني.. لكني أود ممن يتحدث عن غيره ممن لا يملك الدفاع عن نفسه أن يخشى الله وحده، وألا يقول إلا ما يعتقد صحته، وألا يصدق بكل ما يقال.. وإلا فنحن مع (مؤرخينا) على موعد غير محبب إلا من كان مراقباً لربه فيما يقول.

ربيع الأول 1408هـ

السعيد من وعظ بغيره

يجب أن نكون دائماً في موقع الحذر مما نعتب على غيرنا.. لأن الاطمئنان إذا افتقد المتابعة واليقظة يصبح الوسيلة لارتكاب ما ننهى عنه، أو نلوم غيرنا على فعله، فعندما نجد ما لا نرضى من الفعل أو القول يجب اللجوء إلى أمرين:

أولهما: النصيحة المشروعة بشروطها.

والثاني: اجتناب كل وسيلة تؤدي إلى ما أنكرناه واستنكرنا وجوده، فالغرور يعمي البصر والبصيرة، فلا يدري المغرور متى تتخلى عنه مواهبه، ومن أين يأتيه حتفه.

لأنه مشغول بالتفكير في إضفاء المزيد من الأضواء على واقعه، ومنهمك في جلب الأنظار إلى صنيعه.

ومع كل ذلك لا يشعر أنه محتاج إلى غيره، أو أن من واجبه الاعتراف بغير كفاءته.. وتنطلق به دنياه (ممثلاً) كبيراً لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا صوته، وتبرز (المتناقضات) من حوله لتزيد من إمعانه في إثرائها وتكرار صورها، وتظل (الحقيقة) متوارية مظلومة لا لضعفها، ولكن لكثرة الصخب اللا مسؤول الذي يلف الدنيا حولها ويشملها بواقعه المؤذي والمدمر، حتى يأذن الله تعالى بزوال الغُمّة، وانفراج الأزمة، إما بعودة الوعي إلى فاقده، أو سقوطه مضمّخاً بتناقضاته، وحتى في علاقات الأمم بغيرها ينبغي ألا تطمئن أمة إلى سلامة نهجها فتنسى واجب تعهده، وضرورة استصلاحه، فالحق قديم لا يسبقه شيء، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من جعل للناس الموعظة من نفسه.

ربيع الآخر 1408هـ

الأذى الماحق

المجتمعات النامية كثيراً ما تشـهد تصـارع الاتجاهات، وتباين الأفكار، وما لا يُحصـى من وجوه التعامل وأسـاليبه، وقد يكون ذلك جزءاً من واقع المراحل التي تمر بها تلك المجتمعات عندما تكون محدودة الأثر، وأن يتلمس الناس من خلالهـا النهج القـويم الواضـح ليلتزموا به، ويجعلـوه المطلب الأسمى والبديل الناجح لما ألفوه واعتادوه.

وحتى يكون الأمر واضحاً، فإننا نرقب من خلال التفاعلات التي نحياها أن ظاهـرة المديح الزائف، والنفاق المكشـوف تـكاد تطغى على الكثير من جوانب التعامل، فلكي تحصل على ما تريد نراك تضفي من صفات النجاح والعبقريـة علـى من يملك تحقيـق ما تطلب، وربما نسـبت إليه مـن المفاخر مـا لم يخطـر له على بـال، أو أن يكون في قدرته صـنعه، في إذلال رخيص للكرامة، وإهانة واضـحة لكل مفاهيم الرجولة الحقة، والمقصـود بما فعلت إما أن يكون مسـتعداً لسماع ما قلت عنه فتدفع به إلى واقع تافه من الغرور بنفسـه، والرضا عنها، أو يكون غير ذلك فتؤذيه بما تفعل، وتسيء إلى واقعه بما تقول، وهما كما ترى (أمران أحلاهما مر)، وعندما تتكرر هذه المواقف ثم لا تلقى من ينزع عنها رداءها الباهت، ويمقتها واقعاً ووسـيلة تصبح هي السـائدة، وتطغى بظلامهـا وحقارتها على كل المثل القويمـة والرائدة، ولا سـبيل إلى النجاة من مثل هذا الأذى الماحق إلا بالله، ثم بالثناء على الإنسان المحسن بما فعل، والنصيحة له بشروطها عما أساء به أو قصّر، والاعتماد على الله وحده في جلب ودفع الأذى، والله عليم بذات الصدور.

جمادى الأولى 1408هـ

حيرة الشباب

في اعتقادي أن الشباب المسلم اليوم لا يعاني من الفراغ بقدر ما يعاني من الحيرة.

(الحيرة) مما يرى وما يسمع وما يقرأ.. (فالتقدم العلمي) أسهم في حيرته أكثر مما أسهم في إنقاذه.. لأنه نقل إليه عبر وسائل الإعلام (بمختلف مستوياتها وإنجازاتها) - مقروءة أو مرئية أو مسموعة - الكثير مما يخالف دينه، ويضعف يقينه ويزعزع الثقة في نفسه بمبادئه. وربما كان أثر ذلك سريعاً لأن دعاة الشر وأعداء دين الله تعالى كانوا أقوى مبادرة من غيرهم، وأكثر تنظيماً، وأقدر على تذليل كل الصعاب والعقبات التي تقف أمام باطلهم، واستطاعوا تسخير الكثير من المنجزات العلمية لأهدافهم وأفكارهم فساهموا في حيرة شبابنا وعدم وضوح الرؤية في واقعهم، مع استغلال (ذكي) لكل النوازع النفسية والجسدية في عقولهم الشابة المتوثبة.. ثم جاء أكثر الآباء والموجهين ليعملوا - ربما بدون قصد - على ترسيخ المزيد من الحيرة في نفوس شبابنا بعدم التزامهم بإعطاء القدوة الحسنة لهم من أنفسهم، بل ربما بتعاونهم في إعطاء تلك القدوة وتلك (هي المشكلة) رغم تجاهل الكثير من دعاة الإصلاح لأسبابها، وعدم قدرتهم على السعي لمجابهة أخطارها، وبقي الأمر بعد ذلك متأرجحاً دونما مواجهة ناجحة بين (باطل) يأخذ كل المسالك (ورجال) يأمرون غيرهم بما لم يفعلوا، وفي الجانب الآخر (مخلصون يتحدثون في وادٍ والشباب عنهم في واحدٍ آخر).

جمادى الآخرة 1408هـ

بين المجاملة والنفاق

الفارق دقيق جداً بين المجاملة والنفاق.. فالمجاملة أن تسلك الطريق المؤدي إلى صلاح من تجامل أو دفع شره عنك بما لا يؤدي إلى اندفاعه إلى ما يسيء إليه.. والنفاق: أن تنسب إلى غيرك ما لم يفعل، وتمتدحه بما لا دور له في صنعه، وتوهمه أنه قام بأفضل أدواره، وأكمل مسؤولياته، ومع مرور الزمن ومع وجود الاستعداد في نفسه يتوهم صدق ما قيل عنه، ثم قد يذهب بعيداً ليفترض الصواب في كل ما يفعل، والنجاح في كل ما يريد، وتفترش أردية الخداع الأرضية الكامنة في نفسه، فلا تقبل نصحاً، أو تستشير حازماً، حتى يقضي الله تعالى أمره، والمفجع أن هذا الأمر قد أصبح فيما يقارب المتعارف عليه تماماً كما يقول المتنبي:

ولما صار ودُّ الناس خباً

جزيت على ابتسام بابتسام

وصرت أشك فيمن أصطفيه

لعلمي أنه بعض الأنام

ولئن ذهبت تلوم هذا المنافق أو ذاك، وتشعره بسوء مسلكه وجدته يدافع عن نهجه بأنه يريد أن يرضي الناس بما لا يضره، حتى لا يواجه أذاهم، وما علم أنه يسهم بضراوة في تحطيم المثل الكريمة والمبادئ الواضحة، وأنه بما يفعل يعطّل النصيحة المشروعة ليقيم مكانها انحرافاً قد يترك ذيوله المعتمة أمداً طويلاً، وقد يدفع بالمخدوعين إلى تجاوز أحجامهم، وتجاهل حقوق غيرهم، والإساءة إلى مجتمعهم.

رجب 1408هـ

مهمة الرجال

بين الرغبة الجامحة لبلوغ الشهرة، والحرص على إلقاء الأضواء، بسبب أو بدونه تبقى (الحقائق الصامتة) في مجال تعتيم الأمور لا يعلمها إلا الله.. وهي القيمة الصادقة للعمل المخلص.. (والشهرة) بما تعطيه للطامح لها من الأضواء، وما يتحدث بها عنه الناس ليست هدفاً لذاتها من المخلصين المؤمنين بالله ثم بأهدافهم.. لكنها (الخديعة الكبرى) لمن يعتقد نجاحه بشهرته وإخلاصه بإلقاء كل الأضواء على ما يعمل.. ولست بهذا أتجاهل رغبة العاملين في الإفصاح عن جهودهم فهو من حقّهم.

وتبقى الحقائق والجهود الصامتة المخلصة في إطار الكتمان لا لتفاهتها أو ضآلة جدواها، ولكن لأن أصحابها يعملون لله وحده، وهو يعلم ما يقدمه كل إنسان لدينه ووطنه ونفسه.. والمهم بعد تحديد المشكلة هو كيف يعلم الذي يجري عكس التيار وخلاف ما يجب أن يكون عليه؟ كيف يعلم خطأه وكيف يتصرف للإقلاع عما يفعل؟ وتلك هي مهمة الرجال الذين يمكنهم أن يحدثوا كل تأثير صالح ونافع في مجتمعاتهم دون إعلان أو إثارة، بل بالنصيحة المخلصة التي أمر الله بها وإليه المصير.

شعبان 1408هـ



THE DIGNITY
OF THE INDIVIDUAL IN ISLAM

A Speech Delivered in the Tenth
Commencement Exercises at
Mandanao State University
Marawi City — Philippines

Tuesday 25 / Rabia Althani / 1595 H.
6 / May / 1975

In the name of God, Most Gracious, Most Merciful

Praise be to Almighty God. and peace and prayers on our master, Mohammad. after whom there was no other prophet, servant of God and His apostle to all mankind.

I am pleased to convey to you greetings from His Majesty King Khalid bin Abdulaziz. his government and the people of Saudi Arabia. They send you their best wishes and they pray for you by the Kaaba and the Prophet's Mosque (May peace be upon him !); they trust that good fortune and happiness will be yours in both this world and the one to come.

I am sorry. I was not able to be with you as it was planned, at the time of your previous commencement exercises. I was unable to come because of the painful and tragic death of His Late Majesty, King Faisal bin Abdulaziz (may the Almighty rest his soul in Paradise and grant him mercy and forgiveness.) During his lifetime he shouldered great responsibilities, going about his duties in the best possible way before his God.

His great and magnificent works arc now recorded on the pages of history, not only in the history of the kingdom of Saudi Arabia but also in the arena of international affairs and especially in the affairs of the Arab and Islamic world.

His late Majesty, may the Almighty grant mercy on his soul, personal ly supervised the development of services for the Saudi People, and he made it his personal concern to ensure that schools, hospitals, social centers. guidance centers and agricultural centers were established throughout the kingdom. from the mountain tops of the Assir province in the South, and the depths of every valley, to the remotest parts of the desert sands of the Arabian Penin-

sula. During his reign. the number of universities in the kingdom increased from two to five, and the sixth university will open its doors in the coming few months. The crowning achievement of his life's work in the field of health services was to endow and construct the King Faisal Specialist Hospital. This has attached to it a medical research center. The technical facilities of this hospital are among the finest and most modem of any hospital in the world and it is staffed by the world's most highly qualified medical specialists. In some respects it is perhaps the most technical advanced hospital in existence.

It is also well known that His Late Majesty, personally, used to give his keen attention to the improvement and support of services to the pilgrims to Mecca (the house of the Almighty), ensuring that ail the necessary services might be provided for them on their visit to the Holy Places.

In the field of Arab affairs, His Late Majesty, in his profound wisdom. was capable of uniting the Arab Will and he never stinted in generously providing the Arab Countries. which directly confront the Zionist enemy with military, material and moral support.

In the Islamic World, King Faisal led the call to Islamic solidarity with great force and enthusiasm. gathering Muslims together from East and West. He encouraged them to unite and love each other in brother- hood according to the Almighty's command : « Let all believers be brothers. » He was always ready to offer all possible help to his brother Muslims throughout the world whether it was for the building of Mosques or educational institutes, the translation of the meanings of the Glorious Quran, and the sacred Sunna into other languages. or the publishing of bocks, the granting of scholarships. or the despatching of teachers and missionaries, or the fostering of societies and organizations to work for the greater glory of Islam.

On the stage of international affairs, King Faisal worked tirelessly to help preserve world peace, and to a great extent, his wise and moderate policies on the question of petroleum, helped preserve international pros- perity and encourage the economic stability of the world.

I pray that the Almighty will grant mercy on Faisal's soul and place him in Paradise with the prophets, the martyrs and the true believers, among those who are the best of companions.

Our sorrow in the loss of our beloved Faisal is lightened in the knowledge that his brother Khalid bin Abdulaziz, may the Almighty preserve him. has taken the banner carried by Faisal. His government has reaffirmed its deep faith in the external and internal policies which were drawn up and applied by Faisal, and it has confirmed its intention of continuing along the same path.

Internally, Islamic law will remain the banner under whose shade we shall continue our march foreward towards the achievement of our goals.The government of His Majesty King Khalid bin Abdulaziz will continue the same plans for development and growth as laid down by King Faisal in his heroic efforts to raise the standard of living of the Saudi People in ail aspects of their life, in education, health. industry, agriculture and in the field of social development.

Externally. Saudi Arabia will continue to call for Islamic Solidarity as one of the most important bases of its policy, hoping that this will fortify the position of Muslims ail over the world in whatever country they may live, and encouraging them to strengthen their bonds of brotherly cooperation.

The Saudi Arabian Government will continue its support for a united Arab front and will continue its efforts to strengthen true cooperation among all the Arab people, be it political. economic or social. But the Kingdom will not limit its support to Arab and

Islamic countries alone. It will extend this support to the peoples of ail nations who have faith in the Almighty and in the principles of right and justice. Before talking about the dignity of the individual in Islam I have the pleasure of clarifying three points.

I - When I speak about Islam and the dignity of the individual Muslim Ido not do so out of sheer sympathy or because I am a Muslim; nor do I pretend that what I am saying is new to you, or that you have not heard it before.

The teachings of this religion arc very clear, and outspoken and righteous minds have not found it difficult to comprehend them. This uniquely practical religion talks directly to the intellect of mankind and guides him along the path that he should follow, and commands that he should establish his existence through his aims. Islam persistenly speaks to the intellect of mankind enabling him to use his powers and full capabilities so that he may reach to a state of submissive understanding and consequently come to have equal respect for others — as well as for himself. However, the aims of other doctrines and ideologies that have no basis of reality paralize man›s powers of thinking and understanding, and cause him to live his life in imitation of others. Even their philosophers remain the victims of this struggle in the wilderness, living a life of contradictions under the effects of ignorance and slavery. Of course Islam establishes the goal on which the individual builds his self- confidence and not only makes him certain of his capabilities but also provides him with the means of utilising his potential. Therefore it is a comprehensive religion and an international one that does not only apply to one particular group. It is heaven's message to ail mankind. Arabs. non-Arabs? wealthy or poor, black or white. This religion meets with other heavenly religions that preceded

Islam in principles and roots and completes its message, and in

this respect God said :

Not an apostle did We
Send before thee without
This inspiration sent by Us
To him : that there is
No God but I; therefore
Worship and serve Me. (1)

He says in another verse :

Say ye : « We believe
In God, and the revelation
Given to us, and to Abraham,
Ismail, Isaac. Jacob,
And the Tribes, and that given
To Moses and Jesus, and that given
To (all) Prophets from their Lord :
We make no difference
Between one and another of them :
And wc bow to God (in Islam). »(2)

The prophets were especially chosen by God to convey His message and laws, and thus to love the prophets is an obligation we should all share. Peace Be Upon Them All.

2 - One of the distinctive phenomena of the world today is that a great many Muslims arc deviating from the teachings of Islam and arc replacing them with other beliefs, although these new beliefs have proved to be a failure and arc damaging and unjust. Even Nome world leaders, unfortunately, have adopted these new beliefs and in doing so have created a vast gap between the principles, morality and laws of Islam and the followers of Islam.

(1) From Surat Al Anbia (The Prophets) Verse No. 2.

(2) From Surat Al Baqara (The Heifer) Verse No. 136.

I am not attempting here to point out the causes and reasons for this deviation as it would be preferable to raise these issues in a full independent research. However, I believe that one of the main reasons for the situation of the Muslim today is the surrender of their leaders and thinkers (to the great illusion) that Islamic law is not fit for ruling and guiding societies.

Those who speak this lie and believe it arc of two groups. Either they are ignorant about God›s law and its content, structure and ideas and therefore attack it. or they are people of malice who know the capability of Islam, its endurance and eternalness and who wish to isolate and paralize it. To achieve this end they work in two directions : by accusing Islam of being inflexible, powerless and weak while at the same time propagating other ideas and doctrines and thus causing Islamic societies to live in confusion and chaos. Even their laws and regulations will reflect this confusion as often ideas that have been accepted will later be rejected and conversely those ideas which were previously rejected will in turn be accepted. From this brief illustration comes an important conclusion and that is — most Muslims and their leaders are not in tune with the true Islamic teachings. And as long as our laws are attacked and lied about. and of course our laws are innocent, it is unjust to judge Islamic laws by the contradictions and deviations which exist in most modem Islamic societies. Islam should not be blamed for this.

Indeed Islam is innocent of all that opposes and goes against its nature, its culture, tolerance and structure. Even if the outlaws and others who wish to nullify its effects maybe in the majority, in the logic of Islam it is the true believers, whether they are in

the majority or minority who are right. And the majority cannot weaken the faithful minority. As God said :

Abraham was indeed a model
Devoutly obedient to God
(And) true in faith, and he
joined not gods with God. (3)

In fact Abraham was alone in his belief in God but his righteousness gave him a power equal to the power of all the nations of the world combined.

It is my belief that it is not men who define truth but it is truth that shows us who are the righteous men.

I never find anyhing more unjust than judging an ideology by what its deviated followers do. God›s religion is very clear and there is no room for deviation, uncertainty and vagueness.

As God said (O his prophet:
Say thou : « This is my Way :
I do invite unto God, -
On evidence clear as
The seeing with one›s eyes, -
I and whoever follows me
Glory to God ! and never
Will I join gods with God ! » (4)

The best way for anyone to become aquainted with Islamic laws is to study the resources of the religion, rather than by watching its followers. Islam, thanks to the Almighty, is the centre of consciousness, it is based on the Quran — God›s Book — the Immortal Miracle — that challenged ail Arab literary figures who could not create one similar sura or verse like it.

Although the Quran was written in Arabic, the language that Arabs understand, and communicate with, this challenge still exists — as is illustrated by the following verse :

Say : « If the whole

Of mankind and Jinns
Were to gather together
To produce the like
Of this Quran. they
Could not produce
The like thereof, even if
They backed up each other. » (5)

And the sura, the prophet's path, defined and explained God's book. Whatever was written in God's book and is derived from it is true and whatever contradicts it is untrue and rejected. As said by the prophet :

« Anything that does not spring from the religion itself can be totally refuted ».

----

3 From Surat Al Nahl (the Bee) Verse No. 120.

4 From Surat Yusuf Verse No. 108.

5 From Surat Al Isra Verse No. 88.

Or as it is said in another hadith :

« Anyone who does something that isn't ordered is rejected».

And thus a Muslims behaviours should be as a reflection to his true religion and laws as declared by God's apostle.

3 - I wish to emphasize to my brothers my inability to give this matter its proper due because talking about Islam in its popular conception and its purity and brilliance (far removed from lies and malicious accusations) is a delicate and important task that needs complete dedication. I am unable to do this with my other duties. It therefore needs scholars specialized in Islamic law to demonstrate to people its (Islamic laws) virtues in making a contribution towards finding new understanding according to God's will and for the benefit of its followers. Anyone who wishes

to discuss this matter must be fully acquainted with ail aspects and details of the Sharia to enable him to convince people through their minds and hearts of these facts. If man is prevented from knowing these facts he will not bother to find their virtues. In different ages the works of unbiased scholars, whether Muslim or non- Muslim, about Islam proves the virtue that exists within Islam. Thus I wish to stress that what I am about to say is but a personal and limited reflection on our great Islamic religion in response to the kind invitation extended to me from this esteemed University (Mandanao State University) and by its President, H.H. Brother Mauyag Tamano to participate in your commencement exercises.

Despite what I have said I do not want to find excuses to drop my responsibilities as an individual in an Islamic society. It is my duty as a good believer to work for the preservation of Islam. Through practical implementation the complete Islamic

---

6 From Surat Al Tawba (Repentance) Verse No. 71.

society can be developed as God stressed in this verse :

The Believers, men

And women, are protectors

One of another : (6)

This care for preservation in my opinion ought to remain the stimulant which arouses energy for the reforms and the fighting of weakness. inability and vices.

I wish now to proceed with my address.

I shall try to generalise and be as brief as possible but I hopo that what I have to say will make some contribution towards

the stimulation of endeavours to improve and define our future.

It is important to begin by referring briefly to the position of the Arabs before the mission of our prophet Mohammed — Peace Be

Upon Him. I find no quotation more expressive and picturesque than that of Ja'afar bin Abj Talib, may God be pleased with him, When he immigrated with some of the followers of God›s apostle to Abyssinia in order to escape the cruelty and prejudice of Qureish. Ja›afar bin Abi Talib stated. in response to the king of Abyssinia's enquiry :

« We were ignorant - we worshipped idols, we ate our dead, we committed adultery, we ate our family ties - we abused our neighbours. Our strong exploited the weak. Thus was our status until God sent us his apostle whose origin we know and whose truthfulness and chastity we know. He called upon us to worship one God and abandon ail the statues and idols that we and our fathers used to worship. He called on us to speak the truth, to keep safe that which is entrusted to us, to be kind to our neighbours and relatives, and to cease bloodshed and illicit practices. He ordered that we should not commit adultery, nor falsely accuse any person nor deprive orphans of their legitimate rights. He ordered us to pray, to fast and to pay zakaat. We believed him and trusted him. They caused our people to torture us, preventing us from following our religion and forcing us to resume the worship of idols and return to our former habits prior to Islam, until we could bear the oppression no longer and we came to your country ».

This was the difference between Arab society, before and after Islam. The light of Islam came through the mission of Mohammed, Peace Be Upon Him, from Mecca. The first verse he received came to him in Horaa cave where he used to worship al night.

1. Proclaim ! (or Read)
In the name
Of they Lord and Cherisher
Who created -

2. Created man. out of
A (mere) clot
Of congealed blood
3. Proclaim ! And thy Lord
Is Most Bountiful, -
4. He Who taught
(The use of) the Pen, -
5. Taught man that
Which he knew not (7)

God ordered his Prophet to read and He asked the Prophet and his followers to learn and to teach. Then the Prophet began to receive in succession the verses of the Quran which became the basis for the Islamic Society :

Thus have We made of you
An Ummat justly balanced,

---

7 From Surat Al Alaq (The Clot of Congealed Blood) Verses 1 - 5.

That ye might be witnesses
over the nations,
And the Apostle a witness
over yourselves; (8)

Mohammed's message is characterized by a number of features, the first being universality.

This religion is not restricted to Arabs but it is a religion for all mankind, and it is the final message from Heaven to earth. This message, by its nature, is useful for mankind in every place and at all times. The Apostle. in his person. nature and character,

was God's chosen one for mankind and he is the symbol wc should follow, as stated in these two

verses :

And thou (standest)
On an exalted standard Of character. (9)
Now hath come unto you
An Apostle from amongst
Yourselves : it grieves him
That ye should perish :
Ardently anxious is he
Over you : to the Believers
Is he most kind and merciful. (10)

Concerning the nature of his message, God said :

We sent thee not, but
As a Mercy for all creatures. (11)
We have not sent thee
But as a universal (Messenger)
To men, giving them
tidings,

---

8 From Surat Al Baqara (The Heifer) Verse No. 143.
9 From Surat Al Qalam (The Pen) Verse No. 4.
10 From Surat Al Tawba (Repentance) Verse No. 128.
11 From Surat Al Anbia (The Prophets) Verse No. 107.

Glad tidings, and warning them
Against sin. (12)
Blessed is He Who
Sent down the criterion
To His Servant, that it
May be an admonition
To all creatures; - (13)

God ordered his Prophet to preach to all mankind and not only

to Arabs :

Say : O men ! I am sent
Unto you all, as the Apostle
of God, to Whom belongeth
The dominion of the heavens
And the Earth : there is no god
But He : (14)

The Prophet himself was aware of the role that God chose for him. He said about himself :

« My example, in relation to that of the other prophets is as a man who builds a beautiful house, decorates it nicely, but leaves one brick missing from a corner of the house. This causes people to ask about the missing brick... I am that brick and I am the last Prophet. »

A second characteristic is totality - this includes easiness and lack of complexity. as stated in the following verses :

God doth not wish
To place you in a difficulty. (15)

God intends every facility
For you; He does not want
To put you to difficulties. (16)

---

12 From Surat Saba-a (The City of Saba) Verse No. 28.

13 From Surat Al Furqan (The Criterion) Verse No. 1.

14 From Surat Al Aaraf (The Heights) Verse No. 158.

15 From Surat Al Maeda (The Table Spread) Verse No. 7.

16 From Surat Al Baqara (The Heifer) Verse No. 185.

This is made clear in the rules surrounding the act of worship - sometimes we are permitted to shorten and combine our prayers while travelling. Also, people who are sick or who travel are per-

mitted to break the fast. As well. if there is no water for ablutions before prayer. one may perform tayamum.

A Muslim has only to fast for one month each year and has only to perform Haj once in his lifetime. Tax is not asked, except from the rich, and in a proportion which is not excessive. In all kinds of formalities. easiness and simplicity prevail. Even in punishment we find the Islamic Sharia very kind to Muslims when there are no major transgressions, unless the Muslim insists on proclaiming his sin. As the Prophet, Peace be upon Him, said :

« Where it seems that a Muslim has sinned, try to give him the benefit of the doubt, if possible and try to find a way out for him, for I prefer to sec an Imam err on the side of forgiveness than punish unjustly».

The Prophet also tried to form a pure society to make sinners feel their guilt and repent before God and through this return to God.

The Sharia ignores the moment of weakness that may befall a Muslim as a result of unconsciousness, or environmental infuence, but the Sharia fights the surrendering to the effect. It ugres him to purify his life and become conscious of the fact that God is always watching him. and that God knows the hidden as well as the apparent. The sinner may always return to God, for God is very near to those who call him. God grants the sinner forgiveness and mercy. Almighty God hates to see his servant depressed and in despair, as these verses indicate :

Say : « O my Servants who
Have transgressed against their souls !
Despair not of the Mercy
Of God : for God forgives
All sins : for He is

Oft-forgiving. Most Merciful». (17)
If any one does evil Or wrongs his own soul
But afterwards seeks
God's forgiveness, he will find
God Oft-forgiving,
Most Merciful. (18)

Repentence in Islam needs neither a mediator nor a parlicular place nor time. It only needs the awakening of one's consciousness and the awareness of God's surveillance to make one return to the right path. It is a simple act, just as Islam is a religion of simplicity, as shown :

And those who,
Having done something
To be ashamed of.
Or wronged their own souls,
Earnestly bring God to mind.
And ask for forgiveness
For their Sins, -
And who can forgive
Sins except God ? -
And are never obstinate
In persisting knowingly
In (the wrong) they have done.
For such the reward
Is forgiveness from their Lord,
And Gardons with rivers
Flowing underneath, -
An eternal dwelling :
How excellent a recompense
For those who work (and strive) ! (19)

---

17 From Surat Al Zumar (the Crowds) Verse No. 53.

18 From Surat Al Nisa (Women) Verse No. 110.

19 From Surat Al Imran Verses 135 — 136.

The Sharia relieves man from worshipping idols that lowers his thinking. Instead the Sharia elevates his thought lo make him believe in one God.. the creator of this Universe. In fact this brings him to the highest level of glory and dignity. God loves his Muslim servant, and God wants the best for him. Thus God chose man as his successor on earth. and made him utilize mountains and valleys, both wet and dry; he gave him the mind to discriminate right from wrong; he sent him messengers who warned him and brought him good news - so the one who obeys the messengers goes to Paradise, the one who doesn't, deserves punishment. Even angels inquired about the idea of creating Adam as declared in this verse.

Behold, the Lord said to the angels : « I will create
A viceregent on earth. » They said :
« Wilt Thou place therein one who will make
Mischief therein and shed blood ? -
Whilst we do celebrate Thy praises
And glorify Thy holy (name) ? »
He said : « I know what ye know not. » (20)

To understand the extent of dignity and freedom granted by Islam to its followers, it would be wise to briefly mention some of the modem articles that comprise the Human Rights Declaration adopted by the United Nations on December 10. 1948, at its third session. The introduction showed the recognition of man›s dignity and rights as a foundation for justice, equality and freedom. Some of the articles contained in the declaration are :

- All human beings are born with equal dignity and rights.

- Every man has the right to enjoy ail rights and freedoms.
- Everyone has the right to live in peace and freedom.

---

20 From Surat Al Baqara (The Heifer) Verse No. 30.

- No one should enslave or exploit any person.
- No man should be exposed to torture, punishment or bad treatment.
- All men are equal before the law.
- No one should be deprived of his nationality forcefully or arrogantly.
- Everyone has the right to express his ideas or opinion freely.

These modem articles claim to lay the basis for hum an dignity.

Where does Islam stand in relation to these articles ? I would make two points in answering this question.

Firstly, it would suffice to explain briefly the position of the Islamic Sharia, but, secondly, I shall use quotations to illustrate my argument as these are easily understood by modem man.

In the field of equality, as God said in these two verses.

Mankind ! We created
You from a single (pair)
Of a male and a female,
And made you into
Nations and tribes, that
Ye may know each other
(No that ye may despise
Each other). Verily
The most honoured of you
In the sight of God
Is (he who is) the most
Righteous of you. (21)

It is not your wealth
Nor your sons, that will

---

21 From Surat Al Hujorat (The Inner Apartments) Verse No. 13.

Bring you nearer to Us
In degree : but only
Those who believe and work
Righteousness. (22)

God's law does not discriminate between people because of their differences in language, colour or race, but those who fear God, perform their religious duties and avoid sin are the preferred ones, even though ail people are subject to exactly the same rights and duties.

The prophet (peace be upon him) applied the Sharia code more strictly against depotism and oppression of the weak. The story of the Qureishi girl shows this clearly. After the Prophet took Mecca a burglary was discovered and it was learned that the culprit was a girl from the prestigious Qureishi family. She was also related to Usama bin Zaid. The Qureishi family asked Usama to intercede on her behalf with the Prophet. The prophet answered his plea :

« Are you interceding for someone who broke God›s law. Why do I see people such as you interceding it is just as it was in the past — when a noble steals you release him but if a commoner steals you punish him. I swear by God that if it was Fatima bint Mohammed, who was the burglar, I would have cut her hand».

The Prophet said on other occasions also :

« You ail belong to Adam and Adam is out of dust ».

Also he said :

« There is no preference for an Arab over a non-Arab, nor for a white over a black, except according to their fear of God. »

The wise Caliphs followed the Prophet's steps. Take Omar bin Al Khattab for example, May God be pleased with him, when one of the Egyptian Christians complained about the son of

---

22 From Surat Saba (The City of Saba) Verse No. 37.

Omar bin Al Aas, Governor of Egypt, (who alledgedly hit the Christian when he was defeated in a competition and then said to the Christian : Are you defeating the son of a nobleman ?) Omar summoned both the Governor and his son to Mecca during the next pilgrimmage season and in front of a large gathering asked the Christian boy to take his revenge on the son of this nobleman. Then Omar bin Al Khattab turned to the Governor saying :

«When did you enslave people when they were born frec? » Omar did not discriminate between the Muslim and the non-Muslim in the concern shown by the Government for its citizens. One day Omar saw an old blind man begging in the Street. Omar asked the man what caused him to do this. The old man said «Tribute, condition and old age». So Omar took the man to his house and helped him - and summoned the Treasurer of the National Fund. Omar said to him : Look at this man ! I swear by God that we would not have done him justice if we consume his youth and abandon him in his old age.

The following verses declare clearly the notion of justice in Islam:

And when ye judge
Between man and man.
That ye judge with justice : (23)
And let not
The harted of others
To you make you swerve
To wrong and depart from

Justice. But just : That is
Next to piety : (24)

---

23 From Surat A! Nisa (The Women) Verse No. 58.
24 From Surat Al Maida (The Table Spread) Verse No. 9.

It is also manifest in Omar's advice to his judge Abou Musa Al Asharie, where he said to him « Be just to people in your look., your favour, and your judge, so no noble may try to get from you more than he deserves, and no poorman may despair from your justice. » Justice can clearly be seen in worship, as the poorman stands next to the rich in one line while praying, surrendering to one God, and uttering together «God is great». Thus both the rich and the poor share the same feeling of equality before him.

In Haj, equality is even clearer among ail the Muslims, in dress, appearance, and call. No discrimination, whatsoever, exists between colours or races. They are all strong through Islam, and beg God's mercy. Ail the pilgrims in Arafat cry the same call; Yes God; your call is answered for we are here to worship you.

In the field of personal freedom, Islam sees no meaning in living without freedom. Moreover, Islam cared for the position of the woman, relieved her from her previous maltreatment and the cruelty under which she lived, as we sec in these verses :

And women shall have rights
Similar to the rights
Against them. According
To what is equitable; (25)
Never will I suffer to be lost
The work of any of you
Be he male or female : (26)
To men is allotted what they earn.

And to women what they earn. (27)

---

25 From Surat Al Baqara (The Heifer) Verse No. 228.

26 From Surat Al-Imran (Family of Imran) Verse No. 195.

27 From Surat Al Ni sa (The Women) Verse No. 32.

The fundamental belief of the Muslim is that « There is no God but Allah ». We worship None but Him. As in this verse :

Thee do we worship

And Thine aid we seek. (28)

In the practice of religious freedom. the Islamic Sharia frees man from mere imitation and traditional practice. It enables him to use his own intellect in his own behaviour, and according to his interest, as stated in this verse :

When it is said to them :

«Follow what God hath revealed».

They say: « Nay ! We shall follow

The ways of our fathers.

The ways of our fathers».

Were void of wisdom and guidance? (29)

In the practice of political freedom, Islam assures full democracy, as the verse shows.

Those who (conduct)

Their affairs by Mutual Consultation: (30)

In giving advice to Head of States, God urges them to consult wise men as stated in this verse:

Pass over (their faults), and ask

For (God's) forgiveness for them

And consult them in affairs (of moment).

Then, when thou

Taken a decision,

Put thy trust in God. (31)

---

28 From Surat Al Fatiha (The Opening Chapter) Verse No. 5.

29 From Surat Al Baqara (The Heifer) Verse No. 170.

30 From Surat Al Shura (Consultation) Verse No. 38.

31 From Surat Al-Imran (The family of Imran) Verse No. 159.

With regard to criticism and the freedom of expression of one's thought, we find that the Islamic leaders emphasize these aspects as Abu Bakr, may God be pleased with him, said in his first speech: «I have been selected to be your Governor and Protector, and I am no better than you. Help me if I do well and correct me if my actions are not right. Let it be known that I will stand by the weak until I recover the rights which the weak have lost and the strong will be weak before me until I recover from him the rights he usurped from the weak, in sha'Allah».

The Second Caliph Umar bin Al Khattab, in his first address to the nation said «Oh, Men, I shoulder myself with obligations and promises. I mention them here for you, and wish you to remind me, in case I deviate from them. I promise that I shall neither take anything from your tributes, nor from what God have favoured you with, except what is due by the Sharia. And rest assured taht whatever is collected shall be spent in the right way and place. I shall increase your pay and shall elevate your standard of living - In-shallah. I shall not push you into dangers, and shall not keep you in the breaches of the battlefields. Shall be the father of your families in your absence. So, please, servants of God, fear Him, and help me in my duties toward you, and protect yourselves from sins. Assist me against myself by enjoining what is right, and forbiding me from what is wrong. Advise me in my reign. I say my words, and ask God›s forgiveness for me and you».

In another occasion, Umar, May God be pleased with him, asked a governer that he appointed in a part of the Muslim state, «What will you do, if they bring you a thief or a burglar? ». The governer answered «I shall cut his hand». Umar to this said, «Then I shall eut your hand if one of them comes to me hungry or unemployed. Allah, the Almighty commissioned us on his servants, to protect them from hunger and needs. Give them employment. And when they are furnished with God›s favours, then they shall be punished if they fail to obey Him».

Ali bin Abi Talib, may God be pleased with him, wrote to the governer he assigned in Egypt : « Fill your heart with mercy and love for people. Propect their interest. Never think of them as a prey, so as to attack them like a lion does. Be just with them, and protect them from the temptation of yourself, your family, relatives, and anyone who desires to hurt or exploit them. Because if you don't protect them then you oppress them. And he who does God's servant wrong, God will revenge from him. » In another occasion Ali said : «Spend the tribute you levy for the improvement of those people from whom it had been collected. In developing their conditions you develop others', for all the people are dependent on the tributes and their collectors. Pay more attention to building, and the development of the country, rather than stint your interest in collecting tributes. For the one who collects, and docs not build. destroys the country and its people, and shall never stay long. Pay your keen interest to solving people's complaints, because the land will be damaged and destroyed if its people are in need».

As God said :

Let there arise out of you
A band of people
Inviting to ail that is good,

Enjoining what is right,
And forbiding what is wrong : (32)
And:
The believers, men
And women, are protectors,
One of another: They enjoin
What is just, and forbid
What is evil (33)

---

32 From Surat Al-Imran (The family of Imran) Verse No. 104.
33 From Suart Al Tawba (The Repentance) Verse No. 71.

The prophet (peace be upon him) said in the Hadith :

« Let no one of you, be just a follower or imitator, that says : I am with the people, if they do good, I do the same, and if they do evil I do same. But I want you to accustom yourselves to do good in return to good deeds, and learn to avoid the wrong done to you».

And in another Hadith :

«Anyone who sees a wrong act, or an abomination, let him change it with his hand. If he could not then with his tongue (speech). If he could not then with his heart, and that is the weakest of faith. »

In the field of material rights, the Prophet said :

«To a Muslim, hid blood, his material possessions and his Ardh (the chastity of ail members of his family and his relations) arc sacred and inviolate ».

The following verse emphasizes the sanctity of the home in Islam

Ye who believe !
Enter not houses other than
Your own, until ye have
Asked permission and saluted
Those in them : that is

Best for you, in order that
Ye may heed (what is seemly).
If ye find no one
In the House, enter not
Until permission is given
To you : if ye are asked
To go back, go back :
That makes for greater purity
For yourself : (34)

---

(34) From Surat Al Nour (Light) Verses 27 - 28.

In this verse we sec that all Muslims have the freedom to work where they wish :

It is He who has
Made the earth manageable
For you. so traverse
Ye through its tracts
And enjoy of the sustenance
Which He furnishes: but
Unto Him is the Resurrection (35)

As to the right to education the Prophet stated that seeking knowledge is the duty of every Muslim. It is said that once the prophet entered the Mosque, and saw two groups of people sitting in two different corners. One group was worshipping God - the other group was studying Science. He said. pointing to one and then the other, this is good and this is good. But I was sent as an instructor». So he joined those who were studying Science.

Umar bin Al Khattab. may God be pleased with him, said to a governer he appointed : « Open your door for them (people), and

look after them. personally. for you are one of them. But only God burdened you with more responsibilies». He also said to Governor Abu Musa Al-Asharie: «I heard that you. and members of your family are wearing, eating, and riding, more superbly than other Muslims. Beware, oh God's servant to be like the beast, which passed through a fertile valley. It has no interest more than fattening itself, the fattening that ended the life of the beast. Be sure, a worker, like you is returning to God. So if you deviate, your subjects will do too, and the most unlucky one, will be the one,.who brings unhappiness to his people».

---

35 From Surat Al Mulk (Dominion) Verse 15.

In the field of social security Islam emphasizes and assures that a Muslim should live in freedom and his essential needs should be secured. This can be seen in the duty of paying the tithe and the different ways of spending it as stated in this verse :

Alms are for the poor
And the needy, and those
Employed to administer the (funds);
For those whose hearts
Have been (recently) reconciled
(To truth) ; for those in bondage
And in debt; in the cause
of God; and for the wayfarer. (36)

The Muslim should also personally support the poor and the needy — to the limit of his capacity. This is stated thus :

And in their wealth
And possessions (was remembered)
The right of the (needy),
Him who asked, and Him

Who (for some reason) was

Prevented (from asking). (37)

All those mentioned in the verse may also get from the « National Funds » ail their daily needs, that would enable them to start working.

I find that I have taken much of your time — more than I have the right to. I am sure you can see that there is no limit to the analysis of the issues that I have raised in this address. I would now like to sum- marise what I have discussed.

---

36 From Surat Al Tawba (Repentance) Verse No. 60.

37 From Surat Al Thariyat (The Winds that Scatter) Verse No. 19.

When a Muslim is filled with faith, he feels stronger and finds links in his faith that affect his behaviour and makes him more aware of his course. He fears God whether alone or in the company of others. He trusts in his good deeds, realises the privileges that God has given him and thereby wants to increase his obedience of God. So he helps others, stops people from doing bad deeds — ordering instead that they should do good. He fights vice and chaos. He fears the punishment of God so he performs his duties. He stands strong and decisive — no lies or temptations can affect his belief or divert his behaviour for he knows that God is with him and that God knows the hidden and the apparent. He knows that even if he can deceive other people he cannot deceive his creator. He performs his duties with utmost dedication and satisfaction because he is sure that everything will end well. A Muslim is sure that his religion is not composed of taboos and songs but its pillars arc worship and legislation that organizes man›s secular and religious affairs. Thus Islam can guide societies and establish prosperity until the end of this world.

In conclusion, and on behalf of my colleagues in the delegation, I would like to express our pleasure at the excellent reception which has been accorded us since our arrival in your beautiful country.

We are deeply grateful to the Government of the Philippines and its people for their kindness and attention during our stay here. Nothing has been spared to make our visit comfortable and profitable and for this we would like to thank you very much indeed.

We are very concerned with increasing and strengthening the excellent relations between our two countries in all fields and especially in the fields of education, science and culture. I hope that constructive cooperation between the universities of the Philippines and the universities of the Kingdom of Saudi Arabia will continue and that firmer relations between them can be established whereby there will be an exchange of visits by faculty and students as well as cooperation in various fields of research.

I want especially to thank the Mandanao State University, its President, and Faculty staff, the student body and the administration for their kind invitation which has given us ail the most delightful opportunity to be with you on this very pleasant occasion.

May the Almighty grant us ail success and good fortune.

Translated by
Saadoon Musiafa
Riyadh, April, 1975

سيرة ذاتية:

حسن بن عبدالله آل الشيخ ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٥٢هـ.

تلقى دراسته الابتدائية في مكة المكرمة، ثم في المعهد العلمي السعودي، ثم التحق بكلية الشريعة في مكة المكرمة وتخرج فيها عام ١٣٧٣هـ.

كان يدرس على يد والده الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ الكثير من العلوم الشرعية، وقد حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز السنة الحادية عشرة من عمره.

عيّن أول ما تخرج من كلية الشريعة في رئاسة القضاء بالمنطقة الغربية، وتدرج في وظائفها حتى أصبح عضواً في رئاسة القضاء، ثم نائباً لرئيس القضاء، ثم اختير وزيراً للمعارف عام ١٣٨١هـ، واستمر في هذا المنصب حوالي ١٤ عاماً، وأثناء هذه الفترة تولى وزارة الصحة عدداً من السنوات بالإضافة إلى عمله وزيراً للمعارف، ثم اختير وزيراً للتعليم العالي في عام ١٣٩٥هـ حتى وفاته. وكان بالإضافة إلى عمله وزيراً نائباً للرئيس الأعلى للجامعات، ورئيس مجلس دارة الملك عبدالعزيز، والمشرف العام على (المجلة العربية).

توفي مساء يوم السبت الموافق ١٤٠٧/٥/١٧هـ عن عمر ناهز الخامسة والخمسين إثر نوبة قلبية رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.


ISBN 978-603-8138-36-6